

التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة

تأليف الإمام:

نجم الدين، سليمان بن عبد القوي الطوفي الحنبلي البغدادي

ت: (716) هـ

دراسة وتحقيق وتعليق:

د. موسى بن محمد آل هجاد الزهراني

عضو هيئة التدريس

بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

بجامعة قطر



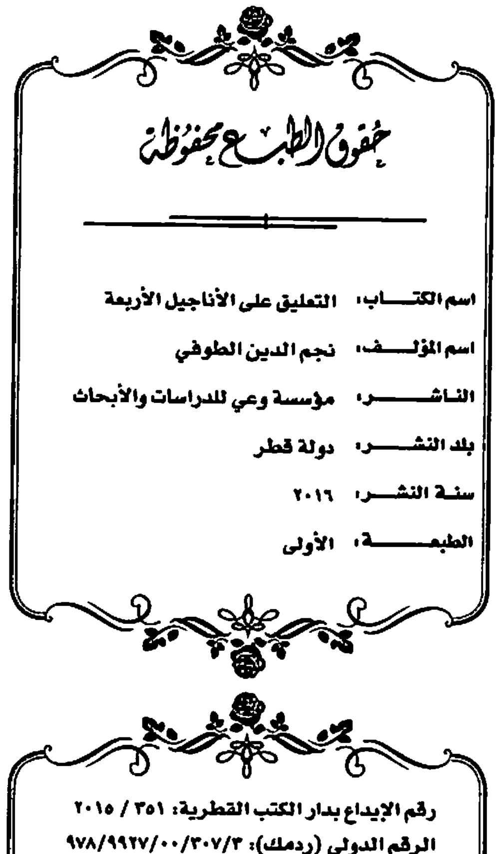
نحو ثقافة مؤصّلة

مؤسسة وعي للأبحاث والدراسات
info@wa3icenter.com
wa3icenter@
الدوحة - قطر

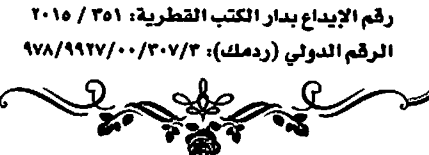
التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة

تأليف الإمام
نجم الدين، سليمان بن عبد القوي الطوفي
الحنبلي البغدادي
ت: (٧١٦) هـ

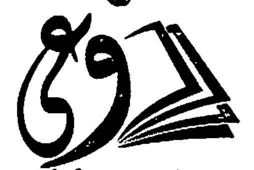
دراسة وتحقيق وتعليق
د. موسى بن محمد آل هجاد الزهراني
عضو هيئة التدريس
بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بجامعة قطر



اسم الكتاب: التعليق على الأناجيل الأربعة
اسم المؤلف: نجم الدين الطوفي
الناشر: مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث
بلد النشر: دولة قطر
سنة النشر: ٢٠١٦
الطبعة: الأولى

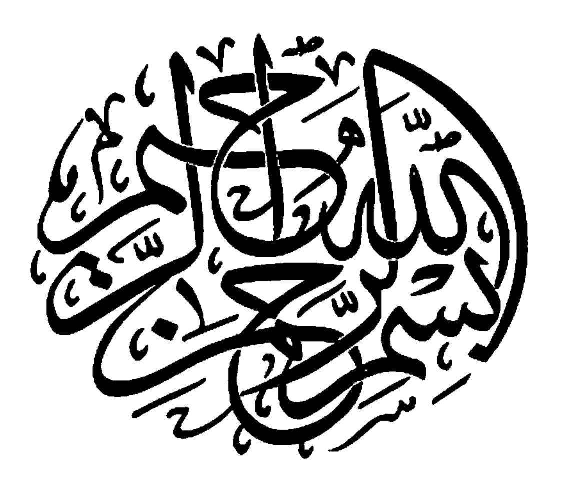


رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: ٣٥١ / ٢٠١٥
الرقم الدولي (ردمك): ٩٧٨/٩٩٢٧/٠٠/٣٠٧/٣



نحو ثقافة مؤصّلة
مؤسسة وعي للدراسات والأبحاث
wa3icenter@
الدوحة - قطر

دار عقل للنشر والترجمة
دمشق - سوريا


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ.

فإنَّ لدراسة الأديان والمذاهب المخالفة للحق أهميةً كبرى، وثمراتٍ جُلّى؛ فبسبب ذلك تستبين السبيلُ، وتقوم الحجة، ويُصفَّى الحقُّ مما لحق به من شوب الباطل؛ فيبقى الحقُّ نميرًا صافيًا، بعيدًا عن أكدار الضلالات وأوضار الأهواء. وبذلك يُنقذ ضحايا التقليدِ والتبعيةِ المطلقة، وصرعى الجهلِ والطاعة العمياء، ممن ألفَوا أسلافهم على أمّةٍ؛ فاتَّبعوهم، وممن أطاعوا سادتَهم وكبراءَهم من غير ما بينةٍ من حقٍّ، أو أثارةٍ من علم. ومن ثمراتِ الوقوف على الأديان والمذاهب والفِرَقِ المخالفة للحق؛ أنْ يعتزَّ المؤمنُ الصادقُ بالحقِّ الذي يحمله، ويَفرحَ باليقين الذي يَدينُ به؛ وذلك إذا رأى ما عليه غيرُه من التخبط والضياع، في دياجير الظلمة والضّلال. ثم إنَّ ذلك بابٌ عظيم من أبواب الدعوة إلى الله؛ فإنَّ الحقَّ إذا بُيِّن وصُفِّي مما لحق به من بدعٍ وضلالات وشوائب؛ هَفَت النفوس إليه، وانبعثت إلى الدخول فيه، والتمسك به، فالإسلام يدعو إلى نفسه بنفسه؛ شريطة أن يُعرض عرضًا صحيحًا.

ومن هذا المنطلقِ قام علماءُ الإسلام، في مختلف الأعصار والأمصار بعملٍ عظيمٍ، وجُهدٍ جبار، هتكوا من خلاله سُجُفَ الباطل، وكشفوا عَوارَ البدع والضلالات، وأوضحوا للناس دينَ الله، ودعوهم إلى الإقبال عليه، وكان دأبُهم الوصولَ إلى الحقِّ، وهدفُهم دعوةَ الناس إلى الحقِّ، ووسيلتُهم الإخلاصَ والعدلَ، والرحمةَ، والصدقَ[(١)].

ومن هؤلاء الأفذاذ العمالقة: **الإمام: نجم الدين، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الحنبلي (٧١٦هـ)**، فقد أكمل مسيرة العلماء السابقين قبله وفي عصره؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وغيرهم - رحمة الله عليهم - ممن تصدوا للردود على أهل الأديان المخالفة لدين الإسلام.

ويتبين هذا من خلال كتابيه:

الأول: المخطوط (التعليق على الأناجيل الأربعة وكتب الأنبياء الاثني عشر والتوراة) وهو كتابنا هذا.

والآخر: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية)، فقد أجاد فيهما وأفاد، وأورد على النصارى ما لا يستطيعون الإجابة عليه، وقد صرّح بتحديه لهم بقوله: «وقد استقريت الأناجيل الأربعة، وأوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأرض نصرانيًا يقدر على أن يجيب عن شيء منها»[(٢)].

وقد وفقني الله تعالى، وبتشجيع من أستاذي الكريم، العالم الجليل، الأستاذ الدكتور: محمد السيد الجليند، وفقه الله، لاختيار موضوع: (منهج الطوفي في مقارنة الأديان مع تحقيق كتابه: (التعليق على الأناجيل الأربعة)ليكون أطروحتي لنيل درجة الماجستير في الفلسفة الإسلامية من (جامعة القاهرة، كلية دار العلوم)[(٣)].

---

(١) انظر: رسائل في الأديان والفرق والمذاهب (٤) للشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، دار ابن خزيمة، الرياض.

(٢) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٥٩٦) تحقيق أ. د: سالم بن محمد القرني. الطبعة الأولى ١٤١٩هـ مكتبة العبيكان، الرياض.

(٣) نوقشت، وحصلت عليها بحمد الله تعالى، بتقدير ممتاز في تاريخ (١٧-٩-٢٠٠٨م).

وأتقدم بالشكر الجزيل لله تعالى!.. على نعمه التي لا تُعد ولا تحصى، ثم لكل من ساهم في هذا العمل من قبل ومن بعد، وأخص الشيخ: رشيد بن عبد الله البرود الزهراني بمزيد شكرٍ ودعاءٍ أن يبارك الله له في حياته وآخرته، ولأخي الدكتور: نايف بن نهار الشمري، الأستاذ المساعد بكلية الشريعة بجامعة قطر.

وأسأل الله تعالى التوفيق لي ولجميع المسلمين، وأن يردنا إليه ردًا جميلًا.. والله تعالى أعلم..

د: موسى بن محمد آل هجاد الزهراني

عضو هيئة التدريس

بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر

الدوحة - قطر، في ٢٥/ ٠٥/ ٢٠١٥م

mzahrani@qu.edu.qa

دراسة عن الكاتب والكتاب
حياة الإمام: نجم الدين الطوفي (١)

نسبه، ومولده، ونشأته:

هو: سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري البغدادي الحنبلي، وأشهر كنية له هي: أبو الربيع. أشهر ألقابه (نجم الدين)، ثم أضيف إلى المدن التي عاش فيها، أو مرَّ بها: مثل: الطوفي، الصرصري، البغدادي، القوصي، القدسي، المقدسي، الحنبلي (مذهبًا). **فالطُّوفي** (٢): نسبة إلى (طوف) قرية من أعمال صرصر، تبعد عن بغداد فرسخين.

والصرصري (٣): نسبة إلى صرصر، وهما قريتان من سواد بغداد، عليا وسُفلى على ضفة نهر عيسى في طريق الحاج من بغداد. البغدادي: نسبة إلى بغداد دار السلام!.

الحنبلي: نسبة إلى مذهب الإمام أحمد (٤). وقد اختلف المؤرخون في تحديد

---

(١) المصادر التي ترجمت لحياة الإمام الطوفي كثيرة جدًا، منها:

معجم المؤلفين (١/ ٧٩١) لعمر رضا كحالة - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.

مقدمة تحقيق الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية - لمحمد الفاضل - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ -مكتبة العبيكان - الرياض.

مقدمة تحقيق كتاب الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية - لحسن قطب - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - الفاروق الحديث - القاهرة.

مقدمة تحقيق كتاب الإكسير في علم التفسير - لعبد القادر حسين - مكتبة الآداب - القاهرة.

مقدمة تحقيق كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية - لسالم القرني - الطبعة الأولى - ١٤١٩هـ -مكتبة العبيكان - الرياض.

منهج الطوفي في تقرير العقيدة، رسالة ماجستير (١/ ١٦) إبراهيم بن عبد الله بن صالح المعثم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، بالقصيم ١٤٢٦هـ (مخطوط).

(٢) انظر: الدرر الكامنة (٢/ ١٥٤)، ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٦) وسماها ابن العماد (طوفا) (شذرات الذهب (٦/ ١٨٦).

(٣) انظر: معجم البلدان (٣/ ٤٠١)، و مقدمة شرح مختصر الروضة (١/ ٢١)، ومقدمة الصعقة الغضبية (٧٠).

(٤) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٦)، وانظر: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصوليًا وفقيهًا (١٠٧).

السنة التي ولد فيها الإمام الطوفي؛ ولعل الراجح أنه ولد سنة بضعٍ وسبعين وستمائة[١].

وقد ذكر الذهبي في (ذيل تاريخ الإسلام)[٢] أنه مات كهلا[٣]، بالخليل[٤]، عام (٧١٦) هـ عن نيِّفٍ[٥] وأربعين سنة[٦]. وكانت نشأته الأولى في قريته (طوفى)، وكان أثناء ذلك يتردد على أهل العلم بصرصر القريبة من بغداد. ورغم أنه نشأ في أسرة فقيرة من عامة الشعب، فإنَّه درج ونشأ في بيت صلاحٍ وعلم، محبًا له، وطالبًا له منذ الصغر، وقد حباه الله بمواهب قلَّ أن تجتمع في امرئٍ، مما أهَّلَه لأن يكون من كبار علماء عصره[٧]. ولم تذكر المصادر شيئًا عن أسرته سوى إشارة إلى أنها تنقلّت معه من طوفى إلى بغداد إلى دمشق ثم إلى مصر، ثم بيت المقدس.. قال ابن حجر: (وكان موته ببلد الخليل.. وعاش أبوه بعده سنوات)[٨].

مكانته العلمية وأخلاقه:

لم يترك الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى عالِمًا كان له أثرٌ في المدينة التي يرحل إليها إلاَّ أخذ عنه، فلا يهمُّه الوعاءُ الذي نقل فيه الغذاء، ولكن تهمُّه قيمةُ ذلك الغذاء، فلم يقتصر في أخذه العلم على علماء الحنابلة فحسب، بل تعداه إلى بقية علماء المذاهب الإسلامية الأخرى، كالشافعية، والحنفية، والمالكية، وغيرهم، وقد كانت لديه رغبة شديدة في الانتقال الفكري، والتحرر من قيود المذهبية، حيث كانت سببًا في اتهامه

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٦)، مقدمة الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية (٧١).

(٢) انظر: (١٧٩).

(٣) الكهل عند أهل اللغة: من ناهز الأربعين، وقيل فوق الثلاثين ودون الخمسين. [لسان العرب (١١/ ٦٠٠)].

(٤) مدينة فلسطينية عريقة تنسب إلى إبراهيم عليه السلام. و بها مسجد الخليل. تبعد عن القدس ٥٠ كم، وقعت بها مذبحة الخليل الشهيرة في رمضان عام ١٤١٥هـ حررت من الاحتلال اليهودي في ١٩٩٧م [معجم البلدان. موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية (٢١٤)].

(٥) النيف عند أهل اللغة: من الواحد إلى الثلاثة [لسان العرب (٩/ ٣٤٢)].

(٦) انظر: مقدمة الصعقة الغضبية (٧٢). منهج الطوفي في تقرير العقيدة (مخطوط) (٣٠).

(٧) انظر: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصوليًا وفقيهًا (١١٣) والانتصارات (١/ ٥١)، مقدمة شرح مختصر الروضة (١/ ٢٢)، منهج الطوفي (١/ ٣٢)، المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي (٧١).

(٨) انظر: الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥).

بالتشيع، لا بل بالرفض[١]! وقد أثنى عليه كثير من كبار علماء عصره[٢].

طوّف الطوفي ببلدان كثيرة، التقى فيها بعلماء أفاضل، قريبًا من ثلاثين عالمًا؛ تلقى عنهم العلوم في شتى الفنون، وقد ذكرت كتب التراجم أشهر من تتلمذ الطوفي رَحِمَهُ اللهُ عليهم، وأخذ عنهم، أبرزهم ابن تيمية، وقد مدحه الطوفي بقصيدة رصينة[٣]. وقد جاء ذكره في عدة مواضع في كتب الطوفي وصفًا له بأنه شيخه[٤]، وفي قصيدته:

فاصبر ففي الصبر ما يُغنيك عن حيلٍ ... وكلُّ صعبٍ إذا صابرته هانا

ولست تعدِمُ من خطبٍ رُميتَ به ... إحدى اثنتين، فأيقن ذاك إيقانا

تمحيصُ ذنبٍ؛ لتلقى الله خالصةً ... أو امتحانًا به تزداد قربانا

يا سعدُ إنا لنرجو أن تكون لنا ... سعدًا، ومرعاك للوُرَّادِ سعدانا

وأن يَضُرَّ بك الرحمنُ طائفةً ... وَلَّت، وينفع من بالوُدِّ والانا

يا أهل تيميةَ العالين مرتبةً ... ومنصبًا فرع الأفلاك تبيانا

جواهر الكون أنتم غير أنكمُ ... في معشرٍ أشربوا في العقل نقصانا

لا يعرفون لكم فضلًا ولو عقلوا ... لصيروا لكمُ الأجفان أوطانا

يامن حوى من علوم الخلق ما قَصُرت ... عنه الأوائل مذ كانوا إلى الآنا

إن تبتلى بلئام الناس يرفعهم ... دهرٌ عليك لأهل الفضل قدخانا

إني لأُقسم والإسلامُ معتقدي ... وإنني من ذوي الإيمان أيمانا

لم ألق قبلك إنسانا أُسرُّ به ... فلا برحت لعين المجد إنسَانا[٥]

---

(١) انظر: الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥، ١٥٤)، شرح مختصر الروضة (١/ ٥٠) ت د: آل إبراهيم. والإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصوليًا وفقيهًا (١١٩، ١١٨).

(٢) انظر: الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٦، ٣٦٧)، والإشارات الإلهية(١/ ١٠٩). الدرر الكامنة (٢/ ١٥٥). والمصلحة في التشريع الإسلامي (٧٦).

(٣) انظر: مقدمة شرح مختصر الروضة ت/ د/ آل إبراهيم (١/ ٤١).

(٤) انظر: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي فقيهًا وأصوليًا (١١٥).

(٥) انظر: الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (٢٩٠) بتحقيق أستاذنا أ. د/ محمد السيد الجليند. وشذرات الذهب (٦/ ٣١٩). (العبر في أخبار من غبر(٤/ ١٣٠).

ثانيًا: تلاميذه: تتلمذ على الطوفي عدة، نهلوا من علمه، في تنقلاته الكثيرة[١].

مذهبه العقدي، وحقيقة نسبته لمذهب الرافضة، والرد على ذلك:

أولًا: عقيدته: اعتقاد الإمام الطوفي رحمة الله عليه بينه مجملًا عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] بقوله:

١. الإيمان بالله ﷻ هو التصديق بوجوده وصفاته وأفعاله، فمن صفاته أنه قديم باق حي عالم قادر مريد متكلم سميع بصير غني، وبالجملة متصف بصفات الكمال، منعوت بنعوت الجلال، منزه عن لحوق كل نقص، وعن فوات كل كمال، ومن أفعاله العالم ففي الحقيقة لا موجود إلا الله ﷻ وصفاته الذاتية، وأفعاله[٢].

٢. والإيمان بالملائكة التصديق بوجودهم، وأنهم من حيث المادة نورانيون، ومن حيث المرتبة ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]، ومن حيث الوظيفة ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء:٢٠]، ومن حيث الطاعة والعصمة ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦]، إلى غير ذلك من أوصافهم وأحكامهم[٣].

٣. والإيمان بالكتب كالتوراة والإنجيل وصحف آدم وإبراهيم ونحوها المنزلات والقرآن؛ هو التصديق بأنها حق من حق موافق بعضها لبعض لا تناقض فيها ولا اختلاف، التكليف بها حق، والعمل بها صواب[٤].

٤. والإيمان بالنبيين هو التصديق بأنهم صادقون فيما بلغوا من الرسالات مؤيدون من الله ﷻ بالحجج والبينات، سفراء بين الله ﷻ وخلقه، قائمون في خدمته بواجب

---

(١) انظر: الدرر الكامنة (٢/ ٣٤٦)، (٣/ ٣٠٩)، (٤/ ١٣٥). والمنظومة التائية في القدر لشيخ الإسلام (١/ ١٢٣)

(٢) انظر: الإشارات الإلهية للطوفي (١/ ٣١١، ٣١٠).

(٣) انظر: السابق (١/ ٣١١).

(٤) انظر: السابق (١/ ٣١١).

حقه، معصومون فيما بلغوه من الكذب، منزهون عن إتيان الفواحش والريب[١]

٤. والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بوقوعه، وبما سيقع فيه من الأمور الواردة في السمع، كالجنة والنار والصراط والميزان ووزن الأعمال، وأخذ الصحف باليمين والشمال، وغير ذلك مما ذكر في دواوين السنة، وكتاب «البعث والنشور»، وكتاب «العاقبة»، فهذه جمل أصول الدين وتفصيلها في الكتب[٢].

٥. ثانيًا: حقيقة نسبته لمذهب الرافضة.

لقد تعرض الطوفي رحمة الله عليه لمحنة قاسية جدًا قلبت -إن صح التعبير- موازين مسيرته العلمية؛ فأصبح كل باحث في سيرته وعلمه اليوم مطالبًا ببيان حقيقة تلك المحنة؛ لاسيما والطوفي رحمة الله عليه يصدق عليه القول بأنه «شاغل الدنيا» كما وُصف المتنبي من قبل!، وقد تصدى لبحث هذه المحنة طائفة ليست بالقليلة من الباحثين.

لقد «سلك الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفكيره مسلكًا استقل به وتعمق فيه، فكان لابد أن يجد الموافق المعجب، والمخالف المحنق، ولقد كان أغلب من ذموه وعادوه ممن لم يستطيعوا مجاراته في استقلال فكره»[٣]. و الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عاش حياته في فسحة من العيش، بعيدًا عن هذه التهمة، ولم يوصم بها «إلا بعد دخوله القاهرة بأكثر من أربع سنوات»[٤].

وقد توصلت إلى براءته رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى من هذه التهمة، ونشرت بحثًا مستقلًا حولها[٥].

---

(١) انظر: السابق (١/ ٣١١، ٣١٢).

(٢) انظر: السابق (١/ ٣١٢)، و: التعيين (٧٣-٧٥)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة (مخطوط) (١/ ٤٨، ٤٩).

(٣) انظر: الإمام الطوفي الحنبلي، أصوليًا وفقيهًا (١٣١).

(٤) انظر: الإمام سليمان الطوفي (١٣٦)، والمنظومة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرحها، رسالة لم تطبع(١/ ١٠٥)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة(١/ ٤٩)، حيث دخل الطوفي القاهرة عام(٧٠٥)هـ وألف كتابه الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية عام (٧٠٨)هـ انظر مقدمة الصعقة الغضبية د/ محمد الفاضل(١٠١).

(٥) بعنوان (حقيقة انتساب الإمام نجم الدين، سليمان بن عبد القوي الطوفي للتشيع) مجلة كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، عدد(٦٧) تاريخ: ٢٠١٣م.

وخلاصته:

١- أن كتب رجال الشيعة لم يرد فيها ذكر للطوفي ولم يقر محققوهم أنه من رجالهم[١].

٢- أن كتب الطوفي جميعها - مما بين أيدينا اليوم- لم يرد فيها ما يدل على تشيعه؛ بل على العكس من ذلك من نقده لعقائد الشيعة الرافضة[٢].

٣- الطوفي حنبلي المذهب، وهذا يدل على عدم التزام الرفض والتشيع مسلكًا ومذهبًا واعتقادًا؛ لشدة الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ على المبتدعة لاسيما الروافض. وقد مدح الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ الإمام أحمد بقصيدة عظيمة، وهي مثبتة فقد ذكرها غير واحد.

٤- ليس الطوفي وحده في تعرضه للفتنة، فقد فتن شيخ الإسلام ابن تيمية في القاهرة وألصقت به أمورٌ هو بريء منها، وقبله ضرب الإمام أبو حنيفة وعذِّب، وضرب الإمام مالك وعذِّب، واتهم بمناصرة آل البيت، وضرب أحمد، وضرب الشافعي وعذِّب، فهل يعني هذا أن أئمة المذاهب الإسلامية الكبرى، وابن تيمية كانوا شيعة؟! على الأقل في نظر ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي أثار هذه القضية وشنع على الطوفي [٣].

٥- الطوفي يعد الرافضة من مبتدعة المسلمين؛ لأنهم ينكرون الإجماع ويقرنهم بالجهمية، فلو كان رافضيًا هل يخرج الروافض من مجموع الأمة؟![٤].

٦- ينتقد الطوفيُّ الرافضة بشدة في تحليلهم نكاح المتعة ويقول: «وليس عليه اليوم إلاَّ شرذمة قليلة وأكثر من تقول به الرافضة»[٥]، فلو كان الطوفي شيعيًا هل

(١) انظر: مقدمة الصعقة الغضبية (١٠٢).

(٢) ذكر د. الغرايبة أن كتب الشيعة التي ذكرته في تراجمها لم تجزم بأنه شيعي، بل يقولون «ابن الحنبلي» نسبةً إلى الحنابلة. انظر الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصوليًا وفقيهًا (١٥٦).

(٣) انظر: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي أصوليًا وفقيهًا (١٤٦).

(٤) السابق (١٤٧).

(٥) انظر الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٦٥٩).

سيقول بتحريم نكاح المتعة؟! إذا علمنا أن نكاح المتعة من سيما الرافضة إلى اليوم وهاهي فتاواهم في حلّه بدأت تظهر على الملأ دون خجل ولا حياء.

٧- يخالف الطوفي الرافضة في مسألة من أهم المسائل الفقهية المختلف فيها بين أهل السنة والشيعة، وهي مسألة قول الرافضة: بأن فرض الرجل في الوضوء المسح لا الغسل. ويبسط الكلام فيها بتوسع ويعتذر بقوله: «**وإنما بسطت الكلام في هذه المسألة، لأن فقهاء الرافضة لهم ولعٌ في الكلام على هذه المسألة، فذكرت بعضًا من شبههم هنا وأجبت عنها**»[1]. فلو كان رافضيًا هل سيقول عن قومه أنهم (الرافضة).. وهم يغضبون من هذه التسمية جدًا، ويفخرون بتسميتهم (الشيعة)؟! وهل سيخالفهم في أهم المسائل الفقهية لديهم؟!

٨- إن كان سبب التهمة هو أن الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ يورد آراء الشيعة وأنه بذلك (**يبطن التشيع ويظهر أنه على مذهب أهل السنة**) كما ذكر ذلك الإمام أبو زهرة رَحِمَهُ اللَّهُ[2]، فينبغي أن يقال عنه: إنه إذن معتزليٌ؛ لأنه يعرض أقوال المعتزلة.. وظاهريٌ لأنه يورد أقوالهم، وقدريٌ لأنه يورد أقوال القدرية، وجبريٌ لأنه يورد أقوال القائلين به، وأشعريٌ لأنه يورد أقوال الأشاعرة، وهكذا «**وهذا مما لا يعقل ولا يستساغ**»[3]. وأما قول أبي زهرة إنه يبطن التشيع فيقال عنه: لا يعلم ما في الباطن إلا الله تعالى ولا يصح أن ندخل في سرائر الناس بمحض التوهم؛ إذ لا دليل على ذلك البتة.

٩- مدح الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ شيخ الإسلام ابن تيمية بقصيدة طويلة[4]، ونحن نعلم أن ابن تيمية عدو الرافضة اللدود، فهل كان هذا أيضًا سيكون لو أنه رافضيٌ؟، ونعلم أيضًا موقفهم من ابن تيمية وتكفيرهم له.

---

(١) انظر: الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية (٤١٠-٤٢٧).

(٢) انظر: أحمد بن حنبل (٣٢٥).

(٣) انظر: الإمام سليمان الطوفي (١٥٢).

(٤) انظر: الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية (٢٩٠) بتحقيق أستاذنا أ. د/ محمد السيد الجليند. وقد مر ذكر القصيدة مرتين، عند ترجمة شيخ الإسلام، وعند ذكر مؤلفات الطوفي، وأعدتها هنا للضرورة.

١٠- تأليف الطوفي كتابه (التعيين في شرح الأربعين) مخالفٌ لمنهج الشيعة في عدم قبول رواية الصحابة لأن الصحابة عندهم كلهم كفار إلاَّ القليل.

١١- قول الطوفي بالمصلحة المرسلة يخالف منهج الرافضة في استعمال الأدلة، فليس من أدلتهم العمل بالمصلحة المرسلة ولا بقية الأدلة التي ذكرها الطوفي. فالشيعة «قد اتفق فقهاؤهم على منع الفتوى بها»[١].

١٢- انتصار الطوفي رحمه الله لأهل السنة العديد من كتبه.

١٣- تصريحه رحمه الله بانتسابه إلى أهل السنة والجماعة، ومن ذلك قوله رحمه الله في: (الإشارات الإلـٰهية): «اعلم أن الناس اختلفوا في أن الله تعالى هل يجوز أن يُرى في الدار الآخرة أم لا؟ مع إجماعهم على أنه لا يرى في الدنيا.. وأما أصحابنا وعامة السلف من الصحابة والتابعين وأهل الحديث: فيعتقدون جواز الرؤية مع اعتقادهم أن الله تعالى في جهة السماء على العرش..».

١٤- مدحُ كبار العلماء له وثناؤهم عليه، ولو كان رافضيًا لما سكتوا عنه، ولما اكتفوا بردٍ باردٍ عليه، ولألفوا كتبًا تفضح معتقده وتبينه للناس، ولأطبقوا جميعًا على ذلك.

١٥- عناية الطوفي رحمه الله بالحديث النبوي دراسة وتعليمًا وتصنيفًا.. قال شيخ الإسلام ابن تيمية «والرافضة لا تعتني بحفظ القرآن.. ولا تعتني أيضًا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفة صحيحه من سقيمه، والبحث عن معانيه، ولا تعتني بآثار الصحابة والتابعين»[٢]. ومن مصنفات الطوفي رحمه الله في السنة والحديث كتاب: (شرح الأربعين النووية) وكتاب: (شرح حديث أم زرع)، وكتاب: (مختصر الترمذي).

---

(١) الإمام سليمان الطوفي (١٥٦). والاجتهاد فيما لا نصّ فيه (٢/ ٥٧) الدكتور / الطيب خضري السيد، ط ١، ١٤٠٣هـ مكتبة الحرمين. الرياض.

(٢) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية. (٥/ ١٦٣).

١٦- ذكـر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الدرر الكامنة سـبب تلك المحنـة فقال».... وقال الصفدي: كان وقع له بمصر واقعة مع سعد الدين الحارثي[١]، وذلك أنه كان يحضر دروسـه، فيكرمه ويبجله، وقرره في أكثر مدارس الحنابلة، فيتبسط عليه، إلى أن كلمه في الدرس بكلام غليظ، فقام عليه ولده شمس الدين عبد الرحمن، وفوض أمره لبدر الديـن ابن الحبال، فشـهدوا عليه بالرفض!، وأخرجوا بخطه هجوًا في الشـيخين[٢]، فعزر وضرب»[٣].

١٧- لم يوصم الطوفي بهذه التهمة إلاَّ بعد دخوله القاهرة بأكثر من أربع سنوات؛ ممـا يعنـي أن تلفيقها عليه واضـحٌ جدًا، في ذلك الوقت الذي كانت فيه تهمة التشـيع تروج سياسيًا لكل من أريد الإضرار به، ولم يتحدث أحدٌ عن تشيع الطوفي قبل ذلك، فأين ذهبت تلك السـنوات عن ابن رجب؟ وهل كان فيها الطوفي سـنيًا ثم تشـيع بعد دخوله القاهرة بأربع سنوات؟!.

فكيـف يكون الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هـؤلاء، وكتبه بين أيدينا تشـهد ببراءته؟ وهذا ما ندين الله به.

وفـــاته:

الراجح أن وفاته رحمة الله عليه وأسـكنه فسـيح الجنـات كانت في عام ٧١٦هـ؛ لأدلـة، منهـا: ما ذكـره الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنـه ابتدأ بتأليـف كتابه: «الإشـارات الإلهية إلى المباحـث الأصولية» في يوم السـبت ١٣ ربيع الأول، والفـراغ منه يوم الخميس ٢٣،

---

(١) القاضي سـعد الدين، مسـعود بن أحمد بن مسـعود بن زيد الحارثي ثم المصري الحنبلي، نسـبة إلى الحارثية قرب بغداد. ولد سـنة (٦٥٢)هـ وتوفي سـنة (٧١١)هـ تولى التدريس بالمنصوريـة والصالحية بمصر، وتولى القضاء سـنة (٧٠٩)هـ. ولاه الظاهر بيبرس. تتلمذ عليه الطوفي بالقاهرة وسمع منه. انظر: (الذيل على طبقات الحنابلة (٢/ ٣٦٢، ٣٦٤) والدرر الكامنة (٥/ ١١٦) وشذرات الذهب في أخبار من ذهب (٦/ ٢٨)، والأعلام (٧/ ٢١٦)).

(٢) أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر الدرر الكامنة (٢/ ١٥٧، ١٥٤)

من ربيع الآخر، كلاهما من سـنة ٧١٦هـ، في بيت المقدس[١]، وفي الصعقة الغضبية: «توفي عن نيفٍ وأربعين سـنة[٢]»، بمدينة الخليل[٣]، ولـمَّا يبلغ خمسـين سنة، رحمة الله عليه[٤].

* * *

(١) انظر: الإشارات الإلهية(١٥٣)، ومقدمة الصعقة الغضبية (٧٢).

(٢) تقدم تعريف: النيّف، (٣٤). وانظر: مقدمة الصعقة الغضبية (٧٢).

(٣) انظر: ذيل العبر في خبر من غبر (٨٨). وذيل تاريخ الإسلام (١٧٩)، وخالف في ذلك الشيخ: محمد أبو زهرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (أحمد بن حنبل) (٣٢٦) إذ ذكر أن وفاته كانت بالمدينة، وهذا خطأ.

(٤) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/ ٩٥).

التعليق على الأناجيل الأربعة

أبرز قضايا كتاب «التعليق على الأناجيل الأربعة»:

تظهر براعة استهلال الطوفي رحمة الله عليه في مقدمة كتابه؛ حيث استهله بذكر أحوال السعداء المتبعين سبيل الرشاد، وأحوال الأشقياء الذين حادوا عن طريق السداد إلى الكفر والإلحاد[١]. ثم في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم نص على تأخره الزمني على الرسل وتقدمه عليهم، فهو الأول والآخر[٢]. ثم ذكر اختلاف الأديان وسبب تأليفه لهذا الكتاب: «وإني رأيت بعض النصارى صنف كتابًا طعن فيه على ملة الإسلام، وقدح به في نبوة محمد عليه السلام»[٣]

ثم بين رحمه الله منهجه في الكتاب بقوله:

١- «فهممت أن أرد عليه، وأوجه البراهين المفسدة لقوله إليه، فرأيت أن أقدم على ذلك الكلام على الأناجيل الأربعة»[٤]. فوضح بذلك أن الهدف الأول من تأليفه للكتاب الرد على النصراني المؤلف لكتاب أسماه «السيف المرهف في الرد على المصحف»[٥]. ولم يبين رَحِمَهُ ٱللَّهُ اسم الرجل النصراني، أو تاريخ تأليفه، أو بلده، لكنه أوضح أن دافعه إلى الرد عليه، والتعليق على الأناجيل هو خوفه من أن يؤثر كلام النصراني في ضعاف المسلمين فـ«يشكك رقيق الدين، الخالي عن قوة اليقين»[٦].

٢- ذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ألحق «بالتعليق على الأناجيل فوائد من كتاب أشعيا، ودانيال،

---

(١) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (١).

(٢) انظر: السابق (٢).

(٣) السابق (٢).

(٤) السابق (٢).

(٥) هذه التسمية جاءت مكتوبة على طرة المجموع في المخطوط كالتالي: (كتاب الردّ على كتاب صنفه بعض النصارى سماه السيف المرهف في الرد على المصحف). وفي الجانب بخط صغير (وهو مشتمل على التعليق على الأناجيل الأربعة و التوراة وعلى غيرها من كتب الأنبياء).

(٦) التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٢).

وأرميا، والأنبياء الاثني عشر»[١]. وبين رَحِمَهُ اللهُ أن غرضه الأسمى في كل ذلك، هو ما جاء به الإسلام من الدعوة إلى الدين الصحيح، والصراط المستقيم، والمنهج القويم، فقال: «... وأرجو أن من نظر في هذا الكتاب، وهو ذكي منصف، لا بليد أو متعسف، بل قاصد للحق، مؤثر للصدق، يعدل عن الملة النصرانية إلى الملة الحنفية، ويعلم أن ما هو عليه كفر وضلال، وأنه إلى وقته ذلك مخذول ضال»[٢]، وهنا تظهر الأخلاق الإسلامية العظيمة التي عليها الطوفي رحمة الله عليه، ولا أدل على ذلك من قوله: «وأنا أدعو إلى الله بإرشاد من وقف عليه، وهو قريب مجيب، لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه أنيب»[٣].

٣- ابتدأ رَحِمَهُ اللهُ كتابه بمقدمات كلية ينبني عليها الكلام قبل تعليقه على الأناجيل:

المقدمة الأولى: «أن هذه الأناجيل الأربعة التي بأيدي النصارى ليس شيء منها هو الإنجيل الذي أوتيه عيسى المسيح ابن مريم! وإنما هي سير صنفها التلاميذ»[٤]، وهذه المقدمة كفيلة بإيضاح هيمنة القرآن الكريم على جميع الكتب السابقة ضمنًا؛ كونها فقدت، وعدمت وتلاشت، أو هي أمثال تتضمنها بعض الكتب التي بين أيدي أهل الكتاب[٥]، ومن منهجه في توضيح ذلك إجراؤه مقارنة بين سيرة المسيح التي صنفها تلاميذه، وسيرة نبينا محمد ﷺ التي ألفها علماء الإسلام[٦]. واستخدم المنهج التاريخي النقدي في إثباته «بالاستقراء أن هذه الأناجيل ليست إنجيل المسيح، بل هو تواريخ وضعوها

---

(١) التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٢).

(٢) السابق(٢).

(٣) السابق(٢).

(٤) السابق (٣).

(٥) انظر: السابق (٣).

(٦) السابق (٣).

وسموها أناجيل»[١].

المقدمة الثانية: جنون النصارى واختلاطهم الذي يظهر في تدوينهم «في أوائل كتبهم الأناجيل وغيرهم على أن يقولوا باسم الأب والابن وروح القدس إله واحد»[٢]، وبيان سبب جنونهم واختلاطهم هو أنهم وجهوا تلك الأقوال الشنيعة بتوجيهات سخيفة «لا يشك عاقل في أن المسيح لو سمعه منهم لدعا عليهم أن يصيروا قردةً وخنازير»[٣]، وبين في هذه المقدمة حاصل تأويلهم لقولهم: الأب والابن وروح القدس، بما رآه «في نسخة صحيحة مضبوطة بإنجيل (متى) قد افتتحها بقوله: باسم الإله الواحد بالذات، المثلث بالصفات»[٤]، وبين فساد استدلالهم بذلك بأوجه[٥].

المقدمة الثالثة: الذي حمل النصارى على ما اعتقدوه في المسيح أمور ثلاثة:

أحدها: تكونه من غير ذكر، ثم ظهرت المعجزات على يديه، فقالوا: هذا لا يصدر عن ولد زنا... فتعين أنه ابن الله...»[٦]، فأبطل قياسهم الغائب على الشاهد واستقراءهم غير التام بأدلة ذكرها.

الأمر الثاني: ظهور الخوارق على يديه، كإحياء الموتى وإبراء المرضى، ونحو ذلك من الخوارق التي لم يظهر مثلها على يد نبي»[٧]، وهذا الذي أوهم النصارى أو أضلهم فاعتقدوا في عيسى عليه السلام الإلهية؛ فرد عليهم الطوفي رحمه الله بالإلزام وأن جميع الأنبياء أتوا بخوارق، وربما كانت معجزات بعضهم أعظم من معجز عيسى عليه السلام، فيلزم منها أن يكونوا جميعهم آلهة! وهذا باطل.

الأمر الثالث: الألفاظ المشكلة التي وردت في «أناجيلهم من كلام عيسى - على

---

(١) السابق (٣).

(٢) التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٣).

(٣) السابق(٣).

(٤) السابق (٤).

(٥) السابق (٤).

(٦) السابق (٥).

(٧) السابق (٦).

زعمهم- من قوله: الأب، والابن، وأبي، ويا أبه، وإن أبي وآباءك، ونحو هذا»[١]، فأجابه عنه رَحِمَهُ اللَّهُ بأوجهٍ، قرر فيها منع كون هذا الكلام من المسيح عليه السلام، «وإنما هذا شيء دلس على النصارى وهم قوم جهال، ينطلي عليهم المحال»[٢]، وأنه لو فرض أن هذا الكلام الوارد في الأناجيل هو من كلام المسيح فإنه يحمل على مجاز ظاهر شائع. وحمله على المجاز أولى من حمله على المحال. ثم بين الألفاظ المشتركة وتوجيهها[٣]. وقد ناقش في تلك المقدمات أسس عقائد النصارى الكبرى ونقضها من خلال المنهج النقدي المنطقي، القائم على العقل الصحيح، مما يدل على سعة علمه ورسوخه، وسعة اطلاعه على ما في أيدي أهل الكتاب، والقدرة على بيان فسادها، بأدلةٍ لا يملكون معها إلا التسليم والسكوت.

٤- ومن منهجه في الرد عليهم: إلزامهم بما في كتبهم بعد استقرائها، فيقول: «.. وسأستقريه إن شاء الله موضعًا موضعًا، من فصل فصلٍ من الأناجيل الأربعة، مع ذكري كل ما فيها مما يقدح في مذهب النصارى»[٤].

٥- ثم شرع في استقراء الأناجيل، وأولها إنجيل (متى)، فنقل من مقدمة إنجيله، نسبه، ومكان تدوينه لإنجيله، وموته[٥]، ثم أخذ ينقضه فصلاً فصلا[٦].

٦- وسبق أن بين استقراءه للأناجيل ونقضها وتحديه للنصارى «وقد استقريت الأناجيل الأربعة، وأوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأرض نصرانيًا يقدر على أن يجيب عن شيء منها»[٧].

فعلق على إنجيل (متى) وتناقضه من الفصل الأول[٨] إلى الفصل السابع

---

(١) السابق (٦).

(٢) السابق (٦).

(٣) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٧).

(٤) السابق(٨).

(٥) انظر: السابق(٨).

(٦) انظر: السابق(٨).

(٧) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٥٩٦).

(٨) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط) (٨).

والستين[١].

ثم علق على إنجيل (مرقس)[٢] إلى الفصل الثامن والأربعين منه[٣].

ثم إنجيل (لوقا)[٤] إلى الفصل الثالث والثمانين[٥].

ثم إنجيل (يوحنا)[٦] إلى الفصل السابع عشر منه[٧]. وبه ختم تعليقه على الأناجيل الأربعة.

ثم أتبع ذلك «بيان البرهان على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ؛ إذ كل هؤلاء الضلال الجهال ينكرونها»[٨].

وبعد ذلك شرع في التعليق على بقية كتب أهل الكتاب، وأولها «مصحف أشعيا النبي عليه السلام»[٩] إلى الإصحاح الثلاثين منه[١٠].

ثم التعليق على مصحف «هوشع بن بادي» [١١]، بعده التعليق على «نبوة يونان وهو يونس بن متى صاحب نينوى» [١٢]، ثم علق على « نبوة حبقوق النبي عليه السلام» [١٣]. وقد أطال في تعليقه عليه لتضمنه البشارات بنبينا محمد ﷺ. ثم التعليق من نبوة «أرميا بن حالقيا النبي عليه السلام» [١٤]، وعلق بعده على كتاب «حزقيال»[١٥]. ثم

(١) انظر: السابق(٣٤).
(٢) انظر: السابق(٣٨).
(٣) انظر: السابق(٤٥).
(٤) انظر: السابق(٤٥).
(٥) انظر: السابق(٥٣).
(٦) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط): (٥٤).
(٧) انظر: السابق(٦٧).
(٨) السابق(٦٧).
(٩) السابق(٦٧).
(١٠) السابق(٧٣).
(١١) السابق(٧٤).
(١٢) السابق(٧٤).
(١٣) السابق(٧٤-٧٩).
(١٤) السابق(٨٠-٨٢).
(١٥) السابق(٨٣).

كتاب «دانيال»[١]. وابتدأ بعد ذلك في التعليق على التوراة وأولها سفر الخليقة[٢]، وختمها بذكر يوسف عليه السلام[٣]. وبهذا ختم الكتاب، رَحِمَهُ اللهُ.

خلاصة طريقته في رده على أهل الكتاب:

نلحظ أن طريقته في الكتابين متقاربة إلى حد ما، إلا أنه اتبع المنهج الاستقرائي النقدي في تعليقه كما مر معنا، وتركز رده على أبرز قضايا الأناجيل الأربعة والتوراة وغيرها من كتب الأنبياء.

ويتلخص ذلك، فيما يلي:

١- دافعه في الرد على كتبهم خشية أن تورث شكًا في الدين[٤].

٢- وضع الطوفي رحمة الله عليه مقدمات كلية بنى عليها معظم الجواب عن حجج أهل الكتاب[٥]، ولم يقتصر الطوفي رَحِمَهُ اللهُ على تلك المقدمات[٦]، بل صرح بعدم اقتصاره عليها وأجاب عن كل شبهة مفصلًا.

٣- قدح في مصادر أهل الكتاب التي ينقلون منها؛ لكونها محرفة، فهي لا تصلح للاستدلال، ولا تقوم بها حجة على المسلم. ولذا يسمي كتبهم (التوراة التي احتجوا بها) و(إنجيل النصارى)[٧]. ومن المقدمات التي وضعها القدح في تلك المصادر وتكذيبهم. ومما يقدح فيها عدم تواترها، فالكلام مع أهل الكتاب إذًا عقلي؛ لأن كل واحد من المسلمين وأهل الكتاب يقدح في كتاب الآخر الذي بيده[٨]. ومع هذا فقد نقل الطوفي من كتبهم؛ يثبت تهافتها وتناقضها وعدم حجيتها، وهذا أسلوبه الذي قام

---

(١) السابق(٨٤).

(٢) انظر: السابق(٨٦).

(٣) انظر: السابق(١١٥).

(٤) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٢٨٨)، التعليق على الأناجيل (٢).

(٥) انظر: الانتصارات (١/ ٢٢٩-٢٤٤)، و التعليق على الأناجيل (٢-٨).

(٦) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (مخطوط) (١/ ١٢٧).

(٧) انظر: الانتصارات (١/ ٢٣٠) و(١/ ٣٤٠)، و التعليق على الأناجيل (٢، ٣، ٦، ٢٨، ٤٠، ٤١-٤٤).

(٨) انظر: الانتصارات (٢/ ٧٤٥)، والتعليق(مخطوط) (١١٩).

عليه كتابه (التعليق على الأناجيل الأربعة)[١].

٤- اعتمد الطوفي كثيرًا في الرد عليهم على بيان تناقضهم من خلال أقوالهم الأخرى[٢].

٥- سبق أن بينا التزام الطوفي رحمه الله بأدب المناظرة، وإعراضه أحيانًا عن سفاهة الخصم احتقارًا له[٣] كما وقع له مع النصراني الذي ما التزم الأدب مع النبي ﷺ. ولا يعني هذا سكوته المطلق عن سوئهم؛ بل يشتد عليهم أحيانًا بشدة إذا تطاولوا على الذات الإلهية أو الأنبياء[٤].

٦- دافع الطوفي رحمة الله عليه كثيرًا عن القرآن الكريم أمام شبهاتهم وقدحهم فيه[٥].

٧- ركز الطوفي رحمه الله في رده عليهم على القضايا العظمى قبل الفرعيات؛ فلا بد من إقرار الخصم بالأصول قبل الخوض في الفروع؛ كونه إذا لم يؤمن -مثلًا- بأصل نبوة نبينا ﷺ فلن يقر بتفاصيل ما جاء به[٦]. كما ركز كذلك على قضاياهم الكبرى في دينهم المحرف، ومنها زعمهم ألوهية المسيح عليه السلام، أو صلبه، أو بنوته لله[٧].

ثم إن الطوفي رحمة الله عليه بارع جدًا في مناظراته التي عقدها مع النصارى، مما يدل على سعة اطلاعه على دينهم المحرف[٨].

ثانيًا: مقارنة بين منهج الطوفي ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية:

يعد شيخ الإسلام من العمالقة العظام في التاريخ الإسلامي، الذين برعوا في الرد

---

(١) انظر: الانتصارات (١/ ٣١٥)، والتعليق(مخطوط) (٢، ٢٥، ٥٧) ثم إلى آخر الكتاب.

(٢) انظر: الانتصارات (١/ ٢٥٠) و(٢/ ٥٥١-٦٣١)، والتعليق(مخطوط) (٤٤-٤٦، ٥٨، ٥٩، ١٠٨).

(٣) انظر: الانتصارات(١/ ٢٤٤).

(٤) انظر: التعليق على الأناجيل (١١٠-١١٩)، والانتصارات الإسلامية (١/ ٤٨٦، ٤٠٥، ٤٠٤).

(٥) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٣٣٨، ٣٣٧، ٣٣٣، ٤٠١-٤٨٦).

(٦) انظر: السابق (١/ ٤٧٩)، والتعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط). (٥٨).

(٧) انظر: الانتصارات (١/ ٣٥١، ٣٧١)، والتعليق على الأناجيل (٣- ٥، ٨ -٢٦، ٤٠-٤٨).

(٨) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (مخطوط) (١/ ١٣٣).

على أهل الكتاب، ومن اطلع على كتابه الموسوعي الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح[١] علم سعة العلم الذي أوتيه رَحِمَهُ اللَّهُ في الرد على النصارى، وقد بين سبب تأليفه لهذا الكتاب بقوله (وكان من أسباب نصر الدين وظهوره أن كتابًا ورد من قبرص فيه الاحتجاج لدين النصارى بما يحتج به علماء دينهم، وفضلاء ملتهم قديمًا وحديثًا، من الحجج السمعية، والعقلية، فاقتضى ذلك أن نذكر من الجواب ما يحصل به فصل الخطاب، وبيان الخطأ من الصواب؛ لينتفع بذلك أولو الألباب، ويظهر ما بعث الله به رسله من الميزان والكتاب)[٢].

وعند المقارنة بين منهجي الطوفي، شيخ الإسلام، في الرد على النصارى نجد شبهًا كبيرًا بين المنهجين؛ وربما ساهم في ذلك ثلاثة أمور:

١. أن الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ من تلاميذ شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ.

٢. وجودهما في عصر واحد؛ في آخر القرن السابع؛ وبداية القرن الثامن الهجري.

٣. وجودهما في بلد واحد وهو (مصر)[٣].

فكانت الشبه المنتشرة في ذلك العصر متشابهةً إلى حد كبير.

أولًا: جوانب الاتفاق:

هناك جوانب اتفاق بين المنهجين على النحو التالي:

١. الدافع لتأليف كتب الرد: أما ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ فقد ذكرنا سابقًا سبب تأليفه لكتاب الجواب الصحيح، وألف الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ كتابيه (الانتصارات الإسلامية في

---

(١) طبع دار العاصمة بالرياض-١٤١٤هـ- بتحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان (رسالة دكتوراه للثلاثة)، وقد خرج الكتاب في ستة مجلدات.

(٢) الجواب الصحيح(١/ ٩٨).

(٣) انظر: منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، د. إبراهيم البريكان(١/ ٢٦)، فصل: (عصر ابن تيمية).

كشف شبه النصرانية، والتعليق على الأناجيل الأربعة) ردًا على بعض النصارى الذين صنفوا في الطعن على دين الإسلام ولاسيما الكتاب الثاني(التعليق) حيث رد به على مؤلف نصراني ألف كتابًا يطعن فيه على القرآن الكريم[1].

على أن موضوع الكتب المؤلفة-أعني كتب شيخ الإسلام والطوفي- تنوعت فيها أساليب الرد على كتب النصرانية وذلك نظرًا للأخذ في الاعتبار بأهميتها وانتشارها من عدم ذلك. فنجد أن ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب الصحيح قد استوعب كافة الشبه المطروحة وأسهب في الرد عليها وزاد على ذلك تقرير العقائد الصحيحة لدى المسلمين، ونسف عقائد النصارى بأوضح الأدلة[2]. أما الانتصارات الإسلامية فلم يستكمل فيه الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ ما استكمله شيخ الإسلام في قضايا البحث عند النصارى[3]. وكذلك فعل في التعليق على الأناجيل الأربعة.

٢. من حيث الأسلوب: من المشهور عن ابن تيمية رحمة الله عليه كثرة استطراداته في الرد على النصارى، ووافقه في ذلك الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ[4].

٣. الاحتجاج بكتب النصارى: احتج شيخ الإسلام على النصارى بكتبهم في إثبات البشارة بنبينا محمد ﷺ، وإبطال التثليث، وإبطال بنوة عيسى عليه السلام وألوهيته، وذلك على سبيل المثال لا الحصر، وكذلك إثبات تحريف كتب النصارى وتناقضها، وكذلك فعل الطوفي في كتابيه(الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، والتعليق على الأناجيل الأربعة)[5].

---

(١) انظر: الانتصارات (٢/ ٥٩٦)، والتعليق على الأناجيل (١).

(٢) انظر الجواب الصحيح، مقدمة المحققين(١/ ٣٥-٥٠).

(٣) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/ ١٣٩).

(٤) انظر: السابق (١/ ١٤٠).

(٥) قال الدكتور: سعود بن عبدالعزيز الخلف في كتابه: دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية(١٧١): (... وبمجموع ما ذكر من الأناجيل من ناحية تاريخها ومتنها، يتبين لنا أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون هي الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على عبده ورسوله، وأحسن أحوالها أن تكون متضمنة لبعض ما أنزل الله على عيسى عليه السلام، والله أعلم).. الطبعة الأولى ١٤١٨هـ مكتبة أضواء السلف، الرياض.

٤. **المصادر**: كثيرًا ما ينقل شيخ الإسلام والطوفي رحمهما الله من مصادر أهل الكتاب المعاصرين لهما[١].

٥. **الاحتجاج بالعقل**: اعتمد شيخ الإسلام على الحجاج العقلي مع أهل الكتاب كما قال: (ولهذا ينهون جمهورهم عن البحث في ذلك لعلمهم أن العقل الصريح متى تصور دينه علم أنه باطل)[٢]، ووافقه الطوفي في ذلك وبين أن ليس كل ما جاء به الشرع يمكن للعقل إدراكه، بل هناك أمور لا يمكن للعقل تصورها، بل يجب الإيمان بها[٣].

٦. **الموضوعات**: توافق شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ والطوفي في كثير من القضايا التي بحثها كل منهما في معرض الرد على النصارى، ومن أمثلتها: نقد الأناجيل، وإثبات تحريفها، وإثبات نبوة محمد ﷺ وعموم رسالته، وإبطال التثليث، وإبطال ألوهية المسيح وبنوته، ورد مزاعم حول القرآن الكريم، وعقائد المسلمين في الجملة، وإبطال قول النصارى في الصلب والفداء، وقولهم في الإتحاد والحلول على اختلاف بين فرقهم في كيفية ذلك[٤].

٧. **التناقض**: لقد ركز ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قضية إثبات تناقض النصارى في عقائدهم من خلال كتبهم، خذ مثلًا نقده لقولهم: «نؤمن برب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، إله حق، من إله حق، من جوهر أبيه، مساوٍ للأب في الجوهر»[٥]، فناقشهم في ذلك مناقشة قوية مستفيضة مدعومة بالأدلة النقلية، والحجج العقلية[٦]،

---

(١) الجواب الصحيح(٣/ ٣٢٨)، و انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط) ٩٣، ٣٠)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة(١/ ١٤٠)، وانظر على سبيل المثال في الانتصارات(١/ ١٨٢، ١٨١).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح(٣/ ١٨٩).

(٣) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية(١/ ٢٣٥-٦٨٩)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة(١/ ١٢٨-١٤٠).

(٤) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية(١/ ١٨٧)، منهج الطوفي(١/ ١٤١).

(٥) الجواب الصحيح، المقدمة (١/ ٤٣).

(٦) انظر: السابق(١/ ٤٣)، (٢/ ١١٤)، (٣/ ٣٠١، ٣٠، ٢٦٠)، (٤/ ٩٥، ٤٨-٤٨٨)، ومنهج الطوفي في تقرير

وكذلك فعل الطوفي رحمه الله[١].

ثانيًا: جوانب الاختلاف:

من طالع كتاب شيخ الإسلام رحمه الله الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح يجد أنه قد رتب كتابه ترتيبًا متناسقًا على هيئة فصول تمثل القضايا التي تصدى لنقاشها مع النصارى[٢]، في حين لم يعمد الطوفي رحمه الله إلى ترتيب كتابيه(الانتصارات الإسلامية في كسف شبه النصرانية؛ والتعليق على الأناجيل الأربعة) على فصول؛ لكنه وضع مقدمات كلية[٣] يرجع إليها عند محاجة النصارى، ولا يعني ذلك تركه للتقسيم والتجزئة إلى وجوه وأقسام؛ بل اتبعها في بعض جوانب كتابيه، والحق أن منهج شيخ الإسلام في ترتيبه على فصول، واستعماله كلمة «فصل» للفصل بين الموضوعات، أو الفقرات طريقة مناسبة ومنهجه رحمه الله أفضلُ؛ لجمع شتات الموضوع، وتجنب التكرار[٤].

وأما من حيث الشمولُ: فقد أحاط شيخ الإسلام رحمه الله بكثير من مسائل وقضايا النصارى، ومجامعهم، وعباداتهم، وشعائرهم. أما الطوفي رحمه الله فلعل التزامه في كتابيه(الانتصارات والتعليق) بالرد على كتابي الطاعنين أفقده ميزة الإحاطة بمسائل النصرانية كما فعل شيخ الإسلام رحمة الله عليه[٥].

ثانيًا: مقارنة بين الطوفي وابن القيم في منهج الرد على النصارى:

نجد عند المقارنة بين منهج الطوفي رحمه الله، ومنهج ابن القيم رحمه الله في الرد على النصارى؛ نجد أن هناك جوانب اتفاق، وجوانب افتراق بين المنهجين.

العقيدة(١/ ١٤١).

(١) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط). من المجموع الذي فيه الكتب الأربعة للطوفي، أرقام اللوحات: (٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٣٤، ٢٣٣، ٢٣١، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٤، ٢١٥، ٢١٤).

(٢) انظر: (٢/ ٢٤٠، ٢٣٣، ٢١٥)، ومنهج الطوفي في تقرير العقيدة(١/ ١٤٢).

(٣) انظر: الانتصارات (١/ ١٩٤)، والتعليق على الأناجيل (٢١٣-٢١٦).

(٤) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ١٩٥)، ومنهج الطوفي(١/ ١٤٢).

(٥) انظر: منهج الطوفي(١/ ١٤٢).

أولًا: جوانب الاتفاق:

١. من حيث الدافع للرد:

دافِعُ ابن القيم رحمة الله عليه لتأليف كتابه (هداية الحيارى) بيّنه بقوله (**وكان انتهى إلينا مسائل أوردها بعض الكفار الملحدين على بعض المسلمين فلم يصادف عنده ما يشفيه، ولا وقع دواؤه على الداء الذي فيه، وظن المسلم انه بإجابته القاصة أصاب، فقال: هذا هو الجواب! فقال الكافر: صدق أصحابنا في قولهم: إن دين الإسلام إنما قام بالسيف لا بالكتاب. فتفرقا وهذا ضارب وهذا مضروب، وضاعت الحجة بين الطالب والمطلوب، فشمر المجيب عن ساعد العزم، ونهض على ساق الجد وقام لله قيام مستعين به مفوض إليه متكل عليه في موافقة مرضاته، ولم يقل مقالة العجزة الجهال: إن الكفار إنما يعاملون بالجلاد دون الجدال، وهذا فرار من الزحف، وإخلاد إلى العجز والضعف.**)[1]

فبيّن رحمه الله أنه تصدى للرد على المسائل التي أوردها الكافر النصراني، وسمى هذا الكتاب (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى). [2]

وكذلك فعل الطوفي رحمه الله، فسبب تأليفه كتابيه (الانتصارات الإسلامية) و(التعليق على الأناجيل الأربعة) كان ردًا على بعض النصارى الطاعنين على دين الإسلام ــ وقد بينّا ذلك سابقًا[3].

٢. من حيث اتباع المنهج العقلي والنقلي في نقد عقيدة النصارى:

سلك الطوفي رحمة الله عليه هذا المنهج كما أبنّا سابقًا في الرد على النصارى في كتابي المشار إليهما آنفًا، وفي كتابه القيم (الإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية)[4].

وهكذا أوضح ابن القيم رحمة الله عليه أن دين النصارى مبنيٌ على معاندة

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٦٤).

(٢) انظر: السابق: (٦٥).

(٣) انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٥٩٦)؛ والتعليق على الأناجيل الأربعة (مخطوط) الأربعة (مخطوط) (لوحة ١) من المجموع الذي فيه الكتاب.

(٤) (٢/ ١٣٦)، (٣/ ٩٧). والانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٤٨١، ٤٨٧).

العقول والشرائع وتنقصِ إله العالمين.[١]

وتهكم بعقولهم فقال « فلو أن قوما لم يعرفوا لهم إلهًا ثم عرض عليهم دين النصرانية هكذا لتوقفوا عنه وامتنعوا من قبوله، فوازن بين هذا وبين ماجاء به خاتم الأنبياء والرسل صلوات الله عليه وسلامه تعلمه علمًا يضارع المحسوسات أو يزيد عليها: إن الدين عند الله الإسلام ".[٢] وهكذا فعل ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)[٣].

٣. من حيث الموضوعات:

تناول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ أصول عقائد النصارى بالنقد، مبينًا ضلال المعتقدين بها، ومدافعًا عن عقيدة المسلمين، عقيدة التوحيد الخالص.

والأصول النصرانية التي نقدها ابن القيم:

١. عقيدة الإله[٤].

٢. عقيدة التثليث[٥].

٣. عقيدة الصلب والفداء[٦].

٤. تأليه النصارى للمسيح عيسى عليه السلام[٧].

٥. طبيعة المسيح عند فرق النصارى[٨].

---

(١) انظر: منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى (٣١٣) بحث: مجدي بن عبد الله أبو عويمر، ضمن مجلة (الحكمة) العدد (٢٠)، طبع بريطانيا، ليدز، ١٤٢٠هـ.

(٢) هداية الحيارى (٤٦٧).

(٣) انظر: (١٨٠، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٧، ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩-٢٣٧، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٦، ٢٥٧-٢٦٣).

(٤) انظر: هداية الحيارى(٣٩٧، ٤٠٢).

(٥) انظر: هداية الحيارى (٤٠٣) وسماهم المثلّثة: «فنقول لكم وللآباء معاشر المثلثة عباد الصليب!، ما الذي دلكم على إلهية المسيح؟»..

(٦) انظر: السابق (٤٠٢، ٤٠٣)، وقد ناقشها طويلاً في كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان) (٢/ ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٦٨). وانظر: منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى (٣٢٥) ضمن مجلة الحكمة عدد (٢٠).

(٧) انظر: هداية الحيارى (٤٠٣-٤٠٩).

(٨) انظر: السابق (٤٤٩-٤٦٥) عند ذكره لمجامع النصارى المضطربة حول طبيعة المسيح.

٦. الأناجيل ومصداقيتها[١].

أثبت ابن القيم عدم صدق الأناجيل؛ بدليل وقوع الاضطرابات والاختلافات فيها، والتي تجزم وتقطع بلا شك، أنها ليست من عند الله [٢]. وهكذا فعل الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ في نقده لأصول النصارى كما سبق بيانه.

ثانيًا: جوانب الاختلاف:

١) سلك ابن القيم في رده على النصارى مناهج متعددة، منها المنهج التاريخي عند دراسته للمجامع النصرانية[٣]، وهو ما لم يفعله الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ، فقد التزم بالمنهج النقدي لنصوص النصارى الذين ردّ على كتبهم دون استقراءٍ تاريخي.

٢) رتب ابن القيم كتابه (هداية الحيارى) ترتيبًا جيدًا، فقد قسمه إلى ثلاثة أقسام[٤]:

الأول: في أجوبة المسائل.

الثاني: في استخراج البشارات بمحمد ﷺ نصًا من الكتب المتقدمة. ثم ساق أوجه الاستدلال، نحو أربعين وجهًا.

الثالث: أصول التكوّن العقائدي لليهود والنصارى، وحقيقة تطبيقه، وتطرق إلى تلقي النصارى لأصول دينهم عن أصحاب المجامع[٥]. في حين بينّا سابقًا عدم التزام الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ ذلك في (الانتصارات الإسلامية) و (التعليق على الأناجيل). حيث اشتغل بذكر كلام النصراني كما ورد في كتابه ثم يرد عليه، وأغفل الترتيب على القضايا[٦].

٣) من حيث استيعاب منهج ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ كثيرًا من القضايا والمسائل لدى

(١) انظر: السابق (٣٢٦-٣٢٩).

(٢) انظر: بحث (منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى)، (٣٦٦).

(٣) انظر: هداية الحيارى (٤٣٦-٤٦٥). ومنهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى(٣١٧).

(٤) انظر: تعليق المحقق في الحاشية (٣/ ٦٥). تحقيق: أحمد الرفاعي.

(٥) انظر: هداية الحيارى (٦٧، ١٨٠، ٣١١).

(٦) انظر: منهج الطوفي في تقرير العقيدة (١/ ١٤٢)(مخطوط).

النصارى، فقد أحاط بتلك القضايا ولاسيما عند سرده لنشأة المجامع النصرانية وما بنيت عليه، وما خرج عنها من قرارات وعقائد[1]. في حين لم يلتزم الطوفي رحمه الله بذلك. بسبب التزامه الرد على كتاب النصراني في (الانتصارات الإسلامية) و (التعليق على الأناجيل).

* * *

(١) انظر: منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى (٣٠٧-٣١٧)

منهج الطوفي في الرد على النصارى

منهجه في إثبات عدم صحة الأناجيل وإثبات تناقضها:

تمهيد:

ليس من الصعب نسبة أي كتاب قديم إلى أي مؤلفٍ قديم، لكن إثبات هذا الأمر يتطلب براهين داخلية و أدلة خارجية، و لاسيما الإقرار بأن هذا الكتاب نزل من الله سبحانه وتعالى، ووحيٌ منه يتطلب منا تبيان الأمور التالية، والتأكد منها:

١. هل يمكن الادعاء أن هذا الكتاب نفسه منزلٌ من الله و هل هذا الادعاء مقبول حسب القرائن الظاهرة؟.

٢. من هي الشخصية أو الشخصيات التي كانت وسيلة لهذا الوحي؟، وإلى أي حد يوثق بها؟ و ماذا كان منهجها في تدوين الكتاب؟، و متى دوّن هذا الكتاب؟.

٣. كيف صارت نصوص هذا الكتاب معترفًا بصحتها؟، ومن الذي أخبرنا أنه كلام الله و وحيه؟.

٤. هل يوجد مخطوط لهذا الكتاب في عصر نزوله؟، أو هل يوجد مخطوطٌ سطّره المؤلف نفسه، أو رتبه، أو مخطوط نُسِخ في عصرٍ قريب من عصر المؤلف؟.

٥. هل النسخ المتأخرة لهذا الكتاب تطابق النسخة أو النسخ الأصلية القديمة؟.

٦. هل النسخ المتداولة الموجودة لهذا الكتاب خالية من التحريف والتغيير؟،

وهل هذا الكتاب عارٍ من التناقضات و الخلافات؟، أو أن تناقضاته تشهد على أن تأليفه تم في العصور المختلفة و على أيدي أناسٍ مختلفين؟.

٧. هل يحتوي متن هذا الكتاب على أشياء رديئة يستحيل للعقل السليم والأخلاق الإنسانية أن تقبلها على أنها منزلة من الله سبحانه و تعالى؟[1].

هذه التساؤلات يجب أن تعتمل في نفس كل باحث في الأديان و التي يدعي أصحابها أن تلك الكتب المليئة بالتناقضات و الغامضات هي وحيٌ منزلٌ من عند الله تعالى ليقف بعدها على عين الحقيقة.

وقد جاء كتاب الطوفي هذا (التعليق على الأناجيل الأربعة)؛ ليجيب على تلك التساؤلات، مجليًا لحقيقة تلك الأناجيل التي بين أيدي النصارى، متحديًا لهم بقوله: «**وقد استقريت الأناجيل الأربعة و أوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأرض نصرانيًا يقدر أن يجيب عن شيء منها**»[2].

وهكذا فعل الطوفي رحمة الله عليه، في نقده لأناجيل النصارى؛ ليثبت تهافتها وعدم صحتها.

ونحن نعلم أن النصارى يستمدون عقائدهم و تشريعاتهم من مصدرين أساسيين، هما:

أولا: الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

ثانيا: المجامع النصرانية[3].

و قد تحدثنا عنها أثناء الدراسة، و نعلم بداهةً أن الله تعالى أنزل على عيسى ابن مريم عليه السلام كلامه المقدّس، و هو الإنجيل، وقد كان إنجيلًا واحدًا، واستمر طيلة بقاء

(١) المسيحية النصرانية (١٧٦-١٧٧) ساجد مير، وانظر: ص١٤٥ من هذه الدراسة عند (ضياع الإنجيل وانقطاع سنده).

(٢) الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٥٩٦)

(٣) انظر: دراسات في الأديان (٣٣) د/ سعود الخلف.

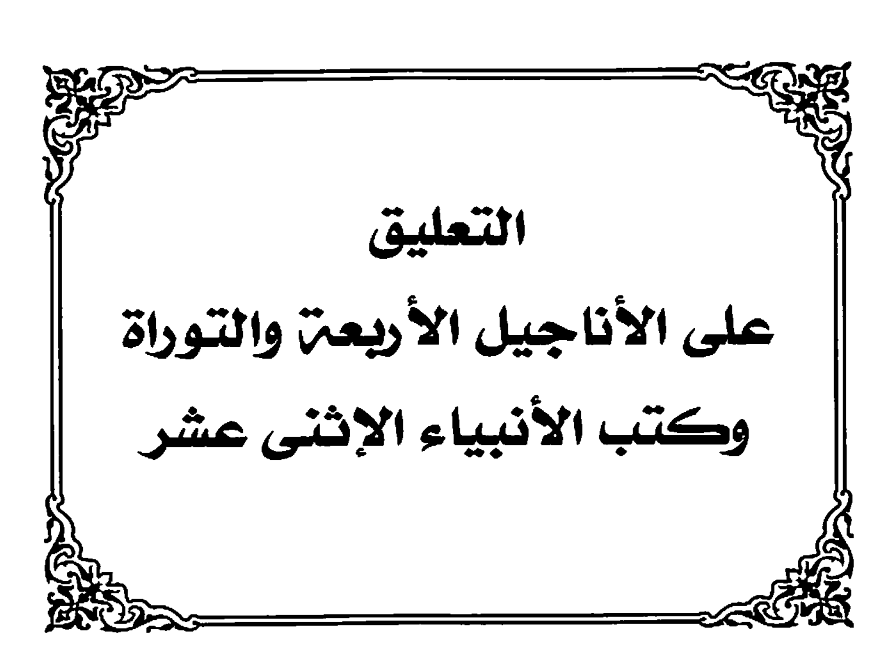
عيسى عليه السلام على وجه الأرض إنجيلًا واحدًا، وبعد أن رفع الله تعالى عيسى عليه السلام إلى السماء اختفى ذلك الإنجيل، ثم ظهرت لنا روايات لحياة عيسى عليه السلام، سُميّت أناجيل[1]، وهي عديدةٌ و منسوبةٌ لأشخاص، و بينها فروق و اختلافات كثيرة، فقد ظهرت أناجيل كثيرة[2].

وكلُّ هذه الأناجيل تفتقر إلى الاتصال بعيسى عليه السلام، فلا أحد ممن كتبها رأى عيسى عليه السلام أو سمع منه.

* * *

(١) انظر: التعليق على الأناجيل الأربعة (٣٤) وقراءة في الكتاب المقدس، (١٦) د/ صابر طعيمة.

(٢) التوراة والقرآن والإنجيل: محمد حمد الصويان، مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ الرياض. وانظر: نقد الأناجيل المرفوضة والمعترف بها د/ محمد ممتاز عبدالقادر، كنوز للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م، القاهرة. ودراسات في الأديان (١٣٤) د/ الخلف.



التعليق

على الأناجيل الأربعة والتوراة

وكتب الأنبياء الإثنى عشر

بين يدي الكتاب

تحقيق المخطوط (التعليق على الأناجيل الأربعة)

وتضمن:

أولًا: إثبات نسبة الكتاب إلى الطوفي، وإثبات صحة اسم الكتاب.

ثانيًا: مصادر الطوفي في كتابه هذا.

ثالثًا: عرض صور لبعض أوراق نسخ المخطوط.

رابعًا: وصف نسخ المخطوط.

خامسًا: قراءة نص النسختين واختيار الأقدم منهما، التي كتبت في زمن المؤلف، ومقارنة كلٍ منها بالأخرى، وإعادة كتابة المخطوطتين، وضبط نصهما، والتزام قواعد الخط الحالية، وقواعد الإملاء وعلامات الترقيم. ومقابلة المخطوطات، وتصحيح ما وقع فيهما، من سقط أو زيادة أو نقصان. مع ملاحظة الفروق بين النسختين، وإثباتها في الحاشية.

سادسًا: ميزت نصوص الكتاب المقدس التي نقلها الطوفي بخط عريض (**هكذا**).

ووضعت عناوين جانبية في هامش الكتاب الأيسر، تيسيرًا للقاريء، وذلك بعد موافقة سعادة المشرف وفقه الله لكل خير.

سابعا: تسمية النسختين (الأصل ورمزت لها بـ(أ)، والثانية بـ(ب))، وتحديد نهاية كل صفحة منهما، وقد جعلتها في صلب الكتاب على هذا النحو، للمخطوطة (أ) مثلًا: [١/ أ]، وللمخطوطة (ب): [٤٤/ ب]، مع وضع رقم الصفحة، ورمز المخطوط داخل الحاصرتين.

ثامنًا: عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، وتخريج الأحاديث النبوية الشريفة؛ فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما أكتفي بالعزو إليهما، وإن كانت في غيرهما أقوم بتخريجها من مظانها والحكم عليها وفق قواعد علم الحديث، وأحكام المتخصصين في علوم الحديث عليها.

تاسعًا: توثيق النصوص الواردة في ثنايا الكتاب، مع عزوها إلى موضعها في (الكتاب المقدس) قدر المستطاع، مع بيان ما أصابها من تبديل أو تحريف إن وجد، مع الرجوع لكتاب: (قاموس الكتاب المقدس) لفك بعض الغامضات، أو الأعلام الذين لا يوجد لهم ترجمة وافيةٌ إلاَّ فيه، مع تمحيص المعلومة قدر الإمكان.

تنبيه: النص المعزو هو بمعناه، بسبب مراحل التحريف والتبديل التي أصابت كتب أهل الكتاب عبر التاريخ.

عاشرًا: التعريف بالأماكن والبلدان الواردة في المخطوط، إلاَّ المشهور منها كالدول الحالية عند ذكرها في الدراسة، فلم أر حاجة إلى تثقيل الحواشي بالتعريف بها.

الحادي عشر: الترجمة لبعض الأعلام غير المشهورة، وقد أترجم لبعض المشهورين؛ كابن عباس، وطلحة وابن الزبير رضي الله عنهما للحاجة إلى ذلك، وأهملت ما لا يتعلق به كثير فائدة، وما ليس له بموضوعي صلة يعتمد عليها. وعند نقل التراجم من (قاموس الكتاب المقدس) أنقلها بنصها دون حذف، إلاَّ في بعض المواضع التي تخالف عقائدنا مخالفة صريحة؛ كقولهم عن موآب ابن لوط ﷺ: (بكر ابنة لوط من أبيها) (قاموس الكتاب المقدس(٩٢٩-٩٢٧)، وأبقيت على بعض الألفاظ الواردة فيه للحاجة إليها في الترجمة.

أولًا: إثبات نسبة الكتاب إلى الطوفي، وصحة اسمه.

لاشك في نسبة هذا الكتاب إلى الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد ذكره الطوفي كثيرًا في كتابه (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) تحقيق د: سالم محمد القرني: (١/ ٢٤٦، ٢٤٩، ٢٨٩، ٣٠٦، ٣١٣، ٣٢٨، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٨٢، ٣٨٤، ٤٦٢، ٤٩٩)، (٢/ ٥٩٦، ٥٩٧)، وفي(١/ ٢٣٢) سماه (التعليق على بعض كتب الأوائل) وفي(١/ ٢٩٤)وسماه(التعليق على الكتابين). ووصف عمله في الكتاب فقال: **(وقد استقريت الأناجيل الأربعة**، وأوردت عليها من الأسئلة ما لا أظن أن على وجه الأرض نصرانيًا يقدر على أن يجيب عن شيء منها).

وذكره جمعٌ من أهل العلم في كتبهم، تحت مسميات عدةٍ منها:

(التعليق على الأناجيل الأربعة والتوراة وكتب الأنبياء الاثني عشر) وهو الاسم الذي اخترته للكتاب. ومنها: (**التعليق على الأناجيل الأربعة**) ومنها: **(الرد على جماعة من النصارى**)، ومنها: (**الرد على كتاب السيف المرهف في الرد على المصحف**)، وكلها مضمونها واحدٌ، ومصبها واحدٌ. والمصادر التي ذكرته كثيرة جدًا، على سبيل المثال:

١. الذيل على طبقات الحنابلة(٤/ ٤٠٩)، لابن رجب الحنبلي، تحقيق د: عبدالرحمن العثيمين -مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ. وذكر من كتبه: («تعاليق» على الرد على جماعة من النصارى **«تعاليق على الأناجيل وتناقضها»**). وقد يُظن أنهما كتابان، والصحيح أنه لا يوجد للطوفي في الرد على (الأناجيل) إلاّ كتابنا هذا، واختلاف الباحثين إنما هو في التسمية.

٢. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد (٣/ ١٣٩)، للعليمي، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط وآخرين، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ -دار صادر – بيروت.

٣. معجم مصنفات الحنابلة من عام ٢٤١هـ إلى عام ١٤٢٠هـ (٣/ ٣٢٥) لعبد الله الطريقي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤. مقدمة تحقيق كتاب شرح مختصر الروضة -(١/ ١٢٣) الدكتور: ابراهيم آل إبراهيم - الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، مطابع الشرق الأوسط.

٥. وطبعة أخرى بتحقيق: معالي الدكتور: عبد الله التركي - الطبعة الثانية - ١٤١٩هـ - توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض.

٦. مقدمة تحقيق كتاب: الإكسير في علم التفسير، لعبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة.

٧. مقدمة تحقيق كتاب: التعيين في شرح الأربعين، لأحمد حاج عثمان، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، المكتبة المكية، مكة المكرمة.

٨. أ. د: محمد حمد الغرايبة في كتابه: الإمام سليمان الطوفي الحنبلي، أصوليًا وفقيهًا. طبع: دار الحامد للنشر والتوزيع - عمَّان - ١٤٢٥هـ

٩. الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية - أ. د: محمد بن خالد الفاضل، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة العبيكان - الرياض.

١٠. أشار الطوفي إلى الكتاب، دون التصريح باسمه، في كتاب: الإشارات الإلٰهية إلى المباحث الأصولية(٢/ ٧٨، ٦٨)، (٣/ ٣٤٢، ٥٨). - تحقيق: حسن قطب، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، الفاروق الحديث، القاهرة.

ثانيًا: وصف نسخ المخطوط:

• **الكتاب المخطوط له نسختان:**

النسخة الأولى: وهي موجودة بالمكتبة السليمانية، (مكتبة الشهيد علي باشا سابقًا) بإستانبول، في تركيا، في مجموع رقم(٢٣١٥) وفي (٦١) لوحة.

وحصلت عليها عن طريق أخي الشيخ: خالد بن عبدالله الغليقة، حفظه الله، في مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض، ضمن مجموع (موجود لدي على ميكروفيلم) يتضمن:

كتاب: (علم الجذل في علم الجدل). للطوفي.

كتاب: (درء القول القبيح في التحسين والتقبيح) للطوفي.

كتاب: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) للطوفي.

كتاب: (الردّ على كتاب صنفه بعض النصارى، سماه: السيف المرهف في الرد على المصحف) تأليف: الطوفي الحنبلي. وفي الجانب بخط صغير (وهو مشتمل على: التعليق على الأناجيل الأربعة و التوراة وعلى غيرها من كتب الأنبياء).

وعلى الغلاف عدة تملكات وأختام، من ضمنها ختم المكتبة السليمانية، وبداخله باللغة الإنجليزية: (shahid ali pasa (هكذا)) والرقم (٢٣١٥).

• وصف هذه النسخة:

مقاس الورق: ٣٠سم×٤٢سم، في كل صفحة(٢١) سطرًا ينقص قليلًا أو يزيد في بعض الصفحات، ويحتوي كل سطر على (١٣) كلمة وقد تزيد في بعض الصفحات، وتحتوي هذه النسخة على (٦١) لوحة، مرقمة حسب ترقيم المجموع من (٢١٢) (بورقة الغلاف) إلى (٢٧٢). ويبلغ عدد صفحات المخطوطة، (١٢٠) صفحة وكتبت بخط نسخ جيد واضح.

تبدأ الصفحة الأولى بقول المؤلف:

(بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم..

الحمد لله رافعِ السَّبع الشِّداد، وواضع الأرض المهاد، ومثبتها بشوامخ الأوتاد، الذي سلك بالسعداء من خلقه سبيل الرشاد، وعدل بأشقيائهم عن طُرق السداد، إلى الكفر والإلحاد، أحمدُه على ما وفَّق له من الطريق الأقوم، وأشكُرُه على ما ألهَمَنا من الحكمة، وعلَّمنا ما لم نكن نعلم، وأشهد...).

وتنتهي بقوله: (هذا آخر ما وقع الاختيار عليه من التعليق على التوراة وغيرها).

(وقول الناسخ): (وافق الفراغ من نسخه، بكرة يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من شهر صفر، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. والحمد لله، أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، طيبًا مباركًا).

• **ناسخها وتاريخ النسخ:** أما ناسخها فهو: محمد بن عبد الواحد البغدادي، وتاريخُ النسخ بيِّنه بقوله السابق، أي (٢٢/ ٢/ ٧٢٨هـ). أي بعد وفاة الطوفي رحمة الله عليه بـ(١٢) عامًا، وهي السنة التي توفي فيها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه.

وهي النسخة التي اعتمدتها، ورمزت لها ب(أ)؛ لوضوح خطها، وقربها من زمن المؤلف؛ إذ هي نسخة عن النسخة التي كتبها الطوفي رَحِمَهُ اللهُ، وأيضًا فهي نسخة كاملة لا سقط فيها ولا نقص، بخلاف النسخة الآتية.

النسخة الثانية: موجودة في مكتبة(كوبرلي) بتركيا، برقم(٧٩٥) في(٦٤) ورقة. وقد حصلت على صورة منها رديئة جدًا، وفي أول عشر صفحات منها سواد من رداءة التصوير عن الأصل الذي بتركيا، ثم قدر الله تعالى ووجدت نسخة واضحة (إلاَّ من سقطٍ في آخرها بمقدار صفحة) وظهر لي أنه من تصرف الناسخ، لا بسبب التصوير، بمركز المخطوطات، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، برقم (٦٦٨٥).

• **وصف هذه النسخة:**

مقاس الورق: ٣٠سم×٤٢سم، في كل صفحة(٣٠) سطرًا ينقص سطرًا في بعض الصفحات، ويحتوي كل سطر على (٩-١١) كلمة تقريبًا، وتحتوي هذه النسخة على (٦٤) لوحة، عدد الصفحات (١٣٣) صفحة، من رقم (٨٦) إلى (١٤٩). وكتب على الغلاف: **(هذا تعليق على الأناجيل الأربعة، وكتب الاثني عشر، من كلام الشيخ الفقيه الإمام العلامة نجم الدين الطوفي الحنبلي، تغمده الله برحمته، آمين.**

الحمد لله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد:

عـجبٌ للمسيح بين أناسٍ	وإلى غير والدٍ نسبوه
أسلمته إلى اليهود النصارى	وأقروا بأنهم صلبوه
يشفق الحازم اللبيب على الط	ـفل إذا ما وليده ضربوه
فإذا كان مايقولون في عيـ	ـسى يقينًا فأين كان أبوه
كيف خلاً وليده للأعادي	أم يظنوا بأنهم غلبوه
فإذا ما افتكرت في شرِّ دينٍ	أبطل الامتحان ما رتّبوه
لا يدينون لعقولٍ ولكن	بأباطيل زُخرُفٍ كذبوه

عليهم لعنة الله والملايك، والناس أجمعين). وفي الهامش الأيسر عبارة (أيظنون أنهم غلبوه)، كتبها الناسخ استدراكًا للخطأ في البيت الخامس.

وكتبت بخطٍ نسخيٍ أقل وضوحًا من خط النسخة (أ)، وغير واضح في مواضع قليلة منها.

تبدأ الصفحة الأولى بقول الناسخ:

(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسلم. قال الشيخ الفقيه، الإمام العلامة، نجم الدين الطوفي الحنبلي رَحِمَهُ الله تعالى.. الحمد لله الذي سلك بالسعدا من خلقه سبل الرشاد..) وتنتهي بقوله: (وروى الترمذي بإسناده من حديث عائشة قالت: لما قبض رسول الله ﷺ اختفلوا في دفنه فقال أبو بكر: سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا مانسيته، قال: (ما قبض الله نبيًا؛ إلاَّ في الموضع الذي يحبُّ أنْ يُدفنَ فيه، ادفنوه في موضعِ فراشه) وهو حديث غريب، وفي إسناده عبدالرحمن بن أبي بكر المليكي، وهو ضعيف، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد).

• **ناسخها وتاريخ النسخ:** أما ناسخها فهو: بدر الدين، الحسن بن محمد بن صالح النابلسي الحنبلي، وهو ناسخ كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية الذي حققه الأستاذ الدكتور: سالم بن محمد القرني، وقد بينه بقوله:

(وكان الفراغ من تعليق كتابته يوم الثلاثاء باكر النهار الرابع، من ربيع الأول سنة تسع وأربعين وسبعمائة). انظر: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (٢/ ٥٩)). أي في: ٤/ ٣/ ٧٤٩هـ. بعد وفاة الطوفي رحمة الله عليه بـ(٣٣) سنة. وقد رمزت لها بـ(ب).

ثالثًا: مصادر الطوفي في كتابه:

اعتمد الطوفي رحمة الله عليه في هذا الكتاب على عدة مصادر، ورد ذكر بعضها في طيات الكتاب، منها:

• القرءان الكريم.
• تفاسير القرءان الكريم.
• كتب الحديث النبوي، الصحاح والسنن، والمسانيد، وشروحها.
• كتب السيرة النبوية، والطبقات، وشروحها.
• التوراة، وأسفار الأنبياء.
• الأناجيل الأربعة (متى، مرقص، لوقا، يوحنا) وهي مدار تصنيفه للكتاب.
• كتاب النصراني الذي رد عليه بهذا الكتاب، وكتاب: (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) واسمه: (السيف المرهف في الرد على المصحف).
• أحال على كتابه (الفوائد) وقد ذكرته في الدراسة ضمن كتب الطوفي.
• نقل من كتاب (القصص) لوثيمة بن موسى[1].
• نقد كتاب (السر المكتوم في استخدام أرواح النجوم) للرازي، مما يعني أنه من مصادره التي اطلع عليها.

---

(١) انظر التعريف به ص (٦٠).

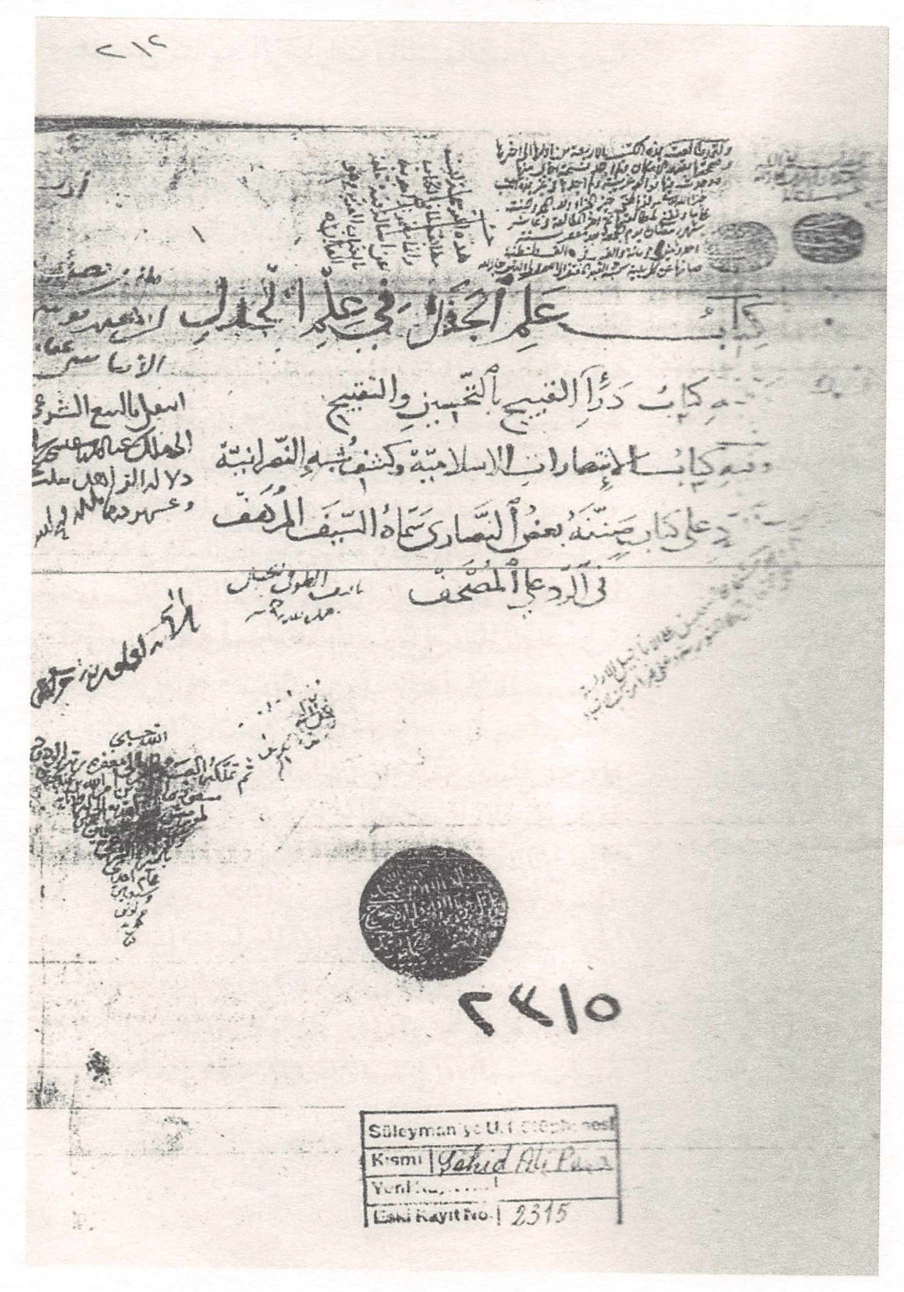
• ذكـر قـولًا للإمـام أبي حامـد الغزالي عند إيـراده حديـث: (إن الله خلق آدم على صورته).

• نقل من كتاب: الإشارات والتنبيهات، لابن سينا.

* * *

رابعًا: صور لبعض نسخ المخطوط، (أ) و(ب):

صورة غلاف النسخة (أ)



كتاب علم الجذل في علم الجدل

كتاب درء القبيح بالتحسين والتقبيح

وفيه كتاب الانتصارات الاسلامية وكشف شبه النصرانية

على كتاب صنفه بعض النصارى سماه السيف المرهف

في الرد على المصحف

صورة الصفحة الأولى للنسخة(أ)

المسيح كاذبا في قوله ما من حي إلا أستطهر وأما أن المسيح ليس بكاذب فيما لا يعاق ... وسلم ولو
نازعتمونا في صدقه أنتم وغيركم لما وافقناكم على ذلك لأنا نحن أحق به منكم الحجة
العاشرة أن من نظر في دين الإسلام وجده معظما لجميع الرسل عيسى وموسى وغيرهما بحيث
لا يرى سب أحد منهم وتنقصه قتل وترى اليهود ينقصون المسيح وينسبون إليه البهتان
وهم والنصارى ينقصون محمدا عليه السلام علم أن المسلمين أهل حق لا يشوبه تحامل وأن
اليهود والنصارى أهل عناد وتجاهل وإن قالت اليهود إنما نقصنا المسيح ومحمدا لأنهما
كاذبان قلنا فالذي جاء به صدق موسى قد أتى المسيح بما هو أعظم منه فيقتضي التصديق فيتنزل
فأما أن يصدقوا الأمرين أو يكذبوهما أما الفرق فهوى وتحامل وإن قالت النصارى إنما تنقصنا
محمدا لأنه ليس بصادق قلنا يلزمكم مقالة اليهود في أنهم إنما تنقصوا المسيح لأنه ليس بصادق
فإن قالوا اليهود كفار عاندوا الله قلنا كذلك نقول عنكم بالنسبة إلى تنقص محمد
عليه السلام فإن قيل اليهود عاندوا بعد قيام الحجة بإظهار المعجز ونحن لم يأتنا محمد بمعجز قلت
بل جاءكم بمعجزات قد سبق تقريرها ولكن عاندتم أو جهلتم ولهذا سمى الله تعالى اليهود مغضوبا
عليهم والنصارى ضالين لأن تكذيب اليهود عناد وتكذيبكم يغلب عليه الجهل ولو أعطيتم النظر
حقه لوفقتم ورشدتم هذا آخر ما تيسر إيراده في هذا الكتاب وأنا أسأل الله الكريم
الوهاب أن يجعله لي إلى رحمته وشفاعة نبيه أنجح الوسائل وأقوى الأسباب وأن يوفقني
وسائر المؤمنين لما يحبه ويرضاه ويوفقنا عما يبغضه ويقلاه فإنه لا إله إلا هو ولا فاعل
في الوجود سواه

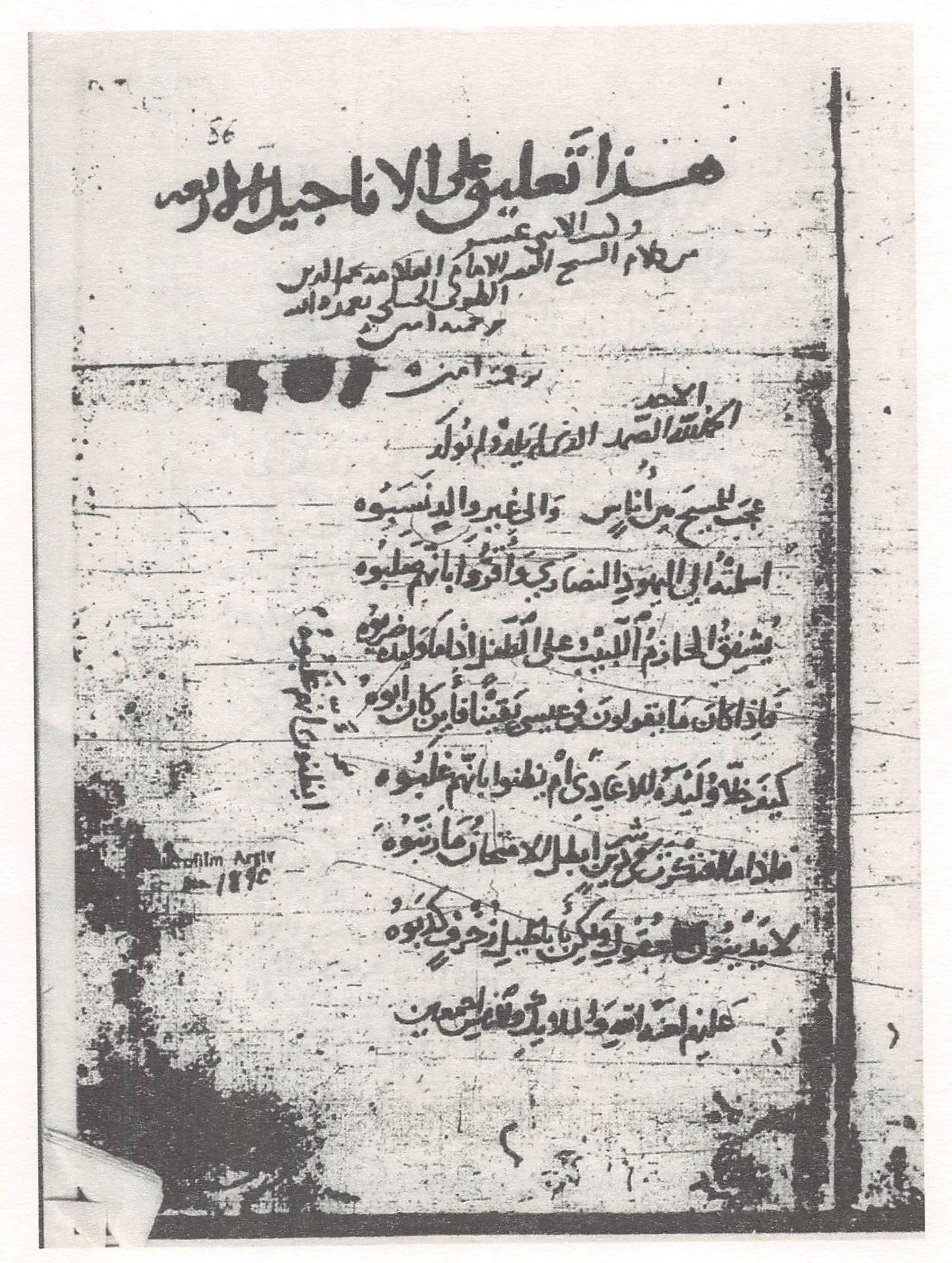
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الحمد لله رافع السبع الشداد وواضع الأرض المهاد ومثبتها بشوامخ الأوتاد الذي حكم
بالسعادة من خلقه سبل الرشاد وعدل بأشقيائهم عن طرق السداد إلى الكفر والإلحاد أحمده
على ما وفق له من الطريق الأقوم وأشكره على إلهام الحكمة وعلمنا ما لم نكن نعلم وأشهد

(١)

صورة الصفحة الأخيرة للنسخة (أ)

صورة غلاف النسخة (ب)



56

هذا تعليق على الاناجيل الاربعة

وكتب الانبياء الاثني عشر

من كلام الشيخ [illegible] الامام العلامة نجم الدين

الطوفي الحنبلي تغمده الله

برحمته امين

[illegible] امين

الحمد لله الصمد الذي لم يلد ولم يولد

عجبت للمسيح من ناس والى الله نسبوه

اسلمته الى اليهود النصارى واقروا بانهم صلبوه

يشفق الحازم اللبيب على الطفل اذا ما لداته ضربوه

فاذا كان ما يقولون في عيسى يقينا فاين كان ابوه

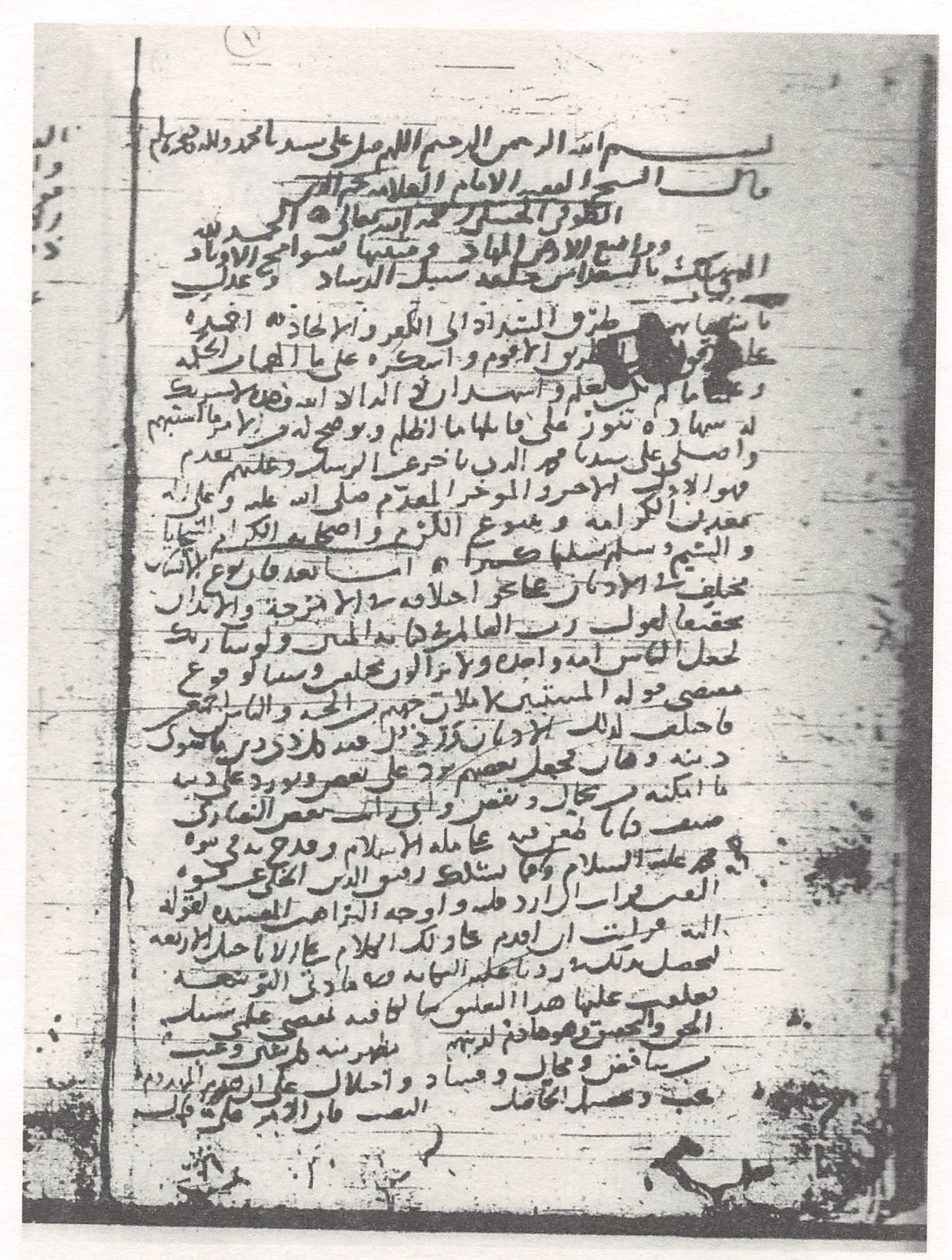
كيف خلى وليده للاعادي ام يظنوا بانهم غلبوه

فلذا [illegible] بالامتحان ما [illegible]

لا [illegible] [illegible] بالطبل زخرف كذبوه

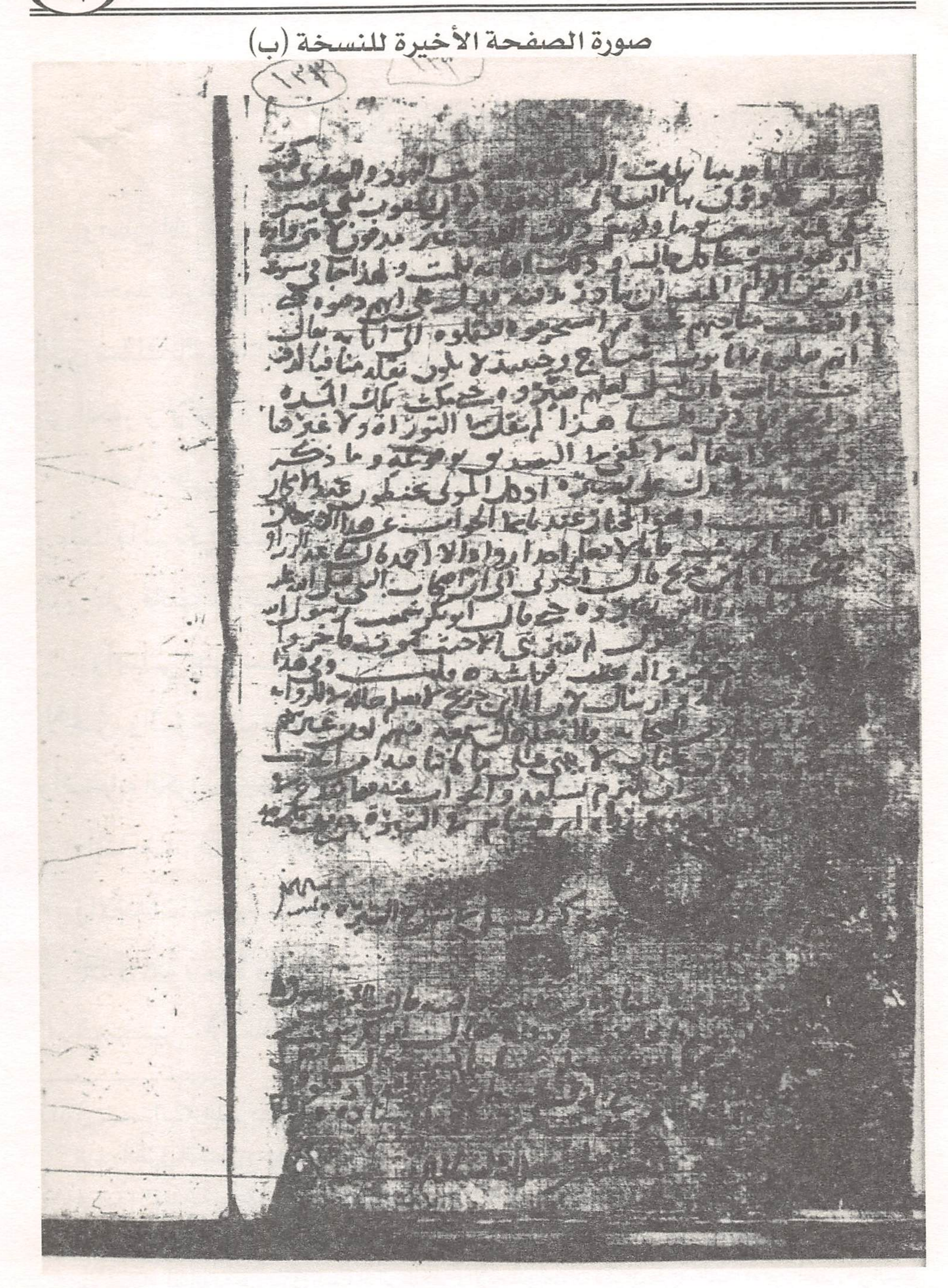
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين

صورة الصفحة الأولى (ب)



بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
قال الشيخ الفقيه الإمام العلامة نجم الدين
الطوفي الحنبلي رحمه الله تعالى الحمد لله
الذي يمسك بالسماوات [illegible] ومرابع الأرض المهاد وفتقها بسوابح الأوتاد
[illegible] عليه سبل الرشاد [illegible]
ما [illegible] طرق السداد إلى الكفر والإلحاد أحمده
على [illegible] الأقوم وأشكره على ما ألهم من الحكمة
وعلم ما لم يكن يعلم وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة تنور على قائلها ما أظلم وتوضح له من الأمر ما استبهم
وأصلي على سيدنا محمد النبي الذي بآخره أرسله وعلى غيره قدم
فهو الأول الآخر والمؤخر المقدم صلى الله عليه وعلى آله
معادن الكرامة وينابيع الكرم وأصحابه الكرام السجايا
والشيم وسلم تسليما كثيرا أما بعد فإن نوع الإنسان
مختلف في الأديان على نحو اختلافه في الأمزجة والأبدان
تحقيقا لقول رب العالمين [illegible] ولو شاء ربك
لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين [illegible]
مقتضى قوله [illegible] لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
فاختلف لذلك الأديان [illegible]
دينه [illegible] بعضهم يرد على بعض ويورد على دينه
ما أمكنه من محال ونقض [illegible]
ضعف [illegible] النصارى
[illegible] عليه السلام [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] هذا التعليق [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

صورة الصفحة الأخيرة للنسخة (ب)



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.. (١)

الحمد لله رافعِ السَّبع الشِّداد، وواضع الأرض المهاد، ومثبتها بشوامخ الأوتاد، الذي سلك بالسعداء من خلقه سبيل الرشاد، وعدل بأشقيائهم عن طُرق السداد، إلى الكفر والإلحاد(٢).

أحمدُه على ما وفَّق له من الطريق الأقوم، وأشكُره على ما ألهَمَنا من الحكمة، وعلَّمنا ما لم نكن نعلم، وأشهد [١/ أ] أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، شهادةً تنُوِّر على قائلها ما أظلم(٣)، وتوضِّحُ له من الأمر ما استبهم.

وأصلي على سيدنا محمدٍ؛ الذي تأخَّر عن الرُّسُل، وعليهم تقدم، فهو الأولُ الآخرُ، والمؤخر المقدم، صلى الله عليه وعلى آله، معدن الكرامة، وينبوع الكرم، وأصحابه الكرام السجايا والشيم، وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

سبب تأليف كتاب التعليق على الأناجيل

أمَّا بعد: فإنَّ نوع الإنسان مختلفٌ في الأديان، على نحو اختلافه في الأمزجة والأبدان؛ تحقيقًا لقول رب العالمين، في كتابه المبين: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود:١١٨] وسببًا لوقوع مقتضى قوله المستبين: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود:١١٩]،. واختلف

---

(١) في نسخة (ب): اللهم صل على سيدنا محمد، وآله وصحبه، وسلم. قال الشيخ الفقيه، الإمام العلامة، نجم الدين الطوفي الحنبلي رحمه الله تعالى.

(٢) في هذه المقدمة براعة استهلال من الطوفي رحمة الله عليه؛ إذ كتابه هذا ردٌّ على النصراني الذي طعن في ملة الإسلام، بتأليفه كتاب (السيف المرهف في الرد على المصحف)، وناسب أن يبدأ الطوفي مقدمته بالتعريض بالأشقياء الحائدين عن طرق السداد إلى الكفر والإلحاد، بعد أن ذكر أن طريق السعداء من الخلق هو السبيل الأوحد، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

(٣) في (أ): لُطم، وما أثبتُّه من: (ب).

لذلـك الأديان، وذلَّ[١] عند كل ذي دينٍ ما سـوى دينهِ وهـان، وجعل[٢] بعضهم يردُّ علـى بعـض، ويُـورِدُ علـى دينـه مـا أمكنَـه مـن مُحـالٍ ونقـضٍ. وإني رأيـتُ بعضَ النصـارى[٣] صنَّـف كتابًا، طعن فيه على ملة الإسـلام، وقدح بـه في نُبوة محمد ﷺ، وهو مما يشكِّكُ رقيقَ الدِّين، الخالي عن قوة اليقين؛ فهممتُ[٤] أنْ أردَّ عليه، وأوجّه البراهيـن المفسـدة لقولـه إليـه، فرأيـتُ أن أُقـدِّمَ على ذلـك الكلامَ علـى الأناجيل الأربعة؛ ليحصل بذلك في رأيهم[٥] النكاية، وفي مادتي[٦] التوسـعة، فعلقت عليها هذا التعليـق، سـالكًا فيه بمقتضى علمي سبيل الحـق والتحقيق، وهو هـادمٌ لدينهم بلا ريـب[٧]، مظهرٌ منه كلَّ شينٍ وعيب، من تناقضٍ ومُحالٍ، وفسـادٍ واختلالٍ، على أنَّ هـدمَ المهـدومِ تعـبٌ، وتحصيلٌ للحاصل يـورث النصب؛ فـإنَّ الأمر علـى ما قال [١/ ب] القائل السابق:

---

(١) في (ب): ورذل، وما أثبتُّه من (أ).

(٢) في (ب): فجعل، وما أثبتُّه من(أ).

(٣) النصارى: النصارى أمة المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﷺ، وهو المبعوث حقا بعد موسى ﷺ المبشـر به في التوراة، ودينهم (النصرانية)، والاسـم المشـتهر لها اليوم (المسـيحية) وهي أبعد ما تكون عن تعاليم المسـيح ﷺ، وقد اسـتخدمت هذا الاسـم كثيرًا في القسـم الأول من الدراسة؛ لشـهرته، لا لقناعتي به بـدلًا عن الاسـم القديم. [انظر: الملل والنحل، الإمـام: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرسـتاني (١/ ٢١٩)، تحقيـق: محمـد سـيد كيـلاني، ١٤٠٤ هـ دار المعرفـة – بيروت]. قال الأسـتاذ الدكتور: سـالم بـن محمـد القرني، حفظـه الله، في تحقيقه لكتاب (الانتصارات الإسـلامية في كشـف شـبه النصرانية، للطوفي) (١/ ٣٠٦): (والـذي فهمتـه من كلامه هذا أن كتـاب «تعاليق على الأناجيل» ردٌّ أيضًا علـى النصراني الذي ردَّ عليه الطوفي في هذا الكتاب). قلت: ولم أعثر على اسم النصراني هذا، ولا مكان تأليفه لكتابه (السيف المرهف في الـرد علـى المصحف) فضلًا عن الكتاب نفسـه، لكن ذكر الدكتور: سـالم: أن الظاهـر – والله أعلم – « أن النصراني من بلاد المغرب الأقصى، أو من بلاد الأندلس؛ لأنه نقل كثيرًا من تفسـير ابن عطية الأندلسـي رحمه الله، كما نقل عن كتب موسـى بن عبيد الله، الفيلسـوف، المرتد عن الإسلام، وهو ممن عاش في الأندلس، ثم انتقل في آخر حياته إلى مصر» انظر: [الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية(١/ ١٦٥)].

(٤) في (ب): فرأيت، وما أثبتُّه من(أ).

(٥) في (ب): ردنا عليه، وما أثبتُّه من(أ).

(٦) ليست واضحة في: (أ)، ولعل الأقرب ما أثبتُّه من (ب).

(٧) (ريب): ليست في (ب).

. . . .   وأيُّ طـلاقٍ للنّسـاء الطَّوالـقِ[١]؟!

لكن لابُدَّ من كشف الشُّبه والملبسات[٢] على كل حالٍ من الحالات.

وألحقـت بالتعليق على الأناجيل فوائـدَ من كتاب: (أشـعياء)[٣]، و(دانيال)[٤]، و(أرمياء)[٥]، و(الأنبياء[٦] الاثني عشـر)[٧]، وأرجو أنَّ [من نظر في هذا الكتاب، وهو ذكيٌّ منصفٌ، لا بليدٌ[٨] أو متعسفٌ[٩]، بل قاصدٌ للحق، مؤثرٌ للصدق، يعدل][١٠] عن الملـة النصرانيـة إلى الملة الحنيفية[١١]، ويعلم أنَّ ما هـو عليه كفرٌ وضلال، وأنَّه إلى

(١) البيت ذكره الثعالبي، ونسبه لأبي العبر:

وحـلّـف منـهـم بـالـطـلاق أكـابـرًا   وأيُّ طـلاقٍ لـلـنِّـسـاء الـطَّـوالـقِ.

[(التمثيـل والمحاضـرة) (٢١٩) أبـو منصور، عبد الملك بن محمد (٢٢٩) هـ ت: عبـد الفتاح الحلو، الدار العربية، ط٢، ١٩٨٣م]

(٢) لَبَسَ عليه الأمر: خلط، وبابه: ضرب، ومن قوله تعالى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٩]. وفي الأمر: لُبسـةٌ، بالضم، أي: شـبهة، يعني: ليس بواضح: والتبس عليـه الأمر: اختلط واشـتبه، و(التلبيس) كالتدليس، والتخليط، شُدِّد للمبالغة. [مختار الصحاح (٣٤٣) مادة: (ل ب س).].

(٣) سيأتي التعريف به عند التعليق على مصحفه.

(٤) سيأتي التعريف به عند التعليق على مصحفه.

(٥) سيأتي التعريف به عند التعليق على مصحفه.

(٦) في (ب): وبقية.

(٧) جاء في (قاموس الكتاب المقدس (٧٦٤): (.... والمتأخرون، وينقسـمون إلى: الأنبياء الكبار: وهم، أشـعياء، وأرميـاء، وحزقيـال. والأنبياء الصغار: وهم: هوشـع، ويوئيل، وعامـوس، وعوبيا، ويونـان، وميخا، وناحوم وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي. [وانظر: اليهودية (٢٣٨) د: أحمد شلبي. دراسات في اليهودية والنمسـيحية وأديـان الهند (١٦٨-١٨٠) د: محمد ضيـاء الرحمن الأعظمي]. وقد اعترض أسـتاذنا الكريم الأسـتاذ الدكتور: بكر زكي عوض على هذا الإطلاق، لاسيما وأن الطوفي قد سـرد أسـماء أنبياء لا دليل على نبوتهم من نقل صحيح، فثبوت النبوة تحتاج إلى دليل قوي لا يخالطه ريب.

(٨) البلادة: تدور تعاريف أهل اللغة على أنها: ضد الذكاء، والبليد: من حرم الذكاء و المضاء في الأمور.. [المعجم الوسيط. (١/ ١٤٣) إبراهيم مصطفى وآخرون. تحقيق: مجمع اللغة العربية. (مختار الصحاح (٤٩)].

(٩) العسـف: الأخـذ والميل عن الطريق، تعسّـف: خبطه على غيـر هداية. [مختار الصحـاح (٢٥٨)، والقاموس المحيط (٧٥٤)].

(١٠) في (ب) (وأرجوا (هكذا) أن يكون.. عليه من أهل الكتاب.. فيعدل) والعبارة مفككة، والمثبت من (أ).

(١١) الحنيفيـة: الصحيـحُ الميـل إلـى الإسـلام، الثابـت عليه، وكلُّ مـن حـجَّ، أو كان على ديـن إبراهيم عليه السلام، وتحنّـف: عمِـل عَمَـلَ الحنَفَيـة، أو اختتـن، أو اعتـزل عبـادة الأصنـام [القامـوس المحيـط (٧٢٢) مـادة (ح ن ف)]

وقته ذلك مخذولٌ ضال، وأنا أدعو إلى الله بإرشاد من وقف عليه، وهو قريبٌ مجيبٌ، لا إله إلاَّ هو، عليه توكلت وإليه أُنيب.

* * *

مقدمات بين يدي الكتاب

[مقدماتٌ ثلاثٌ][1]

ولنقدم على هذا التعليق مقدماتٍ يُنتفع بها:

[المقدمة][2] الأولى:

أنَّ هذه الأناجيل الأربعة[3] التي بأيدي النصارى ليس شيءٌ منها هو [٢/ أ] الإنجيل[4] الذي أوتيه عيسى المسيح ابن مريم، وإنَّما هي في الحقيقة سِيرٌ صنَّفها التلاميذُ[5]، تتضمن كيفيةَ مولد المسيح، ودعائه النَّاسَ إلى الإيمان، وكيفية ارتفاعه إلى السماء بعد صلبه - على زعمهم -، فنظيرُها من كتب المسلمين مغازي رسول

---

(١) هذا العنوان من وضعي بموافقة فضيلة المشرف على الرسالة أ د: محمد السيد الجليند، رعاه الله؛ لترتيب الكتاب.

(٢) وما بين الحاصرتين أيضًا.

(٣) (الأربعة)، ليست موجودة في: (ب) والأربعة هي: متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا. وهي المعتمدة اليوم عند النصارى.

(٤) الإِنْجِيل: كتاب عيسى، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، يؤنث ويذكَّر فمَن أنَّث أراد الصحيفة، ومن ذكَّر أراد الكتاب، وفي صفة الصحابة رضي الله عنهم: معه قومٌ صُدورُهم أناجِيلُهم. هو: جمع إِنجيل، وهو اسم كتاب الله المنزَّلِ على عيسى ﷺ وهو اسمٌ عِبرانيٌ أو سُرْيانيّ وقيل: هو عربي، يريد: أنهم يقرؤون كتاب الله عن ظهر قلوبهم، ويجمعونه في صدورهم حِفظًا. وكان أهل الكتاب إنما يقرؤون كتبهم في الصحف، ولا يكاد أحدهم يجمعها حفظًا إلا القليل، وفي رواية: وأناجِيلهم في صدورهم أي أن كتُبَهم محفوظة فيه. والإِنْجيل مثل: الإِكْلِيل والإِخْرِيط، وقيل اشتقاقه من النَّجْل الذي هو الأصل يقال هو كريم النَّجْل أي الأصل والطَّبْع وهو من الفِعل إِفْعِيل. [لسان العرب (١١/ ٦٤٦)].

(٥) تلميذ: تشير هذه الكلمة في (الكتاب المقدس) - عندهم - إلى كل من اتبع معلمًا مثل أشعياء النبي، ويوحنا المعمدان، وتستعمل لكل المؤمنين الذين قبلوا تعاليم المسيح [قاموس الكتاب المقدس (٢٢٢)، مادة: تلميذ].

الله ﷺ، وسيره، كثيرة: (ابن إسحاق)[١]، و(موسى بن عقبة)[٢]، و(الواقدي)[٣]، و(البكري)[٤]، و(ابن هشام)[٥]؛ والتي هي مختصر سيرة ابن إسحاق، ونحو ذلك.

مصير الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام

والإنجيل الذي أنزل على عيسى، الذي هو نظير القرآن الكريم؛ إمَّا أنَّه عُدم وضاع وتلاشى[٦]؛ كسائر الصحف التي نزلت على الأنبياء، حيث دثرت فلم يبق لها شهرة، أو أنَّه هو الأمثال والحكم؛ التي تتضمنها هذه الأناجيل من كلام

---

(١) لعل الطوفي لا يقصد التشبيه المطلق بينها وبين كتب السير عندنا نحن المسلمين؛ لأن الفرق واضح جدًا وهذا الذي يظهر وإنما قصد التقريب والله أعلم. وابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار، القرشي، صاحب السيرة النبوية، وكان جده يسار من سبي عين التمر، في دولة خليفة رسول الله ﷺ، ولد ابن إسحاق سنة (٨٠) هـ ورأى أنس بن مالك بالمدينة، وسعيد بن المسيب. حدث عن جمع غفير من أهل العلم، وحدث عنه مثلهم، مات سنة (١٥٠)هـ [سير أعلام النبلاء، للذهبي (٧/ ٣٣-٥٥)].

(٢) موسى بن عقبة: ابن أبي عياش، الإمام الثقة الكبير، مولى أبي الزبير، ويقال: بل مولى الصحابية أم خالد بنت خالد الأموية، زوجة الزبير، وكان بصيرًا بالمغازي النبوية، ألَّفها في مجلد، فكان أول من صنَّف في ذلك، عداده في صغار التابعين [سير أعلام النبلاء، للذهبي (٦/ ١١٤-١١٨)].

(٣) محمد بن عُمر بن واقد الواقدي، صاحب التصانيف والمغازي، أحد أوعية العلم على ضعفه المتفق عليه. ولد بعد العشرين ومائة وقيل (١٣٠)هـ. وطلب العلم عام بضعة وأربعين، وسمع من صغار التابعين، فمن بعدهم بالحجاز والشام. قال عنه الذهبي (وجمع، فأوعى، وخلط الغث بالسمين، والخرز بالدر الثمين، فاطرحوه لذلك، ومع هذا فلا يستغنى عنه في المغازي، وأيام الصحابة وأخبارهم) توفي سنة (٢٠٧)هـ. [السير (٩/ ٤٥٤) و: السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (١٨) د: سليمان بن حمد العودة، دار طيبة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ].

(٤) البكري: أحمد بن عبد الله بن محمد، أبو الحسن البكري، قال عنه ابن حجر: (ذاك الكذاب الدجال، واضع القصص التي لم تكن قط، ما أجهله وأقلَّ حياءه، وما روى حرفًا من العلم بسند، ويكرى له في سوق الكتبيين: كتاب انتقال الأنوار، ورأس الغول.. ومن مشاهير كتبه: الذروة في السيرة النبوية، ما ساق غزوة منها على وجهها، بل كل ما يذكره لا يخلو من بطلان، إما أصلًا، وإما زيادة). [لسان الميزان (١/ ٣٠٢) لابن حجر العسقلاني، ٧٧٣هـ- ٨٥٢هـ ت: غنيم بن عباس غنيم، مطبعة دار الفاروق الحديثة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ].

(٥) ابن هشام: عبد الملك بن هشام ابن أيوب العلامة النحوي، الأخباري، أبو محمد الذهلي، السدوسي، نزيل مصر، هذب السيرة النبوية، وسمعها من زيادالبكائي، صاحب ابن إسحاق، مات سنة (٢١٨)هـ على الصحيح. [سير أعلام النبلاء، للذهبي (١٠/ ٤٢٨-٤٢٩. السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق (١٣)].

(٦) هذا الإنجيل لم يعد له وجود بين أناجيل النصارى التي يعتمدونها اليوم. انظر: [محاضرات في النصرانية (٥٢-٥٣) أبو زهرة، دراسات في الأديان (١٣٦) د/ سعود الخلف، والإشارات الإلهية إلى المباحث الأصولية، (٢/ ٦٧) نجم الدين، سليمان بن عبد الكريم بن عبد القوي الطوفي، تحقيق: حسن بن عباس بن قطب – الطبعة الثانية – ١٤٢٤هـ – الفاروق الحديثة للطباعة والنشر – القاهرة.].

المسيح، ضموا إليها شرح سيرته، وسموا الجميع إنجيلًا.

الدليل على ضياعه

والدليل على ذلك من وجهين:

أحدهما: أنَّ في هذه الأناجيل كثيرًا - بل أكثرها - ليس من كلام المسيح؛ بل من حكايات المصنفين لها، كقولهم: أجابَ (يسوع)(١)، وفَعَل (يسوع)، وقال (يسوع)، يعنون: (المسيح)، وكأنَّ العربَ عرَّبتْ هذا الاسمَ بأنْ عكَسَتْه من آخره إلى أوله، وقلبتْ واوه ياءً، وياءه ألفًا فصار (عيسى)(٢).

الأناجيل التي بأيدي النصارى تواريخ وليست إنجيل المسيح عليه السلام

الوجه الثاني: أنَّ كُتب الأمم السالفة والرسل(٣) التي يؤتم بها، ويعتمد عليها، إنَّما نزلت عليهم من عند الله سبحانه، كصحف (شيث)(٤) و(إبراهيم)، وتوراة (موسى)، وزبور (داود)، ومصحف (أشعياء)، وغيرها. والكلام الذي في [٢/ ب] الأناجيل هو من كلام التلاميذ والأتباع، وفيه يسيرٌ من كلام المسيح.

(١) الصيغة العربية للاسم العبري: (يشوع) (عيسى عليه السلام): وقد تسمى يسوع حسب قول الملاك ليوسف، ويسوع هو اسمه الشخصي. أما المسيح فهو لقبه. وقد وردت عبارة «الرب يسوع المسيح» نحو ٥٠ مرة في العهد الجديد. ويسوع المسيح أو المسيح يسوع، نحو مئة مرة. بينما وردت كلمة المسيح أيضًا بالمخلص، ووردت لفظة يسوع وحدها على الأكثر في الأناجيل، ويسوع المسيح، والرب يسوع المسيح في سفر الأعمال والرسائل. [قاموس الكتاب المقدس (١٠٦٦)].

(٢) قال الطوفي: (فإن العربية تصرفت في الألفاظ الأعجمية، فعربتها، كما سمت العرب المسيح: عيسى، واسمه في الإنجيل: يسوع، فعكسوه من آخره، وقلبوا الواو ياء) [الانتصارات الإسلامية (١/ ٣٠٤)].
والصواب أن يقال: إن الله تعالى هو الذي سماه لا العرب؛ بدليل قوله تعالى - على سبيل المثال - ﴿ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران٤٥]

(٣) الرسل، ليست موجودة في: (ب).

(٤) اسم سامي معناه (مُعْين) أو (بديل) ابن آدم وحواء. وقد ولد بعد أن قتل هابيل فكان بديلاً له وعوضًا عنه، وولد لآدم عندما كان عمره ١٣٠ سنة، فعاش ٩١٢ سنة، ومعنى شيث: هبة الله، وسمياه بذلك لأنهما رزقاه بعد أن قتل هابيل. قال أبو ذر في حديثه عن رسول الله ﷺ: «إن الله أنزل مائة صحيفة وأربع صحف، على شيث خمسين صحيفة» (الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٢ ص ٧٧ حديث(٣٦١) الأمير: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ٧٣٩ هـ قال المحقق الشيخ شعيب الأرنؤوط: (إسناده ضعيف جدًا) الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.). [سفر التكوين: ٥: ٣، و قاموس الكتاب المقدس (٥٣١)، وقصص الأنبياء (٥٤) ابن كثير، ت: علي أبو الخير، محمد وهبي، معروف زريق، ط١ ١٤١٧هـ دار الخير، دمشق].

نعم هم يزعمون أنَّ المسيح هو الله، أو ابنُ الله، فلا حاجة له عندهم إلى أن يُنَزَّل عليه شيء[١]؛ لأنَّه هو الـمُنَزِّلُ على غيره من الأنبياء، أو ابنه، وهو مطلعٌ على سرِّ أبيه، لكنَّا سنقررُ فسادَ هذا المعتقد إن شاء الله سبحانه؛ فيصح[٢] لنا حينئذٍ بالاستقراء[٣] أنَّ هذه الأناجيل ليست أناجيل المسيح، بل هي[٤] تواريخ وضعوها وسموها أناجيل، ولكل أحدٍ أن يسمي في[٥] اصطلاحه ما شاء ما شاء[٦].

* * *

(١) شيء: ليست في: (ب).

(٢) في: (ب): ليصح، وما أثبتُّه من: (أ).

(٣) الاستقراء هو: تتبع جزئيات الشيء للوصول منها إلى حكم كلي يجمعها. [انظر: كتاب الكليات(١٤٦-١٤٧) تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م].

(٤) هي، ليست في: (ب).

(٥) زيادة من: (ب).

(٦) هذه الأناجيل ليس شيء منها هو الإنجيل الذي أنزل على عيسى عليه السلام، قال الدكتور: سعود بن عبد العزيز الخلف: (... وبمجموع ما ذكر من الأناجيل من ناحية تاريخها ومتنها، يتبين لنا أن هذه الكتب لا يمكن أن تكون هي الكتاب الذي أنزله الله ﷻ على عبده ورسوله، وأحسن أحوالها أن تكون متضمنة لبعض ما أنزل الله على عيسى عليه السلام، والله أعلم). [دراسات في الأديان: اليهودية والنصرانية(١٧١)ط١. ١٤١٨هـ مكتبة أضواء السلف، الرياض].

براءة المسيح من ابتداع النصارى

[المقدمة](1) الثانية:

أنَّهم اتفقوا في أوائل كتبهم: الأناجيل، وغيرها(2)، على أن يقولوا: (باسم الأب، والابن، وروح القدس، إلهٌ واحدٌ)(3)، ووجَّهوا ذلك بتوجيهٍ إذا حُقِّقَ الأمرُ معهم فيه ظهر أنَّه اختلاطٌ وجنونٌ، لا يشك عاقلٌ في أنَّ المسيح لو سَمِعَه منهم لدعا عليهم أنْ يصيروا قردةً وخنازيرَ!، وبالجملة كان لا يرضى به منهم، ثم إنّي [٣/ أ] رأيت في مقدمة نسخة صحيحةٍ مضبوطةٍ(4)، بإنجيل (متَّى)، قد افتتحها بقوله:

---

(١) ما بين المعقوفتين من وضعي؛ حتى لا يختلط المعنى على القارىء، وقد سبق التنويه عنه.

(٢) في: (أ): وغيرهم، وما أثبتُّه من: (ب).

(٣) (الأب: لفظ يطلقه المسيحيون على الله (تعالى الله عن ذلك)لأنه الآب السماوي. (يعتقد النصارى أن الإلـه وإن كان واحدًا؛ إلاَّ أنـه مؤلفٌ من ثلاثة أقانيم، أي: ثلاثة أشخاص؛ الآب، والابن، والروح القدس، وهذه الثلاثة أقانيم هي ظواهر لحقيقة واحدة، أي: واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد:

- فالله هو الآب، وهو الخالق.
- والمسيح هو الابن وهو المخلص، وهو الفادي، وجمع بين اللاهوت والناسوت.
- والروح القدس هو الرب المحيي، لاهوتٌ محضٌ!، وهو المظهر المنبثق من الآب في رأي فريق منهم، أو منبثق من الآب والابن في رأي فريق آخر). [قاموس الكتاب المقدس (١). الميزان في مقارنة الأديان حقائق ووثائق (١٤٣)، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ دار القلم، دمشق. الدار الشامية، بيروت]

(٤) لعله يعني بهذا: أنها صحيحة مضبوطة لديهم، ولا يجوز أن يقال غير هذا.

وترجع أقدم النسخ التي لدينا للأناجيل الأربعة إلى القرن الثالث، أما النسخ الأصلية فيبدوا أنها كتبت بين عامي ٦٠، ١٢٠م، ثم تعرضت بعد كتابتها مدى قرنين من الزمان لأخطاء في النقل، ولعلها تعرضت أيضًا لتحريف مقصود يُراد به التوفيق بنها وبين الطائفة التي ينتمي إليها الناسخ أو أغراضها. والكُتَّاب الذين عاشوا قبل نهاية القرن الأول الميلادي لا ينقلون شيئًا قط عن العهد الجديد، بل كل ما ينقلونه مأخوذ من العهد القديم، ولسنا نجد إشارة لإنجيلٍ مسيحيٍ قبل عام ١٥٠م إلاَّ في كتابات بيباس Papas (بيباس: أسقف هيرابوليس في أوائل القرن الثاني الميلادي)، الذي كُتب في عام ١٣٥م؛ إذ يقول: إن « يوحنا الأكبر » -وهو شخصية لم يُستطع الاستدلال على صاحبها – قال: إن مرقص ألَّف إنجيله من ذكريات نقلها إليه بطرس.[قراءة في الكتاب المقدس، تأملات في كتب الأناجيل(١٠٥)، د/ صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة]. و[قاموس الكتاب المقدس (١١١٠)].

فلسفة التثليث عند النصارى

(باسـم الإله الواحد بالـذات، المثَّلـث بالصفات)، وهذا هو حاصـلُ تأويلهم لقولهـم: (الأب والابن وروح القدس إلهٌ واحد)، فإنَّهم يقولون: (إنَّ الله سـبحانه ذو ثلاثـة أقانيم،[1] الأبُ، والابنُ، وروحُ القدس، كما أنَّ الإنسـان ذو ثلاثة أقانيم، النفـس، والنطـق، والعقل، وكمـا أنَّ الإنسـان بأقانيمه واحدٌ فكذلك اللهُ سـبحانه بأقانيمه واحدٌ)، وهذا فاسد لوجوه:

أحدها: أنَّ هذا القول منهم إمَّا أن يكون قياسًـا، أو تنظيرًا؛ للتقريب إلى الأفهام. فإن كان قياسًا، فهو فاسد لوجهين:

أحدهمـا: أنَّ القيـاس: إلحـاقُ فـرعٍ بأصلٍ، وهؤلاء عكسـوا القضيـة؛ فألحقوا الأصلَ بالفرع؛ لأنَّ الله سبحانه هو مبدأُ الكل، وعلةُ العلل[2]، وموجدُ الموجودات، ومكوِّنُ الكائنات.

الثـاني: أن شـرط القيـاس العقلي: تسـاوي المقيـس، والمقيس عليـه، بل كونُ المقيـس عليـه أظهر؛ لتحصل فائدةُ التعريف، ونفسُ الإنسـان وعقله لا يسـاوي الله سـبحانه في الظهـور، والشـهرة والجـلاء[3]؛ لأنَّ الذين اتفقوا على وجـود حقيقة الله

---

(١) الأقانيـم: الأصـول.. مفردها: أقنوم، وهي عند النصارى: الآب، الابـن، روح القدس، والرابطة التي تربط بين هـذه الأصول وأقانيمها تسـمى (لوغـوس). انظر: [(إظهار الحق)(٣/ ٧٢١) للشـيخ: رحمـت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي و (دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند) (٤٧٨) د: محمد الأعظمي.]

(٢) في: (ب): وعلة العلل، غير واضحة، ومقابلها في الهامش كتب: ويذكر. قلت: كنت أودُّ لو وقف الطوفي رحمة الله عليـه عند أصول أهل السـنة والجماعة، في اعتقادهم في أسـماء الله وصفاته، وأن يعـدِل عن مثل هذا اللفظ الذي يكثر دورانه على ألسـنة الفلاسـفة وأهل الكلام والشيعة. انظر: [معجم المناهي اللفظية (٤٤٤-٤٤٥) العلامـة الدكتـور: بكر بن عبـد الله أبو زيد، رحمة الله عليه(توفي في شـهر محـرم هذا أثناء كتابة هـذا التحقيق، ١٤٢٩هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ دار العاصمة. الرياض].

(٣) لا يجـوز اسـتعمال شـيء مـن الأقيسـة، التـي تقتضـي المماثلـة والمسـاواة بيـن المقيـس والمقيـس عليـه في الشـؤون الإلـهيـة.. فقيـاس التمثيـل مبنيٌّ علـى وجـود مماثلـة بيـن الفـرع والأصـل، والله ﷻ لا يجـوز أن يمثَّل بشـيء من خلقه.. وإنما يسـتعمل في حقه قيـاس الأَوْلى، ومضمونه: أنَّ كل كمـالٍ ثبت للمخلوق؛ وأمكـن أن يتصـف به الخالق؛ فالخالق أحقُّ بالتنزه عنه. انظر: [شـرح العقيدة الواسـطية، لشـيخ الإسـلام ابن تيمية (٧٣-٧٤) شـرح الشـيخ: محمد خليل هرَّاس، دار الهجرة، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ السعودية) ومنهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (١/ ٣٤٦، ٣٤٧) د: إبراهيم البريكان، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ].

سبحانه وكماله، اختلفوا في حقيقة النفس، والعقل، خلافًا كبيرًا جدًا، فكيف يصحُّ هذا [٣/ ب] القياس؟!.

الوجه الثاني: أنَّ الأقانيم التي تقوّمت بها ذات الله عندهم، هي: جواهر قائمة بأنفسها؛ بدليل ما سنورده عند مجيء روح القدس في جسد حمامة[(١)]، وأقانيمُ الإنسان التي تقوّمت بها ذاتُه ليست كلها جواهر؛ بل النُّطقُ والعقل صفتان، أَمَّا النُّطق فظاهرٌ، وأَمَّا العقلُ فلأنَّ الدليل دلَّ على أنَّه علومٌ ضروريةٌ، يعلم بها الإنسانُ جوازَ الجائز، واستحالةَ المستحيل، والعلمُ من قبيل الصفات.

ولو سلَّمنا أنَّ العقل جوهرٌ كما قال بعضهم؛ لكان في كون النُّطق صفةً وليس بجوهر[(٢)] كفايةٌ في فساد القياس.

الوجه الثالث: أنَّ قولهم: (واحدٌ بالذات، مُثلَّثٌ بالصفات) يقتضي أنَّه سبحانه ذاتٌ قامت بها ثلاثُ صفاتٍ، وهو فاسد لوجهين:

أحدهما: أنَّ ذلك ينافي قولهم (الابنُ، وروح القدس)؛ لأنَّ هذه جواهرُ لا صفات،

---

(١) ونصه: (لـمَّا اعتمد المسيح من يوحنا المعمداني أي: اصطبغ في المعمودية، فلما اعتمد يسوع وصعد من الماء فانفتحت له السموات، ورأى روح الله نازلًا كمثل حمامة، وفي لفظ إنجيل [لوقا]: أشبه جسد حمامة جاء إليه، وإذا صوتٌ من السموات قائلٌ: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت) ورد في: [إنجيل متى: ٣: ١٦-١٧. مرقس: ١: ١٠-١١. لوقا: ٣: ٢١-٢٢. يوحنا: ١: ٣٢-٣٣-٣٤].

(٢) قال الجرجاني في تعريف الجوهر: (ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لا في موضوع، وهو مختصر في خمسة: هيولى، وصورة، وجسم، ونفس، وعقل؛ لأنه إمَّا أن يكون مجردًا أو غير مجرد، فالأول - أي المجرد -: إما أن يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف، أو لا يتعلق، والأول - أي ما يتعلق -: العقل، والثاني - أي ما لا يتعلق -: النفس. والثاني: هو أن يكون غير مجرد، إما أن يكون مركبًا، أولًا.
والأول - أي المركب -: الجسم. والثاني - أي غير المركب -، إما حال، أو محل، فالأول - أي الحال -: الصورة، والثاني - أي الحل -: الهيولى. وتسمى هذه الحقيقة الجوهرية في اصطلاح أهل الله: بالنفس الرحمانية والهيولى الكلية، وما يتعين منها وصار موجودًا من الموجودات: بالكلمات الإلهية، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف:١٠٩]. واعلم أن الجوهر ينقسم إلى: بسيط روحاني، كالعناصر، وإلى مركب في العقل دون الخارج، كالماهيات الجوهرية المركبة من الجنس والفصل، وإلى مركب منهما، كالمولدات الثلاث. [كتاب التعريفات (١٠٨-١٠٩) للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، دون تاريخ الطبع].

فـإنْ كانـوا اصطلحوا فيما بينهم على تسـمية الجواهر صفـاتٍ، أو الصفاتِ جواهرَ؛ فذلـك إيهـامٌ، وتلبيسٌ لا حاجـة بهم إليه، وهو علـى خلاف مصطلح الفلاسـفة[1]، والمتكلمين من الملَّتين، وغيرهم.

الثاني: أنَّ صفات الله سبحانه أكثر من ثلاث، كالعلم، والقدرة، والحياة، والإرادة، والكلام [٤/ أ] وغيرها، من الصفات الذاتية والفعلية، فلم حصروها في ثلاثة؟.

وجميع ما يذكرونه في تقدير انحصارها في ثلاثة أمور شُـبهٌ إقناعيةٌ، واستئناسـية، وشـبهية، ليس فيها برهـانٌ عقليٌ، وكلُّ مـا يوردونه من النظائـر الثلاثية كذلك، فهو معارضٌ بالنظائر الرباعية، كالعناصر الأربعة[2] التي هي مبدأ العالم الكوني وما تفرع منها، ككيفيات الأبدان وأخلاطها، ونحو ذلك، وهو كثير أو بالنظائر الخماسـية وما زاد عليها.

❊ ❊ ❊

---

(١) في: (أ): الفلافسـة!، ومـا أثبتُّـه من: (ب). وانظر: [رسـائل في الأديـان والمذاهـب (١٠) د: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ دار ابن خزيمة، الرياض].

(٢) يعنـي بهـا: الهـواء، والمـاء، والـتراب، والنـار. قـال الجرجـاني في تعريـف العنصـر: (العنصـر: هـو الأصل الـذي تتألـف منـه الأجسـام المختلفـة الطبـاع، وهـو أربعـة: الأرض، والمـاء، والنـار، والهـواء. والعنصـر الثقيـل: مـا كانـت حركتـه إلـى الأسـفل، فـإن كان جميـع حركته إلـى السـفل فثقيـل مطلق، وهـو الأرض، وإلا فبالإضافـة، وهـو المـاء. والعنصـر الخفيـف: مـا كان أكثـر حركاتـه إلـى جهة الفـوق، فـإن كان جميع حركتـه إلـى الفـوق، فخفيـف مطلق، وهـو النـار، وإلا فبالإضافـة، وهـو الهـواء.). [التعريفـات للجرجاني (٢٠٤)].

[المقدمة] الثالثة:

شبهة النصارى في اعتقادهم الباطل في المسيح

إنَّما حمل النصارى على ما اعتقدوه في المسيح أمورٌ ثلاثة:

أحدها: تكوُّنه من غير ذَكَرٍ، ثم ظهرتْ المعجزاتُ على يديه، فقالوا: هذا لا يصدر عن ولد زنا، وكانوا في هذا أعقل من اليهود[1]، ولا نعلم له أبًا ناكحًا من البشر؛ فتعين أنَّه ابن الله؛ إذ هو ابنٌ، ولا ابنٌ إلاَّ له أبٌ.

فكان هذا من قبيل قياس الغائب على الشاهد، والاستقراء غير التام، وهو فاسدٌ؛ إذ تأثير الله سبحانه في [٤/ ب] إيجاد المسيح تأثير علِّية، وقدرة أولية، لا تأثير مباشرة وسببية، كتأثير الآباء المشاهدين في إيجاد أبنائهم، وقد نبههم الله سبحانه على طريق الحق ولكن أنامهم الخذلان؛ حيث جعل إيجاد نوع البشر على أقسام القسمة العقلية، فأوجد آدم إيجادًا صناعيًا، لا من أبٍ، و لا أمٍّ، وقد صرَّح القرآنُ الكريم بقياس عيسى على آدم؛ حيث قال سبحانه: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران:٥٩] وأوجد غالب ذريته من أبوين.

هذان طرفان، والواسطتان:

إحداهما: حواء: اشتقت من جسد آدم ولا أم لها.

والثانية: المسيح، صلوات الله عليه، أوجده من مريم؛ بإحبال روح القدس

---

(١) هذا من إنصاف الطوفي رحمة الله عليه وتجرده، ومقصوده نفي تهم اليهود عن المسيح ﷺ؛ إذ وصفوه بالقبائح، قال الدكتور: أحمد شلبي: (يقول التلمود عن المسيح: إن يسوع النصارى موجود في لجات الجحيم بين القار والنار، وإن أمه مريم أتت به من العسكري، «باندرا» عن طريق الخطيئة، وإن الكنائس النصرانية هي مقام القاذورات، والواعظون فيها أشبه بالكلاب النابحة، وإن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وإن العهد مع المسيحي لا يكون عهدًا صحيحًا يلتزم اليهودي القيام به، وإنه من الواجب أن يلعن اليهوديُّ ثلاث مرات رؤساءَ المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة لبني إسرائيل).[اليهودية (٢٧٥) د: أحمد شلبي،، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة. وانظر: دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية (١٠٠) د: سعود بن عبدالعزيز الخلف، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ أضواء السلف، الرياض.].

لها، بنفخةٍ نفخها في جيب درعها[1]، فحملت بالقدرة الأزلية، لا بالطريق البشرية العادية.

وروح القدس: هو جبريل ملك من ملائكة الله، وخلق من خلقه، لا صفة قائمة بذات الله، ولا ثالث مفهوم ذات الله؛ كما ظنَّه النصارى الضُّلال الجُهَّال.

ولئن جاز أن يُدَّعى في المسيح الإلهية؛ لوجوده من غير بشرٍ ذكرٍ؛ جاز بطريق أولى أن يُدَّعى[2] ذلك في آدم وحواء؛ لأنَّهما أبوا المسيح من قِبل أمِّه، وآدم خلقه الله بيده من غير ذكرٍ ولا أنثى، ونفخ فيه من روحه، بقدرته بغير واسطةِ روح القدس ولا غيره.

الأمر الثاني: ظهور الخوارق على يديه، كإحياء الموتى وإبراء المرضى، ونحو ذلك من الخوارق التي لم يظهر [٥/ أ] مثلها على يد نبيٍ؛ لكن هذا لا يدل على أنَّه إلهٌ؛ وإلاَّ كان جميع الأنبياء آلهةً، أو يستحقون من الإلهية بقدر ما أتوا به من الخوارق، بل أعظم معجز المسيح إحياء الموتى، وقد أحيا (حزقيل)[3] ثمانين ألفًا، وهم: ﴿ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ رُكۡبَانًا . ﴾ [البقرة: من الآية٢٤٣]، وعيسى إنَّما أحيا آحادًا يسيرة. ومعجز موسى أعظم؛ لأنَّ إيجاد الحياة في جمادٍ لا أصل له في الحياة؛ أعظمُ من إيجادها فيمن له أصل في الحياة؛ لأنَّ الأول اختراعٌ، والباقي إعادةٌ، وقد قال الله سبحانه:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ ٱلۡأَرۡضِ . ﴾ [الروم: من

---

(١) أخطأ الطوفي رحمه الله في مخالفته الأولى؛ ونص القرآن أولى: ﴿وَمَرۡيَمَ ٱبۡنَتَ عِمۡرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتۡ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتۡ مِنَ ٱلۡقَٰنِتِينَ ﴾ [التحريم:١٢].

(٢) في: (ب): كتبت: أيدعي. والصواب من(أ).

(٣) نقل ابن كثير عن ابن جرير قوله: ثم من بعده كان القائم بأمور بني إسرائيل حزقيل بن بوذى وهو الذي دعا الله فأحيا الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت. ومعنى اسمه: اسم عبري معناه «الله يقوي». وهو أحد أبناء الأنبياء الكبار، ابن بوزي، ومن عشيرة كهنوتية ولد وكبر ونشأ في فلسطين،. [البداية والنهاية (١/ ٤٧٢). قاموس الكتاب المقدس(٣٠١-٣٠٥)]. قلت: قوله: (وقد أحيا (حزقيل) ثمانين ألفًا)وهذه غير مقبول عقلًا، وهذا العدد مضطرب كما سيأتي بعد قليل.

الآيـة٢٧]، وأيضا عيسى كان يُحيي ميتًا ثم يموتُ، أو يصحبُه حتى يموت، وموسى قُلِبَتْ له العصا حيةً مرارًا كثيرةً، وهذا لا شكَّ أعظمُ؛ فإذًا موسى أولى بأن يتأله.

دور اليهود في تحريف النصرانية

الأمـر الثالـث: ما ورد في أناجيلهم من كلام عيسى [عليه السلام][1] على زعمهم من قوله: «الأب، والابن، وأبي، ويا أبه، وإنَّ [٥/ ب] أبي وآباءك »، ونحو هذا.

والجواب عنه من وجهين:

أحدهمـا: منعُ كونِ هـذا كلِّه مـن كلام المسيح؛ وإنما هـذا شيءٌ دُلِّس على النصارى، وهم قومٌ جُهَّالٌ ينطلي عليهم المحال، والسبب في[2] ذلك ما ذكره بعض علمائنا في كتاب (الفِرق) له:

ظهرت خوارق كثيرة على أيدي الأنبياء وبعضها أعظم من معجزات المسيح.

«أنَّ اليهـود لمـا[3] فعلوا بالمسيح ما فعلوا ألزمهـم اللهُ الذُّلَّ والصَّغـارَ، وأظهر عليهم الرومَ في نصرةِ دين المسيح، فكانت اليهود ثبتت لمحاربتهم في أول الأمر، حتى أوهنهم النصارى، وأيست اليهود من النصرة عليهم؛ فقالوا: نحن مع هؤلاء مقهـورون، وغرضُنا أذاهم، وقد تعـذر علينا ظاهرًا، فلنجتهدنَّ فيـه باطنًا بالتفريق بينهم، ثم دسّـوا لهم رجلًا منهم داهيةً[4]، كان من أشـدهم [نكاية][5] في النصارى مشـهورًا بذلك، فجاء إليهم بهيئة الذُّلِّ والصَّغار، والاستغفار والاعتذار، فقال: قد علمتم مكاني من عدوِّكم، وأنا الآن منكم أشـدُّ ما كنتُ من عدوكم، وسـببُ ذلك؛ أنِّـي رأيتُ المسيحَ وهو يزجرُني، ويلومنـي على تخلفي عن دينـه. فقبلوه على نوع

---

(١) ليست في: (أ)

(٢) في: (ب): على.

(٣) ليست واضحة في: (ب).

(٤) هو (شـاؤول) أو (بولس)، وقد مرت معنا ترجمته في الدراسـة، وهو الذي بدل دين النصرانية وحرفه. و انظر: [سـفر أعمال الرسل ٢٣: ٦. المسيحية بين التوحيد والتثليث (١٢٠)، والمسيحية (٨٢ و ٩٨) د: أحمد شلبي وحاشية إظهار الحق (١ / ٢٢٤-٢٢٥.)) للشيخ: رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي، طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض، الطبع الرابعة، ١٤٢٤هـ وقاموس الكتاب المقدس (١٩٦).].

(٥) في (أ): مكانـة، وفي (ب): تميـل إلـى ما أثبتناه؛ مما يدل عليه السـياق، من كونه جاء ذليلاً معتـذرًا.. الخ. والله أعلم.

تهمة، ثم أخذ في التعبد على دين المسيح حتى فاق عُبَّاد الملة، فصار مقدمًا فيها، مسموعَ القول، فلما علم تمكنه في قلوبهم كتبَ بالإنجيل ثلاث[1] نسخ مختلفة متباينة، ثم قال لهم: المسيح سيأتيني في ليلة كذا في وقت كذا، وإنّي سأقرِّبُ نفسي له، وستجدوني في المذبح مذبوحًا، والإنجيل على صدري فاحتفظوا به، ففيه هداكم. فقالوا: نعم. ثم إنَّهم وجدوه في ذلك الوقت مذبوحًا، والإنجيل على صدره مختلف[٦/ أ] النسخ، فأخذوها وتوازعوها، فكلُّ فرقةٍ قالت: إنجيلُنا هو الحقُّ، فتفرقوا واختلفت [أهواؤهم][2]، وتمَّت حيلةُ اليهود عليهم، وصاروا يخبطون في الضَّلال إلى الآن، وحتى الساعة»[3].

وقال (وهب[4] بن منبه): (إنَّ عيسى لمَّا رُفِعَ تحيَّرت بنو إسرائيل، ثم أجمع رأيُهم على أن يجتمع أشرافهم في مجلسٍ واحد؛ ثم ينظرون فيجمعون على أمر يكونون[5] عليه، لا يختلفون فيه، فاجتمعوا فقال إبليس لاثنين من جنده: «اليوم أدركُ بغيتي من بني إسرائيل؛ إنْ أدركتُها يومًا ما»، ثم جاء بهما، فأجلسهما في ناحيتي الجمع، وجلس [٦/ ب] هو في ناحية، فلما اجتمعوا أخذوا في البكاء؛ لفقد المسيح؛ وخشية الفرقة والاختلاف، فقام أحد الشياطين[6]، فقال: «أيها الناس، حافظوا على

---

(١) في كلا النسختين (أ) و (ب): (ثلاثة) والصواب ما أثبتُّه.

(٢) في النسختين (أهوائهم) والصواب ما أثبتُّه.

(٣) انظر: [تحريف رسالة المسيح ﷺ عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، (٧٣-٨٨)، بسمة أحمد جستنيّه، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ. دار القلم دمشق].

(٤) وهب بن منبه بن كامل الصنعاني وكان مولده في زمن عثمان سنة (٣٤)، من الطبقة الثالثة من التابعين، وثقه ابن حجر، وقال عنه الذهبي صدوق، وكان يتكلم في القدر إلا أنه ندم على ذلك، روى له البخاري- مسلم- أبو داود- الترمذي- النسائي- ابن ماجه في التفسير، وقال مثنى بن الصباح: لبث وهب عشرين سنة لم يجعل بين العشاء والصبح وضوءا. ومن درر كلامه. توفي وهب سنة أربع عشرة ومائة. [سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤) ميزان الاعتدال (٧/ ١٤٨) لسان الميزان (٧/ ٤٣٢)].

(٥) في (أ): يكونوا، وما أثبتُّه من: (ب).

(٦) متى كان الشيطان واعظًا؟! وهذه القصة لا زمام لها ولا خطام، وهي من رواية وهب بلا سند مقبول.

أنفسكم، واحمدوا الله ربكم؛ إذ تولى أمركم بنفسه فنزل [نبيًا بينكم][١] مدة، ثم عرج إلى سماواته »[٢]

تحريفُ النصارى كلامَ الله أوقعهم في الضلال

ثم قام الآخر، فقال: «لقد أحسنت أيها المتكلم، غير أنَّك زعمت أنَّ المسيح هو الله، وأنَّ الله لا ينزل من مكانه، ولكن المسيح ابنُه، بعثه حتى دبَّر أمرَ الأرض مدةً، ثم رفعه إليه».

ثم قام إبليس، فقال: «لقد أحسنتما أيها المتكلمان، غير أنَّ الله لا ينزل، ولا له ولدٌ، ولكنَّ الله إلهُ أهلِ السماء، والمسيح إلهُ مَن في الأرض ».

ثم انفضَّ الجمع على خلافٍ وفرقةٍ، وفشا ذلك، وتفرَّعت عليه تفاريعُ، وذُيِّل عليه تذاييلُ، وكان ذلك بعد أن رفع عيسى بثمانين سنة فيما نقل)[٣]. نعم حُكي عن (الحسن البصري)[٤] أنَّه قال:

« تعلموا العربية فإنَّ النَّصارى ضلَّت بترك تشديدةٍ واحدةٍ، رأوا في الإنجيل: (يا عيسى أنت نبيي وأنا ولّدتّك)؛ أي أخرجتك مولودًا، فخفَّفوا اللاَّم، ونسبوا الولادةَ

---

(١) عبارة مشكلة في الأصل، ولعل المثبت هو الأصح.

(٢) في تاريخ دمشق وردت العبارة هكذا: (فقال إن الله قد أكرمكم واختاركم على خلقه بأن نزل من السماء فكان بين أظهركم ما شاء أن يكون ثم عاد إلى سماواته فاشكروه بما صنع إليكم).

(٣) جاءت بلفظٍ قريبٍ من هذا في: [تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها (٤٧/ ٣٥٧-٣٥٨) للإمام العالم الحافظ: أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ٤٩٩هـ - ٥٧١ه، دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ ه، ١٩٩٥ م].

(٤) الحسن بن يسار البصري، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرًا ويدلّس، قال البزار: كان يروي عن جماعة لم يسمع منهم فيتجوز ويقول: حدثنا وخَطبنا، يعني قومَه الذين حُدِّثوا وخُطبوا بالبصرة، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر. وأمة خيرة مولاة لأم سلمة كانت تخدمها، وربما أرسلتها في الحاجة فتشتغل عن ولدها الحسن وهو رضيع فتشاغله أم سلمة بثديها فيدران عليه فيرضع منهما، فكانوا يرون أن تلك الحكمة والعلوم التي أوتيها الحسن من بركة تلك الرضاعة من الثدي المنسوب إلى رسول الله ﷺ، ثم كان وهو صغير تخرجه أمه إلى الصحابة فيدعون له وكان في جملة من يدعو له عمر بن الخطاب قال: اللهم فقهه في الدين وحببه إلى الناس، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين. [سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣). تقريب التهذيب رقم الترجمة: ١٢٢٧ الطبعة الثالثة ١٤١١هـ دار الرشيد. حلب. سوريا].

إلى الله »[1]. وهذا يدلُّ من كلام الحسن على أنه لم يكن فيما جاء به عيسى مما يذكر فيه التوليدُ إلاَّ هذه اللَّفظةُ، وما سواها مختلقٌ.

الثاني: بتقدير أنَّ ما في هذه الأناجيل من كلام المسيح؛ إلاَّ أنَّه محمولٌ على مجازٍ ظاهرٍ شائع[2]، وحمله على المجاز، أولى من حمله على المحال، وتقرير ذلك أنَّ قوله: (الأب، والابن) بمعنى قولنا: الرَّب والعبد، وسيأتي تصريحه في الإنجيل بأنَّ الله سبحانه إلهه.

و لفظ النبوة في الأناجيل لايرد إلاّ مع قرينة تدل على أن المراد به المجاز

ووجهة التجوز أنَّ بين الرب والأب قدرًا مشتركًا، وهو رحمة الرب عبدَه، والأبِ ولدَه، وبين الابن والعبد قدرًا مشتركًا؛ وهو إعظام العبد سيده، [والابن] [3] والده، خصوصًا والمسيح صلوات الله عليه لم يكن له أبٌ من البشر، فتولى الله من تربيته والقيام بأمره ما يتولى الأبُ من ولده، فتأكد وجود [٧/ أ] العلاقة المجوزة. ومن حِكم المجاز: اقترانُ قرينةٍ به تدل عليه، وتمنع حمله على الحقيقة.

قال بعض فضلائنا: وليس في الإنجيل ذكر الأُبوة والبُنوة، بين الله سبحانه وعيسى إلاَّ ومعه قرينة تدلُّ على أن المراد المجاز. وسأستقريه إن شاء الله[٧/ ب]

---

(١) في (سفر المزامير): (إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك). قال ابن منظور: (حكى أبو عمرو عن ثعلب قال: ومما حرفته النصارى أن في الإنجيل يقول الله تعالى مخاطبًا لعيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام أنت نَبِيِّي وأنا وَلَدْتُك أيْ: ربَّيْتُك، فقال النَّصارَى: أَنْتَ بُنَيِّي وأنا وَلَدْتك وخَفَّفوه وجعلوا له ولدًا -سبحانه وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا-). وقال القرطبي: (.. كما هو مكتوب أيضا في المزمور الثاني: أنت ابني أنا اليوم ولدتك الخ) [سفر المزامير (٢: ٧). لسان العرب (٣-٤٧٠) والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٤٥٥-٤٥٦) طبع دار العاصمة بالرياض، ١٤١٤هـ بتحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان (رسالة دكتوراه للثلاثة). الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام(٤٧١-٤٧٢) الإمام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله. تحقيق: د. أحمد حجازي السقا. ١٣٩٨هـ دار التراث العربي - القاهرة].

(٢) في (ب): سائغ.

(٣) في (أ): (ابن لا والده) والصواب من (ب).

سبحانه موضعًا موضعًا، من فصلٍ فصلٍ، من الأناجيل الأربعة، مع ذكري كل ما فيها مما يقدح في مذهب النَّصارى.

وأَمَّا بيان استحالة نسبة البنوة لعيسى إلى الله؛ فلأنَّا نقول:

لا يخلو أن يريدوا بالأبوة، والبنوة ما سبق، من تركُّب الذات من ثلاثةِ أقانيم، الأب، والابن، وروح القدس، كما أنَّ ذات الإنسان متقومةٌ بالنفس، والعقل، والنُّطق، أو أنه متوحدُ الذات، متعددُ الصفات، أو الأبوة والبنوة الحقيقية المتعارفة بيننا، أو أنَّ الله سبحانه خلق عيسى بقدرته، وسموهما[1] أبًا وابنًا، والأول قد سبق الكلام عليه في المقدمة الثانية، والثاني مجمعٌ على بطلانه عندنا وعندهم، والثالث هو ما ندعيه من المجاز، والله أعلم.

❊ ❊ ❊

---

(١) كتبت في (ب): وسموها.

[استقراء الأناجيل الأربعة](١)

أولًا: إنجيل متى

وهذا حين الشروع(٢) في استقراء ما أردنا استقراءه من الأناجيل، فمنها إنجيل (متّى)(٣) الذي كان يسمى: لاوي، وهو من سبط إيشاخر، من مدينة الناصرة(٤)، واسم أبيه: دوقو، واسم أمه: كاروثياس، وكتب بداية(٥) هذا الإنجيل بـ(فلسطين)(٦)، وكمله في الهند عبرانيًا في السنة الأولى من ملك (أقلوديوس)، وهي التاسعة من صعود المسيح صلوات الله

(١) هذا العنوان من وضعي لترتيب الكتاب وهي أصلاً مستفادة من كلام الطوفي رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) في (أ): (الشرع): (شَرَعْتُ) في الأمر (أَشْرَعُ)، (شُرُوعًا) أخذت فيه. [المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي (١/ ٣١٠) الإمام: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت].

(٣) متى: من الاسم العبري: (متيا) الذي معناه (عطية يهوه) - بزعمهم- وهو أحد الاثني عشر رسولاً، وكاتب الإنجيل المنسوب إليه، وسمي ايضًا لاوي ابن حلفى، وكان في الأصل جابيًا في كفر ناحوم، ودعي من موضع وظيفته. وكانت وظيفة الجباية محتقرة بين اليهود إلاَّ أنها أفادت متى خبرة بمعرفته الاشغال. ولم يذكر شيء من أتعابه في العهد الجديد إلاَّ أنه كان من جملة الذين اجتمعوا في العلية بعد صعود المسيح، وزعم يوسيبيوس أنه بشر اليهود. [قاموس الكتاب المقدس(٨٣٢)]. هناك عدة أدلة تدل على عدم صحة نسبة هذا الإنجيل إلى متى الحواري منها: أن النصارى لم ينقلوه بالسند. وأن كاتب هذا الإنجيل اعتمد كثيرًا على إنجيل مرقص كما قرر ذلك الكُتّاب و الباحثون من النصارى و غيرهم، و مرقص في كلام النصارى تلميذٌ لبطرس، فهل من المعقول أن يعتمد أحد كبار الحواريين على تلميذ من تلاميذهم في الأمور التي هم شاهدوها و عاينوها وعايشوا أحداثها؟!. [انظر: دراسات في الأديان (١٥٣) قراءة في الكتاب المقدس، تأملات في كتب الأناجيل (١٣)].

(٤) الناصرة: اسم عبري ربما كان معناه: (القضيب) أو (الحارسة) أو (المحروسة) أو (المحبوسة). وهي مدينة في الجليل، أي في الجزء الشمالي من فلسطين. وهي تقوم على جبل مرتفع ويرى منها جبل الشيخ والكرمل وطابور ومرج ابن عامر، وفيها نشأ المسيح وترعرع وصرف القسم الأكبر من الثلاثين السنة الأولى من حياته، ولذلك لقب (يسوع الناصري)، نسبة إليها وذلك أيضا لقب تلاميذه(بالناصرين). وتشتهر الناصرة بأنها اكبر مدن منطقة الجليل، وفيها عدد كبير من الأديرة والكنائس. سقطت تحت الاحتلال الصهيوني عام ١٣٦٧هـ-١٩٤٨م، سكانها حوالي ١١٠ آلاف نسمة تقريبًا. [قاموس الكتاب المقدس (٩٤٦). موسوعة (١٠٠٠) مدينة إسلامية (٤٩٢) عبد الحكيم العفيفي. ط١، ١٤٢١هـ أوراق شرقية، بيروت]. قال ابن كثير: ﴿قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: من الآية٥٢] وكان ذلك في قرية يقال لها: الناصرة فسموا بذلك: النصارى. [البداية والنهاية (٢/ ٨٥)].

(٥) في (أ): بذاته، والصواب من (ب).

(٦) وتسمى في القديم أرض كنعان، وسيأتي.

عليه، ومات (متّى) شهيدًا رجمًا بمدينة (بصرى)[1] ودفن في (أرطاجنة قيسارية)[2].

نقلت هذا من مقدمة إنجيله من نسخةٍ صحيحةٍ[3].

فمـن ذلـك: ما ذكـر فيه من مولد المسيح: **(أنَّ يوسـفَ بـنَ داود الصديق، همَّ بخِطبـة مريم، فوجدهـا حاملا[4] من روح القدس؛ فهمَّ بتـرك خِطبتها، فظهر له مَلَكُ الـرَّبِّ وقـال: يا يوسـف، لا تخفْ أن تأخـذ خطيبتك؛ فـإنَّ الذي تلدُه هـو من روح القدس، وسـتلد ابنًا ويدعى اسمه يسـوع، وهو مخلصُ شعبه من خطاياهم، ثم قال: هـذا كلُّـه كان لكي يتم مـا قيل من الرب بالنبـي القائل: هو ذا العـذراءُ تلد ابنًا يدعى اسمه: عمانويل الذي تفسيره: الله معنا)**[5].

قلتُ: ضلَّت النصارى من هذا الكلام بموضعين، أحدهما:

قوله: **(وهو مخلِّصُ شعبِه [٨/ ب]من خطاياهم)**[6].

وقولـه: في آخـر الفصـل السـابع والثلاثين: **(لـم يـأت ابن الإنسـان إلا ليطلب**

---

(١) بصرى: موضع بالشـام من أعمال دمشـق، وهي قصبة كورة حوران مشـهورة عند العرب قديمًا وحديثًا، ولما سار خالد بن الوليد من العراق؛ لمدد أهل الشام قدم على المسلمين، وهم نزول ببصرى، فضايقوا أهلها حتى صالحوهم، على أن يؤدوا عن كل حالم دينارًا وجريب حنطة، وافتتح المسلمون جميع أرض حوران، وغلبوا عليها وقتئذ وذلك في سنة ٣١ هـ[معجم البلدان (١/ ٤٤١)].

(٢) قيسارية بالفتح: بلد على ساحل بحر الشام تعد في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام وكانت قديما من أعيان أمهات المدن واسـعة الرقعة طيبة البقعة كثيرة الخير والأهل وأما الآن فليسـت كذلك وهي بالقرى أشبه منهـا بالمـدن. [معجم البلدان (٤/ ٤٢١)، ياقوت بن عبد الله الحموي. دار الفكر - بيروت. موسـوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية (٣٧٧)].

(٣) قلت: تاريخ تدوين الأناجيل غير مضبوط، وإنما هو تقريبي، و إنجيل متى مشكوك في تاريخ تدوينه وفي شخصية كاتبه، مشـكوك في لغة تدوينه، مشـكوك في مترجمه و النسـخة الأصلية مفقودة و لادليل على و جودها، وقول الطوفي: (نقلت هذا من مقدمة إنجيله من نسخةٍ صحيحةٍ) أي: صحيحة في نظرهم هم. والله تعالى أعلم.

(٤) يقال امرأةٌ حامل وحاملة. فمن قال حامل قال: هذا نعت لا يكون إلا للإناث. ومن قال: حاملة، بناه على حَمَلَتْ، فهـي حاملـة. قال: تَمَخَّضَتِ المَنونُ له بيومٍ *** أنَى ولكلِّ حامِلةٍ تِمامُ. [معجم مقاييس اللغة (٢/ ٢٠٦) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م].

(٥) إنجيل متى: ١: ١٨-٢٢.

(٦) إنجيل متى: ١: ١٨-٢٢.

ويخلص من كان ضالا)[١].

وقوله: آخر الفصل الثالث والأربعين: (**ابنُ الإنسان لم يأت ليُخْدَم بل ليخدُم، ويبذلَ نفسه عن كثير)**[٢].

عقيدة التجسد عند النصارى وأصل ابتداعها

فاعتقدوا [٨/ أ] لسخافة عقولهم أنَّ الباري سبحانه لما أراد أن يتدارك آدم وذريته من أيدي الشياطين؛ بعدما أهلكوهم بالإغراء بمعصيته، الموجبة لعقوبته، تولى ذلك بنفسِه، فجَسَّد كلمتَه في بطن مريم، ثم ظهر ناسوتًا في لاهوت، فافتدى عصاةَ بني آدم من النار؛ بأنْ جاد بنفسه حتى صُلب، ثم عاد فدخل النار، فأخرج منها عصاة بني آدم.

طعن مصنفي النصارى في الإسلام ونبوة النبي ﷺ يوجب الرد عليهم

واعلم أنَّ هذه خرافات[٣] عظيمة القبح!، تَجِلُّ[٤] عقولُ العقلاء عن قطع الأوقات في حكايتها، والإجابة عنها، وإنَّما فعلنا ذلك على جهة الترَوُّح بها؛ ليسخرَ منهم من لا يعرف مقالتهم!. وأيضًا فإنَّ الأمرَ أفضى بهم إلى أن صنَّفوا كتبًا، يطعنون بها في دين الإسلام، ويقدحون بها في نبوة محمد ﷺ، يُخشى منها على ضعفى[٥] المسلمين، فأردنا أن نُبيِّن فسادَ رأيهم ليجتنبه من يُدعى إليه، وفساد عقولهم؛ لئلا يغترَّ بها من يسمع قدحَهم في الدين، ولا يعول عليه، ولعمري إنَّهم في طعنهم في دين الإسلام لكما قيل في المثل: «**لقد تحكَّكتْ العقربُ بالأفعى، واستنَّت الفِصالُ حتى القَرعى**»[٦]. وفي هذا الكلام نقدٌ، واعتراضٌ، وتناقضٌ:

أَمَّا النقدُ، فيقال له: ما تعنون بقوله: وهو مخلص شعبه؟، إن أردتم عالِمَ عصره،

---

(١) إنجيل متى: ١٨: ١١-١٢.

(٢) إنجيل متى: ٢٠: ٢٨.

(٣) الخُرافةُ: الحديثُ المُسْتَملَحُ من الكذِبِ. [لسان العرب (٩/ ٦٢)].

(٤) في: (أ): يجل، والمثبت من (ب).

(٥) في كلا النسختين: (أ) و(ب) (ضعيفي)، ولعل الصواب: ضعفاء أوضَعْفَى، والله تعالى أعلم.
قال في القاموس المحيط: (ضِعافٌ وضُعَفاءُ وضَعَفَةٌ وضَعْفَى وضَعافَى) [القاموس المجيط (١/ ١٠٧٢)].

(٦) قالوا: تحككت العقرب بالأفعى يضرب لمن ينازع أو يخاصم من هو أكثر منه شرًا. يقال: تحكك به، إذا تعرض لشره. [حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٧)، الشيخ كمال الدين الدميري، دار الفكر، بيروت].

فهو تخصيصٌ ينافي قولكم: إنه نـزل ليُخلِّص ذريةَ آدم من مكر الشياطين.

وإن أردتم بشـعبه جنسَـه من ذوي الناسوت، وهم بنو آدم فهو قريبٌ؛ لكن عليه الاعتراض المذكور.

وتقريره: أنَّا وإياكم متفقون على أنَّ الباري سـبحانه قادرٌ كاملُ القدرة، وبقدرته احتججتـم علـى جواز كونه ذاتًـا لها ثلاثة أقانيـم؛ كالزُّبرة[1] المحمَّـاة ذات الحديد والنار والشـرر، والشـمس ذات الجـرم، والنـور الفائض والشـعاع، ونحو ذلك من أمثلتكم القبيحة اللعينة.

وإذا كان قادرًا مختارًا فأيُّ حاجةٍ به إلى أن يتجسَّـد، ثم يجود بنفسـه ويسـلمها للصلـب؛ ليفتـدي بني آدم من النار، هذا شـأنُ العاجزيـن [٩/ ب] لا القادرين، وإن كان فَعَل هذا مع قدرته فهو طعنٌ في حكمته؛ إذ ذلك عبثٌ مع إمكان الاسـتغناء عنه، وما هذا إلا بمثابة المثل السـخيف السـائر (اخرْ وطمَّه، حتـى يصير لك عملين)[2]، وسخافة رأيكم توجب لخصمكم مقابلته بسخافةٍ من جنسه.

تناقض الأناجيل

وأمّا التناقض؛ فإنَّ أصحاب الأناجيل كلهم ذكروا أن المسـيح لما أحسَّ بالقتل حَـزِنَ واكتئب، وجعل يصلـي، ويقول: (**يا أبي، إن كان يسـتطاع فليغير عني هذا الـكأس [٩/ أ] وليس كإرادتي ولكن كإرادتك**)[3]، فكيف يجود بنفسـه ثم يبخل بها عند الحاجة؟!، وهذا التناقضُ واردٌ؛ سواءً قلتم إن المسيح هو الله، أو ابنُ الله.

وإذا نظـر الناظرُ بعقلٍ صحيحٍ لم يحتج إلى هذه الخرافات، بل هذا الرَّجُل كان آيةً من آيات الله، وعبدًا من عباده، ورسولًا كريمًا إلى خلقه، دعا الناسَ إلى طاعة ربِّه، فخلَّص منهم من الضلالة من سـبقت له السـعادة، وكذلك كلُّ واحدٍ من الرسل كان

---

(١) الزُّبـرةُ بالضـم القطعة من الحديد والجمع زُبَرٌ قال الله تعالى: ﴿آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ (الكهف: من الآية٩٦). [مختار الصحاح (٢٨٠) مادة: (ز ب ر)].

(٢) مشـكلٌ علـيّ هذا اللفظ والمعنى، وهكذا هو في النسـختين، ولـم أجده في كتب الأدب و اللغـة والأمثال التي اطلعت عليها، والله تعالى أعلم بالصواب.

(٣) إنجيل متى ٢٦: ٣٩، وانظر إنجيل لوقا ٢٢: ٤٢.

سببًا لخلاص من أطاعه، فهذا كلامٌ لا غبرة عليه عند أحدٍ من العقلاء، ولا يَرِد عليه ما ورد على خرافات هؤلاء الجُهّال الضُّلاَّل، من التناقض والمحال.

الموضع الثاني: قوله: الله معنا. فإنَّهم حملوه على حقيقته، وعدلوا عن المجاز المُزيل للإشكال، مع أنهم إذا أُورِد عليهم شيءٌ من حقائق التوراة والإنجيل، المفسد لرأيهم لجأوا إلى دعوى المجاز، وهذا تكلفٌ، احملوا هذا على مجازه الواضح، واستريحوا من دعوى المجاز البعيد في غيره.

اعتقاد السلف في المعية

ووجه المجاز: أن المسيح، صلوات الله عليه، لـمَّا كان آيةً من آيات الله، ورسولًا من رسله، أظهر معجزاته، وبلَّغ رسالاته، وأمر بأمر الله، ونهى بنهيه، صحَّ أن يقال: إن الله معكم؛ بمعنى رسوله، وحكمه، وأمره ونهيه معكم؛ لأنَّ إطلاقَ المجاز يكفي فيه أدنى علاقةٍ واضحةٍ، فكيف بهذه العلاقات الكثيرة الهائلة؟!؛ ولكن هؤلاء لجهلهم، وكثرة العلائق، اشتبه عليهم المجاز بالحقائق؛ فلله درُّ العرب، ما كان أصفى أذهانهم، وأكمل عقولهم.

انظر إلى أبي بكر الصِّديق[1]، لـمَّا قال له رسول الله ﷺ [١٠/ب]: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: من الآية٤٠] كيف حملها على مجازها مبادرًا، وعلم أن المراد كونه سبحانه لهم معينًا وناصرًا.

وكذلك الصحابة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: من الآية٤] أي بعلمه، أو بذاته على وجه لا يلزم منه مُحال. والنبيُّ القائلُ المشارُ إليه في هذا الفصل أظنُّه (أشعياء)؛ لأنه الذي كان قبل المسيح وبشَّر به، وقد صرَّح به في مواضع من الإنجيل، والله أعلم.

ومن ذلك في الفصل الثاني: (أن ملك الرب تراءى ليوسف في المنام قائلًا: اهرب

---

(١) في هذا دلالة على تبرئة الطوفي من تهمة التشيع؛ إذ الشيعة الرافضة لا ينعتون أبا بكر ﷺ بالصدِّيق؛ بل يكفرونه ويتهمونه بالظلم لفاطمة رضي الله عنها، وهذا مشهور عنهم، ولو كان الطوفي منهم لانتهج منهجهم.

بالصبي وأمِّه إلى مصر؛ لئلاً يهلكه هيرودس[١]؛ فهرب به لكي يتمَّ ما قيل من قبل الرب للنبيِّ القائل: من مصر دعوت ابني)[٢].

قلت: وهذا عليه إشكالان:

أحدهما: أنَّ المسيح إمَّا أنْ يقال هو اللهُ، أو ابنُ الله، أو أنهما واحدٌ كما زعموا فيهما، وفي روح القدس، فإن كان هو الله، أو هما واحد؛ فأرى إلهَ النصارى بعد أن كان مطلقَ العنان، في أمانٍ [١٠/ أ] من الحرمان،[٣] حبس نفسَه في ناسوت، يحتاجُ معه إلى الفرار من الأشرار، ولم يُعهد مثل هذا الفعال؛ إلاَّ من المجانين والجُهَّال! لا من الإله المتعال، بالعظمة والجلال، سبحانه عن هذا المقال.

وإن كان هو ابنَ الله ففعلُه ذلك كفعله إياه بنفسه، لا فرق بينهما، وقد بينّا أن لا غرض في ذلك صحيحٌ، ولا فائدة مرغوبٌ فيها، غير السَّفَه والعبث، والعقول المنبئة عن الخُبث والخَبَث[٤]؛ إذ كلُّ ما حصل من الفوائد بإيجاده بالإنسان وصلبِه، وغير

---

(١) هيردوس: اسم عدد من حكام وملوك فلسطين، أو بعض أجزائها أو بعض المناطق القريبة منها. وفي العهد الجديد ذكر أربعة بهذا الاسم وكان ذلك أثناء الحكم الروماني على فلسطين. منهم: هيرودس الكبير. وهو الابن الثاني لانتيباس، الادومي الأصل. وكانت أمه ادومية أيضًا لذلك لم يكن يهوديًا من ناحية الجنس مع أن الادوميين كانوا قد رضخوا للمذهب اليهودي بالقوة منذ سنة ١٢٥ ق. م. وكان قيصر قد عين انتيباتر حاكمًا على اليهودية سنة ٤٧ ق. م. ولد يسوع (عيسى ﷺ) في أواخر أيامه، بعد أن كانت نقمة الشعب عليه، وخوفه من منافسة أعدائه، قد بلغت أشدها. ولذلك أسرع الأمر بقتل جميع الأطفال في بيت لحم، حتى لا ينجو ابن داود، ولا يملك على اليهود ويتربع على عرشه، ولكن الوقت لم يمهله كثيرًا. إذ مرض مرضًا خطيرًا، وسافر إلى شرقي الأردن للاستشفاء بحماماتها، ثم عاد إلى أريحا أسوأ مما كان عليه قبلًا. وهناك مات، وهو في السبعين من عمره، بعد ملك أربعًا وثلاثين سنة، وكأنه لم يشأ أن يودع الحياة على عكس ما كان في حياته. فأمر بقتل وجهاء القدس ساعة موته، حتى يعم الحزن المدينة ولا يجد أحد السكان فراغًا ليبتهج بموت ملكه المكروه. [قاموس الكتاب المقدس (١٠٠٨-١٠١١)].

(٢) إنجيل متى: ٢: ١٣-١٤-١٥.

(٣) لعلها: الحد، وتبقى الكلمة محتملةً، في كلا النسختين.

(٤) الخَبِيثُ: ضِدُّ الطَّيِّبِ من الرِّزْق والولدِ والناسِ، والخَبَثُ: النجس. [راجع: لسان العرب (١٤١) مادة: (خ ب ث) مختار الصحاح (١٩٦).].

ذلك من العظائم كان قادرًا أن يخلصه[1] بدونه.

الإشـكال الثاني: قوله: «من مصر دعوت ابني»، وهو أنه قد كان يمكنه أن يجعل مولـده بمصـر، أو يجعل ذهابه إليها على غير هذا الوجـه، ثم يدعوه منها، وعلى هذا الإشـكال إشـكالٌ. وأمَّـا القرينةُ الدالـةُ على أن المـراد هنا بالابن: العبدُ، فقد سـبق تقريرهـا، وهو أنَّـه ليس مولـودًا لله الولادة العرفية البشـرية، ولا هو جـزءًا من ذات الله الآن؛ بانفصالـه عنهـا في العِيـان، ولا صفة لذاتـه؛ لأنَّه جوهرٌ منفصـلٌ، فتعيَّن أنَّ المراد[١١/ ب] العبوديةُ بلفظ البُنوة بالدليل السابق.

ومن ذلك في الإصحاح الثالث: (لـمَّا اعتمد المسيح من يوحنا المعمداني[2] أي: اصطبغ في المعمودية[3]، فلما اعتمد يسـوع وصعد من الماء فانفتحت له السـموات،

---

(١) في: ب: يحصله، وما أثبتُّه من (أ).

(٢) يوحنـا المعمـدان: وهـو (يحيـى عليه السلام) مهـيء طريق المسـيح، وابـن زكريا الشـيخ (زكريـا عليه السلام) وزوجته (اليصابـات) وكلاهمـا من نسـل هارون. ويسـتدل من لوقا أن ولادته كانت قبل ولادة المسـيح بسـتة أشـهر. وكان أبواه يسـكنان اليهودية، ولد يوحنا سـنة ٥ ق. م. وحسـب يوحنا أن المسـيح شـهد فيه أعظم شـهادة إذ قـال: «لم يقم بين المولدين من النسـاء أعظم من يوحنا المعمـدان».. قتل بأمر هيرودس، قال تعالى: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧) هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾ [آل عمـران ٣٧-٤١] قـال أبوعبيدة القاسـم بن سـلام: حدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال: قدم بختنصر دمشق فإذا هو بدم يحيى بن زكريا يغلي فسأل عنه فأخبروه فقتل على دمه سبعين ألفا فسكن وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب وهو يقتضي أنه قتل بدمشق وأن قصة بختنصر كانت بعد المسيح كما قاله عطاء والحسـن البصري فالله أعلم وروى الحافظ ابن عسـاكر من طريق الوليد بن مسـلم عن زيد بن واقد قال: رأيـت رأس يحيى بن زكريا حين أرادوا بناء مسـجد دمشـق أخرج مـن تحت ركن مـن أركان القبلة الذي يلي المحراب مما يلي الشـرق فكانت البشـرة والشـعر على حاله لم يتغير وفي رواية: كأنما قتل السـاعة. وذكر في بناء مسـجد دمشـق أنه جعل تحت العمود المعروف بعمود السكاسـكة فالله أعلم..[قاموس الكتاب المقدس (١١٠٦-١١٠٨) قصص الأنبياء لابن كثير (٤٧٧-٤٨٩)].

(٣) طقس الغسل بالماء (بزعم النصارى) رمزٌ للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما. وقد عرف اليهود هذه العادة =

ورأى روح الله نازلًا كمثل حمامة، وفي لفظ إنجيل [لوقا][١]: أشبه[٢] جسد حمامة جاء إليه، وإذا صوتٌ من السموات قائلٌ: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت)[٣].

هدم اعتقاد النصارى من واقع كتبهم

قلت: هذه القصة مما تستأصل مذهب النصارى؛ لأنهم إن قالوا: أن المسيح هو الله، فهذه مكابرةٌ للعِيان؛ إذ المسيح هاهنا منفردٌ بذاته عن الله سبحانه، وعن روح القدس في هذه الحال، أعني حال هبوط روح القدس من السماء، فيكون الله سبحانه هو المسيح، وليس هو المسيح هذا خُلفٌ[٤].

وإن قالوا: مجموع الثلاثة هي ذات الله، فهي الآن مفترقةٌ قطعًا، ولا يدرك بينها[٥] رابطة تجمعها[٦] حِسًّا ولا عقلًا، فلا يخلو من أنْ يكون افتراقها بعد أن كانت ذاتًا واحدةً، أو أنهًا بعد هذا الافتراق اجتمعت وتضامَّت؛ حتى صارت ذاتًا واحدةً. والتقديران مُحالٌ على الباري سبحانه؛ لاستحالةِ الاجتماعِ والافتراقِ عليه، بالأدلة الكلامية، والبراهين الفلسفية.

= واستعملوها، وهي تشبه الختان في العهد القديم، ويزعمون أن المعمودية تختم وتشهد على اتحاد المؤمنين بالله بالإيمان والبنوة وغفران خطاياه بموت المسيح وقيامته. [انظر: قاموس الكتاب المقدس (٦٣٧). النصرانية، نشأتها التاريخية، و أصول عقائدها (١٢٥) د: عرفان عبد الحميد فتاح، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن].

(١) في: (ب) دون (أ).

(٢) في: (ب): (شبه).

(٣) إنجيل متى: ٣: ١٦-١٧. مرقس: ١: ١٠-١١. لوقا: ٣: ٢١-٢٢. يوحنا: ١: ٣٢-٣٣-٣٤.

(٤) الخلف: اسم للشيء الرديء والمحال ولذلك سمي القياس به وهذا التفسير أشبه مما يقال إنه سمي به لأنه يأتي المطلوب من خلفه أي من ورائه الذي هو نقيضه. والخلف لا يتوجه إلى إثبات المطلوب أولا بل إلى إبطال نقيضه، ويشتمل على ما يناقض المطلوب ولا يشترط فيه التسليم بل تكون المقدمات بحيث لو سلمت أنتجت، ويكون المطلوب فيها موضوعا أولًا، ومنه ينتقل إلى نقيضه. ويجوز أن يسمى هذا قياس الخلف، لأنك ترجع من النتيجة إلى الخلف، فتأخذ مطلوبك من المقدمة التي خلفتها كأنها مسلمة ويجوز أن يسمى قياس الخلف لأن الخلف هو الكذب المناقض للصدق، وقد أدرجت في المقدمات كاذبة في معرض الصدق، ولا مشاحة في التسمية بعد فهم المعنى. [معيار العلم لأبي حامد الغزالي (٢٩). الإشارات والنبيهات لابن سينا. مع شرح نصير الدين الطوسي (١/ ٤٥٧-٤٥٣) بتحقيق ذ: سليمان دنيا، الطبعة الثالثة. دار المعارف. القاهرة].

(٥) في (ب): بينهما.

(٦) في (ب): تجمعهما.

وأيضًا: دلَّ الدليلُ على أنَّ القديم لا يتطرق عليه التغيُّر الذاتي عما كان عليه في القدم. وإن قالوا: المسيحُ [١١/ أ] ابن الله، فقد سبق تقريرُ البُنوة، وأنها لا تمُكِنُ إلاَّ على وجه المجاز، وأنَّ المراد: عبدي، وعبد الله.

ومن ذلك، في بقية هذا الإصحاح: (لـمَّا قال إبليسُ للمسيح: إن كنت من الله، فانطرح من هذا الهيكل إلى أسفل، فقال له: مكتوب لا يُجَربُ الرب إلهك.. وقال له إبليس أيضًا: إن خررت لي ساجدًا أعطيتُك ممالك العالم؛ فقال له يسوع: اذهب ورائي يا شيطان، مكتوبٌ: للرب إلهك اسجد، له وحده اعبد، حينئذٍ تركه إبليس)[١] وهذا تصريحٌ من المسيح أنَّ الله إلهه وأنه مألوهٌ بين يديه، عبدٌ لربِّه.

وبهذا ونحوه يظهر لكل عاقل أنَّ المراد بالبُنوة حيث [١٢/ ب] أُطلقت؛ العبوديةُ المنصوصُ عليها هاهنا[٢]؛ لأنَّ المسيحَ لو كان هو الله، لاستحال أن يكون هو إله نفسه، وأن يَعبُد نفسه، ولو كان ابنَه كان يقول: لا تجرب أباك والرب أباك، اسجد له.

فلمَّا صرَّح بلفظ الإلهية دلَّ على ما ذكرناه.

فإن قيل: إنَّ المسيح له جهةُ لاهوتٍ، وجهةُ ناسوتٍ؛ فبجهة اللاهوت يقول: (أبي، والأب، والابن)، ونحوه، وبجهة الناسوت يقول: (إلهي وإلهك) ونحوه؛ فاختلافُ العبارتين لاختلافِ الجهتين، فلا استحالة، فالجواب من وجهين:

أحدهما: إنما[٣] يمتنع أنَّ في المسيح لاهوتًا أصلاً، بل هو ناسوتٌ محضٌ، والسرُّ الذي قام به إنما هو أثرٌ من آثار قدرة الإله[٤] سبحانه. فإن جعلتم هذا القدر[٥] لاهوتًا

---

(١) إنجيل متى: ٤: ١-١١. لوقا: ٤: ٢-١٤.

(٢) في (ب): (هنا).

(٣) في (أ): (إمَّا).

(٤) في (ب): (الله).

(٥) في (ب): (هذه القدرة).

يستحق أن يسمى به الله، أو: ابن الله؛ لزِمَكم مثلُه في جميع الأنبياء، الذين أُودعوا أسرار الله، وأظهروا الآيات والمعجزات.

والدليل على أنه لا لاهوت في المسيح هو أن يقال: المسيحُ، إمَّا أنه هو الله، أو ابن الله، والأول: باطلٌ من هذا الكلام؛ لأنه لو كان هو الله لما أضاف الإله إلى نفسه؛ لأنَّ ذلك [مستلزمٌ للتغاير، المنافي للاتحاد][1].

وإن كان هو ابن الله؛ فاللاهوت الذي فيه إمَّا أن يكون قائمًا به مع اتصاله بالله، أو مع انفصاله عنه، والثاني: باطلٌ؛ وإلا لزم انقسام اللاهوت وهو لا يقبل الانقسام، والأول: باطلٌ؛ لأنَّ اللاهوت إمَّا جوهرٌ أو عرضٌ، ولو[2] كان [الأول][3] أدرك بالبصر[4]؛ إن كان كثيفًا كالجبل، أو بالسمع أو غيره إن كان لطيفًا كالهواء.

ولا يقال: يجوز أن يكون مجردًا عن المادة فلا يدرك إلا عقلًا؛ لأنّا نقول: هذا لا يصح على قولكم؛ لأنَّ اللاهوت من الإله[5] سبحانه، والتوراة [١٢/ أ] والإنجيل[6] كلُّها دالة على جسمية الرَّبِّ سبحانه[7]، والجسم[8] ليس مجردًا، فلا يصِحُّ أن يُدَّعى في اللاهوت ذلك، وهو فرعٌ على الإله؛ لئلاَّ يَثبُتَ للفرع ما ليس لأصله، ولا يجوز أن يكون عرضًا[9]؛ لأن العرض لا يبقى، ولاهوتُ عيسى لم يفارقه عندكم.

---

(١) في (ب): (يستلزم... الإتحاد) فسقط منها: (للتغاير المنافي).

(٢) في (ب): وإن.

(٣) في (ب): (الأول.... إن كان كثيفا)، وبها سقط. و(الأول) زيادة من (ب).

(٤) ليست في: (ب).

(٥) في (ب): (من الله).

(٦) في (ب): (الأناجيل).

(٧) في (ب): (فأنتم مجسمة علماؤكم) وهي عبارة غير مفهومة.

(٨) انظر: [الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوارة والعهد القديم (٢١-٤٠) د: محمد علي البار. دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية (٩٠-٩٣) الذات الإلهية في الذات المحرفة، د: سعود الخلف].

(٩) العرض الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به والأعراض على نوعين: ١- قار الذات وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود كالبياض والسواد. ٢-غير قار الذات وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود كالحركة والسكون.

الوجه الثاني: أن النِّزاع إنما وقع في عيسى من جهة لاهوته لا من جهة ناسوته؛ إذ هو من جهة ناسوته كسائر الناس، وهو في هذا المقام في مناظرة إبليس وجداله، وكان اللائق بحكمته حيث قال: (اسجد لي) أن يناقضه ويقول [١٣/ ب]: أنا إلهٌ، أو ابنُ الإله!، كيف اسجد لك وأنت عبد سوء؟! ؛ فلما أجابه بالاعتراف بألوهية الله، والتعبد له دلَّ على أن جهته [واحدة](١) وهي: العبودية، وأن لا جهتين له كما ذكرتم.

ومن ذلك: قوله في الفصل الخامس: **(افرحوا وتهللوا، فإنَّ أجركم عظيمٌ في السموات؛ لأنَّ هكذا طرد(٢) الأنبياء الذين قبلكم)**(٣) [وقال بعد هذا: **(لا تظنُّوا أني جئت لأجل الناموس، أو الأنبياء، إنما جئت لأكمل**(٤))، وصرَّح بذكر الأنبياء في غير موضع](٥). فهذا اعترافٌ منه بنبوة من كان قبَله.

وفي الفصل العاشر، من إنجيل يوحنا، في سياقِ مثلٍ ضربه لهم في الراعي والخراف، قال يسوع: **(الحقَّ، الحقَّ أقول لكم، أنا هو باب الخراف، وجميع الذين قبلي كانوا لصوصًا وسراقًا**(٦)**، لكن**(٧) **الضأن لم تسمع لهم)**(٨).

وهذا إنكارٌ لنُبُوَّة من كان قبَله، وهذا تخليطٌ من هؤلاء الإنجيليين، أو ممن نقلها بعدهم من العجمية إلى العربية، وبالجملة؛ هذا كذبٌ على المسيح، فإنه كان رسول الله مصدقًا لمن قَبله وبعده من الرُّسُل.

[التعريفات للجرجاني (١٩٢)].

(١) زيادة من: (ب).

(٢) في: (ب): طردوا.

(٣) إنجيل متى: ٥: ١٢.

(٤) إنجيل متى: ٥: ١٧.

(٥) ليست في (أ)، وهي زيادة من (ب).

(٦) في (أ): سراق. والمثبت من (ب).

(٧) وردت في (أ) مرتين.

(٨) إنجيل يوحنا:: ١٠: ٧-٨.

وفي هـذا الفصـل مـن إنجيل متّـى: (**هكذا[١] ليضـيء نوركم قدام النـاس، فيرون أعمالكم الحسـنة، فيُمجـدون أباكم الذي في السـموات**)[٢]، فهذا يدلُّ علـى أن المرادَ بالبُنـوة في حقّه العبوديةُ؛ وإلاَّ لزمَ أن يكونوا كلُّهم أبناء الله، بموجب هذه الإضافة، فلمَّا كانوا معها عبيدًا، أوجب أن يكون المسيحُ معها[٣] عبدًا، وإنما اختص عليهم بما اختص بـه الأنبياء على أممهم، وهذا وأمثالُه من القرائن المسـتقلة الدَّالة على أنَّ المرادَ بالبُنوة والأبوة، العبوديةُ والإلهيةُ، كما صرَّح به في مناظرته إبليسَ في الإصحاح الثالث.

المراد بالبنوة العبودية

ومـن ذلـك قولـه في هـذا الفصـل الخامـس: (**سـمعتم ما قيـل للأوليـن[٤]، لا تحنث[٥] في يمينك وأوف الرب قسمك وأنا أقول لكم لا تحلفوا البتة، لا بالسماء [فإنهـا كرسـيُّ الله، ولا بالأرض؛ لأنها موطـئُ قدميه، ولا (بيروشـليم[٦])][٧]، فإنَّها مدينةُ الملك العظيم، ولا برأسك تحلف؛ لأنك لا تقدر تصنع[٨] شعرة بيضاء سوداء، ولتكن كلمتكم نعم نعم؛ ولا لا؛ ولأنها وما زاد على هذا فيه فهو من الشِّرير**)[٩].

قلـتُ: إذا [١٣/ أ] نظرَ العاقلُ المنصفُ في هذا الكلام وجده متخبطًا[١٠]، متناقضًا، [متهافتًا][١١]، لا يشبه كلام الأنبياء؛ بل السّوقة في أسواقهم لا يرتضون بمثله. وبيانُ الخبَط فيه أنَّ كلَّ عاقلٍ يعلم ببديهة عقله، أنَّ الوفاءَ بالقسم، وتحريم الحنث [١٤/ ب] إنما كان

---

(١) وردت في (أ): (هكذى)، والصواب ما أثبتُّه من (ب).

(٢) إنجيل متّى: ٥: ١٦.

(٣) ليست واضحة في: (ب).

(٤) في (أ) (الأولين) وتصحيحها ورد تحت هذه الكلمة وورد أيضًا في (ب).

(٥): الحِنثُ الإثم والذنب وبلغ الغلام الحنث أي بلغ المعصية والطاعة، حَنِثَ في يمينه حِنْثًا وحَنَثًا: لم يَبَرَّ فيها. [لسان العرب (١٥) مادة (ح ن ث). مختار الصحاح (ج ١ ص ٦٦) مادة (ح ن ث)].

(٦) أُورشُلَيم: وكانت عاصمة يهوذا وفلسطين السياسية لزمن طويل. كما أنها مدينة مقدسة عند اليهود والمسيحيين والمسلمين. [قاموس الكتاب المقدس (١٢٩-١٣٤) معجم البلدان (١/ ٢٧٩)].

(٧) بين الحاصرتين كتب في هامش (ب) الأيسر، إلحاقًا من الناسخ.

(٨) وردت في (ب) تصبغ.

(٩) إنجيل متّى: ٥: ٣٣-٣٧.

(١٠) في: (أ): كأنها (مثبطًا)، والمثبت من (ب).

(١١) زيادة من (ب).

تعظيمًا واحترامًا للمُقسم به، وقد أشار [صاحبُ هذا الكلام إلى هذا بقوله: (ولا برأسك تحلف، لأنك لا تقدر تصبغ شعرة بيضاء سوداء)، فإنَّه أشار][1] إلى أنَّ المحلوفَ به يجب أن يكون عظيمًا. ثم إنه يقول: (لا تحلفوا بالسماء؛ فإنه كرسيُّ الله، ولا بالأرض؛ لأنهَّا موطئُ قدميه)، وهذا يقتضي جواز الحلف بهما؛ لأنهَّما اكتسبا[2] عظمةً بمجاورة عظمة الله؛ بكون هذه كرسيُّه، وهذه موطئُ قدميه، فهذا كلامٌ ينقضُ أوله آخره.

قلت: ولهم عن هذا جوابٌ حسنٌ، يدفع ما أوردناه عليه، وهو: أن مقصود المسيح أنْ لا تحلف بغير الله، كما هو رأيُ المسلمين[3]؛ إذ ليس في [الموجودات][4] أعظم من الله سبحانه، ولهذا أشار في تعليله إلى أنَّ المحلوف به، يجب أن يكون قادرًا بقوله: (لا تقدر تصنع شعرةً بيضاءَ، سوداءَ)، والسماء والأرض، ومدينة الملك ليس شيئًا منها قادرًا، ولا معظمًا عظمة الله تعالى؛ لكنَّ هذا الجواب لا يتأتى لهم في السماء؛ لأنَّ المسيحَ يقول في الفصل السادس والخمسين: (من حلف بالسماء فهو يحلف بكرسي الله والجالس عليه)[5]، فيبقى سؤالُنا واردًا في السماء، وهو يحصِّل لنا المقصود، والله أعلم.

ومن ذلك: قولُه بعد هذا: (حِبّوا أعدائكم، وباركوا لاعنيكم، وأحسنوا إلى من أبغضكم، وصلّوا على من يطردكم ويظلمكم، لكيما تكونوا بني أبيكم الذي في السموات، المشرق شمسه على الأخيار والأشرار، والممطر على الصديقين والظالمين؛ فإذا أحببتكم من يحبكم فأيُّ أجرٍ لكم!، أليس العشَّارون[6]

---

(١) ليست في (أ)، وأثبتاها من (ب).

(٢) في (ب): اكتسبتا.

(٣) في الحديث: أن عمر كان إذا حلف قال: كلا وأبي، فحلف بها يومًا عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: (لا تحلف بأبيك، ولا بغير الله فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك). [أخرجه أحمد (مسند المكثرين من الصحابة (٥١٢٠) والبخاري في الشهادات (٢٤٨٢) والمناقب (٣٥٤٩) والأدب (٥٦٤٣). ومسلم، في الأيمان (٣١٠٤، ٣١٠٥، ٣١٠٦)].

(٤) في (أ): (الوجودات)، وما أثبتُّه من (ب).

(٥) إنجيل متى: ٢٣: ٢٢.

(٦) في قاموس الكتاب المقدس: عَشَّار: ملتزم جمع الأعشار (الضرائب) في الإمبراطورية الرومانية وكانوا عادة =

يفعلون مثل ذلك؟)[١].

قلت: قوله (لكيما تكونوا بني أبيكم)، قد تقدم الاستدلال بإضافة البُنوة إليهم، على أنَّ المرادَّ بها في حقِّهم وحقِّ المسيح العبوديةُ.

الاشتراك في لفظ البنوة هو: من باب المجاز

والاستدلال بقوله: (الذي في السموات)، ههنا وحيث وقع؛ فإنَّه قادحٌ في دينِ النصارى؛ لأنَّهم قالوا: [إنَّ][٢] المسيح هو الله؛ فالمسيحُ قد أخبر أنه في السموات الآن، هذا مقتضى لفظِه، والمسيحُ في الأرض، ولا واسطة، ولا رابطة بينها توجب اتحادهما، وإنما أخبر بأبٍ واحدٍ، فاستحال أن يكون في السموات والأرض بذاته في زمنٍ واحدٍ.

وإن قالوا: هو ابنُ الله، وأقنومٌ من أقانيم ذاته، لم يكن الأب بجملة ذاته في السموات، وقد أخبر أنَّه في السموات، فوجب أن يكون تقديرُه: (لكي تكونوا عبيد ربكم الذي في السموات) [١٥/ ب]، وقد ثبت [١٤/ أ] بما سبق أنَّ المسيحَ: عبدٌ مألوهٌ، فصار كواحدٍ من تلاميذه في ذلك، ويؤكِّدُ هذا قوله، في سياق هذا الكلام: (كونوا كاملين مثل أبيكم السماوي[٣]، فهو كاملٌ، أخبر بكماله في السموات)[٤]، فدلَّ على أنَّ المسيحَ ليس هو نفسَه، ولا أقنومًا منه، ولا صفةً له.

= من الرومان الأثرياء الذين يتعهدون بجمع الضرائب أو تسديدها من جيوبهم في حال عجزهم عن جمعها. وكانوا يعينون الموظفين بالربا، إن عجز هؤلاء عن دفع ما يجب عليهم للدولة. ولذلك وصفوا بالقسوة والظلم. حتى أن الشعب احتقرهم ومنعهم من دخول هيكله أو مجامعه ومن الاشتراك في الصلاة والحفلات، وكان زكا أحد العشارين (مع أنه كان يهوديًا وليس رومانيًا) في منطقة اريحا. وكان متى لاوي وكيلًا لعشار منطقة كفرناحوم، وقد بلغ من نقمة الشعب على العشارين أن يسوع نفسه اتهم بالأكل مع الخطاة والعشارين وأنه كان صديقهم، وقد قصد يسوع أن يحررهم من النقمة اللاحقة بهم فاختار أحدهم واحدًا بين رسله، مع أنه لم وافق على سيئات أصحاب السيئات والمظالم منهم، وقد تبعه من بين العشارين عدد كبير. [قاموس الكتاب المقدس(٦٢٩)].

(١) إنجيل متى: ٥: ٤٤-٤٦. قلت: لو آمن النصارى بهذا الكلام، لكفينا كثيرًا من شرورهم، وحروبهم على الإسلام والمسلمين.

(٢) ليست موجودة في (ب).

(٣) من: (ب). وفي: (أ): (للسماوي).

(٤) إنجيل متى: ٥: ٤٨.

فأمَّا قولُه بعد هذا، في سياق الأمر بالزهد، وصدق التَّوكل: (أيُّ رجلٍ منكم يسأله ابنه خبزًا فيعطيه حجرًا، أو يسأله سمكةً فيعطيه حيةً، فإذا كنتم [أنتم][1] الأشرار تمنحون العطايا الصالحة لأبنائكم؛ فأبوكم الذي في السموات أحرى)[2]؛ فإنَّه شبَّه بنوتهَم بالإضافة إلى الله؛ ببنوةِ بَنيهم؛ بالإضافة إليهم، فهو مَجازٌ؛ للإجماع[3] على أنَّ العالم كُلَّه لا يقال له أبناء الله، وهذه الوصية من المسيح عامةٌ لمن حضره وغاب عنه من العالم، وبهذا تبطل دعوى اليهود والنصارى أنَّهم أبناءُ الله، كما حكى الله عنهم في القرآن الكريم[4]؛ لأنَّه يقال لهم: هذه الوصية لكم ولغيركم؛ فمن امتثلها وجب أن يكون ابنَ الله؛ فاختصاصكم بها لا حُجةَ عليه، ثم تعارض دعوى اليهود بدعوى النصارى، ودعوى النصارى بدعوى اليهود، ثم يقال: فلم يخافون عذاب الله؟ وهل يعذب الأبُ ابنه؟!، وبهذا أجابهم الله سبحانه، ووجهُ الشَّبَه بين البُنوَّتين: أنَّ الله سبحانه عِلةُ إيجادهم، كما أنَّهم عِلةُ إيجاد أبنائهم، وإن اختلف التأثيران في الإيجاد.

وفي أواخر هذا الفصل: (احذروا من الأنبياء الكذبة!، الذين يأتونكم بلباس الحملان[5] وداخلهم ذئاب خطفة ومن ثمارهم تعرفونهم)[6].

(١) (أنتم) في: (ب)، دون (أ).

(٢) إنجيل متى: ٧: ٩-١١.

(٣) في (أ): للاجتماع، والمثبت من (ب).

(٤) الطوفي هنا يشير إلى قول الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾. قال ابن كثير: (أي نحن منتسبون إلى أنبيائه، وهم بنوه، وله بهم عناية، وهو يحبنا، ونقلوا عن كتابهم: أن الله تعالى قال لعبده إسرائيل أنت ابني بكري فحملوا هذا على غير تأويله وحرفوه وقد رد عليهم غير واحد ممن أسلم من عقلائهم وقالوا هذا يطلق عندهم على التشريف والإكرام كما نقل النصارى عن كتابهم أن عيسى قال لهم إني ذاهب إلى أبي وأبيكم يعني ربي وربكم، ومعلوم أنهم لم يدعوا لأنفسهم من البنوة ما ادعوها في عيسى عليه السلام، وإنما أرادوا من ذلك معزتهم لديه، وحظوتهم عنده ولهذا قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه قال الله تعالى رادًا عليهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ أي لو كنتم كما تدعون أبناءه وأحباءه فلم أعد لكم نار جهنم على كفركم وكذبكم وافترائكم). [تفسير ابن كثير (٢/ ٣٥)].

(٥) الحَمَل: الخَرُوف، وقيل: هو من ولد الضأن الجَذَع فما دونه، والجمع حُمْلان وأحمال، وبه سُمِّيت الأحمال. [لسان العرب(١١/ ١٧٤). (مادة: ح م ل) ومختار الصحاح: مادة (ح م ل). ج١: ص٦٥].

(٦) إنجيل متى: ٧: ١٥.

طعن النصارى في الإسلام قديم!

قلتُ: صدَّر بعضُ علماء النصارى بهذا الكلام كتابًا، صنَّفه بالقدح في دين الإسلام، والطعن على نبوة محمد عليه السلام، وأرجو من الله سبحانه التَّجلي لمناقضته والردِّ عليه.

وهذا الكلام لا يدلُّ على ما أراده لوجهين:

أحدهما: أنَّ يوحنا [قد][1] ذكر في بشارته، أنَّ المسيح قال: **(كلُّ الذين قبلي كانوا لصوصًا لا أنبياء)**[2]، وهذا كذبٌ على المسيح قطعًا، كما سبق بيانه[3]، فلا يُؤمَن أنَّ هذا مثله، وأنَّ بعض النصارى وضعه شبهةً؛ للقدح في دين محمد ﷺ.

الثاني: بتقدير تسليم أنَّه من كلام المسيح، وأنَّه لم يُعين أحدًا [١٦/ ب] بعينه، وإنما حذَّر ممن يأتي بالصِّفات النِّفاقيَّة المذكورة، والثمار السيئة.

فإنْ ادعوا أنَّ محمدًا ﷺ[4] مُتَّصِفٌ بها؛ فهو محَلُّ النِّزاع، وعلينا إقامةُ البرهانِ؛ لأنَّه ليس كذلك، فلا يحصل مقصودهم[5].

وفيه: **(ليس كل من قال: يارب يارب، يدخل ملكوت السماء؛ لكن الذي يعمل إرادة أبي الذي في السموات، يقولون لي في ذلك اليوم: يارب**

---

(١) لم ترد في (ب).

(٢) إنجيل يوحنا: ١٠: ٨.

(٣) انظر (٣٩) من هذا الكتاب، وقول الطوفي هناك (وهذا إنكارٌ لنُبوَّة من كان قبله، وهذا تخليطٌ من هؤلاء الإنجيليين، أو ممن نقلها بعدهم من العجمية إلى العربية، وبالجملة؛ هذا كذبٌ على المسيح، فإنه كان رسول الله مصدقًا لمن قَبله وبعده من الرُّسُل).

(٤) وسلم: لم ترد في (ب).

(٥) رد الطوفي هذا الزعم بدقة وعلمية في (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) ومن ذلك قوله: (وذلك صعب المرام عليه؛ لوجهين: أحدهما: أنا ما رأينا ولا سمعنا منذ أهبط آدم إلى الآن أن نبيًا كذابًا استوسق له ناموسه كم استوسق دين الإسلام نحو ألف سنة، وهو كلما جاء في زيادة وتمكن، بل كان المتنبيء لا يلبث إلاّ يسيرًا أن حتى يفضحه الله ويهتك ستره؛ لأن عادة الله في خلقه أن يُحق الحقَّ ويبطل الباطل، ويجعل العاقبة للمتقين. الوجه الثاني: أن تأييد الكذاب بالمعجز، وإظهار أمره وانقياد الناس له قبيح؛ لأن فيه التباس النبي بالمتنبيء، والقبيح لا يجوز على الله فعله، خصوصًا على رأي هذا الخصم في إنكار القدر). [الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية: (١/ ٢٥٠ - ٢٥١)].

يـارب)[1]، وكان النـاسُ يخاطبونه[2] بيارب كثيرًا فيقرهم، قلـتُ: فلعل هذا مما يغرُّ النصارى [١٥/ أ] في[3] اعتقادهم المسيح إلهًا، والجواب عنه من جوه:

أحدها: أنَّا قد بينًا أنَّ في الإنجيل دخلًا وتناقضًا، كما سبق، فلعلَّ هذا منه.

الثاني: إنْ صحَّ، فليس خطابُهم للمسيح بالربوبية يقتضي الإلهيةَ، كما يقال في العرف: (ربُّ الدار، وربُّ العبدِ، والدابة[4])، ونحوه.

الثالـث: أنَّ وجـهَ المجَاز فيها ظاهرٌ، وهو أنَّ المسيحَ رسـولُ الـرَّبِّ، يأمرهم بأمره، وينهاهم بنهيه، فظهرتْ علاقةُ التَّجوُّز، أو يكون على حذف المضاف، أي: يا رســول ربِّنا، أو يا روح ربِّنا، ونحوه. والمسيحُ أطلقَ هذا الكلامَ هنا اتكالًا على ما بَيَّنَه في مواضعَ من القرائن النَّافية للإلهية [5]عنه، والله أعلم.

وأَمَّـا[6] إقرارُه للناس علـى قولهم: (يارب)؛ فلعلمه بأنَّهم علِمـوا أنَّه ليس بإلهٍ، فهم إنَّما يريدون: يا رسولَ ربِّنا، أو يا سيدَنا.

وقد روي وثيمة[7] في: (قصص الأنبياء):

---

(١) إنجيل متى: ٧: ٢١.

(٢) وردت في (أ): يخاطبوننا، والصواب ما أثبتُّه من: (ب).

(٣) في (أ): كلمة (صح)، ولعل الصواب ما جاء في (ب) حيث لم ترد هذه الكلمة، ولا أرى معنى لإثباتها في المتن، والله تعالى أعلم.

(٤) الـرَّبُّ: هـو الله ﷻ، هـو رَبُّ كلِّ شـيءٍ أي مالكُه، ولـه الرُّبوبيَّة على جميـع الـخَلْق، لا شـريك له، وهو رَبُّ الأَرْبـابِ، ومالِـكُ الـمُلـوكِ والأَمْـلاكِ. ولا يقـال الـربُّ في غَيـر الله، إلا بالإضافـة، وربُّ كلِّ شـيءٍ: مالِكُه ومُسْتَحِقُّه؛ وكُلُّ مَـنْ مَلَكَ شـيئًا، فهو رَبُّه. يقال: هـو رَبُّ الدابةِ، ورَبُّ الدارِ، وفـلانٌ رَبُّ البيتِ، وهُنَّ رَبَّاتُ الـحِجالِ، ويقال: رَبٌّ، مُشَدَّد؛ ورَبٌ، مخفَّف، وأنشد الـمفضل:

قـد عَـلِـمَ الأَقْــوَالُ أَنْ لـيس فـوقَـه ... رَبٌ، غيرُ مَنْ يُعْطِي الحُظُوظَ، وَيَرْزُقُ.

وفـي حديـث أشـراط السـاعة: (وأن تَلِـدَ الأَمَـةُ رَبَّهـا، أو رَبَّتَهـا) [لسـان العـرب (١/ ٣٩٩)، مـادة (ر ب ب)].

(٥) في (أ): (الإلهية) والصواب من (ب).

(٦) في (ب): (وإنما)، والصواب أثبتُّه من (أ).

(٧) وثيمة ابن موسى أصله فارسي سكن مصر: صاحب أغاليط. قال الذهبي: (وثيمة بن موسى قال ابن أبي حاتم: حدث عن سـلمة بن الفضل بأحاديث موضوعة. له كتب، قال مسـلمة بن القاسـم الأندلسي كان راوية لأخبار الدهور وهو لا بأس به وله كتاب في الردة أجاد فيه وأكثر الرواية لكن فيه مناكير كثيرة ووقفت له على تصنيف =

عـن جرير(١)، عـن قابوس(٢)، عـن أبيه(٣)، عن ابـن عبـاس(٤): (أنَّ أهل الكتاب يقولون إذا رأوا رجلًا ذا هيئةٍ: يارباني، أي ياسيد)(٥).

وحمـل عليـه قـول زكريـا: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾(٦): أي ياسـيدي(٧)؛ لأنَّ خطابهم إنما كان لجبريل.

ومن ذلك في الفصل الحادي عشـر: (أنَّ المسـيحَ زجرَ البحرَ، وقد هاجَ بالرِّيح، فَسَكن)(٨)، وهذا يدلُّ على الصلاحية(٩) والوجاهة عند الله لا على الإلهية، ولا البُنوَّة

= كبير في المبتدأ وقصص الأنبياء وفي كتابه أحاديث كثيرة موضوعة وشر منها عنه الأشباه والنظائر ويظهر لي أنه من أصلح ما صنف في ذلك الفن. [ميزان الاعتدال (٧/ ١٢٠) لسان الميزان ٦-٢١٧. وفيات الأعيان ٦- ١٢. و ضعفاء العقيلي (٤/ ٣٣٢) رقم الترجمة: (١٩٤٠)].

(١) جريـر بـن عبد الحميد بن قـرُط، الضبي، الكوفي، نزيل الري، وقاضيها(ثقة صحيـح الكتاب) قيل: كان في آخر عمره يهم من حفظه، مات سنة ثمان وثمانين، وله (٧١) سنة. [تقريب التهذيب (١٣٩) ترجمة (٩١٦)].

(٢) قابوس بن أبي ظبيان الكوفي: (فيه لين من السادسـة)، كان ابن معين شـديد الحط عليه، على أنه قد وثقه، وقال أبو حاتم: لايُحتج به، وقال ابن حبان: رديء الحفظ، ينفرد عن أبيه بما لا أصل له، فربما رفع المرسل، وأسند الموقوف. [ميزان الاعتدال (٥/ ٤٤٥) و تقريب التهذيب (٤٤٩) الكاشف للذهبي (٢/ ١٢٦)].

(٣) حصيـن بن جندب أبو ظبيـان الجنبي، الكوفي، روى عن حذيفة وعلي، وعنه ابنه قابوس والأعمش مات سـنة (٩٠)هـ قال ابن حجر: ثقة من الثانية. [تقريب التهذيب (١٦٩ ترجمة: ١٣٦٦)].

(٤) أبو العباس: عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ، حبر الأمة وترجمان القرآن، ولد سنة ١٣ قبل الهجرة، سكن الطائف ومات بها سنة ٦٨هـ وعمره ٧١ سنة. [الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ٣٣٠)].

(٥) قال القرطبي: والربانيّ الذي يُرَبّي الناس بصغار العلم قبل كباره؛ وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأُمور؛ رُوي معناه عن ابن عباس. [(تفسير القرطبي ٤/ ١٢١)].

(٦) الآيـة في سـورة (آل عمران: مـن الآية: ٤٠). و (مريم: من الآيـة: ٨)، وتمامها: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾.

(٧) في (ب): (يا سيد).

(٨) إنجيل متى: ٨: ٢٦.

(٩) في (أ) (للصلاحية) والتصحيح من (ب).

الحقيقـة، وكذلك إخراجُه الشـياطين مـن المجانين إلـى الخنازيـر[١]، و[إبراؤه][٢] المُخَلَّع[٣]، وغيره من الآيات، إنما يدل على ما ذكرنا.

ومن ذلك قوله في الفصل التاسـع عشـر، لتلاميذه الذين أرسـلهم دعاة في البلاد: (سـتحضرون بين يدي الملوك والقوَّاد، وسـتُعطون في تلك السـاعة مـا تتكلمون به، ولستُم المتكلمين [١٧/ ب]؛ لكن روح أبيكم تتكلم فيكم)[٤].

وهذا[٥] كنايةٌ عن ما يلهمهم اللهُ إياه من الكلام، وييسِّرُه من المقال، بلا واسطة، و[٦] بواسـطة[٧] الملك، بدليل قوله في إنجيل (لوقا)، في هذا بعينه: **(فإنَّ روح القدس يعلمكـم في تلـك السـاعة)**[٨]. وروح القـدس هـو: الملـك، فإضافتـه[٩] إلـى أبيهم إضافة مِلْكٍ، لا إضافة ذات؛ وإلاَّ فبالاتفاق أن روح الله لم تحل في هؤلاء، ولا في غير المسـيح عندهم، ومثل هذا قولُ محمدٍ ﷺ: **(إنَّ روح القدس نفث في روعي أنها لن**

(١) في إنجيل متى: ٨: ٣٢: (فقال لهم امضوا فخرجوا و مضوا إلى قطيع الخنازير و إذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر و مات في المياه). وفي إنجيل لوقا: ٨: ٣٣: (فخرجت الشـياطين من الإنسـان، و دخلـت في الخنازيـر، فاندفع القطيـع من على الجرف، إلـى البحيرة و اختنق..). وفي إنجيـل مرقس: ٥: ١٣: (فأذن لهم يسوع للوقت، فخرجت الأرواح النجسة، و دخلت في الخنازير، فاندفع القطيع من على الجرف إلى البحر و كان نحو ألفين فاختنق في البحر).

(٢) وردت في (أ) و (ب): إبرائه، وما أثبتُّه هو الصحيح.

(٣) في إنجيـل متـى: ٤: ٢٤ و ٩: ٦-٧: (فدخـل السـفينة، و اجتـاز و جاء إلـى مدينته، و إذا مفلـوج يقدمونه إليه، مطروحًا على فراش، فلما رأى يسوع إيمانهم، قال للمفلوج: ثق يا بني مغفورة لك خطاياك، و إذا قوم من الكتبة قد قالوا في أنفسـهم: هذا يجدف، فعلم يسـوع أفكارهم فقال: لماذا تفكرون بالشـر في قلوبكم؟، أيما أيسـر أن يقال: مغفورة لك خطاياك، أو أن يقال: قم و امش، و لكن لكي تعلموا أن لابن الإنسـان سـلطانًا على الأرض، أن يغفـر الخطايا، حينئذٍ قال للمفلوج: قم احمل فراشـك، و اذهب إلـى بيتك فقام و مضى إلى بيته). وإنجيل مرقس: ٢: ٤-٥: (فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج يا بني: مغفورة لك خطاياك).

و المخلَّع: الذي كأن به هبتةً أو مسًّا. [لسان العرب) (٨/ ٦٧): مادة (خلع)].

(٤) إنجيل متى: ١٠: -١٨-٢٠ إنجيل لوقا: ٢١: ١٢. إنجيل مرقس: ١٣: ٩.

(٥) في (ب): (فهذا) وما أثبتُّه من (أ).

(٦) في (ب): أو، والمثبت من (أ).

(٧) في (أ) (أو بواسطة) وما أثبتُّه من (ب).

(٨) إنجيل لوقا: ١٢: ١٢، ولفظه: (لأن الروح القدس يعلمكم في تلك الساعة ما يجب أن تقولوه).

(٩) في (أ): بإضافته، والمثبت من (ب).

تموت نفس حتى تستكمل رزقها)[1].

وفي هذا الفصل: أن المسيح قال: (من اعترف بي قُدَّام الناس؛ اعترفت به قدام أبي، ومن أنكرني أنكرته قدام أبي)[2]. والمراد قُدَّام إلهي وربي؛ بدليل ما سبق في غير موضع، وبدليل إضافة الأب إلى تلاميذه، على أنَّه قد صرَّح بالمقصود في إنجيل لوقا، فقال:

(من يعترف بي قُدَّام الناس، فابن الإنسان يعترف به قُدَّام [١٦/ أ] ملائكة الله، ومن أنكرني أنكره قُدَّام ملائكة الله)[3]، فهذا يبيّن أنَّ معنى قوله: قُدَّام أبي، أي: ملائكة أبي، ومعنى أبي[4] ربِّي؛ فيكون تحقيقُ الكلام: أعترفُ به قُدَّام ملائكة ربِّي.

ومن ذلك قوله في الفصل العشرين: (أعترف لك يا أبتاه، رب السموات والأرض؛ لأنَّك أخفيت هذه عن الحكماء، والفهماء، وأظهرته للأطفال، نعم يا أبتاه، إنَّ هذه المسرة التي كانت قُدَّامك، كلٌّ قد دفع إليَّ من أبي، وليس أحدٌ يعرف الابنَ إلاَّ الأبُ، ولا الأبَ إلاَّ الابنُ، ومن يريد الابنَ يكشف له)[5].

---

(١) (صحيح) لفظه «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أَجَلَهَا، وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَهَا، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلاَ يَحْمِلَنَّ أَحَدَكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرزْقِ أَنْ يَطْلُبَهُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لاَ يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلاَّ بِطَاعَتِهِ» عن أبي أُمَامَةَ ﷺ. وفي حديث ابن مسعود ﷺ: (إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا قد أمرتكم به و ليس شيء يقربكم إلى النار إلا قد نهيتكم عنه، إن روح القدس نفث في روعي: إن نفسا لا تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله و أجملوا في الطلب، و لا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته). حسَّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٨٦٥): رواه أبو بكر الحداد في «المنتخب من فوائد ابن علويه القطان» (١/ ١٦٨) و ابن مردويه في «ثلاثة مجالس» (١٨٨ / ١ - ٢) من طرق عن يعلى بن عبيد: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن: (عبد الملك بن عمير) و زبيد الأيامي عن: عبد الله بن مسعود، مرفوعًا، و الزيادة لابن مردويه. وصححه في (صحيح الجامع) (١/ ٤١٩) برقم (٢٠٨٥). [جامع المسانيد والمراسيل للسيوطي (٢/ ٣٥٧). دار الفكر، ١٩٩٤م. وفي مصنف عبد الرزاق (١١/ ١١١) كتاب الجامع، حديث رقم (٢١١٦٤). السلسلة الصحيحة (٦/ ٨٦٥) صحيح الجامع الصغير (١/ ٤١٩) برقم (٢٨٥)].

(٢) إنجيل متى: ١٠: ٣٢. إنجيل لوقا: ١٢: ٨.

(٣) إنجيل لوقا: ١٢: ٨-٩.

(٤) في (أ): (أن)، والصواب من (ب).

(٥) إنجيل متى: ١١: ٢٥. وانظر إنجيل لوقا: ١٠: ٢١.

نقد دعواهم نبوة المسيح لله

وفي سياق هذا الكلام، وقبله، وبعده، ما أبانَ به أن المرادَ به: الربوبيةُ، والعبوديةُ، لا الأبوة والبُنوة، مع ما يدلُّ على عدم إرادتها من الدليل العقلي السابق تقريره.

أمّا ما في سياق الكلام؛ فقوله: (**يا أبتاه رب السموات والأرض**)؛ فإنَّ قِرانه بين[1] لفظ الأُبوة، والربوبية، تبيينٌ لمقصودِ أحدِ اللفظين بالآخر.

وأيضًا فإنه أخبر أنَّ أباه ربُّ السموات والأرض، فيقال: لا يخلو من أنْ يكون مع كونه ربهما ربَّ من فيهما أو لا، أو ربَّ بعضِه دون بعضٍ، والثاني: باطلٌ بإجماعٍ، والثالثُ: تحكُّمٌ، وترجيحٌ بلا مُرجِّح.

وقد بينَّا [١٨/ ب] غيرَ موضعٍ أنَّ ما ظهر من المسيح من الآيات والعجائب، لا يستحقُّ أنْ يكونَ به إلهًا، ولا ابنًا للإله على ما يعنونه؛ فتعين الأولُ وهو: أنَّه سبحانه ربُّ السموات والأرض وما بينهما وفيهما، والمسيحُ من ذلك؛ فيكون مربوبًا.

وأَمّا ما قبله وبعده، في الفصل وغيره فقوله: (**ابن الإنسان، وابن البشر**)، يعني نفسه؛ كقوله:

(**جاء ابنُ الإنسان يأكل ويشرب؛ فقالوا: هذا الإنسان أكولٌ شرِّيبُ الخمر**)؛[2]

فإنَّ في إضافته لنفسه بالبُنوة إلى الإنسان والبشر تنبيهًا على أنه ليس إلهًا، وعلى انقطاعِ نَسَبه عن غير الإنسان، ثم أكَّدَ ذلك بقوله: يأكلُ ويشرب؛ فإنَّ الأكلَ والشرب يلزمُهما[3] البولُ والتَّغوّط، وتلك من سمات الحدوث، والقديمُ وما قام به منزَّهٌ عن ذلك، وإليه الإشارة في القرآن المقدس، حيث قال سبحانه:

﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾[4]، فإنَّه نبَّه بهذا على عدم استحقاقهما، أو

---

(١) وردت في (ب): من.

(٢) إنجيل متى: ١١: ١٩.

(٣) في (ب): يلزمها.

(٤) (المائدة: من آية: ٧٥)، وتمامها: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ قال ابن جرير: =

أحدهما، الإلهية والقِدَمَ.

وقال بعد هذا في آخر الفصل: (وربُّ السَّبت، هو ابنُ الإنسان)[1]، والاستدلال به كالذي قبله، وأيضًا فإنَّ من له نَسبان، أعلى وأدنى، لا يترُكُ الأعلى ويذكرُ الأدنى.

ومن ذلك في الفصل الحادي والعشرين: ذكر أن في مصحف أشعياء النبي: (هو ذا فتاي الذي هويتُ، وحبيبي الذَّي سُرَّت نفسي به، أَضعُ روحي عليه)[2] [١٧/ أ]، ولفظُ الحبيب لا يدلُّ على إلهيةٍ ولا بُنوة، وأمّا لفظُ الفتى فهو ظاهرٌ في العبد، يقال: فتاي وفتاتي؛ أي: عبدي وأمتي، وهو مبينٌ للمُراد مما سبق من قوله عند خروجه من المعمودية: (هذا ابني الحبيب الذي سررت به)،[3] وأكثرُ ما يقال أنَّ لفظَ الفتى مجملٌ؛ لتردُّده بين الابن والعبد؛ لكنَّا نقول: قد بينَّا وتبيَّن أنَّه لا يصِحُّ حملُه على الابنِ إلاَّ بمعنى العبد؛ فيكون هذا اللَّفظُ مُثبِتًا لذلك، وكلام الله سبحانه وتعالى يُبيِّنُ بعضُه بعضًا في جميع الكتب[4].

معجزات نبينا ﷺ

= (وهذا خبرٌ من الله تعالى ذكره احتجاجا لنبيه محمد ﷺ على فرق النصارى في قولهم في المسيح. يقول مكذّبا لليعقوبية في قيلهم: هو الله، والآخرين في قيلهم: هو ابن الله: ليس القول كما قال هؤلاء الكفرة في المسيح، ولكنه ابن مريم ولدته ولادة الأمهات أبناءهنّ، وذلك من صفة البشر لا من صفة خالق البشر، وإنما هو لله رسول كسائر رسله الذين كانوا قبله فمضوا وخلوا، أجرى على يده ما شاء أن يجريه عليها من الآيات والعبر حجة له على صدقه وعلى أنه لله رسول إلى من أرسله إليه من خلقه، كما أجرى على أيدي من قبله من الرسل من الآيات والعبر حجة لهم على حقيقة صدقهم في أنهم لله رسل. وأُمُّهُ صِدِّيقَة يقول تعالى ذكره: وأمّ المسيح صدّيقة، والصدّيقة: الفِعِّيلة من الصدق، وكذلك قولهم فلان صدّيق: فعيل من الصدق، ومنه قوله تعالى ذكره: وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ. وقد قيل: إنّ أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه إنما قيل له الصدّيق لصدقه، وقد قيل: إنما سمي صدّيقا لتصديقه النبيّ ﷺ في مسيره في ليلة واحدة إلى بيت المقدس من مكة وعوده إليها. وقوله: كانَا يَأْكُلانِ الطَّعامَ خبر من الله تعالى ذكره عن المسيح وأمه أنهما كانا أهل حاجة إلى ما يغذوهما وتقوم به أبدانهما من المطاعم والمشارب كسائر البشر من بني آدم. فإنّ من كان كذلك، فغير كائن إلها لأن المحتاج إلى الغذاء قوامه بغيره، وفي قوامه بغيره وحاجته إلى ما يقيمه دليل واضح على عجزه، والعاجز لا يكون إلاّ مربوبًا لا ربًّا. [تفسير الطبري (٦/ ٢٠٣)].

(١) إنجيل متى: ١٢: ٨.

(٢) في إنجيل متى: ١٢: ١٨ ولم أجده في سفر أشعياء بهذا اللفظ في الترجمات الحديثة.

(٣) إنجيل متى: ٣: ١٦-١٧. مرقس: ١: ١٠-١١. لوقا: ٣: ٢١-٢٢. يوحنا: ١: ٣٢-٣٣-٣٤.

(٤) هذا على افتراض صحة ما جاء في تلك الكتب السابقة ونسبته إلى الله تعالى، أما القرآن فلا شك فيه.

ومن ذلك قوله في الفصل الثالث والعشرين: (حتى قيل له أمك وأخوتك يطلبونك، فأشار إلى تلاميذه وقال هؤلاء أمي وأخوتي، ومن صنع [١٩/ ب] مشيئة أبي الذي في السموات؛ هو أخي، وأختي، وأمي!)،[١] فيقال: كما أثبتَ لنفسه أمومَةَ الأجانب وأخوتهم مجازًا، بجامع طاعة الله؛ كذلك يُريد بالأبوة، والبنوة، والربوبية، والعبودية مجازًا؛ بجامعِ عليّة الوجودِ والطاعة، كما سبق، والعلاقةُ قائمةٌ في الموضعين.

فائدة: ذكر في الفصل السادس والعشرين: (أنَّ المسيحَ بارك على خمس خُبزاتٍ وحوتين، فأشبع منها خمسة ألف[٢] سوى النساء والصبيان، وفضل عنهم ثنتا عشرة سلة مملوءة).[٣]

قلتُ: وقد صحَّ عن محمدٍ ﷺ[٤] من هذا الجنس أكثرُ من هذا؛ فإنَّه في غزاة تبوك،[٥] شُكي إليه قلةُ الزَّاد، حتى أشار بعضُهم بذبح الإبل والخيل؛ فاستدعى النبي ﷺ بفضلة زاد القوم؛ فجمعوه فإذا هو كمربض العنز،[٦] فوضع عليه مبرزًا، ثم بارك فيه وأمرهم التزود منه، فأكلوا وملأوا أوعيتهم، وكانوا عسكرًا جرَّارًا، أحسبه أكثر من عشرين ألفًا،[٧] فإن قيل: هذا لا يثبُت، وهو من أخبار الآحاد، قلنا: بل هو

(١) إنجيل متى: ١٢: ٤٦-٥٠.

(٢) هكذا وردت والصواب (آلاف).

(٣) إنجيل متى: ١٤: ١٤-٢٠.

(٤) (وسلم): ليست في: (أ)، وهي زيادة من (ب).

(٥) تبوك: مدينة شمال المملكة العربية السعودية، لها تاريخ حافل في بداية الإسلامية، بها مسجد التوبة (يقال) إنه صلى في رسول الله ﷺ إبان غزوة تبوك، وبها كانت آخر غزوات الرسول ﷺ.
[موسوعة ١٠٠٠ مدينة إسلامية (١٦٢)، مفردات من الحضارة الإسلامية (١٨٥)].

(٦) في: (أ): العير، والمثبت من (ب).

(٧) هذه القصة جاءت في صحيح مسلم (١٩٢٧) في (كتاب اللقطة، باب: استحباب خلط الأزواد)، من حديث إياس بن سلمة عن أبيه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأصابنا جهد، حتى هممنا أن ننحر بعض ظهرنا، فأمر نبي الله ﷺ فجمعنا مزاودنا، فحزرته كربضة العنز! ونحن أربع عشرة مائة، قال: فأكلنا حتى شبعنا جميعًا، ثم حشونا جربنا، فقال نبي الله ﷺ: فهل من وضوء؟ قال: فجاء رجل بر داوة له فيها نطفة، فأفرغها في القدح، فتوضأنا كلنا، فدغفقه دغفقة، أربع عشرة مائة، قال: ثم جاء بعد ذلك ثمانية فقالوا: هل من طهور؟ فقال رسول الله ﷺ: فرغ الوضوء. انظر: [شرح النووي على مسلم (١٢/ ٣٤)]

جهل النصارى وسوء فهمهم

صحيحٌ بالاستفاضة عند المسلمين، فإن قيل: لم يثبت ذلك عند النصارى، قلنا: وما ذكرتموه من ذلك عن المسيح لم نعلمه إلاَّ من الإنجيل، والإنجيل عندنا أكثرُه من اختلاقِ النصارى وتدليس اليهود، وإنَّما نحن نتبرعُ بتأويله والقدح في تفاصيله تبرعًا! على جهة التَّنزل في مقام النظر؛ فإن منعتمونا منعناكم، وإن سلَّمتم سلَّمنا، ويلزم ما نريد من إثبات نبوة محمد ﷺ الثابتة بهذه المعجزة المعيَّنة.

فإن قيل: نمنعكم هذه، وامنعونا أنتم نظيرها!، ثم نرجعُ نحن إلى خوارق المسيح، الثابتة بالتواتر الذي لا شكَّ فيه؛ كإحياء الموتى، ونحوه، فأنتم إلى ما ترجعون؟! قلنا: إلى القرآن الثابت بالتواتر أيضًا!، وعلينا بيانُ إعجازِه بالبرهان، وإلى ألوفٍ من المعجزات، استفاضت آحادها، وحصل العلم بالمعنى [١٨/ أ] الكلّي المشترك بينهما، وهو التواتر المعنوي؛ كشجاعة عليٍ، وسخاء حاتم[١]، وذلك مُحصِّلٌ للمقصود، وسنستقصي الكلامَ في هذا إن شاء الله تعالى.

ومن ذلك في الفصل السابع والعشرين [٢٠/ ب]: **(ذكر أن المسيح صعد الجبل منفردًا يصلي، وأنه جاءهم بعد ذلك في الليل يمشي على الماء حتى أتى السفينة، فسجد له من فيها، وقالوا له: أنت هو بالحقيقة ابن الله)**[٢].

وقد بينَّا أنَّ المجاز في لفظ: الابن، وأنه بمعنى العبد، أو الرسول؛ لأنَّ الابن يُطيع[٣] أباه طاعةَ العبد مولاه. والأبُ في العرف يرسل ابنه في حوائجه كما يرسل الحاكم وغيره رسله[٤]، وحينئذٍ لا يُضير لفظُ الحقيقة هنا؛ إذ يصير التقدير: أنت بالحقيقة رسول الله، والمؤيد منه بالقوى الروحانية. وممَّا يؤكد عبوديةَ المسيح انفراده يصلي؛ فإنَّ صلاته لا يصحُّ حملَها على التشريع والتعليم؛ لانفراده عنهم، والابن الحقيقيُّ لا يعبُد أباه هذه العبادة؛ فتعيَّن أنَّه عبدٌ مربوبٌ، أطاع اللهَ، فأطاع له الأشياءَ.

(١) حاتم بن عبدالله بن سعد بن الحشرج الطائي القحطاني، أبو عدي، فارس، شاعر، جواد، جاهلي، يضرب المثل بجوده، كان من أهل نجد، أرخوا وفاته بعد مولد النبي ﷺ في السنة الثامنة [الأعلام (٢/ ١٥١)].

(٢) إنجيل متى: ١٤: ٢٢-٣٤.

(٣) في (أ): يطع، والمثبت من (ب).

(٤) في (ب): (رسوله).

ومن ذلك في الفصل الثامن والعشرين: (قال المسيح: اسمعوا وافهموا، ليس ما يدخل الفم يُنجِّس الإنسان؛ لكنَّ الذي يخرج من الفم [هذا ينجِّس الإنسان؛ ثم فسَّره بأنْ قال: كلُّ ما يدخُل إلى الفم يصل إلى البطن، وينطرد إلى المخرج، وأمَّا الذي يخرج من الفم][١] فهو يخرج من القلب؛ هذا الذي يُنجِّسُ الإنسان)[٢].

قلت: هذا كلامٌ صحيحٌ، وحكمةٌ بالغةٌ؛ ولكنَّ النصارى لجهلهم وسوء فهمهم، وضعوه غيرَ موضعه، وحملوه على محملٍ يشبه وجوهَهم ولحاهم![٣]، فظنّوا أنَّ مرادَ المسيح نفيُ النجاسة عن البول والغائط[٤]؛ حتى جعل رهبانُهم، وعُبَّادُهم، ومخاييسُهم! ؛ يتعبدون باجتماع العذرة[٥] على مخارجها منهم! وما حولها؛ حتى يصير كما قال أبو النجم[٦]:

كأَنَّ في أَذْنابِهِنَّ الشُّوَّلِ   مِنْ عَبَسِ الصَّيف قرونَ الأُيَّلِ[٧]

---

(١) ساقط من: (ب)، وأثبتُّه من: (أ).

(٢) إنجيل متى: ١٥: ١٠-١١.

(٣) هذا تهكمٌ منه بالنصارى، ولا يخفى ما فيه من الاستخفاف بعقولهم وسذاجتها في عدم فهمها لمراد المسيح عليه السلام. وهذا الأسلوب لا بأس في استعماله في الإنكار، وفي مواجهة المعاند، والمصر. قال سلطان العلماء، العز بن عبد السلام: (قال ﷺ لأبي ذر وقد سبَّ رجلًا، وعيَّره بأمِّه: (إنك امرؤ فيك جاهلية)(متفق عليه) (البخاري ٣٠، و١٨٤٥) ومسلم (١٨٢٨))... وقال أبو بكر رضي الله عنه لسهيل بن عمرو بحضرة رسول الله ﷺ (امصص بظر اللات) (البخاري برقم ٢٧٣١).. وفي الزواجر إعزازُ الدين، والاستخفاف بالمخالفين. سبَّ رسول الله ﷺ أبا ذر بما فيه من أخلاق الجاهلية؛ ليأنف منها، وينزجر عنه... وأما قول أبي بكر لسهيل بن عمرو: امصص بظر اللات » فاحتقار منه لسهيل واللات، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء:٦٧]. [شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال (٢٢٤) عز الدين بن عبدالسلام ٦٦٠هـ ت: أبي عبدالله حسين بن عكاشة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ دار ماجد عسيري. جدة، المملكة العربية السعودية].

(٤) في: (أ) في الهامش كُتب: (مطلب في بيان عدم كون العذرة نجاسة عند النصارى).

(٥) العَذِرةُ الغائط، فناء الدار. [لسان العرب: (٤/ ٥٤٥)].

(٦) أبو النجم: الفضل بن قدامة من عجل. وكان ينزل بسواد الكوفة في موضعٍ يقال له الفرك، أقطعه إياه هشام بن عبد الملك. [الشعر والشعراء (١٣٠) ابن قتيبة الدينوري].

(٧) البيت ذكره ابن منظور في لسان العرب ونسبه لأبي النجم. [لسان العرب (٦/ ١٢٨)].

فقبَّح اللهُ هـذا الدِّين الـذي افتروا فيه على الله ورسـوله(1)!، أتُـرى هكذا كانت عبادة المسـيح والتلاميذ صلوات الله عليهـم؟!، كلاً والله؛ بل ﴿ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾، [الأنعام: مـن الآيـة: ١٤٠]. والذي يـدلُّ على بطلان مـا توهَّموه من هذا الـكلام؛ أنَّ النجاسـةَ، قسـمان: حسِّـيَّة؛ كالبـول، والغائـط، وعقليـةٌ؛ كالذنـوب، والمعاصي. وهي تسَّـمى: نجاسـة، على المجـاز، ولهذا قال أبو حنيفـة(2): إنَّ الماء المسـتعمل في رفع الحدث نجسٌ؛ لأنَّ الطهارةَ عن غير نجاسة؛ غير معهودٍ، فلزمَ أنْ يكونَ على الأعضاء نجاسة معقولة؛ إذ لم تكن محسوسة(3).

وغرضنـا بهذا إيرادُ شـاهدٍ للمسـلمين، على أنَّ من النجاسـات مـا هو [١٩/ أ] معقولٌ عند بعض الأئمة؛ وإنْ لم تكن معصيةً؛ لأنَّ الحدث ليس معصية.

ومـن الناس من قال: إنَّ الوضـوء يحطُّ الخطايا من أعضـاء الوضوء، كما نصَّ الحديـث(4)، [٢١/ ب] والخطايا نجاسـاتٌ تقديريةٌ، أو معقولةٌ مجازيةٌ، كما سـمى المسيحُ ما يخرج من الفم نجاسةً.

ونظيـرُ هذا قولهُم: عثـرةُ الرِّجل، وعثرةُ اللِّسـان، في أنَّ الأولى حسـيةٌ حقيقيةٌ، والثانية عقليةٌ مجازيةٌ.

---

(١) في (ب): (ورسله) والمثبت من (أ).

(٢) الإمام، فقيه الملة، عالم العراق، أبو حنيفة النعمان بن ثابت، يقال: إنه من أبناء الفرس، ولد سنة ثمانين في حياة صغـار الصحابـة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهـم الكوفة، ولم يثبت له حرف عـن أحد منهم، وروى عن عطاء بن أبي رباح، وهو أكبر شيخ له وأفضلهم على ما قال. قال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. قال الذهبي: قلت: الامامة في الفقه ودقائقه مسلمة إلى هذا الإمام. وهذا أمرٌ لا شك فيه.

وليـس يـصـح في الأذهــان شيء ... إذا احــتـاج الـنـهـار إلـى دلـيـل

وسـيرته تحتمل أن تفرد في مجلدين،رضي الله عنه، ورحمه. توفي شـهيدًا مسـقيًا في سـنة خمسـين ومائة. وله سبعون سنة.[سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠-٤٠٣)].

(٣) انظـر الخـلاف في الوضـوء بالمـاء المسـتعمل، وهـو المنفصـل عـن أعضـاء المتوضـئ والترجيـح في [المغني لابن قدامة (١/ ٤٧)].

(٤) الحديث: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ قَالَ قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَـنَ الْوُضُوءَ خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّـى تَخْـرُجَ مِنْ تَحْـتِ أَظْفَارِهِ». (رواه مسـلم، كتـاب الطهارة، باب: خـروج الخطايا مع مـاء الوضوء برقم (٣١٦)).

وإذا ثبت هذا فالمسيح صلوات الله عليه؛ لـمَّا[1] أثبتَ لِما يخرج من الفم: من غيبة، ونميمة، وكفر، وتجديفٍ[2]، ونحوه، وصْفَ[3] النجاسةِ العقلية المجازية؛ علمنا أنَّ هذه هي[4] التي نفاها عن الداخل إلى الفم، المنطرد إلى المخرج، ولا يلزم من نفي النجاسة العقلية عنه نفيُ النجاسة الحسية؛ لأنَّ غرضه ليس نفيَها، إنما غرضُه نفيُ النجاسة التي يُعاقَبُ عليها الإنسان، وذلك صحيحٌ؛ فإنَّ الله سبحانه لا يُعاقِب الإنسانَ على أنه يبول و يتغوط؛ لأنَّ ذلك من الطبيعات الضرورية؛ كالتَّنفس، ويعاقبُه على الغيبة والنميمة؛ لأنَّه من الأفعال الاختيارية لا الضرورية، وفيه إضرارٌ بالناس.

أَمَّا نجاسةُ الخارج المتولِّد عن المأكول؛ فمتقررٌ في بداية[5] العقول، والشرعُ فيه تابعٌ للعقل[6]؛ لأنَّا لا نعني بنجاسته[7] إلَّا وجوب اجتنابه، وذلك طاهر عقلًا؛ لسقوط قوتـه، وخُبث ريحه وخُلُوه من فائدةٍ، فصار ضررًا محضًا، وأذى[8] صرفًا، ومفسدةً مجردة، وعقولٌ لا تقتضي بداهتُها اجتنابَ مثل هذا؛ عقولُ سوءٍ مخذولةٌ.

والسرُّ في وجوب اجتناب هذه الخبائث؛ أنَّ الإنسانَ مأمورٌ بالعبادات لله سبحانه

---

(١) ليست في: (ب)، وأثبتُّها من (أ).

(٢) التجديف: هو الكفر بالنعم وقيل: هو استقلال ما أعطاه الله. [لسان العرب(٩/ ٢٣] والتَجْدِيف: شتيمة ونميمة، ويقصد بها في الكتاب المقدس كلام غير لائق في شأن الله، ومن أنواع التجديف على الروح القدس الطعن في معجزات المسيح كقول الفريسيين أن شفاء الأعمى والأخرس الذي تمّ بروح الله إنما هو من اعنال بعلزبول، فمثل هذا التجديف غير قابل للمغفرة وأما الذين يشعرون بيأس ظنًا منهم أنهم قد جدفوا على الروح القدس، فيأسهم بهذا السبب يظهر أنهم قابلون للتجديد والمغفرة بخلاف الذين قد رفضوا التوبة عن تصلف فقاوموا الروح القدس وتجاوزوا في معارضته وتكذيب إنذاره إلى إن صارت التوبة عندهم من المحال. فامثال هؤلاء لا ينالون المغفرة أصلًا. [قاموس الكتاب المقدس (٢٥٣)].

(٣) مفعول أثبت.

(٤) (هي): ليست في: (أ)، وأثبتُّها من (ب).

(٥) هكذا في: (أ)، وفي: (ب)، ولعلها: (بداهة).

(٦) انظر الكلام عن العقل، وقضية التحسين والتقبيح في: [كتاب الطوفي: درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح، تحقيق د: أيمن محمود شحادة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ].

(٧) في: (أ): بنجاسة، والمثبت من: (ب).

(٨) في: (ب): (وأذا).

(وتعالى)[1]، وعابدُ الله مناجٍ له واقف في خدمته، فالأولى به أن يقوم في خدمته كاملَ الهيئة، ومن كمال الهيئة إزالةُ الخبائث، التي هي ضررٌ محضٌ، لا نَفْع فيها أَصلًا.

فإن قيل: أليس خَلوف[2] فمِ الصائم كريهُ الرَّائحة؛ حتى أنَّه يقارب ريح العذرة[3]؛ لا سيما ممن يكون أبخر[4]، وقد استحب علماءُ المسلمين بقاءها له، من حين الزَّوال إلى غروب الشمس؛ بل بعضُهم كره إزالتها[5] حينئذٍ، وهذا تعبدٌ لله[6] سبحانه بالريح الخبيثة، فما وجهُ[7] التشنيع علينا؟!.

فالجواب من وجوه:

أحدها: أنه ليس الخلوف في ذلك كالعذرة عند أحدٍ من العقلاء، فلا يلزم من مشروعية التَّعبد بالأدنى مشروعيةُ التَّعبد بالأعلى.

الثاني: أن الخلوف ليس مكروهًا في بداية[8] العقول كالعذرة، والفرقُ [٢٢/ ب] بينهما شدةُ تأثير الهاضمة في العذرة، حتى يشتدَّ خبثها، بخلاف الخلوف.

الثالث: أن تعبُّد المسلمين هو بما يخرج من مخرج التسبيح والحكمة، تعبُّدًا مؤقتًا [٢٠/ أ] بنصف النهار، و تعبُّد النصارى هو بما يخرج من مخرج الضُّراط، والفُساء؛ تعبُّدًا دائمًا!، فأين أحد التعبُّدَين من الآخر؟!، وهل هذا إلاَّ مثلُ قياسِكم الأب، والابن، وروح القدس، على النفس، والنطق، والعقل؟، وقد بينَّا فسادَه،

---

(١) ساقطة من: (ب).

(٢) ورد في الحديث الصحيح: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: (الصيام جنة فلا يرفث ولا يجهل وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم مرتين والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها)، (صحيح)، رواه البخاري، (صحيح البخاري، باب فضل الصوم، حديث رقم: ١٧٩٥، ج٢/ ص٦٧٠). ورواه مسلم في: باب فضل الصيام، (صحيح مسلم حديث رقم: ١١٥١، ج٢/ ص٨٠٧).

(٣) في (ب): المعدة.

(٤) في (أ): زيادة حرف (د) بعد(أبخر)وليست في (ب)، وأغلب ظنّي أنها من: البَخَر، وهو النَّتْنُ في الفَمِ وغيرِه.

(٥) في (أ): (إزالها)، وهو خطأ والصواب ما أثبتُّه من (ب).

(٦) في (أ): (تعبد الله) وهو خطأ والصواب ما أثبتُّه من (ب).

(٧) ليست واضحة في (أ)، والمثبت من (ب).

(٨) هكذا وردت في: (أ، ب) ولعلها (بداهة)، كما سبق وقررنا ذلك.

وقياسُكم هنا أظهرُ فسادًا.

الرابع: أن المذهب الصحيح الذي نعتقده، وننصره، والحجة عليه ظاهرة، استحباب إزالة الخلوف بالسواك للصائم مطلقًا، وهو مذهب بعض العلماء(١) ورواية عن أحمد، ومن كره إزالته، أو استحبَّ بقاءَه، أخطأَ في فهم كلام محمدﷺ(٢)!، كما أخطأتم أنتم في فهم كلام المسيح، لكنَّ خطأهم دون خَطئِكم؛ لسهولة الأمر في الخلوف بالنسبة إلى العذرة، وتقريرُ خطئهم في ذلك بينَّاه غيرَ هذا المكان، واللهُ أعلم.

ومن ذلك في الفصل الثاني والثلاثين: قال المسيح لتلاميذه: (احذروا من خمير الفريسيين(٣) والزنادقة، فظنّوا أنه يحذِّرهم خُبزَهم، حتى وبخهم على ضعف فهمهم، وأنَّه إنَّما أراد تحذيرَهم تعليمَ الزنادقة والفريسيِّين)(٤).

فانظرْ أيُّها المتأملُ إلى هذا المجاز ما أبعدَه، وقد صرَّحَ أنَّه أراده، ووبخَّهم على عدم إمعانهم النظرَ في تفهّمِ كلامه، فلِمَ لا يجوزُ أنْ يريدُ بالأبُوة والبُنوة المنسوبة إلى اللهِ، وإليه؛ الربوبيةَ والعبوديةَ مجازًا؟، وإذا كان التلاميذُ الذِّين كانوا أنبياء معصومين،

---

(١) قال ابن قدامة في المغني (١/ ١٠٩) طبعة دار الفكر، الأولى، ١٤٠٥هـ لبنان: (قال ابن عقيل: لا يختلف المذهب أنه لا يستحب للصائم السواك بعد الزوال وهل يكره؟، على روايتين:

إحداهما: يكره، وهو: قول الشافعي و إسحاق و أبي ثور، وروي ذلك عن عمر و عطاء و مجاهد لما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال يستاك ما بينه وما بين الظهر، ولا يستاك بعد ذلك؛ ولأن السواك إنما استحب لإزالة رائحة الفم وقد قال النبي ﷺ: (لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك) قال الترمذي: هذا حديث حسن، وإزالة المستطاب مكروه، كدم الشهداء، وشعث الإحرام.

والثانية: لا يكره ورخص فيه غدوة وعشيا النخعي، وابن سيرين و عروة و مالك وأصحاب الرأي، وري ذلك عن عمر وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم لعموم الأحاديث المروية في السواك..]. وقلت المسألة: خلافية يسوغ فيها الخلاف. انظر تعليق الناسخ الآتي.

(٢) في الهامش بخط الناسخ في: (ب): [هذه العبارة توجب مؤاخذة الطوفي كونه خطأ الجمهور والله أعلم].

وانظر: [زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٩٣) لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت].

(٣) الكلمة من الآرامية ومعناها: المنعزل، وهو إحدى فئات اليهود الرئيسية الثلاث التي كانت تناهض الفئتين الأخريين فئتي الصدوقيين والأسينيين، وكانت أضيقها رأيًا وتعليمًا. [قاموس الكتاب المقدس(٦٧٤)].

(٤) إنجيل متى: ١٦: ٦ - ١٢، ووجدت بدل (الزنادقة) لفظ: (الصدوقيين).

خفيَ عنهم مرادُه؛ حتى صرَّح لهم به؛ فما ظنُّك برعَاعِ[1] النَّصارى الخالفين بعدهم، الذِّين هم كالأنعام، بل هم أضلُّ سبيلًا!.

ولقائلٍ أنْ يقول: قد بيَّنه في إنجيل (لوقا)، فقال: (خمير[2] الفريسيين الذي هو: الرياء)[3]، لكن يقال: لو[4] صحَّ هذا البيانُ لما ذهب وَهْمُهُم إلى الخبز.

ومن ذلك في الفصل الثالث والثلاثين: (ثم جاء يسوع إلى قرى قيسارية، فقال لتلاميذه: ماذا يقول الناس في ابن البشر؟، فقال قومٌ: يقولون: يوحنا المعمداني، وآخرون (يقولون)[5] إيليا [٢٣/ ب]، وآخرون أرمياء، أو واحدٌ من الأنبياء، فقال لهم: فأنتم ماذا تقولون؟: فقال[6] سمعان بطرس: أنت هو المسيح ابن الله الحي، فقال: طوباك ياسمعان، ثم استخلفه)[7].

واعلم أنَّ هذا كلامٌ فاسدٌ مختلٌ، من وضْع بعضِ غلاة النصارى، وقد كان في غاية التغفيل، فليت شعري: كيف يشتبه عليهم المسيحُ بيوحنا المعمداني، و إيليا، و أرميا، وهم أقدمُ منه في القديسيَّة والنبوة، وكلٌّ منهم متعينٌ في نفسه، لا يشكل بغيره.

---

(١) الرَّعاعُ الأحداثُ ورَعاعُ الناس سُقَاطُهم وسَفِلَتُهم. [لسان العرب: (٨/ ١٢٨)].

(٢) في (أ): خبز، وما أثبتُّه من (ب)، وهكذا وردت العبارة في إنجيل (متى): ١٦: ١١: (كيف لا تفهمون أني ليس عن الخبز قلت لكم، أن تتحرزوا من خمير الفريسيين و الصدوقيين). و النص الذي أشار إليه الطوفي رحمه الله في (لوقا): ١٢: ١: (و في أثناء ذلك إذ اجتمع ربوات الشعب، حتى كان بعضهم يدوس بعضًا، ابتدأ يقول لتلاميذه: أو لا تحرزوا[هكذا وردت، وفيه دلالة على هشاشة الترجمة، ومثل هذا كثيرٌ سيأتي] لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو: الرياء).

(٣) إنجيل لوقا: ١٢: ١.

(٤) ليست في(أ)، والمثبت من (ب).

(٥) زيادة من: (ب).

(٦) ليست في (أ).

(٧) النص في متى: ١٦: ١٤ – ١٧: (فقالوا قوم: يوحنا المعمدان، و آخرون: إيليا، و آخرون: أرمياء، أو واحد من الأنبياء، فقال لهم: وأنتم من تقولون أني أنا؟، فأجاب سمعان بطرس وقال: أنت هو المسيح، ابنُ الله الحي، فأجاب يسوع وقال له: طوبى لك يا سمعان بن يونا إن لحمًا و دمًا لم يعلن لك، لكن أبي الذي في السماوات).

كذب إنجيل متّى

ويدلُّ على كذِب هذا الكلام، وفساده، قولُه بعد هذا: (حينئذٍ أوصى تلاميذَه؛ ألاَّ [٢١/ أ] يقولوا لأحدٍ أنَّه يسوع المسيح)[١]، ووجهُ الكذب فيه: أنَّه إنْ كان الله، أو ابن الله؛ فلماذا يُخفي نفسه؟!، وبالناس حاجةٌ إلى معرفته؛ ليزولَ اللَّبس عنهم والإشكالُ، ويسلكون طُرق الهدى بعد طُرق الضَّلال.

وهل هذا إلا تلبيسٌ لا يليق إلا بإبليسَ؟!، والمسيحُ، صلوات الله عليه، منزَّهٌ عنه، وإن كان رسولًا فكذلك؛ لأنَّ شأنَ الرسولِ تبليغُ ما أُرسلَ به غيرَ خائفٍ مع الله أحدًا، ولا تأخذُه فيه لومةُ لائمٍ.

وأيضًا: فإنَّه قبلَ هذا قد قدحُ بقول سمعان: (أنت هو المسيح ابن الله)، فكيف يستخفي الآن؟!.

فإنْ قيلَ: خِيفةَ اليهود أنْ يقتلوه[٢]؛ قلتُ[٣]: الكلامُ أعمُّ من هذا، وأيضًا: فإنَّه كان يعلمُ أيَّ وقتٍ يقبضُ عليه اليهودُ، ولم يكن جاء ذلك الوقتُ بعدُ.

وأيضًا: فإنه إذا كان يعلم أنَّه يُقتل لا محالة؛ فمثلُه لا يستعصِمُ بأسبابٍ يعلمُ أنَّها لا تنفعُ، ولا تردُّ قدرًا، ومن كان يمشي على الماء بيقينه يبْعُد[٤] منه أنْ يقول: لا تعلموا الناس بي؛ لئلا تقتلني اليهود؛ مع أنَّه كان يعلم أنه لابُدَّ من ذلك؛ لكونه سبقَ في بشارة أشعياء، ونسبةُ مثلِ هذا إلى المسيح قدحٌ فيه؛ ولكنْ ليس مستبعدًا من النصارى؛ لأنَّهم أصدقاءُ جُهَّال! وفي المثل: (عدوٌ عاقلٌ خيرٌ، من صديقٍ جاهلٍ).

الدلالة على بشرية المسيح وعبوديته

ومن ذلك: في الفصل الخامس والثلاثين: (أنَّ رجلًا كان بابنه شيطانٌ؛ فقدَّمه إلى التلاميذ، فلم يقدروا على إخراجه منه؛ فأخرجه المسيحُ، فقال له التلاميذ لم

---

(١) وردت العبارة بنصها في إنجيل متى: ١٦: ٢٠.

(٢) في هامش (ب) كتب الناسخ: (يامدمغين يا نصارى، إن قلتم: خيفة اليهود، فاليهود.......... وأخس أن يقتلوا من تزعمون أنه ابن الله، كيف يمكنهم من قتل ابنه. وإن قلتم: هو الله، فمن يقدر على قتل الله؟!، وهل يخاف الله من....... فعثركم الله، ما أدمغكم، وأتعسكم).

(٣) في (ب): قلنا.

(٤) في (ب): نعيد.

يخـرج معنا نحن؟ ؛ فقـال: لِقلَّة إيمانِكم. الحـقَّ أقولُ لكم، لـو كان لكم إيمانٌ مثل حبَّـة خردل؛ لقلتم لهذا الجبـل انتقل من [٢٤/ ب] هنا إلى هناك فينتقل، ولا يعسـر عليكـم شـيء)[١]، وقد تكررَّ مثلُ هذا في مشـيه على الماء وغيره. وهـذا ظاهرٌ في أنَّ المسـيحَ إنما كان يفعـل الخوارقَ بقوّة يقينهِ وإيمانه، وحُسـنِ ظنّه بالله، ولو كان إلهًا لـكان فعلُه لهـا بالقدرة الإلهيـة، أو ابنَ الإله لـكان فعلُه لها بقدرة أبيـه وجاهه؛ كما تتصـرَّفُ أبناءُ الملوك في ممالـك آبائهم بجاههم، فلما كان تصرُّفُ المسـيح باليقين والإيمان؛ دلَّ على أنه عبدٌ مربوبٌ، لا إلهٌ، ولا ابنُه.

وفي الفصل السادس والثلاثين: **(لما طلبوا الخراجَ من المسيح قال: يا شمعان، مـا يظنُّ ملوكُ الأرض؟ ممن يأخذون الخراج؟، من النبييـن، أو من الغرباء؟، قال له بطرس: من الغرباء، قال يسوع: فالنبيون**[٢] **إذًا أحرار)**[٣].

قلت: هذه اللفظةُ في الإنجيل رأيتها مترددةَ الصورة بين (النبيِّين) جمع (نبيٍّ)، أو (البنين) جمع (ابن)؛ فإنْ كانت جمعَ نبيٍّ؛ فقد اعترف المسيحُ بأنه نبيٌّ؛ وإن [٢٢/ أ] كانت[٤] جمع ابن؛ لزم أن يكون لله أبناءُ متعددةٌ، ولا قائلَ به؛ بل القائلُ قائلان:

أحدهما قال: ليس لله ابنٌ، والآخر قال: المسيحُ ابنُ الله، سبحانه عن ذلك.

ومـن ذلك في الفصـل الثامن والثلاثين: **(قولُ المسـيح لتلاميـذه: إذا اتفق اثنان منكم على الأرض في كل شيء يطلبانه**[٥]**، يكونُ لهما من قبل أبي الذي في السموات، وحيثما اجتمع اثنان، أو ثلاثة باسمي؛ فأنا أكون هناك في وسطهم)**[٦].

قلـتُ: لعلَّ هـذا مما تغترُّ به النصارى، في كون المسـيح إلهًا؛ لكونه قال: حيثما

---

(١) إنجيل متى: ١٧: ٢٠.

(٢) في (أ) (فالنبيين)، والصواب من: (ب)، ووردت الكلمة في نص إنجيل متى: (فالبنون)

(٣) إنجيل متى: ١٧: ٢٤-٢٦.

(٤) في (أ): (كان) والصواب من (ب).

(٥) في (أ): يطليانه، والصواب من (ب).

(٦) إنجيل متى: ١٨: ١٩-٢٠.

اجتمعتم باسمي، فأنا في وسطكم، وإنَّما هذا كنايةٌ، ومجازٌ عن: أنَّكم بحكمي تحكمون، ولملَّتي تتَّبعون؛ بدليلِ قوله: ما اجتمع اثنان، أو ثلاثة باسمي؛ فتقييدُه باسمه يدلُّ على أنَّ ذلك مجازٌ عما قلناه؛ وإلاَّ فلو كان بذاته معهم لكونه إلهًا لزم التَّبعض والتَّجزيء على الإله؛ لأنَّ المسيحَ يكونُ بذاته معهم، وأبوه في السموات، كما صرح به غير موضع، وهما عندهم واحدٌ، والتجزيء على الإله محالٌ، ولو كان معهم بعلمه لم يكن لتقييده باجتماعهم باسمه معنى؛ لأنَّ الإله مع خلقه بعلمه حيث كانوا، سواء اجتمعوا باسمه، أو باسم الشيطان الرجيم!، كما قال الله سبحانه في القرآن العزيز: ﴿.. مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، إلى قوله: ﴿إِلَّا هُوَ(١) مَعَهُمْ أَيْنَ مَا [٢٥/ ب] كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧].

ومن ذلك في الفصل الأربعين: (قال: جاء الفريسيون إلى المسيح ليجربوه، قائلين: هل يحل للإنسان يطلق امرأته؛ لأجل كل علة؟، فقال لهم: أَمَّا قرأتم إنَّ الذي خلق في البدء خلقهما ذكرًا و أنثى؟، ومن أجل ذلك يترك الإنسانُ أباه وأُمَّه، ويلصق بامرأته، ويكونا كلاهما جسدًا واحدًا، وليس هما اثنان؛ لكن جسد واحد، وما جمعه الله لا يفرقه الإنسان، قالوا له: لماذا موسى أوصى أن تُعطى كتاب طلاق وتُخلي؟!، قال: لأنَّ موسى علمَ قساوة قلوبكم، فأوصاكم أنْ تطلِّقوا نساءَكم، ومن البدء لم يكن هذا، وأقول لكم: من طلَّق امرأته من غير زنا، فقد ألجأها إلى الزنا، ومن تزوَّج مطلقةً فقد زنا)(٢).

قلتُ: اعلمْ أنَّ هذا الكلامَ(٣) مختلقٌ على المسيح، لا يليق بعاقلٍ نسبته إليه؛ لأنَّه فاسدٌ، وبيانُ فساده أنَّ المسيحَ صلوات الله عليه، كان من أحكمِ الحكماءِ، وحِكَمُه الثابتةُ عنه لا يتمارى عاقلٌ في حسنها، وصحةِ عللِها وظهورِها للعقول، ومناسبتِها.

تعليل النصارى الفاسد لعدم جواز الطلاق

(١) في كلا النسختين (أ) و(ب): وهو، وهو خطأ.

(٢) إنجيل متى: ١٩: ٣- ٩. انظر للفائدة: [التوراة والقرءان والإنجيل (١٠٧-١١٠): محمد حمد الصويان، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ مكتبة العبيكان. الرياض].

(٣) في: (ب): كلامٌ، والصواب من: (أ).

وهذا الكلام معللٌ بعلّةٍ غير مناسبة؛ وذلك أنَّه جعلَ العِلَّة في عدم جواز الطلاق كونَ الخالق خلقهما في البدء ذكرًا وأنثى، وأنَّ الإنسانَ يلصق بامرأته [٢٣/ أ]، ويدعُ أبويه، وليس في هذا التَّعليل ما يُناسب عدمَ جواز الطلاق، والتشديد فيه.

نعم، فيه ما ينهض سببًا لكراهته، كما هو في دينُ الإسلام، هذا نعم! ؛ ولهذا قال محمد ﷺ: (**أبغضُ الحلال إلى الله الطلاق**)[١].

أَمَّـا تحريـمُه والتغليظُ فيه فمن أين ذلك؟، و أَمَّا قولُه: وما[٢] جمعه الله لا يفرقه الإنسـان، فهو منقوضٌ بالعضـو المتآكل من البدن، إذا خِيفَ منـه الضررُ، كان قطعُه واجبًا عقلًا وشرعًا؛ حفظًا للنفس.

وقد يحصلُ للإنسـان مـن الضَّرر بإمسـاك الزوجة أضعافُ ما يحصـلُ له بإبقاء العضـو المتـآكل. وقد نص المسـيح على هـذا في الفصل التاسـع والثلاثين من هذا الإنجيـل، حيث قال: (**إن شـكتك يـدُك أو رجلُك فاقطعهما، والقهمـا عنك!، وإن شـكتك عينيك**[٣] **فاقلعها! والقها عنك، فخيرٌ لك أنْ [٢٦/ ب] تدخل الحياة أعرج، أو أعسم**[٤]**، أو بعينٍ واحدةٍ، من أن تُلقى في جهنم صحيحَ الأعضاء**)[٥].

وقد يكون اسـتمرارُ الرجل مـع المرأة مفضيًا إلى النار، فيكون كما لو شـكته[٦]

---

(١) (ضعيف)عن ابن عمر، سـنن أبي داود. باب في كراهية الطلاق (ج٢/ ص٢٥٥) (٢١٧٧) (٢١٧٨)سـنن ابن ماجـه. كتاب الطـلاق. (ج١/ ص٦٥٠) ح(٢٠١٨). سـنن البيهقـي الكبرى (ج٧/ ص٣٢٢) بـاب ما جاء في كراهيـة الطلاق(١٤٦٧١)، ضعفه الألبـاني، في: [ضعيف ابن ماجـه (٣٤٩/ ٢٠٥٠). ضعيف الجامع الصغير (ص ٨ برقم ٤٤) في إرواء الغليل (٢٠٤٠)، ضعيف أبي سنن داود (٣٧٣ و ٣٧٤)].

(٢) في (أ): (فما) والصواب من (ب).

(٣) هكذا في النسختين(أ. ب)،: و اللفظ في الترجمة الحديثة: (و إن أعثرتك عينك فاقلعها و القها عنك خير لك أن تدخل الحياة اعور من أن تلقى في جهنم النار و لك عينان).

(٤) العَسَمُ: يُبْسٌ في المِرْفق والرُّسغ تَعوَجُّ منه اليدُ والقدَمُ. [لسان العرب (١٢/ ٤٠١)].

(٥) إنجيل متى: ١٨: ٨-٩.

(٦) في (ب): (شكاه) والصواب من (أ).

أحدُ أعضائه، لو تُصوِّر ذلك.

و أمَّا قوله: إن موسى لقساوة قلوبكم أوصاكم أن تطلقوا نساءكم، فيقال في جوابه: الطلاقُ، لا يخلو إمَّا أنَّه كان جائزًا عند موسى، أو غير جائز؛ فإن كان جائزًا؛ فكيف يستجيز موسى ما لا يستجيزه المسيح؟!.

فإنْ قيل: بطريق النسخ، قلنا: لو كان بطريق النسخ لبيَّنه المسيحُ، وقال: هذا في شرعي حرامٌ، وإنْ كان جائزًا في شرع موسى، ولكن اعتلَّ بقساوة قلوبهم، وقساوةُ القلوب لا تُبيح المحظور؛ بل تناسب حظر المباح، كما شدَّد الله سبحانه على اليهود بتحريم جملة من الطيبات[1]، وإنْ لم يكن الطلاق جائزًا عند موسى؛ فتجويزه إياه لهم لقساوة قلوبهم؛ ادّهانٌ في دين الله، وتسامحٌ في حقوقه، وهو لا يليقُ بأحدٍ من الأنبياء.

ثمَّ إنَّ المسيح قد حكمَ لأصحابه، الذِّين سألوه عن الطلاق من الفريسيين وغيرهم[2] بقسوة القلب؛ فالعلَّةُ التي أجازه موسى لأجلها موجودةٌ، فهلا أجازه لهذه العلة؟ ؛ وهل منعُ الشيء مع وجود مقتضيه إلاَّ تشديدٌ على خلق الله وحرجٌ عليهم؟. ومقاصدُ النُّبوات من إقامة رسوم التكاليف؛ تحصلُ بدون الحرج، والتضييق.

حقوق المرأة في إنجيل النصارى المحرَّف

و أمَّا قوله: (من طلق امرأته من غير زنا فقد ألجأها إلى الزنا)؛ فكلامٌ[3] غير

---

(١) يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴾ [النساء:١٦٠]. وقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٦] وقوله ﷺ: ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ ۖ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [النحل: ١١٨].

(٢) في (أ): وغيره، والصواب من (ب).

(٣) في: (ب): كلام، والصواب من (أ). قلت: وهذا الكلام لا يقبل، وقد رجعت مرة أخرى لنسختي المخطوط فوجدته مثبتًا، وإلاَّ كان الأولى حذفه.

محصَّـل، وكيف يلجئهـا إلى الزنا؟!، والناس كثيرٌ تتزوج بغيـره، كما لو مات، وهل زوج المـرأة، وامـرأة الرجـل إلاَّ كخادمٍ يُستمتعُ بـه في قضاء الحوائـج؟!، إذا مات اشترى عِوضَه.

وكذلك قوله: (من تزوج مطلقة فقد زنا)؛ فإنَّه في غاية الفساد [٢٤/ أ] والتناقض؛ لأنَّ مفهـومَ قوله: (من طلق امرأته من غير زنا فقد ألجأها إلى الزنا)، جوازُ[١] طلاقها إذا زنت[٢].

وقوله: من تزوج مطلقة فقد زنا، عامٌ في المنع مِن تزوُّجِ المطلقة، سواء طُلِّقتْ لكونها زنـت، أو لا لعلـةٍ، فيلزم[٣] من هذا أنَّ مـن زنت امرأتُه؛ جاز له طلاقُهـا، ولم يجُز لغيره تزوجُها؛ فيُفضي حينئذٍ إلى أنها تزني، فهذا يكونُ إلجاءً لها إلى الزنا، لا الذي قبله.

رواج الشبه على النصارى

فأنت [٢٧/ ب] أيُّها العاقلُ اللبيبُ إذا تأمَّلتَ هذا الكلام، وما اشـتمل عليه من التَّهافُت والاضطراب؛ علمتَ قطعًا أنه مختلقٌ على المسيح، وأن المسيح بريء منه، وأن هؤلاء القوم دلسـت عليهم أشياء، فراجت، ثم جعلوها أساسًا لدينِهم، فكان بناؤهم على جُرُفٍ هارٍ[٤]، وكما قال المسـيح عليه السلام: فيمن بيته على الرمل فجاء السيل فهدمه[٥].

ومن ذلك: في الفصل الخمسـين: (مثلٌ ضربه المسـيحُ لهم، في رجلٍ سلَّم كرْمه إلـى الفَعَلةِ ليقومـوا عليه، فلمَّا جاءَ وقتُ الثمـر؛ بعَثَ عبيدَه إليهـم ليأخذوا الثمرة؛

---

(١) في (أ): (جواب) والصواب من (ب).

(٢) بينـا في تعليـق سـابق مـا يـؤدي إليه هذا الافـتراء العظيـم منهم على المسيح عليه السلام مـن ظلم للمرأة، وسـلبٍ لإنسانيتها.

(٣) في: (أ) كتبت خطأ هكذا (فليزم) والصواب من (ب).

(٤) الجرف الهاري: الجَرْفُ اجْتِرافُك الشـيءَ عن وجهِ الأرض، وشـاهده في القرءان الكريم قوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٩] انظر: [لسان العرب (٩/ ٢٥)].

(٥) النص في إنجيل متى: ٧: ٢٦ - ٢٧: (و كلُّ من يسمع أقوالي هذه و لا يعمل بها؛ يشبه برجل جاهلٍ، بنى بيته على الرمل، فنزل المطر و جاءت الأنهار و هبت الرياح و صدمت ذلك البيت فسقط و كان سقوطه عظيمًا).

فضربوا بعضًا، وقتلوا بعضًا، ثم بعث عبيدًا له آخرين ففعلوا بهم كالأوَّلين، ثم بعث إليهم ابنه لعلهم يستحيون منه، فقالوا: هذا هو الوارثُ فقتلوه؛ ليختصوا بالثمرة)[١].

هذا حاصلُ المثل، وهو مثلٌ ضربه المسيحُ لله سبحانه، ولرسله[٢] قبل المسيح؛ ولنفسه بعدهم. فربمَّا قرَّر النصارى رأيهم من هذا المثل بأنْ قالوا: قد فرَّق المسيحُ هاهنا بين الابن والعبيد؛ فجعل نفسَه ابنَ الله، وجعل الأنبياءَ قبله عبيدًا لله، فلو كانت البُنوَّة فيه مجازًا عن العبودية؛ لم يكن لهذا التفريق معنى، فدلَّ على أنَّ للابن، والبُنُوَّة، خصيصةً ومزيةً على العبيد والعبودية، وليس إلاَّ ما ندَّعيه.

والجواب: أنَّا نسلِّمُ[٣] الفرقَ بين المسيح ومن قبله من الأنبياء، وأنه أفضلُ منهم؛ ولكن من أين لكم أنَّ خصِّيصَته عليهم هي التي تدعونها من كونه ابن الله؟، ولِمَ لا يُقال: أنَّ خصيصته هي: أفضليتُه عليهم، بما ظَهر على يديه ممَّا لم يظهر على أيديهم، وبكونه في نفسه آيةً؛ حيث خُلقَ بكلمة الله، من غير بشرٍ.

والمسيحُ صلوات الله عليه في نفسه آيةٌ، وظهرت على يده الآيات، وسائرُ الأنبياء ليسُوا آياتٍ في أنفُسِهم، وإنمَّا ظهرتْ على أيديهم الآياتُ؛ فلهذه الفضيلة[٤] استجاز أنْ يُنسب إلى الله بالبُنوَّة، المجازية اللفظية، ولم يسُغ[٥] ذلك لغيره من الأنبياء؛ كيف والمسيح، صلوات الله عليه، يقول للعامة والسوقة[٦]: (ما فعلتم من خيرٍ؛ وجدتموه عند أبيكم الذي في السموات)[٧]، فأضاف أُبوَّة الله [٢٨/ ب] إلى غيره من الناس، في مواضع كثيرة[٨].

لفظ البنوة مجاز لفظي

(١) إنجيل متى: ٢١: ٣٣-٤٠.

(٢) في (أ): (لرسوله)، والصواب من: (ب).

(٣) في (ب): (لا نسلم) وهي عبارة لا تستقيم، والصواب ما أثبتُّه.

(٤) في (أ): الفضلة، والمثبت من (ب).

(٥) في (أ): يسع، والمثبت من (ب)

(٦) السُّوقةُ: ضد الملك يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث. [مختار الصحاح (٣٢٦)].

(٧) إنجيل متى: ٥: ٤٥ و٦: ١٤، و١٨: ١٤.

(٨) في إنجيل متى: أضاف أبوة الله إلى أناس غير المسيح في غير ما موضع، انظر على سبيل المثال: ٦: ١٤، ١٥، ٢٦، و٧: ١١، ١٠: ٢٠ و١٠: ٢٩ و١٨: ١٤. وقد تقدم في الدراسة أن من منهجه: الاحتجاج على النصارى

فبهذا[١] وأمثاله [٢٥/ أ] تبيَّن أنَّ مراده ببُنوَّة نفسه، وأُبوَّة اللهِ له إنَّما هي العبوديةُ الخاصة[٢] بمزيد كرامةٍ وفضيلةٍ، لا ما ذهبتْ إليه أذهانٌ فاسدةٌ.

وبنحوٍ من هذا يُجابُ عن ضربِه المثلَ بالمَلِكِ الذي صنع لابنه عرسًا، ودعا إليه قومًا، فلم يجيبوا؛ فأهلكهم، ودعا لوليمته أبناءَ السبيل. ذكره في: الفصل الحادي والخمسين[٣].

ومن ذلك في الفصل الثالث والخمسين: (جاء الزنادقة الذين يقولون: ليس قيامة؛ فقالوا: يا معلم، إن موسى قال: إن مات إنسانٌ وليس له ولدٌ؛ فليتزوج أخوه امرأتَه، ويقيم زرعًا لأخيه، وكان عندنا سبعةُ إخوةٍ تزوجوا امرأة، واحدًا بعد واحدٍ، ولم يُرزقوا منها ولدًا، ثم ماتت المرأة، فلمن تكون المرأة في القيامة من السبعة؟! ؛ فقال لهم يسوع: ضللتم، لم تعرفوا الكتب ولا قوة الله في القيامة لا يتزوجون ولا يزوجون؛ لكنْ يكونون كملائكة الله في السماء)[٤].

قلتُ: هذا الكلام إنْ صحَّ عن المسيح؛ فيجب حمله على قيامة الموت، لا قيامة البعث بعد الموت[٥]؛ لأنَّ قيامةَ كلِّ إنسانٍ بموته؛ لأنَّه يتبيَّنُ له بموته مالَه في قيامة البعث، من خيرٍ وشرٍ، وفي الحديث: **(وإنما قيامة أحدكم إذا مات)**[٦].

بالمجاز الذي لا يسوغ غيره، في دعواهم بنوة المسيح لله تعالى؛ فيقول: (قوله: (لكيما تكونوا بني أبيكم)، قد تقدّم الاستدلال بإضافة البنوة إليهم، على أن المراد بها في حقهم وحق المسيح العبودية).

(١) في (ب): (فهذا) والمثبت من (أ) وهو الصواب.

(٢) وردت في: (ب) دون: (أ).

(٣) انظر النص في: إنجيل متى: ٢٢: ١-١٤.

(٤) إنجيل متى: ٢٢: ٢٣-٣٠.

(٥) قلت: بل الصواب أن يُردَّ هذا النص جملة، ونريح أنفسنا من عناء التكلف في تفسيره، وهكذا كان ينبغي للطوفي أن يفعل رحمه الله.

(٦) (ضعيف). قال الألباني رحمة الله عليه: (ضعيف) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء» (٤/ ٥٦ - طبع الحلبي): (رواه ابن أبي الدنيا في «كتاب الموت» من حديث: أنس رضي الله عنه بسند ضعيف). و من حديثه رواه العسكري و الديلمي كما في «المقاصد الحسنة» (ص ٧٥ و ٤٢٨) بلفظ: «إذا مات أحدكم فقد قامت قيامته». و سكت عليه. وجاء بلفظ: (إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته؛ فاعبدوا الله كأنكم ترونه، واستغفروه كل ساعة)، قال الشيخ الألباني رحمة الله عليه، في «السلسلة الضعيفة والموضوعة» (١١/ ٨١٩):

ولهذا ذكر المسيحُ عقبَ هذا الكلام قيامةَ الأموات وقال: (أَما قرأتم ما قيل لكم من الله؛ إذ قال: أنا هو إلهُ إبراهيم، و إلهُ إسحاق، و إلهُ يعقوب، والله ليس إله أمواتٍ؛ لكن أحياء)[1].

ومعنى هذا الكلام: أنَّ المؤمن إذا مات كانت نفسُه حيةً في عالم السموات، مجردةً عن المادة البدنية، ولا ترى ثوابهَا من أكلٍ وشربٍ، ونكاح وتلذذ نفساني وجسماني، إلاَّ يوم القيامة عند بعث الأجساد. فإنْ صحَّ هذا التأويلُ؛ وإلاَّ فهذا الكلامُ مختلقٌ، موضوعٌ على المسيح، وضعه بعضُ الزنادقة، كالذين سألوه.

والدليلُ على بطلانه من وجوه:

أحدها: أنَّ المسيحَ قد صرَّح بذكر جهنم[2] في الإنجيل في مواضع، في سياق وعيدٍ من لا يؤمن به، وكنىَّ عنها بالظُّلْمةِ، وصرير الأسنان، في مواضع منها: في آخر الفصل السابع، وآخر: الحادي والخمسين من هذا الإنجيل[3].

وعذابُ جهنم عذابٌ حسيٌّ؛ فينبغي أن يقابله للمطيع نعيمٌ حسيٌّ؛ لأنَّ النعيم

(موضوع) أخرجه الديلمي (١/ ١/ ١٥١ - زهر الفردوس) من طريق عنبسة ابن عبد الرحمن: حدثنا محمد بن زاذان عن أنس مرفوعًا. قلت: وهذا موضوع؛ آفته عنبسة هذا؛ فإنه كان يضع الحديث. وقد مضى له غير ما حديث موضوع؛ فانظر اسمه في فهرس المجلد الأول والثاني من هذه «السلسلة». وقريب منه: شيخه محمد بن زاذان؛ فإنه متروك، فانظر الحديث (٤٣٥، ٥١٨) والحديث؛ ذكره السخاوي في «المقاصد» (ص ٧٥) من رواية العسكري عن أنس بلفظ: «الموت القيامة، إذا مات أحدكم؛ فقد قامت قيامته، يرى ما له من خير وشر». ولم يتكلم على إسناده بشيء، لا في رواية العسكري ولا في رواية الديلمي، وقد ذكرها تحت حديث: «من مات؛ فقد قامت قيامته» (ص ٤٢٨) مشيرًا إلى أنه لا أصل له بهذا اللفظ الأخير. وقال: «وللطبراني من حديث زياد بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال: يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة المرء موته. ومن رواية سفيان بن أبي قيس قال: شهدت جنازة فيها علقمة، فلما دفن قال: أما هذا؛ فقد قامت قيامته». [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة: (٣/ ٣٠٩) و (١١/ ٨١٩)].

(١) إنجيل متى: ٢٢: ٣١-٣٢.

(٢) انظر: إنجيل متى بلفظ (جهنم): ٥: ٢٢ و ٢٣: ١٥ و ٢٣: ٣٣. ولفظ (النار): ٧: ١٩ و١٣: ٤٢ و١٣: ٥٠ و١٨: ٨، ٩ و٢٥: ٤١ وإنجيل مرقس بلفظ (جهنم): ٩: ٤٣ و ٤٥ و٤٧ و لفظ (النار): ٩: ٤٣ و٤٤ و ٤٥ و٤٦ و٤٧ و ٤٨. وإنجيل لوقا، بلفظ (جهنم): ١٢: ٥، و لفظ (النار): ٣: ٩.

(٣) انظر إنجيل متى: ٨: ١٢ و ٢٢: ١٣. و٢٥: ٣٠.

الوعدي[1] ينبغي أن يكون من جنس العذاب الوعيدي؛ لأنَّ الرُّسُل إنمَّا رغَّبوا الأُمَم ورهَّبوهم [٢٩/ ب] بما يعقلون، ويحذِّرون؛ ليكونَ أدعى إلى الإجابة.

واللَّذَّةُ الرَّوحانيَّة أكثرُ الأمم لا تدركها، ولهذا احتاج الفلاسفةُ في إثباتها إلى تلطُّفٍ، وضربِ أمثلةٍ مشاهدةٍ [٢٦/ أ]، كما نقل ابن سينا[2] في

(١) والفرق بين الوعد والوعيد بينه الطوفي رحمه الله ضمنًا في تفسيره سورة الفاتحة، قال: (والوجه الثاني: أن القرآن مشتمل على الوعد والوعيد، والحلال والحرام، وغيرهما من الأحكام والقصص والأخبار. أما الوعد ففي ضمن قوله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. وقوله ﷻ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾. والوعد فيه ظاهر لاشتماله على صفتي الرحمة والإنعام. وأما الوعيد ففي قوله ﷻ ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. إذ فيه إشارة إلى أنه ﷻ مالك يوم الحساب والجزاء، فيجازي كلا بفعله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]. وأيضا قوله ﷻ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾. لأن صفتي الغضب والضلال تقتضيان ترتب الوعيد عليهما. وأما الحلال والحرام ونحوهما من الأحكام ففي قوله ﷻ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. إذ المراد بالدين الجزاء المستلزم للتكليف بأحكام الأفعال المجازى عليها من إيجاب وحظر وكراهة وندب. وكذا قوله ﷻ: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾. فصرح بلفظ التعبد الذي هو من التكليف الموجب لوجود الأحكام على المكلفين. وأما القصص والأخبار ففي قوله ﷻ ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾. إلى آخر السورة. ويقرره ما مر في الوجه قبله من أن المخبر عنهم، إما منعم عليه، أو مغضوب عليه، أو مهتد، أو ضال. وما كان من الأخبار بالمعاد، ففي قوله ﷻ: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾. وهي مذكورة في كتاب (العاقبة) وكتاب (البعث والنشور)، وغيرها من كتب السنة). [إيضاح البيان عن معنى أم القرآن للطوفي. ت: د: علي حسين البواب، - ١٤١٩هـ - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة].

(٢) الشيخ الرئيس، ابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ = ٩٨٠ - ١٠٣٧م) الحسين بن عبد الله بن سينا، أبو علي، شرف الملك: الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطب والمنطق والطبيعيات والإلهيات، أصله من بلخ، ومولده في إحدى قرى بخارى. ونشأ وتعلم في بخارى عاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض، في الطريق، ومات بها.

قال ابن قيم الجوزية: (كان ابن سينا - كما أخبر عن نفسه - هو وأبوه، من أهل دعوة الحاكم، من القرامطة الباطنيين).

وقال ابن تيمية: (تكلم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم، فانه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد) أشهر كتبه (القانون) كبير في الطب، يسميه علماء الفرنج Canonmedcna بقي معولًا عليه في علم الطب وعمله، ستة قرون، وترجمه الفرنج إلى لغاتهم، وكانوا يتعلمونه في مدارسهم، وطبعوه بالعربية في رومة وهم يسمون ابن سينا Avcenne وله عندهم مكانة رفيعة.

قلت: قال ابن سينا عن نفسه: (وكان أبي ممن أجاب داعي المصريين ويعد من الإسماعيلية... وقال: وكلما كنت أتحير في مسألة ولم أكن أظفر بالحد الأوسط في قياس ترددت إلى الجامع، وصليت وابتهلت =

آخر كتبه: (الإشارات)، وغيره من الفلاسفة، وإلاَّ فمن أنكر النعيمَ الحسيَّ لزِمَه إنكارُ العذابِ الحسيِّ، وأنَّ العذابَ في الآخرة إنمَّا هو تألُّمُ النفسِ؛ مما تجده من آثار العقائد الباطلة، وكثافة الجهل، وظلمته عليها، كما قرَّره الفلاسفة[1]، وفي ذلك إبطالٌ لما توعَّد به الإنجيلُ من جهنم في غير موضع.

= إلى مبدع الكل، حتى فتح لي المنغلق، وتيسر المتعسر، وكنت أرجع بالليل إلى داري واضع السراج بين يدي، وأشتغل بالقراءة والكتابة، فمهما غلبني النوم أو شعرت بضعف، عدلت إلى شرب قدح من الشراب ريثما تعود إلي قوتي). [الأعلام للزركلي (٢/ ٢٤١-٢٤٢)، (عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة (٢٩٠). (سير أعلام النبلاء (٣٤/ ٣٥)). ومقدمة (الإشارات والتنبيهات (٨٥-٩٨)، وقد حاول الدكتور: سليمان دنيا تبرئته من شرب المسكر والإلحاد.. فلم يفلح. وانظر: رسائل في الأديان والمذاهب (١٩-٢١) د: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ دار ابن خزيمة، الرياض].

(١) قالت الفلاسفة: إن النفس تبقى بعد الموت سرمديًا، إما في لذة عظيمة إذا كانت كاملة زكية، وإما في ألم عظيم إذا كانت ناقصة ملطخة. أو يتفاوت الناس في درجات الألم واللذة كما يتفاوتون في المراتب الدنيوية. والسعادة تنال بالكمال والتزكية، والكمال يحصل بالعلم، و الزكاء بالعمل. والنفس الجاهلة المنشغلة بالبدن وشهواته في الحياة الدنيا، تتألم في الآخرة بفوات اللذة النفسية، وإن لم تحس بالألم في حياتها؛ فلأن البدن يلهيها وينسيها ألمها، كالخدر الذي لا تحس بالنار. فاللذات الجسدية حقيرة بالاضافة إلى اللذات الروحانية العقلية، والدليل على ذلك أن الملائكة التي ليست لها اللذات الحسية هي أشرف حالًا من البهائم. كما أن الإنسان نفسه يؤثر اللذات العقلية على الحسية، فيهتم بالغلبة دون الأنكحة والأطعمة، وبالحشمة دون قضاء الوطر، وبلذة الثناء والإطراء دون خطر الموت. وتزكية النفس تتم بالعمل والعبادة. فالنفس المواظبة على الشهوات تنال الأذى، لعجزها عن الأتصال بالملائكة، ولعجزها عن تحصيل اللذة الجسمانية المعتدلة بعد أن تستلب منها آلتها، وهي البدن لذلك وجب الإعراض عن الدنيا، والاكتفاء بتوسط الشرع في الأخلاق، كالجواد الذي هو وسط بين البخل والتبذير، والشجاعة التي هي وسط بين الجبن والتهوّر. إذن، السعيد من الناس من جمع فضيلتي العلم والعمل. والهالك من عُدِم هاتين الفضيلتين. ومن له فضيلة العلم دون العمل فهو العالم الفاسق الذي يتعذب مدة ثم لا يدوم لكمال نفسه بالعلم. ومن له فضيلة العمل دون العمل يسلم وينجو عن الألم، لكنه لا يحظى بالسعادة الكاملة، ومن مات بنظر الفلاسفة قامت قيامته. والجواب بنظر الغزالي، أن «أكثر هذه الأمور ليس على مخالفة الشرع. فإنا لا ننكر أن في الآخرة أنواعًا من اللذات أعظم من المحسوسات، ولا ننكر بقاء النفس عند مفارقة البدن، ولكنا عرفنا ذلك بالشرع... وإنما أنكرنا عليهم من قبل دعواهم معرفة ذلك بمجرد العقل». لكن الذي يخالف الشرع هو إنكار حشر الأجساد، وإنكار اللذات وللآلام الجسمانية في الجنة والنار. فالجمع بين السعادتين، الروحانية والجسمانية متحقق. والأمثال التي ضربت في ذلك لا تحتمل التأويل. وذهبت الفلاسفة إلى أنه لو قُدِّر بعث الأجساد، لكان ذلك: إما بجمع مادة البدن التي تبقى ترابًا، وتركيبها وخلق الحياة فيها ابتداءً. وإما يردّ البدن الأول بجمع أجزائه، على أن النفس موجود يبقى بعد الموت. وإما بردّ النفس إلى البدن، أي بدن كان؛ لأن الإنسان إنسان بالنفس. وهذه الأقسام الثلاثة باطلة، لأن استئناف الخلق بحسب القسم الأول هو إيجاد لمثل ما كان لا لعين ما كان. وجمع أجزاء البدن بحسب القسم الثاني يؤدي إلى معاد الأقطع، ومجذوع الأنف =

الفلاسفة وإدراك اللذة الروحانية

الوجه الثاني: أنَّ الباري سبحانه عدلٌ حكيمٌ، والعدلُ والحكمةُ يقتضيانِ أنَّ من ترك في دار التكليف شيئًا بموجب التكليف، وتقوى الإله سبحانه؛ أنْ يُعوَّض بمثله من جنسه في دار الجزاء، وذلك يقتضي أن من ترك الزنا واللِّواط، والمأكل والملابس المحرمة في الدنيا؛ يُعوَّض بجنسها في الآخرة، مجازاةً له على تقواه، وإلاَّ كان مَثَلُ ذلك مَثَلَ ملِكٍ قال لغلامه: لا تأكلْ هذا الطعام من أجلي، وأنا أعلِّمُك عِوضه علمًا.

فإنَّ للغلام أن يقول: إنَّ لي بدنًا ونفسًا، والعلمُ وإنْ كان قوتَ نفسي إلاَّ أنَّ الطعامَ قوتُ بدني، وكلا القوتين لا غنى لي عنه.

والعلمُ لا يقوم مقامَ الطعام، كما لا يقوم الطعامُ مقامَ العلم، وذلك لأنَّ[1] أجناس الشهوات وغيرها، لا يقوم بعضها مقام بعض، فيكون الإنسان يكابد ترك هذه الشهوات الذي هو أشدُّ الأشياء عليه، ثم يُجازى بأنْ يُجعل كالملَك يُسبِّحُ الليلَ والنهارَ لا يفتُر، ليس بعدل ولا حكمة؛ لأنَّه ينتقل من تعبٍ إلى تعبٍ، إلاَّ أنَّ النصارى تَقبل عقولهُم هذا؛ بُناء[2] على خرافة رأيتها عن بعض علمائهم يقال له:

= وناقص الأعضاء، وهذا مستقبح بحق أهل الجنة، كما أن أجزاء البدن تندثر وتختلط بغيرها من الأبدان وتدخل في بعضها البعض. وبطلان القسم الثالث حاصل لأن الأبدان المتناهية لا تفي بالأنفس غير المتناهية، ولأن توارد النفس على أكثر من بدن هو قول بالتناسخ، والتناسخ باطل. واعترض الغزالي على أوجه الاستحالة هذه: باختيار القسم الثالث وإقراره، شرعًا. فالنفس باقية بعد الموت، وذلك دلّ عليه الشرع في قوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وردّ النفس ممكن إلى أي بدن كان، سواء كان من مادة البدن الأول أو من مادة استؤنف خلقها. فالمهم هو النفس، لا البدن الذي يتبدل من الصغر إلى الكبر، بالهزال والسمن وغير ذلك. والتناسخ ينكره الشرع، أما البعث فلا ينكره، فان سمي البعث تناسخًا فلا مشاحة في الأسماء، والله قادر على تدبير الأمور. [مشكلة الصراع بين الدين والفلسفة (١٥٧-١٥٩) د: رضا سعادة. الدار العالمية. تهافت الفلاسفة: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت(٥٠٥) هـ(٢٧٤ – ٢٨٢) ت: د: سليمان دنيا. دار المعارف. ط الثامنة. وانظر: تهافت التهافت: للقاضي أبي الوليد محمد بن رشد ت (٥٩٥) هـ. ت: د: سليمان دنيا. دار المعارف. ط الرابعة].

(١) في (أ): (أن) والمثبت من (ب).

(٢) فائدة: كثيرًا ما كنت أسمع الإخوة الأفاضل في مصر هنا، من علماء ومثقفين وباحثين، ينطقون هذه الكلمة كما ضبطتُها بالشكل أعلاه (بُناء)، أي: بالضم، فسألت وتساءلت كثيرًا فلم أجد جوابًا، ثم وقفت على على كلام للطوفي رحمه الله عليه، في كتابه: الصعقة الغضبية على منكري الغضبية لعله يذهب إلى صحة نطقها بهذه =

هل كان إبليس من الملائكة؟

بقطينوس الحكيم، قال له بعض تلاميذه: ما فائدة ظهور المسيح إلى البشر؟!. فقال له كلامًا معناه: إنَّ الله سبحانه وتعالى[(١)] لـمَّا خلق الملائكة؛ جعلوا يتقربون إليه سبحانه[(٢)] بالعبادة، ويزيد هو في إكرامهم، وكان فيهم مقدمٌ جاهلٌ، قال لهم: إنِّي أرى أنَّ الله إنمَّا يزيدُ في إكرامنا خشيةَ أنْ نقهرَه على مُلكه فهو يصانعُنا! ؛ فهلمُّوا نغلبْه على مُلكِه، ونكون مكانه، فوافقته فرقةٌ، وخالفته فرقةٌ، فالذين خالفوه بقوا على ملكيّتهم، والَّذين وافقوه ركَّب اللهُ سبحانه أرواحَهم اللَّطيفة [٣٠/ ب] النيِّرة، في هذه الأجساد الكثيفة المظلمة، ثم كلَّفهم أنواعَ التكاليف، فمن أطاع هاهنا رُفع بعد الموت إلى حيث كان في الملَكية[(٣)]، ومن عصى أُهبط إلى أسفل، وجعل الله سبحانه مقدم الملائكة الذي[(٤)] أشار عليهم بذلك الرأي إبليسهم[(٥)] في دار التكليف، ومغويهم، كما كان مغويهم في عالم السَّماء، ثم إن الله أدركته الرحمة لملائكته فظهرَ للبشر ليستنقذَهم من حبائل شيطانهم ومغويهم.

هذا حاصلُ تقريره، ولو صحَّ هذا وثبت لم ينفِ النعيمَ الحسيَّ؛ بمقتضى

= اللفظة، قال: (قال الأصمعي: قال لي شعبة: إني وصفتك لحماد بن سلمة، وهو يحب أن يراك، قال: فوعدته يومًا، فذهبت معه إليه، فسلّمت عليه، فحيّا ورحب، فقال له شعبة: يا أبا سلمة: هذاك الفتى الأصمعي الذي ذكرته لك، قال: فحياني بعدُ وقرب، ثم قال لي: كيف تنشد هذا البيت:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البِنا   وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا؟!

فقلت:

أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البِنا   وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدُّوا.

يعني: بكسر الباء، فقال لي: انظر جيدًا، فنظرت، فقلت: لست أعرف إلاَّ هذا، فقال يا بني: أولئك قومٌ إن بنوا أحسنوا البُنى. يعني بضم الباء، القوم إنما بنوا المكارم ولم يبنوا باللبن والطين. قال: فلم أزل هائبًا لحماد بن سلمة، ولزمته بعد ذلك.) [الصعقة الغضبية على منكري العربية (٣١٧) ت أ. د: محمد بن خالد الفاضل، العبيكان، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ الرياض. وانظر: غريب الحديث (١/ ٦٠) للإمام: حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي. تحقيق: عبد الكريم إبراهيم العزباوي. جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ١٤٠٢هـ].

(١) وتعالى: ليست في (ب).

(٢) ليست في: (أ).

(٣) في (ب): (من الملائكة).

(٤) في (ب): (الذين) وما أثبتُّه من (أ).

(٥) المثبت من (أ)، وفي (ب): (إبليس).

[٢٧/ أ] العدل الإلهي، وإن صار المكلفون كالملائكة، كما رُكِّبت الشهوةُ في (هاروت) و(ماروت)[١]، وهما على ملكيتهما؛ ينزلان من السَّماء ويعرجان إليها، حتى كان منهما ما كان.

الوجه الثالث: أنَّ سؤال الزنادقة الذين يقولون: لا قيامة للمسيح، عن المرأة لمن تكون في القيامة من الإخوة؟!، يدلُّ على أنَّهم علموا أنَّ التَّزوُّج في القيامة من دين موسى، أو المسيح، أو هما، وأيًا ما كان؛ دلَّ على بطلان ما حكيتم من جواب المسيح لهم، وأنه[٢] مختَلَقٌ عليه، فكان سؤالهُم له عن ذلك خارجًا مخرجَ الإيراد عليه، والإشكال على ما جاء به من النكاح في الآخرة.

وتقريرُه أنك تقولُ[٣] بالنِّكاح في الآخرة، وهذه القصة تُشكل على مذهبك؛ لأنَّ كلًا من الإخوة قد تزوجها؛ فإنْ جُعِلَتْ لأحدهم دون الباقين، كان ترجيحًا من غير مُرجِّحٍ، وإنْ جُعلِت لجميعهم؛ فلم يُعهد امرأةٌ لها أكثرُ من زوجٍ واحدٍ!.

وإن قلتَ: لا تكون لأحدٍ[٤] دلَّ على ما قلناه من نفي النكاح في القيامة، ومن نفي القيامة أيضًا!، فجوابُ المسيح لهم بما حكيتم عنه يكون موافقةً لهم على الزَّندقة، وتبليغهم غرضَهم، فهذا واضحٌ في القدح في هذا الفصل بأسره.

و أَمَّا جوابُ الإشكال الذي أورده الزنادقة، من قصة المرأة وأزواجها؛ فقد

---

(١) قال الله ﷻ عنهما: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ.. ﴾ (البقرة: ١٠٢) انظر في قصتهما، وتفسير الآية المتقدم ذكرها: [تفسير ابن جرير (١/ ٣٥٢). تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٤١). وتفسير ابن كثير (١/ ٢٣١)أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن للشنقيطي (١/ ٧٣)]..

(٢) في (أ): (وأنهم) والتصويب من (ب).

(٣) الخطاب هنا موجهٌ للنصراني الذي رد عليه الطوفي في كتاب: الانتصارات الإسلامية، وفي هذا الكتاب أيضًا.

(٤) في (ب): (لأحدهم) والصواب من (أ).

بيَّنـه محمد ﷺ حيث قال فيما رُوي[١] عنه: (المرأة لآخر أزواجها في الجنة)[٢]، وهو مقتضـى الفقه والحكمة؛ لأنَّ الأوَّلَ تنقطـع علقته عنها؛ بنكاح الثاني لها، وهلُمَّ جرًا، إلـى آخر الأزواج [الذي تموت عنـه؛ لأنَّ الفُرقة بينهما كانـت [٣١/ ب] [ضرورية لا اختيارية][٣]، فالنكاح ينقطع حكمًا بالنسـبة][٤]، إلى أحكام دار التكليف؛ كنكاحه أختَها، وأربعًا[٥] سـواها، وسقوط نفقتها، ونحو ذلك، لا بالنسبة إلى دار الجزاء، فإذا اعتـدَّت كان أحـقَّ بها؛ لموتهـا في عصمته، وكان ذلـك مرجحًا له علـى غيره. ولهذا لـو فرضنا أنها عاشـت بعد المـوت في دار الدنيا، لعادت إليه بالنـكاح الأول، كما لو كانت فرقتُهما عن اختلاف دينٍ أو أسرٍ، أو اختطافِ الجن، أو الضَّلال في برِّيةٍ، ونحو ذلك، وأولى[٦].

ومن ذلك في الفصل الخامس والخمسـين: (قال يسـوع للفريسيين، ما تظنون في المسيح؟ أين هو؟، قالـوا: ابن داود، قال: كيـف يكون ابـن داود، وداود يقول: قال الـرب لربـي، اجلس عن يميني حتى أضـع أعداءك تحت قدميك؟! ؛ فـإنْ كان داودُ يدعوه بالرُّوح ربَّه، فكيف هو ابنُه، فأفحمهم!)[٧].

قلت هذا يوجِبُ أحدَ أمورٍ أربعة:

---

(١) روي: مـن صيـغ التمريـض عنـد المحدثين انظر: [تيسـر مصطلح الحديـث (٦٥) للطحـان]. لكن الحديث المذكور صحيح كما سيأتي، ولا أظن الطوفي عنى بقوله: روي، مصطلح المحدثين؛ إلاَّ أن يكون يرى ضعفه.

(٢) (صحيـح) صححـه الألبـاني في (السلسـلة الصحيحـة) (٣/ ٢٧٥)... عـن ميمـون بن مهـران قال: خطب معاوية رضي الله عنه أم الدرداء، فأبت أن تزوجه و قالت: سـمعت أبا الدرداء يقول: قال رسـول الله ﷺ: «المرأة في آخر أزواجهـا، أو قـال: لآخر أزواجها» أو كما قالت - و لسـت أريـد بأبي الدرداء بدلا وصحـح الحديث أيضًا في (الجامع الصغير) ص(١١٣٤)، برقم (٢/ ٦٦٩١) وعزاه في الترغيب (١/ ١٤٦) لابن خزيمة، وابن حبان.

(٣) ليست في(أ)، وما أثبتُّه من (ب).

(٤) غير واضحة في (أ)، وما أثبتُّه من (ب).

(٥) في (أ): (أربع) والتصحيح من (ب).

(٦) قلـت: هـذا كلامٌ فيـه تكلفٌ شـديد، وأي اختطـاف جنٍّ هـذا؟! ونظيره ما يتكلفه الفقهاء في رمـي الجمرات وافتراضهم أن طائرًا خطف الحصاة قبل وقوعها في الحوض! ! وهكذا. و انظر في أحكام المفقود، وهل يقاس عليه ما ذكر الطوفي؟! [المغني لابن قدامة (٩/ ١٤٥)].

(٧) إنجيل متى: ٢٢: ٤١ -٤٦.

أحدها: اختلاقُ هذا الفصل على المسيح وداود، وأنَّه لا أصل له [٢٨/ أ].

الثاني: أنْ يكون له أصلٌ عن داود؛ لكنَّ المسيح لم يفهم معنى كلامه!.

الثالث: أنَّ داود كان يعتقد أنَّ له ربَّين! ؛ لأنَّه يقول: قال الرَّب لربّي، يعني المسيحَ، ولا تنفعهم في دفع هذا الوجه دعواهم أنَّ المسيح هو الله؛ لأنَّ هذا الكلامَ من داود؛ يستدعي قائلًا، ومقولًا له، وربًا، ومجلسًا عن يمينه، وذلك موجِبٌ لتغايرهما.

وأيضًا ما سبق من أنَّ[١] الله سبحانه والمسيحَ حقيقتان متفاضلتان حِسًّا، وإشارةُ المسيح إلى أنَّ أباه بكماله في السموات مع كون المسيح مشاهدًا في الأرض.

الرابع: أنْ يكون معنى كلام داود: قال الرب لسيدي؛ كما سبق من تسمية أهل الكتاب السيد ربًّا، وهذا الرابع متعينُ الإرادة؛ لأنَّ[٢] الثاني والثالث مُحالان، والأولُ يوجب إسقاطَ الكلام مع إمكان حمله على معنى صحيح. ولا يُستبعد أن يكون الله سبحانه أعلمَ داودَ بظهور عيسى بعده، وأنَّه أفضلُ منه، فكان يعظِّمُه بأنْ يُسمّيه سيدَه بلفظ: ربِّه، كما علَّم يوحنَّا المعمداني بظهور المسيح، وكان يقول للناس: (الذي يجيءُ بعدي أقوى مني، ولا أستحق أنْ أحلَّ سيورَ حذائه!، وهو يعمِّدُكم بروح القدس)[٣].

ثم إنَّا نقولُ: ما تعنون بالمسيح اللاَّهوت وحده؟، أو النَّاسوت وحده؟، أو هما؟ [٣٢/ ب].

---

(١) ليست في (ب).

(٢) في (أ): (لكن) والصواب من (ب).

(٣) انظر: انظر: إنجيل مرقس: ١: ٧، وإنجيل لوقا: ٣: ١٦ وإنجيل يوحنا: ١: ٢٧ وإنجيل متى: ٣: ١١ بلفظ: «لست أهلًا أن احمل حذاءه». ووجدت في إنجيل برنابا، الفصل: ٤٢ العبارة التالية: «أجاب يسوع: إن الآيات التي يفعلها الله على يدي تظهر، إني أتكلم بما يريد الله، ولست أحسب نفسي نظير الذي تقولون عنه؛ لأني لست أهلًا أن أحلَّ رباطات جرموق، أو سيور حذاء رسول الله، الذي تسمونه مسيا، الذي خُلق قبل، وسيأتي بعدي، وسيأتي بكلام الحق، ولا يكون لدينه نهاية، فانصرف اللاويون والكتبة بالخيبة..». قلت: ولعل هذا صريحٌ في إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ في هذا الإنجيل وسيأتي إن شاء الله في الكلام على ذلك.

والأوَّلان: باطلانِ بإجماعٍ؛ بل المسيح عبارةٌ عن ناسوته ولاهوته جميعًا[1].

فهبْ أنَّه صحَّ لكم أنَّ ناسوته ليس ابن داود، فكيف يصحُّ أنَّ لاهوته ليس ابنه، وهو ابن مريم التي هي من نسل داود؛ فإذا لم يكن بُدٌّ من تسليم أنَّ ناسوته ابنُ داود، كان إطلاقُ المسيح إنكارِ كونه ابن داود؛ غيرَ صحيح.

من الأدلة على عدم صحة الأناجيل

فبهذا يعلم العاقل اللَّبيب أنَّ هذا الفصل مختلقٌ موضوعٌ، ومفتعلٌ مصنوعٌ، قاتل اللهُ من وضعه، وأضلَّ الجُهّال به، ولو كان هذا صحيحًا لكان الواجبُ أنْ يُفصِّل المسيحُ في الجواب على عاداته في أجوبته المفَصَّلة، وحكمته[2] الشافية، فيقول لهم:

ما الذي تظنُّونه ابن داود؟، ناسوتي؛ أم لاهوتي؟.

الأول: صحيحٌ، والثاني: باطلٌ؛ لأنَّ داود دعاه ربَّه، فكيف يكون ابنَه؟.

ومن ذلك قوله في الفصل السادس والخمسين: (لا تدعوا لكم معلمًا على الأرض؛ فإنَّ معلمَكم واحدٌ هو المسيح، وأنتم جميع إخوةٌ، ولا تدعوا لكم مدبِّرًا على الأرض؛ فإنَّ مدبِّركم واحدٌ هو المسيح، ولا تدعوا لكم أبًا على الأرض؛ فإنَّ أباكم واحدٌ، هو الذي في السموات)[3].

توجيه قول المسيح: «فإنَّ أباكم واحدًا هو الذي في السموات»

قلتُ: ومن المعلوم أنَّ مراده بأبيهم هو الله سبحانه، ثم قد فرَّق في الخطاب [٢٩/ أ] والتسمية، بين أبيهم والمسيح، فدلَّ على أنَّ المسيحَ غيرُ الله، وليس هو الله.

ثم قد أضافهم بالأبوَّة إلى الله، فدلَّ على أنه هو ليس ابن الله، وإلا لزِمَ ذلك فيهم أيضًا، فلم يبقَ إلاَّ أنه عبدٌ لله، كريمٌ على الله، وجيهٌ عنده، كما صرح به القرآن المعظم[4].

---

(١) في (أ): (جمعا) والصواب من (ب).

(٢) في (ب): وحكمه، والمثبت من (أ).

(٣) إنجيل متى: ٢٣: ٨-١٣.

(٤) ورد في القرءان الكريم آياتٌ كريمات تتحدث عن عبودية المسيح لله تعالى وعن إكرام الله له: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]. وغيرها كثير في هذه المواضع: (النساء: ١٧١)، (النساء: ١٧٢)، (المائدة: ٧٢)، (المائدة: ٧٥)، (التوبة: ٣٠)، (مريم ٣٠).

طعن النصارى في نبوة النبي ﷺ والرد عليهم

وقوله: لا تدعوا لكم معلمًا على الأرض، يعني غيري؛ لدلالة الحسِّ، والخطاب، والقرينة.

أَمَّا الحِسُّ: فلأنَّه مشاهدٌ بحقيقته على الأرض بينهم، فلا يصحُّ مع [(١)] ذلك دعوى[(٢)] أنَّه في السموات.

و أَمَّا الخطابُ: فلأنَّه قال: فإنَّ[(٣)] معلمَكم المسيح، ومدبركم المسيح، ولم يقل الذي في السموات، ولمَّا ذكرَ أباهم الذي هو الله قال: فإنَّ أباكم واحدٌ هو الذي في السموات، فدل على أنَّ اللهَ سبحانه في السموات، وأنَّ المسيحَ ليس في السَّموات؛ بل هو على الأرض معلِّمٌ، وأن لا معلِّم عليها غيره.

وأَمَّا القرينة: فلأنَّه ذكر هذا الكلام في سياق ذم الفريسين: (الذين يراؤون الناس، ويعظِّمون أطرافَ ثيابهِم، ويحبُّون أولَّ الجماعات في العشاء، وصدور المجالس في المجامع، والسلام في الأسواق، وأن يدعوهم الناس معلمين. فأَمَّا أنتم فلا تدعوا لكم[(٤)] معلمًا على الأرض، فإن معلمَكم واحدٌ هو المسيح)[(٥)]، وهذا ظاهرٌ في أن تقدير [٣٣/ ب] الكلام: لا تدعوا لكم معلمًا على الأرض غيري.

فائدة: ذكر في الفصل السابع والخمسين: (أن المسيح يسوع قال لتلاميذه: انظروا لا يضلكم أحد، كثير يأتون باسمي قائلين: أنا هو المسيح، ويُضِلُّون كثيرًا[(٦)])[(٧)].

[وقال في موضع آخر منه: (ويقوم كثيرٌ من الأنبياء الكذبة ويُضِلُّون كثيرًا)][(٨)].

---

(١) في (ب): (على) والصواب من: (أ).

(٢) ليست في (أ)، وأثبتُّها من (ب).

(٣) في (ب): (فلأن).

(٤) في (ب): دون (أ).

(٥) إنجيل متى: ٢٣: ١ - ١٠.

(٦) في (ب): (كثير) والمثبت من: (أ) والنص من الإنجيل هكذا: (و يقوم أنبياء كذبة كثيرون، و يضلون كثيرين).

(٧) إنجيل متى: ٢٤: ٤-٥.

(٨) ساقط من (أ): وأثبتُّه من: (ب).

وقـال في موضع آخر منه: (فسـيقوم مسـيحو كذب[١]، وأنبيـاءُ كذبة، ويُعطون علامـات عظام[٢] وآياتٍ، ويُضلّون المختارين إنْ قدروها، قد تقدَّمتُ وأخبرتُكم، إن قالوا لكم آية في البرية فلا تخرجوا، أو في المخادع فلا تصدقوا، وكما أنَّ البرقَ يخرج من المشـرق فيظهر في المغرب؛ كذلك يكون مجيءُ ابن البشـر، وحيث تكون الجثّةُ هناك تجتمع النسور)[٣].

قلـتُ: النصارى لجهلهـم يحتجون بهذا، وبقوله في الفصـل الخامس: (احذروا مـن الأنبيـاء الكذبة، الذين يأتونكم بلبـاس الحملان، وهم ذئابٌ خطفـةٌ)[٤] على أنَّ محمدًا ﷺ[٥] ليس نبيًا، ولا حجةَ فيه؛ لأنَّ المسـيحَ إنما حذر الأنبياءَ الكذبةَ، والذين يتسـمون باسـمه، ويقولون نحن مسيحون[٦] ولم ينصَّ على أحدٍ باسـمه، وذلك لا ينفي ظهورَ نبيٍّ صادقٍ بعده، تدلُّ على صدقه الحججُ والبراهينُ، كما سنقرر إن شاء الله تعالـى[٧]، بل هذا مما يدل على صدق محمد صلى الله عليه، حيث قال: (لا تقوم السـاعة حتى يظهـر ثلاثون دجالًا كلهـم يزعم[٨] أنه نبـي، ألا وإنه لا نبـيَّ بعدي)[٩] [٣٠/ أ]، فكـونُ عيسـى ومحمدٍ اتفقا على الإخبـار بظهور الكذابيـن بعدهما، يدلُّ

(١) في (أ، ب) (مسيحوا) وهي خطأ، وفي نص متى: (مسحاء كذبة).

(٢) هكذا وردت في النسخ، والصواب أن يقال: عظامًا. و في الترجمات الحديثة لفظ: (عظيمة).

(٣) إنجيل متى: ٢٤: ٢٤ – ٢٨.

(٤) إنجيل متى: ٧: ١٥.

(٥) في: (ب)، دون: (أ).

(٦) انظر: [النصرانية، نشأتها التاريخية، و أصول عقائدها (١٣-١٥) د: عرفان عبد الحميد فتاح].

(٧) (تعالى): ليست في(ب).

(٨) المثبت من (أ)، وفي (ب): يدعي.

(٩) (صحيح) أخرجه مسـلم (٤/ ٢٢٤٠) (٥٢) كتاب الفتن وأشـراط السـاعة (١٨): باب: لا تقوم الساعة حتى يمـر الرجـل بقبر الرجل... ورواه البخـاري (٦١) كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسـلام(٣٦٠٩). وقد ظهر أولهم في عصر النبوة في آخر حياة الرسـول ﷺ، وظهورهـم من علامات السـاعة التي وقعت ولا تزال في البروز والظهور إلى يوم القيامة.. وأما توجيه الروايات التي جزمت بالثلاثين كذابًا، فيكون؛ الدجالون الكبار الذين يفتنون الناس عن دينهم ويتبعهم أناس كثير، مثل: مسـيلمة الكذاب والأسـود العنسي، وغيرهما. [انظر: أشـراط السـاعة في مسـند الإمام أحمد وزوائد الصحيحيـن (١/ ٢٥٦) د: خالد بن ناصر بن سـعيد الغامدي، الطبعـة الأولى ١٤٢٠هــ دار الأندلس الخضراء. والصحيح المسـند من أحاديث الفتن والملاحم وأشـراط السـاعة (٤١٣) الشيخ مصطفى العدوي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ. دار الهجرة. الثقبة].

على صدقهما؛ لأنَّ الحقين متفقان، والحقُّ والباطل مختلفان. وأمَّا وعد المسيح بمجيئه، فهو كما وعد به محمدٌ ﷺ: أنه ينزل من السماء؛ يقتل الدَّجَّال[١]؛ ويضع الجزية على اليهود والنصارى، ويقتل الخنزير، ويكسر الصليب؛ لأنَّ حكمهما بطلَ بنبوةِ محمدٍ ﷺ، وكان أخبرَ بظهوره على ما شهدت به التوراةُ والإنجيلُ، كما سنذكره[٢]، ونزوله من السماء يكون بين ملكين، فلذلك يكون سريعًا كما قال: (كالبرق يكون مجيء ابن البشر)[٣] وإذا نزل اجتمع إليه صالحو[٤] الأرض من كل مكان، فيقاتلُ بهم الدَّجَّالَ، فذلك معنى قوله: حيث تكون الجثَّة تجتمع النسور[٥].

فانظر أيُّها العاقلُ إلى جهل النصارى، كيف تشهدُ كتبُهم، وكلامُ أنبيائِهم بصحة ما عندنا، وهم يحرِّفون ويكابرون كفرًا وعنادًا؟!، فعليهم من الله ما يستحقونه! [٣٤/ ب].

نزول المسيح آخر الزمان

ومن ذلك: ما ذكر في الفصل الرابع والستين: **(أنَّ يسوع بينما هو يأكلُ مع تلاميذه الفُسح[٦] أخذ خبزًا وشكَر وكسَّر، وأعطى تلاميذه، وقال: خذوا وكلوا،**

---

(١) أحاديث الدجال متواترة تواترًا معنويًا، ولا عبرة بمن أنكرها وردها، وزعم ضعف رواياتها. وللوقوف على تخريج أحاديثها انظر: [قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه، على سياق رواية أبي أمامة رضي الله عنه مضافًا إليه ما صح عن غيره من الصحابة رضي الله عنهم، للعلامة: محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه، طبع المكتبة الإسلامية بالأردن] ونزول عيسى عليه السلام ثبت بالقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ، في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩]. [رواه البخاري برقم (٣١٩٢) كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى ابن مريم عيهما السلام. ومسلم (٢٢٠) كتاب الإيمان، باب: نزول عيسى حاكمًا بشريعة نبينا] وله أطراف كثيرة.

(٢) عند ذكر النصوص الواردة بالبشارة بنبينا ﷺ.

(٣) إنجيل متى: ٢٤: ٢٧.

(٤) في (أ، ب): صالحوا، وهو خطأ.

(٥) إنجيل متى: ٢٤: ٢٨. وقد مرَّ النص كاملاً.

(٦) العيد الرئيسي عند النصارى، وهو ذكرى قيامة المسيح من بين الأموات، ويقع بين ٢٢ مارس و٢٥ إبريل =

هذا هو جسـدي! وأخذ كأسًا وشـكر[١] وأعطاهم، وقال: اشربوا من هذا كلكم، هذا دمـي العهد الجديد، الذي يُهراق عن كثيرٍ؛ لمغفرة الخطايا، أقول لكم إني لا أشـرب من الآن من عصير هذه الكرمة، إلى ذلك اليوم الذي أشـربه معكم جديدًا في ملكوت أبي، فسبِّحوا، واخرجوا إلى جبل الزيتون)[٢].

ضلال النصارى عن فهم أمثلة المسيح المضروبة

قلـتُ: إخبارُه بأنَّ الخبز جسُـده، والخمرَ دمُه ليس علـى حقيقته قطعًا، أعني أنَّ جسـدَه خبـزٌ، ودمَه خمرٌ[٣]، فيجـب تأويلُه على مجازٍ شـائع[٤]، ولا يظهر في[٥] المجـاز إلاَّ كونُـه أراد أنَّ: مادة جسـدي ودمـي؛ الخبزُ والخمرُ؛ لأنَّـه قوتي[٦]، والأجسـاد ودماؤها إنمَّا تتولَّد عن الأقوات؛ مأكولًا ومشروبًا، وحينئذٍ يظهر أنَّ فائـدةَ ذلـك تعريفُهـم عند قـرب مفارقته أنه بشـرٌ محضٌ، وليس فيه شـيءٌ من الألوهيَّـة؛ لأنَّ حقيقـةَ الإلـهِ لا تتولَّدُ عن الأقـوات، ونحوها مـن المحدثات، وهذا معنى قوله سـبحانه في القـرآن المقدس: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائـدة:٧٥] أي فتتولَّدُ عنه أبدانُهما، ثم يرميان بقلةٍ[٧] بولاً وتغوطًا، وهذا مما لا يجوزُ على الإلهية.

ثم قولُه في الخمر: أشربه معكم جديدًا في ملكوت أبي، يناقض قوله للزنادقة:

= ويرتبـط بـه عدد كبير من الأعياد الأخرى، ويسـبق بالصيام الكبير الذي يدوم (٤٠) يومًا بجمعة آلام المسـيح. وهـذا العيـد أيضًا من أبرز أعيـاد اليهود ويقع عندهم في ١٥ نيسـان، وفيه خرج بنو إسـرائيل من مصر هربًا من فرعون.

[قاموس الكتاب المقدس (٦٧٨) الموسوعة العربية الميسرة ص(١٢٤٧)].

(١) هكذا في (أ)، وفي (ب): وسكر.

(٢) إنجيل متى: ٢٦: ٢٦ – ٣٠.

(٣) في: (أ): خبز، والصواب من (ب).

(٤) في (ب): سائغ، والمثبت من (أ).

(٥) في (ب): من، والمثبت من (أ).

(٦) في (ب): قوته، والمثبت من (أ).

(٧) مشكلة علي جدًا ويشبه أن تكون في (ب): تفلة. والله أعلم.

في القيامة لا يتزوجون، ولكن تكونون كملائكة الله؛ لأنَّ ملائكة الله لا يشربون، وهو [٣١/ أ] قد أخبر أنَّه يشرب الخمرَ مع تلاميذه هناك.

من خرافات النصارى وأضحوكاتهم

ومن الخرافات المضحكة التي في الإنجيل! ؛ قوله في الفصل الخامس والستين: (**أنَّ يهوذا الإسخريوطي**[١] **لما جاء بالشرطة من عند رؤساء الكهنة؛ ليقبضوا على يسوع؛ جرَّد بعضُ أصحابِ يسوع سيفَه فضرب عبدَ رئيس الكهنة قطع**[٢] **أذنه، فأمره يسوع بالكفِّ وقال: كلُّ من أخذ بالسيف؛ بالسيف يهلك**)[٣].

قلت: وفي هذا الكلام أضحوكةٌ وأكذوبةٌ!، أمَّا الأضحوكة، فقوله:

إن التلميذ ضرب عبدَ رئيس الكهنة فقطع أذنه، أفكانَ هذا الضاربُ مهندسًا، فكَّر وقدَّر، فنظر واعتبر بالبركار! [٤]؛ حتى إنما قطع أذنه!، هذا مما يُستبعد [٣٥/ ب] أنْ يتفق.

ولكنْ قومٌ قليلو[٥] العقول يصدِّقون بالخرافات، ثم بتقدير صحة هذا، هكذا يكون انتصار الأصحاب لأنبيائهم!، أين هذه الضربة من ضربات: علي ابن أبي طالب لجبابرة الجاهلية؟! التي كانت تقدُّ الفارس والفرس، وضربات غيره من الصحابة:

---

(١) في إنجيل برنابا: (ويهوذا الإسخريوطي الخائن، فهؤلاء كاشفهم على الدوام بالأسرار الإلهية، إمَّا يهوذا الإسخريوطي فأقامه وكيلًا على ما كان يعطى للصدقات، فكان يختلس العشر من كل شيء) الفصل: ١٤.

(٢) هكذا في (أ) و(ب): وفي نص متى: (فقطع أذنه)، ٢٦: ٥١.

(٣) إنجيل متى: ٢٦: ٤٧ -٥٢.

(٤) آلة هندسية لرسم الدوائر، وهي ما يعرف اليوم بالفرجار، وجاء ذكرها في ترجمة: يجن بن رستم الكوهي، أبو سهل: مهندس، عالم بالهيئة وآلات الرصد هو الذي بنى « بيت الرصد » لشرف الدولة ببغداد، وأحكم أساسه وقواعده، ورصد فيه الكواكب السبعة في سيرها وتنقلها في بروجها، على مثل ما كان المأمون قد فعله في أيامه. وله كتب، أكثرها رسائل ومقالات، منها: (البركار التام والعمل به) مات حوالي السنة ٣٩٠ هـ.. [الأعلام للزركلي (٨/ ١٢٧)].

(٥) في (أ، ب) (قليلوا) وهو خطأ.

كالزبير[١]، وطلحة[٢]، والمقداد[٣]، وغيرهم؟، هؤلاء كانوا الأنصار[٤]، وجديرٌ بمن يكون ضربةُ نَاصِرِه غايتُها قطعُ أذنِ عبدٍ؛ أنْ يُسلِّمَ لليهود، فيفعلون به ما أرادوا[٥].

فإن قيل: المسيحُ لم يكن صاحبَ سيفٍ ولا حربٍ، وإنَّما كان سلطانُه بالآيات

---

(١) الزبير بن العوام: بن خويلد بن أسد، القرشي، حواري رسول الله ﷺ، وابن عمته، أمه صفية بنت عبد المطلب، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد الستة أصحاب الشورى، كانت أمه تكنيه أبا الطاهر، واكتنى هو بابنه عبد الله، فغلبت عليه، واسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل ثمان سنين، وقال الليث حدثني أبو الأسود قال: (كان عم الزبير يعلقه في حصير ويدخن عليه؛ ليرجع إلى الكفر فيقول لا أكفر أبدا)، وكان قتله بعد أن انصرف يوم الجمل، في جمادى الأولى، سنة ست وثلاثين، وله ست أو سبع وستون سنة، وكان الذي قتله رجل من بني تميم، يقال له: عمرو بن جرموز قتله غدرًا، بمكان يقال له: وادي السباع، [الإصابة في تمييز الصحابة. رقم الترجمة (٢٧٩١)].

(٢) طلحة بن عبيد الله: بن سعد القرشي التيمي، أحد العشرة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذي أسلموا على يد أبي بكر، وأحد الستة أصحاب الشورى وكان عند وقعة بدر في تجارة الشام فضرب له النبي ﷺ بسهمه وأجره، وشهد أحدًا، وأبلى فيها بلاء حسنًا، ووقى النبي ﷺ بنفسه، واتقى النبل عنه بيده حتى شلت أصبعه. مات شهيدًا في وقعة الجمل ٣٦هـ ﷺ. [الإصابة في تمييز الصحابة. رقم الترجمة (٤٢٧٠)].

(٣) المقداد: هو بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود البهراني، ويقال له المقداد بن الأسود. هاجر الهجرتين وشهد بدرًا والمشاهد بعدها، وكان فارسًا يوم بدر حتى إنه لم يثبت أنه كان فيها على فرس غيره. وقال زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود: أول من أظهر إسلامه سبعة فذكر فيهم. وروى المقداد عن النبي ﷺ أحاديث، اتفقوا على أنه مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان قيل وهو بن سبعين سنة. [الإصابة. رقم الترجمة (٨١٨٩)].

(٤) قلت: وهذا الكلام أيضًا يثبت براءة الطوفي رحمه الله من تهمة الرفض؛ إذ الشيعة الرافضة يفكرون ويلعنون ويسبون الصحابة ولا يعتدون إلاّ بنفرٍ قليل منهم على خلافٍ بينهم في عددهم!

(٥) في الهامش الأيسر في (ب): كُتب: (هذه العبارة فيها غضاضة على المسيح، صلوات الله على نبينا وعليه، غفر الله للشيخ نجم الدين). قلت: لا أرى فيها ما ذكر، والطوفي رحمة الله عليه أعقلُ من أن يغضَّ من شأن المسيح عليه السلام، وهو يعلم أنَّ الاستهزاء بنبيٍّ؛ كفرٌ أكبرُ يُخرج من الملة، وغاية ما في العبارة السخريةُ من النصارى الذين لفَّقوا هذا النصَّ، وأثبتوا به سخافة عقولهم؛ حيث قارن بين حماية ودفاع أصحاب محمد ﷺ عنه، ودفاع تلاميذ المسيح عليه السلام عنه، وأنهم لم يبلغوا في الشجاعة والحكمة ما بلغه الصحابة رضي الله عنهم؛ وسيأتي قول الطوفي رحمة الله عليه في هذا الكتاب: «ولما صار لمحمد ﷺ تلميذ واحد، هو عمه حمزة ابن عبد المطلب منعه من جبابرة العرب، وضرب أبا جهل بالقوس، ففلق هامته، وكان أبو جهل سيد أهل الوادي. وتلاميذ المسيح لما أفلح بعضهم وذبَّ عنه ضرب عبدًا قيمته ثمن عباءة!، فقطع أذنه، كأنه أراد أن يجعلها هنداززة!..». وسيأتي في قصة وفاة يعقوب ﷺ كلام للطوفي، لم يكن من اللائق قوله، ولكنه اجتهاد منه، والله يعفو عنه.

الإلهيـة، والحجج البرهانية، ومحمدٌ إنمَّا كان صاحبَ سيفٍ؛ لا صاحب آيةٍ، فلهذا ظهـرت قوَّتُه في السيف، ولـولاه لما قام ناموسُه. وهكذا يقرِّرون القدحَ في شـريعةِ الإسلام بهذه الشبهة.

والجواب: أمَّا قولُكم: إنَّ محمدًا لم يكن صاحبَ آية إلهية؛ فغير صحيح.

من آيات النبي ﷺ الكثيرة

آياته أكثرُ من أنْ تُحصى كانشـقاق القمر[1]؛ وتسليم الحجر والشجر[2]، وتسبيح الحصى في كفيـه، ونبع الماء مـن بين إصبعيـه[3]، وإشباع الخلق الكثيـر من طعام يسـير[4]، كما نقلتم عن المسـيح، وآيـات كثيرة، دوَّنها أهلُ العلـم في دواوين[5]، ومـن أعظمهـا القرآن؛ الذي أخرس الألسـنة الفصاح، بعـد التحدي والاقتراح،

---

(١) سبق في الدراسة الكلام عن دلائل ومعجزات النبي ﷺ، ومنها انشـقاق القمر الثابت أصلاً بكتاب الله تعالى، وبسنة النبي ﷺ الصحيح، فدليل هذا قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقتين فقال النبي ﷺ اشهدوا.

[صحيح البخاري(ح٣٤٣٧) ج ٣ ص ١٣٣٠] و[صحيح مسلم (ح ٢٨٠٠)ج ٤ ص ٢١٥٨]

(٢) عَـنْ جَابِـرِ بْـنِ سَـمُرَةَ رضي الله عنه قَـالَ قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّـي لَأَعْـرِفُ حَجَـرًا بِمَكَّـةَ كَانَ يُسَـلِّمُ عَلَـيَّ قَبْـلَ أَنْ أُبْعَـثَ إِنِّـي لَأَعْرِفُـهُ الْآنَ». [رواه مسـلم في الفضائـل، بـاب: نسـب النبـي ﷺ (٤٢٢٢) والترمـذي (٣٥٥٧) واحمد (١٩٩١٢) و(١٩٩٨٨) و (٢٠٠٩٧)].

(٣) عن علقمة عن عبد الله قال وسـمع عبد الله بخسـف قال كنا أصحاب محمد ﷺ نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا، إنا بينا نحن مع رسول الله ﷺ وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله ﷺ: (اطلبوا من معه يعني ماء ففعلنا فأتي بماء فصبه في إناء ثم وضع كفيه فجعل الماء يخرج من بين أصابعه ثم قال حي على الطهور المبارك والبركة من الله فملأت بطني منه واستسقى الناس) قال عبد الله قد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. [رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة (٤١٦١)]

(٤) في مسـند أحمـد: (عن أنس رضي الله عنه عَمَدَتْ أُمُّ سُـلَيْمٍ إِلَى نِصْفِ مُدٍّ شَـعِيرٍ فَطَحَنَتْهُ ثُمَّ عَمَدَتْ إِلَـى عُكَّةٍ كَانَ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ سَمْنٍ فَاتَّخَذَتْ مِنْهُ خَطِيفَةً قَالَ ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فَأَتَيْتُهُ وَهُوَ فِي أَصْحَابِهِ فَقُلْتُ إِنَّ أُمَّ سُلَيْمٍ أَرْسَلَتْنِي إِلَيْـكَ تَدْعُوكَ فَقَالَ أَنَا وَمَنْ مَعِي قَالَ فَجَاءَ هُوَ وَمَنْ مَعَهُ قَـالَ فَدَخَلْتُ فَقُلْتُ لِأَبِي طَلْحَةَ قَدْ جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَـنْ مَعَهُ فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ فَمَشَـى إِلَى جَنْبِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ فَقَالَ يَا رَسُـولَ اللهِ إِنَّمَا هِـيَ خَطِيفَةٌ اتَّخَذَتْهَا أُمُّ سُـلَيْمٍ مِنْ نِصْفِ مُدٍّ شَـعِيرٍ قَالَ فَدَخَلَ فَأُتِيَ بِهِ قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِيهَا ثُمَّ قَالَ أَدْخِلْ عَشَـرَةً قَالَ فَدَخَلَ عَشَـرَةٌ فَأَكَلُوا حَتَّى شَـبِعُوا ثُمَّ دَخَلَ عَشَـرَةٌ فَأَكَلُوا ثُمَّ عَشَـرَةٌ فَأَكَلُوا ثُمَّ عَشَـرَةٌ فَأَكَلُوا حَتَّى أَكَلَ مِنْهَا أَرْبَعُونَ كُلُّهُمْ أَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا قَالَ وَبَقِيَتْ كَمَا هِيَ قَالَ فَأَكَلْنَا). [مسند أحمد (١٢٠٣٤ مسن أنس بن مالك)].

(٥) في (أ): (دواين)، والصواب: من (ب).

فافتضحوا غاية الافتضاح، ولجأوا[1] إلى الحرب والكفاح.

قال بعضُ علمائنا: «في القرآن ألفانِ ومائتانِ واثنانِ وعشرون معجزًا، قال: لأنَّ جميع القرآن ستة آلافٍ وستمائةٍ وستون آيةً[2]، والمعجزُ: هو الأمرُ الممكنُ، المقرونُ بالتحدِّي[3] الخالي عن المعارض[4]. ورأينا اللهَ سبحانه وتعالى ينزل[5] في تحدِّي الكُفَّار بالقرآن؛ حتى تحداهم بسورةٍ منه»، قال: «ورأينا أقصرَ [٣٢/ أ] سورةٍ في القرآن ثلاث آياتٍ؛ وهي سورة الكوثر، فوجب أنْ تكونَ كلُّ ثلاثِ آياتٍ من القرآن معجِزًا تامًا؛ لأنَّه تحدَّى به فأَعجزَ».

معجزة القرءان الكريم وتحديه البشر

ثم من معجزاته ما تواتر التواتر الحقيقي، كالقرآن[6]، ومنها ما تواتر التواتر المعنوي[7]، كالمشترك الكلِّي بين كل ما نقل عنه من المعجزات، كما في شجاعة عليٍ، وسخاء حاتم.

الكلام على التواتر

---

(١) في (أ): (لجأ) والصواب من (ب).

(٢) اختلف العلماء في عدد آي القرآن الكريم وسبب هذا الاختلاف أن النبي ﷺ كان يقف على رؤوس الآي؛ تعليمًا لأصحابه أنها رؤوس آي، حتى إذا علموا ذلك وصل ﷺ الآية بما بعدها؛ طلبًا لتمام المعنى، فيظن بعض الناس أن ما وقف عليه النبي ﷺ ليس فاصلة فيصلها بما بعدها معتبرا أن الجميع آية واحدة والبعض يعتبرها آية مستقلة فلا يصلها بما بعدها. وقد علمت أن الخطب في ذلك سهل لأنه لا يترتب عليه في القرآن زيادة ولا نقص.، والخلاف وقع في العدد بين أهل المدينة ومكة والشام والبصرة والكوفة. [انظر: الإتقان في علوم القرآن (١٧٠-١٨٠) جلال الدين السيوطي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ دار الكتاب العربي. مناهل العرفان في علوم القرآن (٣٤٤) الشيخ: محمد عبد العظيم الزرقاني، الطبعة الثالثة، مطبعة عيسى الحلبي].

(٣) يوجد تعليق بالهامش في(ب): (ولما ذكر أباهم الذي في السموات، قال: فإن أباكم واحدٌ، هو الذي في السموات، فدلّ على أن الله سبحانه في السموات، وأن المسيح ليس في السموات).

(٤) المعجزة أمر خارق للعادة داع إلى الخير والسعادة مقرون بدعوى النبوة قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول من الله. [التعريفات للجرجاني (٢٨٢)].

(٥) في (ب): تنزل، والمثبت من: (أ).

(٦) في (ب): بالقرآن، والصواب من: (أ).

(٧) قسم أهل الأصول المتواتر إلى: لفظي وهو: ما تواتر لفظه، ومعنوي: وهو أن ينقل جماعة يستحيل تواطؤهم على الكذب وقائع مختلفة، تشترك في أمر يتواتر ذلك القدر المشترك، كما إذا نقل رجل عن حاتم مثلا أنه أعطى جملًا، وآخر أنه أعطى فرسًا، وآخر أنه أعطى دينارًا، وهلم جرا، فيتواتر القدر المشترك بين أخبارهم، وهو الإعطاء؛ لأن وجوده مشتركٌ من جميع هذه القضايا... وذلك أيضا يتأتى في الحديث فمنه ما تواتر لفظه.. ومنه ما تواتر معناه كأحاديث رفع اليدين في الدعاء، فقد ورد عنه ﷺ نحو مائة حديث فيه رفع يديه في الدعاء. [تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي (٢/ ١٨٠) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض. تيسير مصطلح الحديث (٢١) د:الطحان].

فإن قيل: تواترُه عند المسلمين لا يكفي؛ لأنَّهم متهمون!.

فالجواب من وجهين:

الرد على النصارى في شرط اليهود في التواتر

أحدهما: أنَّ عدد التواتر لا يتهم؛ لأنَّه لا يجوز عليهم الكذبُ عادةً، ولهذا لا تشترط عدالتُهم [٣٦/ ب] ولا إسلامُهم؛ لأنَّ الاعتماد على كثرتهم؛ لا على عدالتهم[١].

الوجه الثاني: أنَّ اليهود اشترطوا في عدد التواتر أن[٢] لا يجمعهم دينٌ واحدٌ، وإنَّما اشترطوا هذا الشرط لأنَّ المسلمين والنصارى سلَّموا لهم نبوَّةَ موسى وكتابه[٣]، فأَمِنوا غائلةَ هذا الشرط؛ فاعتبروه؛ ليعطلوا به على المسلمين والنصارى، ويقولون[٤] لكلٍّ من الطائفتين: معجزاتُ نبيِّكم إنَّما تواترتْ عندكم، وأنتم أهلُ دينٍ واحدٍ، فلا نعتبر ذلك حتى يوافقكم عليه أهلُ دينٍ آخر، وهذا من مكر اليهود وخُبثهم، عليهم اللعنةُ، ولهم سوء الدار!.

ونحن نمنع اعتبار هذا الشرط في التواتر، ولا حجة لهم على اعتباره، فنقول: إن اعتبرتم أنتم أيضًا هذا الشرط؛ سقطتْ لكم آياتٌ كثيرةٌ للمسيح لم تتواتر إلاَّ عندكم؛ كإطعام أربعة آلاف من خمس خبزاتٍ[٥]، وكإبراءِ الذِّين كانت بهم الأنفسُ

---

(١) سبق الحديث عنه في الدراسة. وانظر: [التعريفات للجرجاني (٩٤) وتيسير مصطلح الحديث (١٩-٢٠) د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف بالرياض، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ والموسوعة الفقهية الميسرة (١/ ٥٩٤)

(٢) في (أ): لأن، والمثبت من: (ب).

(٣) في (أ): وكتابه، وما أثبتُّه من: (ب).

(٤) في (ب): ويقولوا، وما أثبتُّه من: (أ).

(٥) في (أ): خبز، والمثبت من: (ب)، والنص في إنجيل متى ١٤: ١٩- ٢١: (فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب، ثم اخذ الأرغفة الخمسة، و السمكتين و رفع نظره نحو السماء، و بارك و كسر، و أعطى الأرغفة للتلاميذ، و التلاميذ للجموع، فأكل الجميع، و شبعوا، ثم رفعوا ما فضل من الكسر، اثنتي عشر قفة مملوءة، و الآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل، ما عدا النساء و الأولاد) و ١٦: ٩-١٠: (حتى الآن لا تفهمون، و لا تذكرون خمس خبزات الخمسة الآلاف، وكم قفة أخذتم، و لا سبع خبزات الأربعة الآلاف، و كم سلا أخذتم). وانظر: إنجيل مرقس: ٨: ٦. ويوحنا: ٦: ١٣. ولوقا: ٩: ١٣.

لنجسة، وغير ذلك، وما تواتر عندنا من معجزاته؛ كإحياء الموتى[1]، ونحوه، فإنَّما تواتر بواسطة نبيِّنا وكتابنا، والذي أخبر به نبيُّنا وكتابُنا أنه: نبيٌّ ذو معجزاتٍ، إنَّما هو: عبدُ الله[2] وروحُه وكلمتُه، المخلوقُ بقدرته[3]، الذي نصَّ على البشارة بنبيِّنا ﷺ[4]، لا الذي تزعمون أنه ابنُ الله، أو اللهُ نفسُه، والذي تزعمون أنه كذَّب نبيَّنا، وحذَّركم منه، وحينئذٍ الذي ندَّعيه ونعترف به غيرُ الذي تدَّعونه في الذَّات والصفة.

فما اتفقنا نحن وأنتم على تواتر شيءٍ من معجزات المسيح، وحينئذٍ يبقى تواترُ معجزاته عندكم فقط، والتقديرُ أنَّكم تشترطون للتواتر أنْ لا يجمع أهلَه دينٌ واحدٌ، فما تواترَ للمسيح معجزٌ أصلًا، وإن لم تعتبروا هذا الشرط ثبتت معجزاتُ نبيِّنا بتواترِها عندنا، كما ثبتت معجزاتُ المسيح لتواترها عندكم، وذلك مقصودنا.

ويلزمكم الانقياد لما نقوله من نبوة محمد ﷺ، و أمَّا نحن فإنَّنا نصدِّقُ بالمسيح، صلوات الله عليه، على ما وصفه به كتابُنا، فلا يلزمُنا من التصديق به نقصٌ، ولا ردٌّ، ولا تجددُ انقيادٍ؛ لأنَّا بحمد الله منقادون للحقِّ [٣٣/ أ] بدون المناظرة أو الإلزام.

و أمَّا قولُكم: إنَّ محمدًا كان صاحب سيف، فصحيحٌ، ونحن [٣٧/ ب] لا نُنكر ذلك، ولكنْ أنتم بجهلكم اعتقدتم أنَّ ظهور النبيِّ بالسيف نقصٌ[5]، وإنما هو

---

(١) دليله من القرآن الكريم: قول الله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٤٩].

(٢) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا﴾ [مريم: ٢٩]

(٣) يشير إلى قوله جلَّ وتعالى: ﴿إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥]

(٤) دليل ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُم مُّصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سورة الصف: آية: ٦].

(٥) عن بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذل والصغار على من خالف آمري ومن تشبه بقوم فهو منهم). [مسند الإمام أحمد: (حديث: ٥١١٤-٥١١٥-٥٦٦٧)]. وانظر: (الدين والدولة، في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، علي بن ربّن الطبري، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ دار الآفاق الجديدة، بيروت. لبنان).

غاية الكمال، وذلك لوجهين:

أحدهما: أن النُّبوة عبادةٌ وطاعةٌ، والعبادةُ إذا كانت بالقلب والبدن؛ كانت أكملَ من أن تكون بالقلب فقط، أو بالبدن فقط؛ لأنَّ القلبَ والبدن جميعًا مخلوقان لله تعالى[1]؛ فاستغراق العبادة لهما أكملُ من انفراد أحدهما بها.

مقارنة بين الصحابة رضي الله عنهم وتلاميذ المسيح

فمحمد ﷺ عَبَدَ اللهَ، وأطاعه بالإيمان، بما نزل على قلبه من الآيات، وعَبَده ببدنه بما جد فيه واجتهد من الأمور الجهاديات؛ فبهذا يظهر كمالُه وشرفُه، على المسيح وغيره من الرسل.

الوجه الثاني: أن دين الله وشرائعه[2] أعزُّ الأشياءِ، وأشرفُها، وأعظمها، وأعلاها، وأفخمها، فإقامتُه بالعزَّة والقهر والاستيلاء؛ أولى وأنسبُ من إقامته بالذُّل والمسكنة، واحتمال الضَّيم والصَّغار، ولمَّا صار لمحمدٍ ﷺ تلميذٌ واحدٌ هو: عمُّه؛ حمزةُ ابن عبد المطلب[3]، منَعَه من جبابرة العرب، وضرب أبا جهلٍ[4] بالقوس، ففلق هامته، وكان أبو جهلٍ سيدَ أهلِ الوادي.

وتلاميذُ المسيح لمَّا أفلحَ بعضُهم، وذبَّ عنه؛ ضرب عبدًا قيمتُه ثمنُ عباءة!، فقطَع أذْنه، كأنَّه أراد أن يجعلها هندازة[5] قبعٍ، أو كمه!.

---

(١) في (ب): سبحانه. وفي: (أ): تعالى، دون (ب).

(٢) في (ب) (شعائره).

(٣) حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي الهاشمي أبو عمارة عم النبي ﷺ وأخوه من الرضاعة، أرضعتهما ثويبة مولاة أبي لهب، ة وشهد بدرا وأبلى في ذلك وقتل شيبة بن ربيعة وشارك في قتل عتبة بن ربيعة أو بالعكس وقتل طعيمة بن عدي وعقد له رسول الله ﷺ لواء وأرسله في سرية فكان ذلك أول لواء عقد في الإسلام في قول المدائني واستشهد بأحد وقصة قتل وحشي له أخرجها البخاري من حديث وحشي وكان ذلك في النصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة فعاش دون الستين ولقبه النبي ﷺ أسد الله وسماه سيد الشهداء، رضي الله عنه وأرضاه. [الإصابة في تمييز الصحابة (٢/ ١٢٢)].

(٤) عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي، سماه النبي ﷺ أبا جهل فلا يُعرف إلّا به، قتل يوم بدر وألقي في القليب، وهو فرعون هذه الأمة، وهو والد عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه. انظر: [سير أعلام النبلاء (١/ ١٧١). والسيرة النبوية لابن هشام (٤٢٠)].

(٥) هندازة: الهنداز: بوزن المفتاح، معرَّبٌ، وأصلُه بالفارسية: إندازة، يقال: أعطاه بلا حساب ولا هنداز. (مختار الصحاح مادة (هـ ن د ز) ص(٦٠١)). وكتب في الهامش: آلة القياس للثياب ونحوها.

ولهذا لـمَّا كانت الزكاةُ تنبئُ عن ذلِّ آخذها[١]، وعزِّ معطيها؛ نزَّه اللهُ تعالى منصبَ رسـولِه عنهـا، وحرَّمَها عليه، وعوَّضـه عنها الخُمُس من الغنيمةِ، التـي تنبئُ عن عزَّةِ آخذها، وذُلِّ من أُخذِت منه.

ووجـهُ الحكمةِ في ذلك: أنه عليه السـلام لـمَّا أعزَّ ديـنَ الله بالجهاد فيه، أعزَّه اللهُ بتنزيهه عمَّا لا يرضيه، والله أعلم.

ومـن ذلـك في الفصـل السـادس والسـتين: (ذكر أنَّ بطـرس[٢] لـمَّـا قَبضَ على المسيح سُئل عنه، وقيل: أنتَ من أصحابه؟، فأنكره ثلاثَ مراتٍ قبل صياح الديك بمقتضى وعدِ المسـيح له بذلـك)[٣]، وهو من أخص[٤] تلاميذه، والمشـفق عليه، وإذا قيـس ضعفُ هذا التلميذ وخوره[٥] عن معلمـه، إلى أبي بكرٍ، وعمرَ، وعثمان بـن مظعـون[٦]، وغيرهـم مـن الصحابة، الذيـن كانوا في أوَّل الإسـلام والشـوكة

مدح الطوفي لصحابة الرسول ﷺ

---

(١) روى الإمام مسلم في صحيحه: (.. أَنَّ رَبِيعَةَ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ قَالاَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ رَبِيعَةَ وَلِلْفَضْلِ بْنِ عَبَّاسٍ ائْتِيَا رَسُولَ اللهِ ﷺ وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ مَالِكٍ وَقَالَ فِيهِ فَأَلْقَى عَلِيٌّ رِدَاءَهُ ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَيْهِ وَقَالَ: أَنَا أَبُو حَسَنٍ الْقَرْمُ، وَاللهِ لاَ أَرِيمُ مَكَانِي حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكُمَا ابْنَاكُمَا، بِحَوْرِ مَا بَعَثْتُمَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالَ فِي الْحَدِيثِ ثُمَّ قَالَ لَنَا: «إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ وَإِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِمُحَمَّدٍ وَلاَ لآلِ مُحَمَّدٍ». وَقَالَ أَيْضًا ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «ادْعُوَا لِي مَحْمِيَةَ بْنَ جَزْءٍ». وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ اسْتَعْمَلَهُ عَلَى الأَخْمَاسِ).

[صحيح مسلم حديث رقم ١٠٧٢ (ج٢/ ص٧٥٤)].

(٢) في (أ): (برطس)!، والصواب من: (ب).

(٣) إنجيل متى: ٢٦: ٦٩-٧٥.

(٤) في (أ): (بعض) والصواب من (ب).

(٥) في (أ): وجوره، والصواب من: (ب).

(٦) عثمان بن مظعون.. الجمحي أسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر إلى الحبشة هو وابنه السائب الهجرة الأولى في جماعة فلما بلغهم أن قريشا أسلمت رجعوا فدخل عثمان في جوار الوليد بن المغيرة ثم ذكر رده جواره ورضاه بما عليه النبي ﷺ وذكر قصته مع لبيد بن ربيعة حين أنشد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، فقال عثمان بن مظعون: صدقت. فقال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل. فقال عثمان: كذبت! نعيم الجنة لا يزول فقام سفيه منهم إلى عثمان فلطم عينه فاخضرت. توفي بعد شهوده بدرا في السنة (٢) من الهجرة وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين دفن بالبقيع. [الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٤٦١)].

لقريش يقاتلونهم(١) دون رسول الله ﷺ، حتى تمزَّق شعر أبي بكر دونه(٢)، وهو يقول: [٣٨/ ب] ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [سورة غافر: آية ٢٨]. وجرى دمُ عمر، وفقئت عين عثمان(٣)، وُجدَ بينهما بونٌ عظيمٌ، فلو استحيى النصارى لم يذكروا لأنفُسِهم دينًا بين الأديان!، وإنَّما [٣٤/ أ] كان لهم دينٌ فحرَّفوه، وضلُّوا عنه وأخطأوه.

بطلان ادعائهم صلب المسيح

ومن ذلك أنه ذكر في الفصل السابع والستين: أنَّ اليهود صلبوا المسيح(٤)، واتَّفقت على ذلك الأناجيل الأربعة(٥)، وأجمع عليه النصارى، وهو كذبٌ ومحالٌ؛ لأنَّ المسيح إمَّا أنْ يقال: هو اللهُ، أو ابن الله، أو رسولُ الله وعبدُه. فإنْ كان هو اللهَ؛ فيكفي النصارى في الجواب أنَّ كلَّ من سِمَع ذلك عنهم سخِرَ منهم، وضحك على لحاهم! ؛ حيثُ سفَّهوا ربَّ السموات، حتى ألجأ نفسَه إلى الصَّلْب، وقد كان له عنه مندوحةٌ بقدرته المتَّفَق عليها الكاملة، فلا شيءَ يُعجزها.

ويتجه على هذا قولُ المسلمين أنَّه لم يُصلب، وإنَّما أُلقي شبهُه على الذي

---

(١) في (أ): (يقاتلهم) والصواب من (ب).

(٢) قصته وتعذيبه مبسوطة في كتب السير والمناقب. انظر [السيرة النبوية لابن هشام (٢٠٩) و السيرة النبوية في الصحيحين وعن ابن إسحاق د: العودة و كتاب: أبو بكر الصديق، للشيخ علي الطنطاوي رحمة الله عليه، الطبعة الرابعة. ١٤١٥هـ دار المنارة، جدة].

(٣) الصواب أنه عثمان بن مظعون المتقدمة ترجمته، وعينه اخضلت كما مر في الترجمة من لطمة السفيه.

(٤) انظر في الدراسة الكلام على هذه العقيدة، ومنهج الطوفي في الرد عليهم فيها.

(٥) انظر النصوص في ذلك في: ١- إنجيل: متى: ٢٧: ٢٧ -٦٦ و٢٨: ١-٢٠.

٢- إنجيل: لوقا: ٢٣: ٢٣ -٥٦. و ٢٤: ١- ٥٣.

٣- إنجيل: يوحنا: ١٩: ١-٤٢ و ٢٠: ١- ٢٤ وما بعدها.

٤- إنجيل: مرقس: ١٥: ١-٤٧. وقيامته في الإصحاح: ١٦.

والتضارب فيها والتناقض واضح جدًا، بل مخزٍ للنصارى غاية الخزي!، على سبيل المثال: انظر: [التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د/ سارة محمد العبادي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة. التوراة والإنجيل بين التناقض والأساطير (٣٥٤-٣٥٩)، السيد سلامة غنمي، طبعة ٢٠٠٢م، دار الأحمدي للنشر، القاهرة.].

أَسلَمَه، أو على بعض أعدائه؛ إذ الباري سبحانه قديمٌ[١]، لا يَتأَتَّى صلبُه، ولا لحوقُ أذىً له على الإطلاق دائمًا ولا مؤقتًا.

وإن كان ابنَ الله؛ فالكلامُ كذلك؛ إذ الواحدُ من المخلوقين يستفرغ جاهَه، ومالَه، وقوتَه في خلاص ابنه من ضرب عشرة أسواط!، فما ظنُّك بالله الذي إنقاذُ من أراد إنقاذَه عنده أيسرُ الأشياءِ، وقد سبق هذا البحث بعينه.

وإن كان رسولَ الله، فنقول: لا شكَّ أنَّ المسيحَ لـمَّا ظهرَ على يدِهِ من الكرامات، وخوارق العادات؛ ولكونه كان آيةً في نفسه، ظهرَ واشتهرَ، حتى صار أشهرَ من الشمس والقمر، وسار ذكره ونبُل، حتى صار أَسْيرَ في الآفاق من مثلٍ، فصلبُه بلا شكَّ يجبُ أنْ يكون مشهورًا كشهرته، بحيث لا يختلفُ فيه اثنان من العالم، كما لم يختلفوا في وجوده من غير بشرٍ، وفي أنه أحيا[٢] الموتى، وأبرأ الأكمه والأبرص، فلمَّا رأينا المسلمين على كثرتهم، يخالفونكم في صلْبه، حتى جماعةٌ من علماء أهل الكتاب؛ أهل العلم الأوَّل، والمطَّلعين على دقيقه وجليله، كعبد الله بن سلام[٣]، وكعب الأحبار[٤]، ووهب بن منبه، علمْنا أنَّ ما تدَّعونه من صلبه، خرافةٌ من الخرافات، وأكذوبةٌ من الأكاذيب؛ لأنَّ مثل هذه الواقعة العظيمة، لا تحتمل مثل هذا الخلاف.

خفاء قصة الصلب على علماء الكتاب أهل العلم الأول

وأكثرُ ما عند النصارى جوابًا [٣٩/ ب] عن هذا أنْ يقولوا: إنَّ محمدًا استملى من القُصَّاص، وعلماءِ العرب، وغيرهم؛ أنَّ عيسى لم يُصْلَب، وكانت له شوكةٌ، فلم

---

(١) تقدم نقدُ هذا الوصف.

(٢) في (أ): (يحيي)، والصواب من: (ب).

(٣) عبد الله بن سلام، من ذرية يوسف النبي ﷺ حليف القوافل من الخزرج الإسرائيلي ثم الأنصاري كان حليفا لهم وكان من بني قينقاع يقال كان اسمه الحصين فغيره النبي ﷺ، أسلم حين قدم النبي ﷺ المدينة، مات بالمدينة سنة ٤٣. [الإصابة (٤/ ١١٨-١١٩)].

(٤) كعب بن ماتع الحميري أبو إسحاق المعروف بكعب، ويقال له كعب الحبر يكنى ك أبا إسحاق، أدرك النبي ﷺ رجلا وأسلم في خلافة أبي بكر أو عمر وقيل في زمن النبي ﷺ والراجح أن إسلامه كان في خلافة عمر، عالم بحر، بكتب اليهود، مات سنة أربع وثلاثين وقيل سنة اثنتين وقد بلغ مائة وأربع سنين. [الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٦٤٥-٦٥١)].

يجسر أحدٌ يخالفُه، ثم استمر على ذلك المسلمون تقليدًا.

لكـن يقال لهم في الجواب: هذا اعتـذارٌ باطلٌ؛ لأنَّ صلبَه قد بيّنَّا أنَّه من القضايا التي يلزمها التواترُ القاطعُ، الذي لا يقبل الخلاف، ولا يخفى عن أحدٍ، ففرضُ خفاءِ مثلِ هذا على مُمْلٍ، أو مستمْلٍ، أو كاتبٍ [٣٥/ أ] أو أمّي، محالٌ عادةً، كخفاء طوفان نوحٍ[١]، وناقةِ صالحٍ[٢]، ونارِ الخليل[٣]، وعصى موسى[٤]، وولادة المسيح من غير بشرٍ[٥]. وهل موته في الشهرة إلاَّ كمولده؟، فهلاَّ وقع الخطأُ في مولده؟ [٦].

وقيـل: إنكم معشـر النصارى تكذِّبون أنَّه وُلد لا من بشـرٍ، بل هو ابنُ يوسـف، ابنِ داود النَّجَّار[٧]، الذي خطب مريم، وهي حاملٌ بالمسيح، لو قال لكم قائلٌ هذا،

---

(١) قـال تعالـى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت:١٤].

(٢) قولـه تعالـى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الأعراف:٧٣].

(٣) قـال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴾ [الأنبياء:٦٨-٧٠].

(٤) قـال تعالـى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ [البقرة:٦٠].

(٥) اقرأ الآيات في سورة مريم، من ١٦ -٣٦.

(٦) وقـع التناقـض في تاريخ مولده واحتفـال النصارى والكنائس به، على رأس كل سـنة، وللوقوف على التناقض والخطـأ فيـه، انظر: [قراءة في الكتـاب المقدس، تأملات في كتـب الأناجيل(١٢١)، د/ صابـر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة. التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة، د: سارة العبادي].

(٧) قال ابن كثير رحمة الله عليه عن قصة مريم مع يوسـف النجار: (فالمشـهور الظاهر -والله على كل شيء قدير- أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن؛ ولهذا لما ظهرت مخايل الحمل عليها وكان معها في المسجد رجل صالـح مـن قراباتها يخدم معها البيت المقدس، يقال له: يوسـف النجار، فلما رأى ثقل بطنها وكبره، أنكر ذلك مـن أمرهـا، ثم صرفه ما يعلم من براءتها ونزاهتها ودينها وعبادتها، ثـم تأمّل ما هي فيه، فجعل أمرها يجوس في فكره، لا يستطيع صرفه عن نفسه، فحمل نفسه على أن عرض لها في القول، فقال: يا مريم، إني سائلك عن أمر فلا تعجلي عليّ. قالت: وما هو؟ قال: هل يكون قط شـجر من غير حبّ؟ وهل يكون زرع من غير بذر؟ وهل يكون ولد من غير أب؟ فقالت: نعم -فهمت ما أشار إليه- أما قولك: «هل يكون شجر من غير حب وزرع من =

ونازعكم، ما وجدتم سبيلًا إلى إثباته؛ لأنَّه كان يطعن فيما عندكم من النَّقل، ويدَّعي تحريفَه وعدمَ الوثوقِ به، ويقول: أنا لم يأتني في كتابي ما يصدقُكم، ووجود إنسانٍ من غير بشرٍ مُحالٌ عادةً، فلا يكون، فبماذا كنتم تثبتونه[1]؟!، وهل كان يكونُ عندكم إلاَّ دعوى مجردة عن برهانٍ مشترك، أو مقترنة ببرهان يختصُّ بكم، كالإنجيل ونحوه، ولو لم يأتِ كتابُنا ونبيُّنا بما يوافق ما عندكم في مولد المسيح لنازعناكم فيه، كما نازعناكم في صلْبه، فلمَّا وافقكم محمد عليه السلام في مولده، وخالفكم في سبب وفاته، دلَّ على صحَّةِ ما وافق عليه، وبطلانِ ما خالفتموه فيه.

وأيضًا[2] فهب[3] أنَّ محمدًا ﷺ كان جبارًا صاحبَ سيفٍ، ولم يكن نبيًا، أفيشُكُّ عاقلٌ في أنَّ من أقامَ هذا الناموسَ المؤبَّد، والدِّين المخلَّد، يكونُ حكيمًا، هذا ممَّا لا يشكُّ فيه من له أدنى عقل.

فإذا ثبت أنَّه حكيمٌ؛ فما الباعثُ له على أنْ يَحكي شيئًا ليس منه على يقينٍ، خشيةَ أنْ يكون خبرُه غيرَ مطابقٍ، فينفر عنه من يعلم ذلك، ولو في الباطن؛ إنْ لم يمكنه في الظاهر، بل الحكمةُ كانت تقتضي أنْ لا يحكي إلاَّ ما يَعلمُه، وما لا يعلمه يدعُه، كما ترك كثيرًا من القصص لم يتعرض لها، والتفاصيل التي هي مذكورةٌ في التوراة من أمرِ العالم، وفي الإنجيل من أمر المسيح.

حكمة النبي ﷺ

وهب أنه كان [٤٠/ ب] صاحبَ شوكةٍ، يحتمي الناسُ مخالفتَه في الظاهر، لكنْ

= غير بذر؟ « فإن الله قد خلق الشجر والزرع أول ما خلقهما من غير حب، ولا بذر »وهل خلق يكون من غير أب؟ « فإن الله قد خلق آدم من غير أب ولا أم. فصدقها، وسلَّم لها حالها. ولما استشعرت مريم من قومها اتهامها بالريبة، انتبذت منهم مكانًا قصيًّا، أي: قاصيًا منهم بعيدًا عنهم؛ لئلا تراهم ولا يروها. قال محمد بن إسحاق: فلما حملت به وملأت قلتها ورجعت، استمسك عنها الدم وأصابها ما يصيب الحامل على الولد من الوصب والترحم وتغير اللون، حتى فَطَرَ لسانها، فما دخل على أهل بيت ما دخل على آل زكريا، وشاع الحديث في بني إسرائيل، فقالوا: «إنما صاحبها يوسف»، ولم يكن معها في الكنيسة غيره، وتوارت من الناس، واتخذت من دونهم حجابًا، فلا يراها أحد ولا تراه). [تفسير ابن كثير (٥/ ٢٢٢-٢٢٣)]

(١) في (أ): يثبتونه، والصواب من (ب).

(٢) تكررت: (وأيضًا) في (أ)، وهو خطأ من الناسخ؛ لأنها لم ترد في (ب).

(٣) فهب: ليست في (أ)، وأثبتُّها من (ب)، وهو أصوب.

الحكيمُ لا يقتصر على مراعاة ظاهر حاله؛ بل على ظاهره وباطنِه.

أدلة بطلان دعوى صلب المسيح

فتبيَّن بهذا البرهانِ القاطع المذكورِ أنَّ عيسى لم يُصلب، وإنما أُلقي شبهُه على بعض أعدائه، يقال: إنه «يهوذا الإسخريوطي[1]»، الذي أسلَمَه ودلَّ عليه، والمسلمون سموه «يوذا»، وذلك لأنهم لمَّا ربطوا المسيحَ في الحبل، وأرادوا رفعه أظلمتْ الأرض ظلمة شديدة، وقد نصَّ في الإنجيل على وجود هذه الظلمة، وأنها كانت ثلاثَ ساعات، من الساعة السادسة، إلى الساعة[2] التاسعة، فأرسل اللهُ ملائكةً أطلقوا المسيحَ، وربطوا [٣٦/ أ] مكانه عدوَّه، وأُلقي عليه شبهُه، ثم رُفعَ المسيحُ على ظهر غمامةٍ نزلت إليه، ثم انكشفت الظُّلْمَة و«يوذا» مصلوبٌ، فجعل يقول لهم: المسيحُ أُطلقَ، وربطتُ مكانه، وأنَا صاحبُكم، ويذكر لهم العلامات التي يعرفونها بينه وبينهم، وهم يرون عليه شبهَ المسيح فيزدادون عليه حنقًا[3]، ويقولون: قاتله اللهُ، ما أعلمَه بسرِّنا، يعتقدونه[4] المسيح.

الخلاف بين المسلمين في وفاة عيسى عليه السلام

نعم[5] اختلف المسلمون في أن المسيح توفي حتف أنفه قبل أن يرفع أم لا، على

---

(١) جاء في إنجيل متى: (١٠: ٤) (.. و يهوذا الإسخريوطي الذي أسلمه) و(٢٦: ١٤) و(٢٦: ١٥) ومرقص: (٣: ١٩) و(١٤: ١٠) و(٢٦: ٣) و(٦: ٧١) ويوحنا (١٢: ٤) و(١٣: ٢) و(١٣: ٢٦) و(١٤: ٢٢) وبرنابا: الفصل الرابع عشر.

(٢) زيادة من: (ب). والنصوص التي ورد فيها ذكر الظلمة: إنجيل متى: ٢٧: ٤٥. إنجيل لوقا: ٢٣: ٤٤. إنجيل مرقس: ١٥: ٣٣. ولم أجد النص في إنجيل يوحنا.

(٣) في (أ) (حيفًا) وما أثبتُّه من (ب).

(٤) في: (أ): نعتقدونه، والصواب من: (ب)

(٥) في الهامش الأيمن بخط الناسخ تحت عنوان: (مطلب في الأشبه وفاة عيسى عند المسلمين): (أقول إن الأشبه عندي أنه: ما توفي بل رفعه الله حيًا ثم ينزل ويتوفى في مدينة رسولنا محمد ﷺ وهذا ما ذهب إليه المحققون من أهل الإسلام، كم حقق ذلك في محله) ولي الدين. أ. هـ من: (أ).وفي (ب) في الهامش ذاته قوله: (أشبههما أنه توفي إن أراد من حيث لفظ القرآن فمسلَّمٌ، وإن أراد من حيث التحقيق فلا يُسلَّم؛ لأن الله تعالى لا يجمع على العبد موتين. وقد أجمع المسلمون على أنه بعد نزوله من السماء وإقامته في الأرض يموت والله أعلم). قال البغوي رحمة الله عليه: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [آل عمران: ٥٥] اختلفوا في معنى التوفي هاهنا، قال الحسن والكلبي وابن جريج: إني قابضك ورافعك في الدنيا إليَّ من غير موت، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي ﴾ [المائدة:من الآية ١١٧] أي: قبضتني إلى السماء وأنا حيٌّ؛ لأن قومه إنما تنصروا بعد رفعه إلى السماء لا بعد موته، فعلى هذا للتوفي تأويلان، أحدهما: إني رافعك إلي وافيًا لم ينالوا =

= منك شيئا، من قولهم توفيت كذا واستوفيته إذا أخذته تامًا والآخر: أي مستلمك من قولهم توفيت منه كذا أي تسلمته، وقال الربيع بن أنس: المراد بالتوفي النوم، وكل ذي عين نائم، وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما إلى السماء، معناه: أي منومك ورافعك إلي كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ﴾ [الأنعام: من الآية٦٠] أي ينيمكم. وقال بعضهم: المراد بالتوفي الموت، روى عن علي بن طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معناه: أني مميتك يدل عليه قوله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. فعلى هذا له تأويلان: أحدهما ما قاله وهب: توفى الله عيسى ثلاث ساعات من النهار ثم رفعه الله إليه، وقال محمد بن إسحاق: إن النصارى يزعمون أن الله تعالى توفاه سبع ساعات من النهار ثم أحياه ورفعه، والآخر ما قاله الضحاك وجماعة: إن في هذه الآية تقديمًا وتأخيرًا معناه أني رافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد إنزالك من السماء. و عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفس محمد بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عادلا يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد» (أخرجه البخاري في الأنبياء. باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام: ٦ / ٤٩٠. ومسلم في الإيمان. باب: نزول عيسى بن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ برقم (١٥٥) ١ / ١٣٥ - ١٣٦). ويروى عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ في نزول عيسى ﷺ قال: «وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الدجال فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون» (أخرجه أو داود - في الملاحم: باب: خروج الدجال: ٦ / ١٧٧ وسكت عنه المنذري. وأحمد في المسند عن أبي هريرة: ٢ / ٤٠٦، ٤٣٧ مطولا).وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن؟ قال نعم: ﴿وَكَهْلًا﴾ ولم يكتهل في الدنيا وإنما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء. [معالم التنزيل (٢/ ٤٥-٤٦) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى ٥١٦ هـ) حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م،، دار طيبة للنشر والتوزيع]. قلت: وتعسف قوم من المحدثين في توجيه ألفاظ التوفي والرفع، حتى أفضى بهم الأمر إلى إنكار رفع المسيح بجسمه، وردوا الأحاديث الصحيحة الثابتة في نزول عيسى ﷺ؛ بحجة أنها أحاديث آحاد لا تثبت بها العقائد، وهذه بدعة منكرة، مع أنها واردة في كتب الصحاح، فيلزمهم أمور: الإتيان بدليل قاطع على قولهم: « أحاديث الآحاد لا تُبنى عليها العقائد » ولن يجدوا. ردُّ كثيرٍ من أحاديث الصحيحين؛ إذ أعظم حديث في المقاصد (إنما الأعمال بالنيات..) إنما جاء من طريق آحاد.تشريع ما لم يشرعه الله تعالى، وذلك إذا قلتم برد أحاديث الآحاد وهي كثيرة، بنيتم عقائدكم على الوهم والظن. وبالجملة فأدلة الكتاب والسنة، وعمل الصحابة وأقول العلماء تدل دلالة قاطعة على وجوب الأخذ بحديث الآحاد في كل أبواب الشريعة، سواء كان في الاعتقاديات أو العمليات، وأن التفريق بينهما بدعةٌ لا يعرفها السلف وهناك من أثبت تواتر أحاديث نزول المسيح ﷺ بل هناك جزء للكشميري اسمه «التصريح بما تواتر من نزول المسيح» [انظر: قاموس البدع (١٣٢-١٣٦) مستخرج من كتب الإمام العلامة: محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه (ت: ١٤٢٠هـ)، مشهور حسن سلمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ دار الإمام البخاري. الدوحة. قطر.] ومن أعجب ما قرأت ما قرره الدكتور: أحمد شلبي في كتاب (المسيحية) من رد أحاديث نزول عيسى ﷺ بعد تقريره عدم اعتقاد المسلمين رفعه، وتعسف كثيرًا لجعل ما ذهب إليه بعض المفكرين والعلماء المحدثين صحيحًا، ومنهم: محمد عبده، والألوسي، وأبو زهرة، الشيخ شلتوت، ومحمد رشيد رضا، وأمين عز العرب، والمراغي، وعبد الوهاب النجار، وسيد قطب، وصلاح أبو إسماعيل الذي قرر إن « الله ليس له مكان محدود حتى يكون الرفع حسيًا.. » ثم كانت الطامة من كلام الدكتور: احمد شلبي نفسه: =

اختيار الطوفي وفاة المسيح عليه السلام

قوليـن، أشـبههما: أنه تـوفيَ وبقـي ثلاثةَ أيـامٍ. وقيـل: أربعين يومًـا، يُصلـي[1] عليه الملائكـة في السـماء، ثم أحيـاه الله، وأمرَه بالرجـوع إلى تلاميذه؛ ليعهـد إليهم ما يريد؛ لأنَّ اليهودَ أعجلوه عن ذلك.

اختلاف الأمم الثلاث في عين المصلوب وصواب قول المسلمين

فإنْ قيـل: أجمعت الأممُ الثلاث[2] على وجود الصلـب، وقد وافقتم على أنَّ المسيح تُوُفِّيَ، والصلبُ الذي ندَّعيه سببٌ صالحٌ للوفاة التي اعترفتم بها، فوجب أن يكون قد صُلب.

قلنا: هذا خطأٌ ومغالطةٌ، الأممُ الثلاثُ اتفقت على الصلب، واختلفت في عين المصلوب، فأنتم، واليهود قلتم: هو المسيح، أولئك لحلاوة الظَّفَر، وأنتم لحلاوة الشَّناعة والتَّعدّي عليهم.

ونحـن نقول: إنَّه يهوذا، أو غيره من أعاديـه[3]، فأين الاتفاق؟!، ولا يلزم من اعترافنا بموته أن يكونَ بسـبب الصَّلب الـذي ادعيتموه؛ لأنَّ البرهانَ قام على بطلان ذلك، وأيضًا فإن أسبابَ الموت كثيرةٌ، والصَّلبُ لم يتعين سببًا.

ومـن ذلـك حكايتُهم عنه أنَّه قال وهو في الخشـبة: (إلهي، إلهي لم تتركني)، فإنَّه يـدلُّ على أنه عبـدٌ مألوهٌ، ويدلُّ علـى تخليطهم في الإنجيـل، ومناقضتهم فيه؛ لأنَّهم زعمـوا [٤١/ ب] أنَّـه جادَ بنفسـه في إنقاذِ النوع الإنسـاني من كيد الشـيطان، فكيف يبخل بنفسه الآن؟!.

= «.. ونختـم هـذا البحث بأن نقرر أن الاعتقاد بأن عيسـى رفع بجسـمه وروحه اعتقادٌ متأثر بالفكر المسـيحي! ! الـذي يـرى أن عيسـى هو الإله الابن، نزل من السـماء ثم رُفع ليعـود للجلوس بجوار أبيه الإلـه الأب! ! أما المسـلمون الذين يعتقدون أن الله واحد، وأنه في كل مكان! ! ! وليس جسـمًا، فكيف يوفقون بين هذا وبين رفع عيسى..... ». [انظر: المسيحية (٤٧-٥٩) د: أحمد شلبي]. وقد جانبه الصواب في ذلك، رَحِمَهُ اللهُ.

(١) في: (ب): تصلي، والمثبت من (أ): والملائكة لا توصف بذكورة ولا أنوثة ولا يتوالدون، فمن وصفهم بذكورة فسـق، ومن وصفهم بأنوثة أو خنوثة كفـر لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴾ [الزخـرف:١٩] [الإصابـة في تمييـز الصحابة (١/ ٩) طبعـة: دار الكتب العلمية بيروت. سنة ١٤١٥هـ].

(٢) المسلمون، واليهود، والنصارى.

(٣) في (ب): (أعدائه).

وذكر أنَّ يوسف؛ تلميذ المسيح، استوهبَ جسدَ المسيحِ، من فيلاطس[١] الذي تولَّى برجاله صلبَ المسيح، فوهبه له فذهب فدَفَنه، ثم إنَّ المسيح قامَ من الأموات بعد ثلاثة أيام.

قلت: إنمَّا دُفن المصلوبُ الذي[٢] أُلقي عليه شبهُ عيسى؛ لاعتقادهم أنَّه هو، ولو تركوه لم[٣] يدفنوه لعاد إليهم المسيح، وذاكَ مصلوبٌ، واتضح الحقُّ، ولكنْ أراد اللهُ سبحانه وقوعَ هذا الإبهام بين العالم، فكان دفنُ التلميذِ المصلوبِ، كما قال أبو العلاء[٤] في الرافضة[٥]:

---

(١) بيلاطس: ويلقّب بالبنطي، باللاتينية بنطيوس، وهو وال أقامته الحكومة الرومانية نائبًا أو حاكمًا على اليهوديّة في سنة ٢٩ مسيحية. واستمرّ حكمه بضع سنين إلى ما بعد صعود (.. المسيح)، وكانت قيصرية مركز ولايته. وكان يصعد إلى أورشليم إلى دار الولاية فيقضي للشعب هناك، وأما أيام حكومته فلم تكن مرضية لليهود لأنه كان قاسيًا جدًّا غير مهتم إلا لمنافعه الشخصية. وفضلًا عن ذلك فهو الذي سلم المسيح لليهود مع أنه اعترف ببراءته وعدم اقترافه جرمًا يوجب تسليمه لهم. وما ذلك إلا لعدم اكتراثه بصالح المسكين والغريب.. [قاموس الكتاب المقدس(٢٠٧)].

(٢) في (أ): (التي)، والصواب من: (ب).

(٣) في (أ، ب) (لا يدفنوه) وهذا لا يتفق مع السياق.

(٤) هو أحمد بن عبد الله بن سليمان، أبو العلاء المعري اللغوي الشاعر المشهور كان عجبا من الذكاء المفرط والاطلاع على اللغة ولد سنة (٣٩٣)هـ وجدر في السنة الثالثة من عمره فعمي منه، فكان يقول لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، وأخذ العربية من أصحاب بن خالويه وعلى والده، وكان قانعًا باليسير، وسافر إلى بغداد سنة تسع وتسعين وثلاث مائة فسمعوا منه ديوانه المسمى بسقط الزند وعاد إلى المعرة سنة أربع مائة فلزم منزله وسمى نفسه هن المحبسين يعني منزله وبصره وقصد من النواحي ويقال أنه كان يحفظ ما يمر بسمعه. ومات في ربيع الأول سنة (٤٤٩)هـ[لسان الميزان(١/ ٢٠٤)].

(٥) والرافِضَةُ: فرقة من الشّيعَةِ بايَعُوا زيدَ بنَ عليّ ثم قالوا له: تَبَرَّأْ من الشَّيْخَيْنِ فأَبَى وقال: كانا وزِيرَيْ جَدّي فتَرَكُوهُ ورَفَضُوهُ وارْفَضُّوا عنه. والنِّسْبَةُ: رافِضِيٌّ، ثم استعمل هذا اللقب في كل من غلا في هذا المذهب. هم فرق كثيرة قاتلهم الله. [الفرق بين الفرق(٤١) عبد القاهر البغدادي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث، القاهرة. التعاريف (١/ ٣٦٩) تاريخ دمشق (١٩/ ٤٧٢) توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار(٢/ ٧٥)محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني. ت: محمد عبد الحميد. المكتبة السلفية – المدينة المنورة]. قلت: فلو كان الطوفي رافضيًا كما قال ابن رجب رحمة الله عليه، فهل سيصف قومه بأنهم (رافضة)، وهي سبة لهم كما نعلم؟! وقد تناولهم كثيرًا بالنقد تارة، وباللعن تارة أخرى في كتابه الإشارات الإلهية في المباحث الأصولية.

(مـا في القرى سـوى المغيـرة، والله أعلم بالسـريرة)[١]» وإنما المسـيحُ عادَ من السَّماء؛ ليعهد إلى تلاميذه، فتوهموه قد قام من القبر.

فلـو قيـل: لو كان الأمـرُ هكذا لوجـبَ أنْ تبقى جثةُ المصلـوب في القبر، وليس كذلك [٣٧/ أ] فدلَّ على أنهَّا كانت جثةَ عيسى، عادت إليها روحُه، ثم قام.

قلنـا: قد قيل: إنَّ أصحابَ عيسـى سـرقوا تلك الجثةَ من القـبر؛ لاعتقادهم أنَّها جُثةَ المسيح، أو ليؤذوا الحرس الذين كانوا عليها من اليهود؛ نكايةً[٢] فيهم.

الخلاف في مصير جسد المسيح عليه السلام بعد الصلب المزعوم

فيحتمـل أنهَّم فعلوا ذلك وطمَّوا الجثةَ في موضعٍ آخر، ثم لـمَّا عاد المسـيحُ، وعلمـوا برجوعـه؛ لـم يشـكُّوا في أنَّ روحه عاد إلـى تلك الجثـة؛ لاعتقادهم أنها جثته[٣]، وبقيت تلك مدفونةً، أكلَها الترابُ.

ويحتمـل أن اليهود سـرقوا تلك الجثة، واتهموا[٤] بها أصحابَ عيسـى؛ لعلم اليهودُ أنَّ عيسى سيبعث؛ لأَنَّهم كانوا يعرفون أنَّه رسولُ الله، ولكن أنكروه عنادًا، كما أنكروا محمدًا عليه السلام، وفعلوا ذلك خشيةَ أن تُفقد الجثة، وهم يعتقدونها جُثَّة المسيح؛ فيظهر للملك أنَّهم تعصَّبوا على صلبِ نبيٍّ؛ فينقم عليهم، أو لئلاَّ يظهرَ للنـاس صدقُ المسـيح فيما أخبر من بعثـه بعد موته، فيهرع الناس إلـى دينه وما كان عليه، واليهودُ ما كانوا يؤثرون ذلك.

ثم إنهَّم دفنوا تلك الجثة وتركوها نسيًا منسيًا، كلُّ هذا محتملٌ، وإثباتُ النصارى معارضٌ بنفي اليهود، والطائفتان عندنا كَذَبةٌ متَّهَمُون، هـؤلاءِ في التَّفريط في المسيـح، وهـؤلاء في الإفـراط فيه، والله أعـلم.

هذا آخر التعليق على إنجيل متَّى.

* * *

(١) لم أجد هذا القول رغم البحث الطويل.

(٢) في (أ): مكانه، والمثبت من (ب).

(٣) من قوله: «في موضع آخر»... إلى: «جثته»، سـاقط من المتن في (ب) سـهوًا، وأُثبتت في الهامش الأيسـر بخط الناسخ.

(٤) في (أ): أبهموا، من الإبهام، والمثبت من (ب) وهو أصوب.

ثانيًا: إنجيل مرقس

ولنشرع الآن في التعليق على إنجيل مرقس[١].

فمن ذلك قوله في مقدمته حكاية عن كتاب: أشعياء النبي: (هو ذا أنا مرسلٌ أملاكي[٤٢/ ب] إمَّام وجهك؛ ليسهل طريقك قدامك، صوت صارخ في البرية: أعدُّوا طريقَ الرَّب، وسهِّلوا سُبُله)[٢].

قلت: المرادُ بالصَّارخ، يوحنَّا المعمداني، كان يسكن البرَّ، وطعامُه الجرادُ، وعسلُ البرِّ، ولباسُه وَبرُ الإبل، ومنطِقتُه من أدمٍ على حِقويه، وكان يُعمِّد الناسَ في نهر الأردن.

والمرادُ بالرَّبِّ: اللهُ سبحانه وتعالى[٣] لا المسيح؛ لأنَّ طُرق الشرائع هي سُبُل اللهِ سبحانه وتعالى، والرُّسُل فيها مستخدمون، متعبَّدون بالسعي في إقامتها، وقد سبقت الأدلة على أنَّ المسيح لا يجوز أن يكون ربًّا.

ومن ذلك: حكاية[٤] عن روح القدس: لـمَّا جاءه كالحمامة، وقد سبقت، ووجه دلالتها في: التعليق على إنجيل متَّى.

---

(١) في هامش: (أ) الأيسر: (مطلب، إنجيل مرقش). وفي هامش: (ب) الأيمن: مرقش.
وقد أثبتُّ هنا اسم: (مرقس)؛ لأنَّه الاسمُ المشهور المتعارف عليه، والمثبت في التراجم الحديثة للأناجيل، وكتبِ علماء المسلمين الذين تصدَّوا للردود على النصارى. وإنجيل مرقس هو الثاني في ترتيب الأناجيل الأربعة مع أن هذا لا يعني بالضرورة أنه كتب بعد إنجيل متى. وهو أقصر الأناجيل الأربعة والمادة التي يقدمها في تفصيل كثير. [قاموس الكتاب المقدس(٨٥٣)]. ومرقس: اسم لاتيني معناه: مطرقة، وهو لقب ليوحنا، ويرّجح أنه ولد في أورشليم لأن أمه سكنت هناك وكانت ذات اعتبار بين المسيحيين الأولين فإن بطرس لما أطلق من السجن ذهب إلى بيتها. ويرَّجح أن مرقس اتبع الرب بواسطة بطرس لأنه يدعوه ابنه (١ بط ٥: ١٣). ويظن أن مرقس هو الشاب الذي تبع المسيح ليلة تسليمه. [هكذا يعرفه قاموس الكتاب المقدس(٨٥٣) فانظر إلى الدقة في بيان نسب مؤلف إنجيل يتعبدون الله بما فيه!]. وأقول: «لا يُعرف شيءٌ حقيقي عن حياته».
(٢) إنجيل مرقس: ١: ١-٢.
(٣) تعالى، ليست في (ب).
(٤) في: (ب): حكايته، والمثبت من (أ).

ومن ذلك قوله في الفصل الخامس للمخلَّع: (قد غَفرتُ لك خطاياك، حتى قال الكتبةُ: ما هذا التجديف؟ من يقدر أنْ يغفر الخطايا إلاَّ اللهُ الواحدُ؟!، فقال يسوع: إيما أيسر[١]؟ أن يقال للمخلع: قد غفرت لك خطاياك، أو يقال: قم فاحتمل سريرك واذهب [٣٨/ أ]؛ لتعلموا أن السلطان لابن الإنسان على الأرض أن يغفر الخطايا، ثم أبرأ المخلع، فقام يحتمل سريره)[٢].

اعتراض الكتبة على كلام المسيح عليه السلام

قلت: جَهلتْ النصارى والكتبةُ؛ حيثُ ظنُّوا أَنَّ هذا الكلامَ من المسيح يقتضي إلـهيتَه، وليس كذلك؛ بل رسلُ الله سبحانه في الأرض يُبلِّغون عن الله ما يوحي به إليهم، وهم بمنزلة نوَّابه في خَلقه ووكلائه، يجوز أَنْ يقول لهم: احكموا بما رأيتم، فإنَّكم لا تحكمون إلاَّ حقًّا، أو أَنَّهم إذا أخطأوا نبَّههم، وأحكامُهم في الأَصل مستندةٌ إلى الله سبحانه، فمن الجائز أَنَّ المسيحَ أُوحيَ إليه في تلك الحال أَنَّ خطايا المخلَّع قد غُفرَت، فأخبر بها مضيفًا إلى نفسه الفعلَ؛ بُناءً على أَنَّ حكمَه حكمُ الله، وحكمَ الله حكمُه، أو أَنَّه كان مأذونًا له في الأحكام بناءً على تأييده بالعصمة، فأضاف الفعل إلى نفسه؛ لأَنَّه المستقلُّ في الأرض بالحكم، ومستنيبه في السماء. ويحتمل أنه قال ذلك بنية التبليغ عن الله، أو مصرحًا بالتبليغ عنه، فقال: إن الله يقول: قد غفرت لك خطاياك، فخفي لفظُ التبليغ عنهم؛ لكثرة الجمع، أو خَفاء صوتِ المسيح.

رد اعتقاد النصارى ألوهية المسيح بنص إنجيل مرقس

ويحتمل أن لفظه: قد غُفِرتْ لك خطاياك، على صيغة ما لم يسم فاعلُه؛ بدليل أَنَّ لفظَ إنجيل لوقا: (مغفورة لك خطاياك)[٣]، وهو على صيغة ما لم يُسَم فاعلُه [٤٣/ ب]، ثم لـمَّا كان الفاعلُ مجملًا، مترددًا بين الله والمسيح، والكتبة شديدي العناد له، يتمنون له العثرات، حتى يقتلوه بها، كما صرَّح به الإنجيل

---

(١) في: (أ): إنما أبشر. والمثبت من (ب). ونص إنجيل مرقس: ٢: ٩. (أيما أيسر أن يقال للمفلوج: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم و احمل سريرك و امش).

(٢) إنجيل مرقس: ٢: ٥-١٢

(٣) إنجيل لوقا: ٥: ٢٣: ونصه: (أيما أيسر أن يقال: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال قم و امش؟).

حين قبضوا عليه، وقالوا: (قد استغنيتم[1] عن الشهود عليه ها هو قد جدَّف)[2].

حملوا لفظَه على أنه هو الفاعلُ الغافرُ، ووافقهم النصارى على هذا الفهم؛ لغلوِّهم في المسيح، واعتقادِهم إلهيتَه، وإنَّما أرادَ المسيحُ بالفاعل الغافرِ اللهَ سبحانه، لكنَّ هذا الاحتمالَ يردُّه قوله:

(لتنظروا[3] أن السلطان لابن الإنسان أن يغفر الخطايا)[4]، فتبقى الاحتمالاتُ الأُخر، ومعها لا يصحُّ الحكمُ بأنَّ من صحَّ أنْ يتولى غَفْرَ الذُّنوب كان إلهًا على الإطلاق؛ بل بشرط أنْ يكونَ مستقلًا لا حاكمَ فوقه، ثم قد ضمَّن كلامَه ما يُزيل أبنيَّته، وهو قوله:

إنَّ السلطان لابن الإنسان أنْ يغفر، فإنَّه نبَّه بكونه ابنَ الإنسان على أنَّه ليس إلهًا، ولا ابنَ إلهٍ، وإلاَّ لا يُنسب إليه، والله أعلم.

ومن ذلك في الفصل السادس، لـمَّا قال له الفريسيون: (قد فعل أصحابُك يومَ السَّبت ما لا يحلُّ، قال لهم: من أجل الإنسان كان السَّبت، ولم يُخلق الإنسان لأجل السَّبت، وابن البشر هو: ربُّ السَّبت)[5].

قلتُ: قد يتوهَّمون أنَّ معنى قوله: ابن البشر رب السَّبت [٣٩/ أ] أي: أنَّه الإله الذي شرَّعه وأوجبه، وليس كذلك، وإنما معناه: إنِّي رسولٌ، صاحبُ شريعةٍ مستقلة؛ كموسى، فمن جهتي يُعلم تحريمه أو تحليله؛ لأنِّي الواسطةُ بينكم وبين الله ووحيه، وأنا لم يوح إليَّ تحريمُه؛ فهو حلالٌ لي.

فمن هذه الجهة صحَّ أنْ يقول: أنا ربُّ السَّبت، لا من جهة أنَّه الإلهُ الأصليُّ

---

(١) في: (أ): استغنتم. والمثبت من: (ب).

(٢) انظر تصريح الأناجيل بذلك: إنجيل متى: ٢٦: ٦٢-٦٥. إنجيل لوقا: ١٤: ٦٢-٦٤.
وفي الهامش الأيسر في: (ب) كُتب: (التجديف معناه: الكفر).

(٣) في: (ب): لتنظروا، وفي نص مرقس: لتعلموا.

(٤) إنجيل مرقس: ٢: ٥-١٢.

(٥) إنجيل مرقس: ٢: ٢٤-٢٨.

الشَّارع، كيف وهو يقول: ابن البشر هو رب السَّبت؟، تنبيهًا على أن ليس مرادُه ما فهموه.

قصة إحياء المسيح بنت رئيس الجماعة ودلالتها على نبوته

ومن ذلك في آخر الفصل السابع منه، قال: (والذين كانت بهم عاهاتٌ، وأرواحٌ نجسةٌ، كانوا إذا رأوه سقطوا قُدَّامه قائلين: أنت هو ابنُ الله)[١].

والمراد: عبدُ الله، تجوزًا[٢] عنه بلفظ الابن؛ بدليل ما سبق تقريرُه في التعليق على إنجيل متى.

ومن ذلك في آخر الفصل الثالث عشر منه: (أنه لما أحيا[٣] الصبيَّة؛ بنت رئيس الجماعة، فتعجَّب الناس منه، وقالوا: من أين له هذا القوة والحكمة؟، أليس هذا ابنَ النَّجار ابن مريم، أخو يعقوب، و يوسي، ويهوذا، وشمعون، أليس [٤٤/ ب] إخوته عندنا، وكانوا يشكُّون فيه؟، فقال لهم يسوع: أليس يهانُ نبيٌّ إلاَّ في بلدته، وعند أنسابِه وبيته[٤]؟ ولم يصنع هناك قوة واحدة غير مرضى قليل أبرأهم[٥]، وعجِبَ من قلَّة إيمانهم)[٦].

قلت: هذا تصريحٌ منه بأنَّه نبيٌّ؛ لأنَّ معنى كلامِه: لا يهان نبيٌّ إلاَّ في بلده، وأنا نبيٌّ قد أُهِنتُ في بلدي.

فإنْ قيل: المسيحُ له جهةُ ناسوتٍ هو بها نبيٌّ، وجهةُ لاهوت هو بها إلهٌ.

قلنا: قد سَبق جوابُ هذا، في الكلام على إنجيل متى، ثم[٧] يلزمُكم على هذا أنْ يكونَ الإلهُ مُرَكَّبًا، أو نصفَ إنسانٍ!، وهو باطلٌ عند العقلاء أجمعين إلاَّ المجسمة[٨]،

(١) إنجيل مرقس: ٣: ١١.

(٢) في (ب): (تجوزوا) وما أثبتُّه من (أ).

(٣) في (أ، ب): (أحي) ولعل ما أثبتُّه هو الصواب.

(٤) في: (أ): وبنيه، والمثبت من: (ب)، ونص مرقس: ٦: ٤: (ليس نبيٌّ بلا كرامة، إلاَّ في وطنه، و بين أقربائه، و في بيته).

(٥) في (أ): (آثارهم)، والصواب من: (ب).

(٦) إنجيل مرقس: ٥: ٣٩ و ٦: ٣-٦.

(٧) في: (ب): لم. والصواب من: (أ).

(٨) (أما ذكر التجسيم، وذم المجسمة فهذا لا يُعرف في كلام أحد من السلف والأئمة كما لا يعرف في كلامهم أيضًا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم بل ذكروا في كلامهم الذي أنكروه على الجهمية نفي الجسم كما ذكره أحمد في كتاب =

والحلولية[١]، وهم طائفةٌ منكم، أو مثلكم، لا عبرةَ بهم.

ومن ذلك في الفصل الثامن عشر منه: ذكر في سياق إنكار الكتبة، والفريسيين، على تلاميذه؛ أكلَهم بدون غسل أيديهم!: (لا يُنجِّس الإنسانَ ما دخل فاه ثم خرج، إنَّما ينجِّسُه ما خرج من فيه)[٢]، وقد سبق الكلام عليه في إنجيل متى.

تناقض إنجيل متى مع إنجيل مرقس

ومن ذلك في الفصل الثامن والعشرين منه: ذكر سؤال الفريسيين للمسيح، عن طلاق الرجل امرأته[٣]. وقد سبق ذكره في: الأربعين، من إنجيل متى.

وبين الإنجيلين في هذه القصة، وغيرها، تفاوتٌ كثيرٌ في اللَّفظ، وهذا يدلُّ على أنَّ هذه الأناجيل رُويتْ بالمعنى، مع تقادم عهدِها، وتعريبها، [٤٠/ أ] من العجمي إلى العربي، وتداول النُّسَّاخ والأزمنة لها، وهذا يقتضي أنها صارت ممسوحة[٤].

وإذا كان المسلمون قد وقع بينهم خلافٌ عظيمٌ؛ لأجل رواية سنَّةِ نبيهم بالمعنى؛ مع قرب المدة، وقصرِ الأمدِ، واختلفَ علماؤهم في جواز الرواية بالمعنى اختلافًا شديدًا[٥]؛ حذرًا من استحالة الأحكام، فما ظنُّك بهذه الأناجيل مع طول

حكم رواية الحديث بالمعنى عند المسلمين

= الرد على الجهمية ولما ناظر برغوث وألزمه برغوث بأنه جسم امتنع أحمد من موافقته على النفي والإثبات وقال هو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد).[درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: (١/ ٢٤٩)].

(١) الحلول: عقيدة زعيمها: الحلاج (المقتول)، ويظهر في هذه المدرسة التأثر بالتصوف الهندي والنصراني، حيث يتصور الصوفي عندها أن الله قد حل فيه وأنه قد اتحد هو بالله، فمن أقوالهم: (أنا الحق) و (ما في الجبة إلا الله) وما إلى ذلك من الشطحات التي تنطلق على ألسنتهم في لحظات السكر بخمرة الشهود على ما يزعمون. [الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة (١/ ٦١)].

(٢) إنجيل مرقس: ٧: ١٥.

(٣) إنجيل مرقس: ١٠: ٢-٥.

(٤) ولو قال رحمه الله: ممسوخة! لكان متوجهًا؛ إذ هي كذلك.

(٥) قال الحافظ ابن حجر في شرح النخبة: (وأما الرواية بالمعنى فالخلاف فيها شهير والأكثر على الجواز أيضًا ومن أقوى حججهم الإجماع على شرح الشريعة للعجم بلسانهم للعارف به فإذا جاز الإبدال بلغة أخرى فجوازه باللغة العربية أولى وقيل إنما يجوز في المفردات دون المركبات وقيل إنما يجوز لمن يستحضر اللفظ ليتمكن من التصرف فيه وقيل إنما يجوز لمن كان يحفظ الحديث فنسي لفظه وبقي معناه مرتسمًا في ذهنه فله أن يرويه بالمعنى لمصلحة تحصيل الحكم منه بخلاف من كان مستحضرًا للفظه وجميع ما تقدم يتعلق بالجواز وعدمه ولا شك أن الأولى إيراد الحديث بألفاظه دون التصرف فيه قال القاضي عياض (ينبغي سد باب الرواية بالمعني لئلا يتسلط من لا يحسن ممن يظن أنه يحسن كما وقع لكثير من الرواة قديمًا وحديثًا والله الموفق). [انظر: الكتاب: نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (١١٩) المؤلف: أبو الفضل أحمد =

مُدتِها، واختلاف لغاتها ورقومها.

دعوة المسيح عليه السلام إلى الدار الآخرة

ومن ذلك في الفصل التاسع والعشرين: (لـمَّا قال لرجلٍ: بعْ كلَّ مالِك، وأعطه للمساكين، وأكنزه[1] في السماء، فصعُب على الرَّجُل، فقال له بطرس: ها نحن قد تركنا كلَّ شيء وتبعناك، فقال يسوع: الحقَّ أقول لكم، إنه ليس أحدٌ ترك بيوتًا، أو إخوةً، أو أخواتٍ، أو أبًا، أو أُمًّا، أو امرأةً، أو بنين، أو حقلًا لأجلي؛ ولأجل بشارتي إلاَّ وهو يأخذُ مائة ضعف الآن في هذا الزمان، منازل وإخوة، وأخوات، [٤٥/ ب] وأب وأم وبنين في الشدائد، وفي الدهر الآتي في الحياة المؤبدة أولون كثير يكونون[2] آخرين، وآخرون أولين).

قلت: قد أخبر المسيحُ هاهنا بأن من ترك شيئًا من متاع الدنيا لأجله؛ يُعطى أضعافَه في الآخرة، وهذا يناقِضُ ما حكوا عنه في إنجيل متى.

وفي الثامن والثلاثين من هذا الإنجيل: (في السبعة[3] إخوة، الذين تزوَّجوا امرأةً واحدةً تترى، حيث قال لهم: لا نكاح في الآخرة؛ بل تكونون كالملائكة)[4]

فأحدُ الكلامين باطلٌ عنه قطعًا، ومختلقٌ عليه جزمًا، إمَّا هذا، وإمَّا ذاك، وأيًا ما كان؛ فإنه يُسقِط الوثوقَ بهذه لأناجيل؛ لوقوع الكذب عليه فيها.

وايضًا فإنَّ بعض النصارى قدح في صدق محمد ﷺ؛ بإخباره بالنكاح في الجنة، وهذا يردُّ عليه؛ لأنَّ هذا نصُّ المسيح في الإنجيل: أَنَّ من ترك زوجةً لأجله؛ أخذَ أضعافَها في الحياة الدائمة.

= بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: د: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة الأولى عام (١٤٢٢هـ) مطبعة سفير بالرياض. قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث (١٨٩) جمال الدين القاسمي الدمشقي].

(١) في (أ) (وأكثره) والصواب من (ب).

(٢) في (أ) (يكونوا) والصواب من (ب).

(٣) في: (أ): سبعة، والصواب من: (ب).

(٤) إنجيل مرقس: ١٢: ١٩-٢٤.

ومن ذلك في الفصل الثاني والثلاثين: (لـمَّا قربوا من أورشليم[١]؛ أرسل اثنين من تلاميذه ليأتياه بحمار يركبه، وقال[٢] قولاً: إن الرَّبَّ يحتاج إليه!)[٣].

ومعنى ذلك: أنَّ السـيِّد يحتاجُ إليه؛ لأنهَّم كانوا يسـمُّون السـيِّد ربًّا. وتقريرُه أنَّ السيِّد مأخوذٌ من السؤدد والسيادة، وهي الريَّاسة.

والرَّبُّ هو المربِّي، ولا شكَّ أنَّ رئيسَ القوم يُربيِّهم وينظر في مصالحهم؛ كتربية المربِّـي لمن يُربيِّه، ويدلُّ على ذلـك قولهُم في أثناءِ هذه القصـة: **(مباركٌ[٤] الآتي باسم الرب)[٥]**، يعني: المسيحُ، هو: الآتي باسمِ الله، وليس للعالمِ إلاَّ ربٌّ واحدٌ، فتعيَّـن [٤١/ أ] أنَّ الـرَّبَّ إذا سُـمِّي به المسـيحُ فمعناه السـيِّد، وإذا سُـمِّي به الله سبحانه فهو الإله.

معنى الرب دعوة المسيح إلى التوحيد الخالص

ومن ذلك في التاسـع والثلاثين: (لـمَّا سـأله الكاتبُ أَنْ يوصيه، فقال له: أولُ الوصايا اسمع يا إسرائيل، الرَّبُّ إلـهُنا الرَّبُّ واحدٌ هوَ)[٦].

فانظر إلى المسيح، صلوات الله عليه، كيف أتَى في هذا الكلام بالتوحيد الذي لا لبس فيه، ولا غُبرة عليه، فإنَّه أخبر بأنَّ إلهه وإلهِ غيرِه واحدٌ، هو أخبر بوحدانيته، وبأنَّه غيـرٌ له؛ لأنَّه أضاف إليه، والإضافةُ توجـب تغايرَ المضاف [٤٦/ ب]، والمضاف إليه، وهذا منافٍ لرأي النصارى؛ لأنَّ من يقول: المسيحُ هو اللهُ؛ فمنافاتُه له ظاهرةٌ، ومـن يقـول هو ابنُه يقول: هو أُقنومٌ لذاته؛ جوهرًا أو صفةً، على ما سـبق تقريرُه في أوائل هذا التعليق، بُناءً على قولهم في الثالوث.

تناقض الأناجيل وكذبها مرة أخرى

فقـد بـان بهذا النصِّ الثَّابت عندهم؛ الصحيحُ: أنَّـهم ليسـوا على دين المسـيح،

---

(١) في: (أ): (يروشليم).

(٢) في: (ب): (فقال).

(٣) إنجيل مرقس: ١١: ١-٢. ولفظه: (تجدان جحشًا).

(٤) في (أ): (منازل)، والصواب من (ب).

(٥) إنجيل مرقس: ١١: ١٠.

(٦) إنجيل مرقس: ١٢: ٢٨-٢٩.

وأنّ المسلمين أحقُّ برأي عيسى، صلوات الله عليه، ودينِه، وما أَتى به من أصول الشريعة منهم[١]، فلله الحمد على ذلك دائمًا.

ومن ذلك في الفصل الرابع والأربعين: (ذكر أنَّ المسيحَ كان في بيت عنيا[٢]، في بيت شمعان الأبرص متكئًا، فجاءت امرأة معها طيبٌ كثير الثمن، فطيَّبت[٣] به المسيح، فأنكر عليها التلاميذ، وقالوا لو بيع وتُصُدِّقَ به على المساكين لكان أولى، فقال المسيح: دعوها نعمًا فعلتْ، المساكين عندكم في كلِّ حين، وأنا لستُ عندكم في كلِّ حينٍ، وإنَّما[٤] طيَّبَتْ جسدي لدفني، الحقَّ أقولُ لكم: إنَّ كلَّ مكانٍ يُكرَّز[٥] فيه هذا الإنجيل في جميع العالم؛ ينطق بما صنعت هذه؛ بذكرِه لهَا)[٦].

فقدان الإنجيل

قلت: فقوله: هذا الإنجيل، إشارةٌ إلى ماذا؟!، إنْ كان إشارةً إلى إنجيل؛ كان موجودًا في حياة المسيح؛ فذاك لا يُعرف بين النصارى، ولا تُعرف بينهم إلاَّ هذه الأناجيل الأربعة، وحينئذٍ نقول لهم: هاتوا هذا الإنجيل المشار إليه؛ لنوافقكم عليه، فإنَّ الحقَّ فيه.

تاريخ تدوين الأناجيل

وأمَّا هذه الأناجيل فهي مبدَّلةٌ، محرَّفةٌ، تارةً من جهة العناد والتَّعصب، وتارةً من جهة الرِّواية بالمعنى، وتارةً من جهة نقلها من لغةٍ إلى لغةٍ، وتارةً من فساد تأويلكم لها.

وإنْ كان إشارة إلى هذه الأناجيل فهذه لم تكن موجودةً على عهد المسيح[٧]، بل أَوَّلُ إنجيلٍ صُنِّف كان بعد صعود المسيح بثمان سنين، وآخرُها صُنِّف بعده

---

(١) في: (أ): بينهم، والصواب من: (ب).

(٢) بَيت عنيا: اسم آرامي معناه: بيت البؤس أو البائس، وهي قرية إلى الجنوب الشرقي من جبل الزيتون، على بعد ميلين من أورشليم تقريبًا. وتدعى الآن العازرية وهي قرية صغيرة مبنية على أكمة صخرية عسرة المسالك. [قاموس الكتاب المقدس (٢٠٤)].

(٣) في (أ): (فطُيب): والصواب من (ب) ونص مرقس ١٤: ٣: (فكسرت القارورة وسكبته على رأسه).

(٤) في (أ): (وأنها) والصواب من (ب).

(٥) إنجيل مرقس: ١٢: ٢٨-٢٩.

(٦) إنجيل مرقس: ١٤: ٢-٩.

(٧) كتب في الهامش (أ): مطلب في بيان وقت تصنيف الأناجيل.

بحوالي ثلاثين سنة[١]، فأين كانت عند المسيح حتى يشيرَ إليها؟!.

فإذا تأمّلتَ هذا [٤٢/ أ] البحث؛ علمتَ أَنَّ لفظةَ (هذا)، في هذا الكلام: منحولةٌ على المسيح، زادها بعضُ المتعصِّبين الجاهلين منهم، حمله تعصبه[٢] على زيادتها؛ لَتُوهِم أنَّ الأناجيل ثابتةٌ[٣] بنصِّ المسيح. ومنَعَه جهلُه من إدراك ظهور خيانتِه وكذبه لمن بعده.

وإذا ثبت أنها منحولةٌ لا أصلَ لها؛ سقطَ الوثوق بهذه الأناجيل؛ لجواز أنَّها أو أكثرُها منحولٌ مختلقٌ.

تحريف الأناجيل واختلاقها

فإنْ قيل: ليست هذه اللفظة منحولةً، ولا مختلقةً على المسيح؛ بل هي من كلامه، وإشارته بها إلى نفس الكلام الذي هي فيه، من قصة المرأة المذكورة، وسُمِّي ذلك الكلامُ [٤٧/ ب] وإنْ قلَّ إنجيلًا؛ لأنَّه بعضُ الإنجيل، إطلاقًا لاسمِ الكُلِّ على البعضِ مَجازًا، كما تُسمّون أنتم بعضَ القرآن: قرآنًا.

قلتُ: هذا لا يَصِحُّ؛ لأنَّ الإنجيلَ عندكم هو قبالة المصحف عندنا، وهما من الأسماء المُركَّبة، التي لا تصْدُقُ على جزئها اسمُ كُلِّها؛ كاليد، والرِّجل، والرأس، والظَّهر، ونحوها من الأعضاء المركبة، فلا يقال لبعض الإنجيل: إنجيلٌ، ولا لبعض المصحف: مصحفٌ، كما لا يقال لبعض اليد: يدٌ، ولا لبعض الرأس: رأسٌ.

وأمَّا القرآنُ[٤] فهو باعتبار اشتقاقه في لغة العرب؛ من الأسماء البسيطة التي

---

(١) سبق بيان هذا في الدراسة، وانظر: [قراءة في الكتاب المقدس، تأملات في كتب الأناجيل(١٣)، د/ صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة].

(٢) في (أ): (بعضه) والصواب من (ب).

(٣) في: (ب) (الإنجيل ثابتٌ) والصواب من (أ).

(٤) قرأ: تأتي بمعنى الجمع والضم، والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، والقرآن في الأصل كالقراءة: مصدر قرأ قراءة وقرآنًا. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ، فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (القيامة ١٧-١٨). أي قراءته، فهو مصدر على وزن «فُعلان» بالضم: كالغفران والشكران، تقول: قرأته قرءًا وقراءة وقرآنًا، بمعنى واحد. سمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر. وقد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد ﷺ فصار له كالعلم الشخصي. [مباحث في علوم القرآن (١٥-١٦) الشيخ أ. د: مناع القطان، مكتبة المعارف. الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م،].

يصدق على جزئها اسمُ كلِّها؛ كالشحم، واللحم، والعظم والعِرْق، والعَصَب؛ لأنَّ اشتقاق القرآن من القُرْءِ، وهو الجمعُ؛ لأنَّه جمعُ الكلام، أو القصص والأحكام، فكلُّ ما كان جامعًا لشيءٍ من ذلك كان قرآنًا، وإنْ كان جزءًا يسيرًا منه؛ فلهذا قيل لبعض القرآن: قرآنٌ، كما قيل لبعض الشحم: شحم، ولبعض اللحم: لحم، ولبعض الماء: ماء، ونحو ذلك.

توجيه إشارة المسيح

فإن قيل: بل الإنجيلُ هو نظير القرآن عندكم، وبذلك نزل كتابكم حيث قال فيه في غير موضع: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ [1] ..﴾ [سورة آل عمران: من الآية: ٣-٤]. وفي موضع آخر: ﴿.. وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ...﴾ [سورة التوبة من الآية: ١١١][1]، وإذا كان الإنجيل قبالة القرآن لا المصحف؛ جازَ أنْ يُطلق على بعضه اسمُ كلِّه؛ كالقرآن، وحينئذٍ يصِحُّ أنْ يكونَ هذا من المسيح إشارةً إلى كلامه ذلك بعينه، سماه إنجيلًا، وإن كان بعضَ الإنجيل.

قلت: هذا وهمٌ وغلطٌ[2]؛ لأنَّ الإنجيلَ الذي نُثبته نحنُ قرينًا[3] للقرآن عندنا، ليس هذا الذي بأيديكم، بل كتابٌ أُنزل على عيسى كالتوراة على موسى، وذلك ليس موجودًا عندكم، وإنْ جئتمونا به وافقناكم عليه؛ لأنَّا نعلم أنَّه لا يخالفُ ما عندنا؛ لأنَّ الجميعَ[4] حقٌّ من عند الله، وأمَّا هذا الإنجيل الذي بأيديكم فهو كما

---

(١) من قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلُ هُدًى﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ﴾، سقطت من (أ).

(٢) في هامش (أ)، كتب: (قوله: (قلت هذا وهم وغلط) أقول: لا شك أن المصاحف عندنا أربعة: مصحف عثمان، ومصحف حفصة، ومصحف ابن مسعود، ومصحف أُبيّ، وأن التوراة ثلاثة، نسخة عند النصارى، هي نسخة الحكماء الاثنين والسبعين، ونسخة عند اليهود، ونسخة عند السامرة، وأن الإنجيل الأربعة، إنجيل متى، وإنجيل مرقش، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا، ولا شك أن التحريف وقع في التوراة والإنجيل كما أخبر الله عنه في القرآن، ولا شك أن التوراة المنقسمة إلى ثلاثة (كذا)، هي التي أنزلت على موسى، وكذا الإنجيل المنقسم إلى أربعة، هو الذي أنزل على عيسى. هذا هو الإنصاف) ولي الدين.

(٣) في: (أ): قريبًا، والصواب من (ب).

(٤) في: (أ): جمع، والصواب من (ب).

ترونه لم ينزل على المسيح، وإنَّما صُنِّفَ بعده على هيئةِ التأريخ لمولد المسيح، وصعوده، وسيرةً له [٤٣/ أ].

فالذي نعترف نحن به لا تجدونه أنتم حتى تسمونه بسيطًا ولا مركبًا، والذي تجدونه لا نسلِّم لكم ببساطته، فلا سبيل لكم إذًا إلى إثبات دعواكم.

فإن قيل: [٤٨/ ب] الإنجيلُ هو كلامُ المسيح الذي كان يقوله لتلاميذه وللناس غيرهم، وهو في ضمن هذه الأناجيل الأربعة، وحينئذٍ يجوز أنه علم أنَّ كلامه سيدوَّن[١] بعده، مضمومًا إليه شرحُ سيرتِه وتاريخِ مولدِه، وصلبِه، وأنَّه يُسمَّى إنجيلًا، فوقعت الإشارة بقوله: (هذا) إلى مجموع كلامِه الذي علم أنه سيدوَّن[٢] ويسمى إنجيلًا، وتلك إشارةٌ صحيحةٌ.

قلت: هذا أصلحُ من سؤالكم الأوَّلِ، مع أنَّه لا ينفعُكم.

أَمَّا أولًا: فلأنَّ قولَكم: أنَّ الإنجيل، هو كلامُ المسيح بُناءً على رأيكم من أنَّ المسيح هو الله، فهو المتكلِمُ الموحي إلى جميع الأنبياء، أو[٣] أنَّه ابنُ الله؛ فهو يتصرف في مُلك أبيه باطِّلاعه على أسرار لاهوته؛ لأنَّه هو، وأبوه، وروح القدس، جميعًا إلهٌ واحدٌ، كما أنتم مصرِّحون به، ونحن قد أَبطلنا ذلك، ومنعناكموه، ومع مَنْعِ الأَصلِ لا يثبُت الفرع.

وأَمَّا ثانيًا: فإنَّ قولَكم: علمَ أنَّ كلامه سيُدَّون، فأشار إليه، بُناءً أيضًا على أنَّ المسيحَ إلهٌ، أو ابنُ الإلهِ، وأنَّه يعلمُ الغيبَ لا يَخفى عليه شيءٌ مما كان أو يكون، وهذا أيضًا ممنوعٌ عندنا، بل إنَّما نعتقده عبدَ الله ورسولَه، لا يعلم من الغيب إلاَّ ما أطلعه الله عليه كما قال في القرآن المقدَّس: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [سورة الجن، آية: ٢٦-٢٧] وقوله: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ

---

(١) في: (أ): سيبدون، والصواب من (ب).

(٢) في: (أ): سيبدون، والصواب من (ب).

(٣) في (أ): (و) والصواب من (ب).

﴿بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء﴾ [سورة البقرة، من آية الكرسي: ٢٥٥].

وأمَّا ثالثًا: فإنَّا بتقدير أنْ نسلِّم لكم أنَّ الإنجيل هو كلامُ عيسى، لكنْ قد رأيتم ما خالطه من كلام الإنجيليين، مع اختلاف عباراته، وما قد أريناكم من الدَّخل والتَّناقض فيه، عند من يُنصف منكم ومن غيركم، ولا يتعصب.

وما هذا شأنُه لا يبقى به وثوقٌ؛ بحيث يُبنى عليه فروعُ شريعةٍ، فضلًا عن أن يُبنى عليه أصول شريعة يقتتلُ الناسُ عليها بالسِّيوف نحو ألفِ سنة، فعلى هذا التقدير؛ نبقى مشكِّكِين في لفظة: (هذا) المذكورة، لا يُعلم هل هي من كلام المسيح، أو منحولةٌ عليه، وكفى بالشَّكِّ ضلالًا.

ومن ذلك قوله في الفصل الثامن والأربعين، وهو الآخر منه: **(ومن بعد ما كلمهم الرَّبُّ يسوع ارتفع إلى السماء، وجلس عن يمين الله)**[1].

اختلاف الأناجيل وعدم إمكانية الجمع بين ألفاظها

قلت: فهذا يقتضي أنهَّما اثنان، فأين قولهُم: الأبُ، والابنُ، [٤٩/ ب] وروحُ القدس، إلهٌ واحدٌ، هذا تناقضٌ ومحالٌ.

ومن الاختلاف في الأناجيل [٤٤/ أ] قصةُ إنكارِ بطرس للمسيح، قبل أنْ يصيح الدِّيك، فإنَّ في إنجيل: متَّى[2]، ولوقا[3]، ويوحنَّا[4]: **(أنك ستنكرني[5] قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات)**، وحكوا الأمر كذلك.

معجزة القرءان وحفظ الله له

وفي إنجيل مرقس: **(ستنكرني[6] قبل أن يصيح الديك مرتين ثلاث مرات)**، وحكا الأمر كذلك، وهذه قصةٌ[7] واحدةٌ، والجمعُ بين لفظيها اللَّذين رُويت بهما غيرُ ممكنٍ، وبدون هذا يسقط الوثوق بالكتاب.

(١) إنجيل مرقس: ١٦: ١٩.

(٢) انظر: إنجيل متى: ٢٦: ٧٥.

(٣) انظر: إنجيل لوقا: ٢٢: ٣٤. ٢٢: ٦١.

(٤) انظر: إنجيل يوحنّا: ١٣: ٣٨.

(٥) في: (أ): ستذكرني، والصواب من: (ب).

(٦) في: (أ): ستذكرني، والصواب من: (ب).

(٧) في: (ب): قضية، والمثبت من (أ).

وأيـن هـذا من القرآن؟!، الـذي على وجـه الأرض له ألوفٌ مـن الـحُفَّاظ، وبه ألوفٌ من النُّسَخ، لا يختلف الجميع في حرفٍ واحدٍ منه، ولو لـم يكن على صحة دين الإسلام دليلٌ إلاَّ هذا لكفاه.

قصة هولاكو في امتحان أهل الديانات

ويُحكـى أنَّ هولاكـو[1]؛ ملك التتار لـمَّا ظهر على أرض المسـلمين من العراق والعجم، أحبَّ النَّظر في الأديان على جهة الترجيح بالامتحان، فسـلك إلى ذلك طريقين جيدتين، دلَّتا على ذكائه وجودة فطرته:

إحداهما: أنَّه اسـتدعى بالتوراة، والإنجيـل، والقرآن، ثم أخذَ من كل واحدٍ كرَّاسًـا، فأخفاه، ثم استدعى بثلاثةٍ من رؤسـاء علماء المِلل الثلاث، فأعطى كلَّ واحـدٍ كتابَـه، وأمره أنْ يقرأه من أوَّلـه إلى آخره، فاليهوديُّ، والنَّصـرانيُّ: قرءا إلى الآخر، ولـم يتنبها لِما ذهب، والمسـلمُ لما جاء إلى الموضع المفقود وقف فقال: مالـك؟!، فقال: ذَهب من هاهُنا كـذا وكذا، فقال الملك: هؤلاء أضبطُ لِدينهم من هؤلاء!.

الشك في صحة هذه اللفظة

الطريقة الثانية: أنَّه سـأل عن الأنبياء الثلاثة ما صنعوا؟!، فقيل له: موسـى صعد الجبل وجاء من الله بكتابٍ، وعيسـى صعد ولـم ينزل إلى الآن، ومحمد صعد وعاد في ليلته.

فقال: هذا وصل إلى أسـتاذه؛ فقضى شغله وعاد، وذاك صعد؛ فلم يقض شغلًا، والآخـر لم يصعد أصلًا، فالذي[2] قضى شـغله وعاد هو: البهـادر' أو كما قال، وهذا وإنْ كان فيـه تجاهلٌ على الأنبياء؛ لأنَّا نعتقد شـرفَهم وصدقَهـم، ولا نُفرِّقُ بين أحد

---

(١) هولاكـو خـان بن تولى خان بن جنكيز خان ؛ملك التتار ابن ملك التتـار، وهو والد ملوكهم، وقد كان هولاكو ملكا جبارا فاجرا كفارا لعنه الله، قتل من المسـلمين شـرقا وغربا ما لا يعلم عددهم إلا الذي خلقهم وسيجازيه على ذلك شر الجزاء، كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق، وكان هو يترامى على محبة المعقولات، ولا يتصور منها شيئا، وكان أهلها من أفراخ الفلاسـفة لهم عنده وجاهة ومكانة، وإنما كانت همته في تيسـير مملكته وتملك البلاد شيئا فشيئا، حتى أباده الله في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاث وستين، ودفن في مدينة تلا، لا رَحِمَهُ اللهُ. [البداية والنهاية (١٣/ ٢٨٨)].

(٢) في (أ) (والذي) والتصويب من (ب).

منهم(١)، لكنه مع عاميته استخرج استخراجًا حسنًا، ليت النصارى وُفِّقوا لبعضه، ولكنهم شرعوا في خرافاتٍ؛ يكفيهم أنَّ عُقلاء العالم بأسرهم(٢) بمجرد سماعها يلعنونهم!، وينفرون منها، وإذا سلَّوا(٣) أنفسَهم عن ذلك، وعزَّوها قالوا: نحن [٥٠/ب] على الملة المسيحية.

براءة المسيح من غلو النصارى

يا مساكين! الملةُ المسيحيةُ حقٌّ، ولكن لستم على شيءٍ منها، وإنَّ [٤٥/أ] المسيح أشدُّ عداوةً لكم عند الله منه لليهود؛ لأنكم غلوتم(٤) فيه حتى أعطيتموه

(١) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]

(٢) بأسرهم، ليست في(ب) وأثبتُّها من (أ)..

(٣) سَلاهُ من همه تَسْلِيةً و أسْلاهُ أي كشفه عنه. [مختار الصحاح (٣٢٦)].

(٤) قال الله ﷻ في القرءان الكريم: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النساء:١٧١] قال ابن كثير: (ينهى تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصارى، فإنهم تجاوزوا حد التصديق بعيسى، حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادَّعوْا فيهم العصمة واتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقًا أو باطلا أو ضلالا أو رشادًا، أو صحيحًا أو كذبًا؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].
وقال الإمام أحمد: حدثنا هُشَيم قال: زعم الزُّهْرِي، عن عبيد الله بن عبد الله بن عُتْبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر: أن رسول الله ﷺ قال: «لا تُطْرُوني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد الله ورسوله». [مسند أحمد (١/ ٢٣، ٢٤) وصحيح البخاري برقم (٣٤٤٥)]. و عن أنس بن مالك: أن رجلًا قال: محمد يا سيدنا وابن سيدنا، وخيرنا وابن خيرنا. فقال رسول الله ﷺ «يا أيها الناس، عليكم بقولكم، ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمُ الشيطانُ، أنا محمدُ بنُ عبد الله، عبد الله ورسوله، والله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله ﷻ»[المسند (٣/ ١٥٣) وهو على شرط مسلم]. وقوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي: لا تفتروا عليه وتجعلوا له صاحبة وولدا -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وتنزه وتقدس وتوحد في سؤدده وكبريائه وعظمته -فلا إله إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي: إنما هو عبد من عباد الله وخَلق من خلقه، قال له: كن فكان، ورسول من رسله، وكلمته ألقاها إلى مريم، أي: خَلقَه بالكلمة التي أرسل بها جبريل، عليه السلام، إلى مريم، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه، ﷻ، فكان عيسى بإذن الله، ﷻ، وصارت تلك النفخة التي نفخها في جَيْب درعها، فنزلت حتى وَلَجت فرجها بمنزلة لقاح الأب الأم والجميع مخلوق لله، ﷻ؛ ولهذا قيل لعيسى: إنه =

ما لا يستحق، وأولئك فرّطوا فيه حتى منعوه ما يستحقُّه، وجاء الإسلامُ فيه بالعدل والقسط، لا إفراطَ ولا تفريطَ، ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأنعام: آية ٤٥]. **هذا آخر التعليق على إنجيل مُرقس.**

* * *

= كلمة الله وروح منه؛ لأنه لم يكن له أب تولد منه، وإنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال له بها: كن، فكان. والروح التي أرسل بها جبريل، قال الله تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]. وقال تعالى إخبارًا عن المسيح: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الزخرف: ٥٩]. [تفسير ابن كثير (٢/ ٤٧٧- ٤٧٨) تحقيق: سامي السلامة)].

ثالثًا: التعليق على إنجيل لوقا

وهذا حين الشروع في التعليق على إنجيل لوقا[١].

فمن ذلك: قوله في مقدمته في صفة يحيى بن زكريا[٢]، لـمَّا بشّره به جبريلُ: (يكون عظيمًا قدَّامَ الرَّبِّ، لا يشربُ خمرًا، ولا مسكرًا، ويمتلئُ من روح القدس)[٣]. وفي آخر المقدمة: (وامتلأ زكريا أبوه؛ من روح القدس)[٤].

شناعة ونقض

قلتُ: ففي هذا الكلام شناعةٌ، ونقضٌ على النصارى، أَمَّا الشناعة: فإنَّ ملك الرَّب وصف ابنَ زكريا بأنَّه لا يشرب الخمرَ على؛ جهة المدحِ له. والأناجيلُ تضمّنت أنَّ المسيح ملأ الكأسَ وقال: (هذا دمي، وما عدتُ أشرب عصير الكرمة حتى أصل إلى ملكوت السماوات)[٥]، أو معنى هذا الكلام، وقد سبق وصرّح فيه بأنَّه شربَ الخمر، وهذا يدلُّ على أنَّ يحيى بن زكريا أفضلُ من المسيح؛ لأنَّ دين المسيح تركُ الدُّنيا وشهواتِها، وقد زهد يحيى منها؛ فيما لم يزهد فيه المسيح، وهم لا يقولون بهذا ولا نحن، وإنما ألزمناهم إلزامًا.

---

(١) في الهامش الأيسر في (أ): (مطلب في تعليق إنجيل لوقا). وفي (ب) في الهامش الأيمن: (لوقا).
ولوقا: اسم لاتيني ربما كان اختصار: لوقانوس، أو: لوكيوس، وهو صديق بولس ورفيقه وقد اشترك معه في إرسال التحية والسلام إلى أهل كولوسي، حيث وصفه بالقول ((الطبيب الحبيب)) وكذلك في الرسالة على فليمون (فل ٢٤) حيث وصفه بالقول ((العامل معي)). وكان مع بولس في رومية حين كتابة الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، نجد في القرن الثاني لميلاد أن الاعتقاد كان سائدًا بأن لوقا هو كاتب الإنجيل الثالث وأعمال الرسل- السفريين اللذين كتبا بدون ريب بقلم واحد، الأمر الذي يساعدنا على معرفة الكثير عن لوقا من سفر الأعمال حيث يذكر أنه كان مع بولس في قسم من أسفاره بدليل استعمال ضمير الجمع المتكلم ((نحن)) ((ونا)) في وصف تلك الأسفار. [قاموس الكتاب المقدس(٨٢٢)] وهذا اعترافٌ ضمنيٌ منهم بجهالة المؤلف، وسبق الكلام عن هذا في الدراسة.

(٢) مرت ترجمته.

(٣) إنجيل لوقا: ١: ١٥.

(٤) إنجيل لوقا: ١: ٦٧.

(٥) انظر نصوص الأناجيل التي تتحدث عن شرب المسيح ﷺ الخمر: إنجيل متى: ٢٦: ٢٩. مرقس: ١٤: ٢٥. لوقا: ٢٢: ١٨.

وأمَّا النقض: فإنَّ الإنجيلَ قد تضمّن أنَّ ابن زكريا، امتلأ من رُوح القدس في بطن أمِّه، وهذا أبلغُ من المسيح؛ لأنَّ الأناجيلَ تضمَّنت؛ أنَّ روحَ القُدُس، إنَّما جاءَ المسيحَ لمّا اعتُمد من يوحَّنا المعمداني، وكذلك تضمَّن الإنجيل[١] امتلاءَ زكريا من روح القدس، فيلزمُ النَّصارى أنْ يكونَ زكريا وابنُه إلهين، أو ابنين[٢] للإله؛ لمشاركتهما المسيحَ في روح القُدُس، ولا فرق بينهما وبين المسيح في ذلك، إلاَّ أنَّ المسيح ولد لغير بشر، وظهر على يديه من الآياتِ ما ظهر، وليس ذلك بفرقٍ مؤثرٍ من حيث الأبوةُ والبنوةُ، بل من حيث ظهورُ المعجزاتِ التي يختصُّ اللهُ بها من يشاء من خلقة.

بل أبلغُ من هذا أنَّه ذكر في الفصل الثالث: **(أنَّ شمعان كان يحلُّ عليه روحُ القدس [٥١/ ب]، فيلزمُ أن يكون ابنَ الله)**[٣]. **فيلزم أن يكون ابنَ الله**[٤].

ومن ذلك: (حكايتُه أنَّ مَلَكَ الرَّب لما جاء مريمَ خافت منه، فقال: لا تخافي يا مريم، قد ظفرتِ بنعمة من عند الله، وأنت تقبلين حبَلا[٥]**، وتلدين ابنًا، ويدعى اسمه يسوع، يكون عظيمًا، وابنُ العليِّ يُدعى، ويعطيه [٤٦/ أ] الربُّ كرسيَّ داود أبيه**[٦] **ويملك على بيت**[٧] **يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه انقضاء)**[٨].

قلت: أمَّا قوله: **(وابنُ العلي يُدعى)، فيحتمل وجهين:**

أحدهما: ما سبق الدليل عليه؛ من أن المراد بالابن العبد.

---

(١) في (أ): (تضمن الأناجيل) والتصحيح من (ب).

(٢) في كلا النسختين (أ) و(ب): ابنان، وهو خطأ، والصواب ما أثبتُّه.

(٣) إنجيل لوقا: ٢: ٢٥-٢٦.

(٤) هذا من باب الإلزام، وسبق في الدراسة بيان إلزامات الطوفي لهم بأقوالهم؛ لإفحامهم وتبيين زيف اعتقادهم.

(٥) في (أ): (جبلا) والصواب من: (ب). وانظر النص في إنجيل لوقا: ١: ٢٨-٣٣. والحَبَلُ بالفتح الحمل وقد (حَبِلَتِ المرأة من باب طَرِبَ فهي (حبلى)) [مختار الصحاح: مادة (ح ب ل)، (١١٩)].

(٦) في: (أ) (ابنه) والتصحيح من (ب). وهكذا في إنجيل لوقا: ١: ٣٣.

(٧) كتب فوقها: (بني) صوابه. في (أ) وفي (ب) (بيت) وفي إنجيل لوقا الإصحاح الأول (٣٣): «ويملك على بيت يعقوب».

(٨) إنجيل لوقا: ١: ٢٨-٣٣

والثاني: أنْ يكونَ تشنيعًا على من يَعتقدُ فيه البُنُوَّةَ بغير معنى العبودية، ويكون التقدير: أنَّه لعظمة[١] قدره وشهرته، وارتفاع محلِّه، يفتتن به بعض العالم حتى يدعوه[٢] ابنَ الله، على أنَّ هذا الكلامَ في هذا الفصل؛ متهافتٌ مع ما في الإنجيل؛ من صلبِ اليهودِ للمسيح، وإهانتهم له، فأين مُلْكُه على بني يعقوب إلى الأبد؟!.

إلزامهم بالتاريخ

إن أُريدَ بذلك حقيقتُه فهو مكابرةٌ للحسِّ؛ فإنَّ المسيحَ الآن عند الله سبحانه، وبنو يعقوب منهم اليهود والنصارى، وبينهم الحروب، والملِكُ يحبُّ أَنْ تكونَ دولتُه ساكنةً، ورعيتُه متفقةً.

خلو بيت المقدس من النصارى زمن الطوفي

وإن أُريدَ أَنَّ اسمَه في البُنُوَّةِ[٣] باقٍ إلى الأبد؛ فهذا يشاركه فيه جميعُ الأنبياء. وكذلك إن أُريدَ به أنَّ له ملةً وشريعةً، باقيةً على زعم أصحابها إلى الأبد، وقوله: (يعطيه الرب كرسي داود أبيه[٤]) منافٍ لما سبقَ من إنكارِ المسيح أُبُوَّةَ داود، حيثُ احتجَّ بقوله: (قال الرب لربي)[٥]، ثم إنْ أُريدَ بكرسيِّ داود مُلْكُه؛ فالمسيحُ لم يمَلِك، وإنَّما كان فقيرًا سائحًا يدعو[٦] إلى طريق الحق، واليهودُ من الكهنة، والكتبة، و الفريسيين؛ يعاندونه، وهو يفرُّ منهم من مكانٍ إلى مكانٍ، حتى صلبوه في آخرِ الأمر وتقربوا بقتله إلى الله على زعمكم. وإن أُريدَ بكرسيِّ داودَ مسكُنه، ودارُ مُلكِه؛ فتلك بيتُ المقدس، والنصارى عنها بمعزلٍ[٧].

وإنْ أُريدَ بكرسيِّه أَرضُ الروم، والإفرنج، ودارُ مملكة النصارى كقسطنطينية[٨]

(١) في: (أ): يعظمه، وما أثبتُّه من: (ب).

(٢) في (أ): يدعونه، والتصحيح من: (ب).

(٣) في: (ب): النبوة، والتصحيح من (أ).

(٤) في: (أ) (ابنه)، والتصحيح من (ب). وهكذا في إنجيل لوقا: ١: ٣٣. وقد سبق.

(٥) إنجيل متى: ٢٢: ٤٤.

(٦) في النسخ (يدعو) والصواب المثبت.

(٧) لكنهم في الحقب التي بعد الطوفي غزوها، كما هي اليوم بأيدي اليهود، نسأل الله تعالى فرجًا قريبًا.

(٨) قسطنطينية ويقال قسطنطينة بإسقاط ياء النسبة قال ابن خرداذبه كانت رومية دار ملك الروم وكان بها منهم تسعة عشر ملكا ونزل بعمورية منهم ملكان وعمورية دون الخليج، وبينها وبين القسطنطينية ستون ميلا وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك أيضا برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بزنطية وبنى عليها سورا وسماها قسطنطينية وهي دار ملكهم إلى اليوم واسمها إصطنبول وهي دار ملك الروم بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح عمرها ملك من=

ونحوها؛ فليس ذلك كرسيًّا لداود، ولا هؤلاء على ملة المسيح؛ حتى يصحَّ بهم هذا الخبر، فهذا كلامٌ منتحلٌ لا أصل له.

وأيضًا، استقرارُ مُلكِ النَّصارى [٥٢/ ب] في الرُّوم ليس لأجل المسيح، وإنَّما هو بإخبارِ إسحاق ودعائِه؛ أَنَّ ذلك يكون[1] في ولده العيص الذي هو أبو الرُّوم، كما ذكر في التوراة[2].

اشتراك لفظ الرب بين الإله والسيد

ومن ذلك: قولُه في الفصل الثاني؛ حكايةً عن مَلَك الرَّبِّ أنَّه قال للرُّعَاة: (**أبشروا فقد وُلِدَ لكم اليوم مخلِّصٌ، الذي هو المسيح الرَّبُّ**)[3].

قلت: وقد بينَّا غيرَ موضعٍ أَنَّ الرَّبَّ، لفظٌ مشتركٌ في لسانهم، بين الإله؛ والسيِّد المعظَّم.

فقوله: (**المسيح [٤٧/ أ] الرَّبُّ**)، يعني السيِّد، وقولُ الرُّعاة: (**امضوا بنا إلى بيت لحم**[4]**؛ لننظرَ الكلامَ الذي أَعلَمَنا به الرَّبُّ**) يعني: ملائكة الرَّبِّ، وهو الإله.

= ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه والحكايات عن عظمها وحسنها كثيرة. [معجم البلدان (٤/ ٣٤٧)]

(١) يكون، ليست في (أ)، وأثبتُّها من (ب).

(٢) انظر سفر أرميا: ٣٣: ١٧: (لأنه هكذا قال الرب: لا ينقطع لداود إنسانٌ يجلس على كرسي بيت إسرائيل). و الأصرح منه قوله: ٣٣: ٢١ (فإنَّ عهدي أيضًا مع داود عبدي ينقض، فلا يكون له ابنٌ مالكًا على كرسيه) وقوله: ٣٦: ٣٠ (لذلك هكذا قال الرب عن يهويا قيِّم ملك يهوذا: لا يكون له جالسٌ على كرسي داود، و تكون جثته مطروحةً للحرِّ نهارًا و للبرد ليلًا).

(٣) إنجيل لوقا: ٢: ٩-١١.

(٤) بيت لحم: اسم عبري معناه: ((بيت الخبز))، قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ٦ أميال إلى الجنوب من أورشليم وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة. وفيها مياه عذبة تنفجر من أراضيها المخصبة وهي بليد قرب البيت المقدس عامر حفل فيه سوق وبازارات ومكان مهد عيسى بن مريم عليه السلام وثم كانت النخلة وليس ترطب النخيل بهذه الناحية ولكن جعلت لها آية وبها كنيسة ليس في الكورة مثلها، ولما ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى البيت المقدس أتاه راهب من بيت لحم فقال له معي منك أمان على بيت لحم فقال له عمر ما أعلم ذلك فأظهره وعرفه عمر فقال له الأمان صحيح ولكن لا بد في كل موضع للنصارى أن نجعل فيه مسجدًا فقال الراهب إن بييت لحم حنية مبنية على قبلتكم فاجعلها مسجدا للمسلمين ولا تهدم الكنيسة فعفا له عن الكنيسة وصلى إلى تلك الحنية واتخذها مسجدا وجعل على النصارى إسراجها وعمارتها وتنظيفها ولم يزل المسلمون يزورون بيت لحم ويقصدون إلى تلك الحنية ويصلون فيها وينقل خلفهم عن سلفهم أنها حنية عمر ابن الخطاب وهي معروفة إلى الآن لم يغيرها الفرنج لما ملكوا البلاد ويقال إن فيها قبر داود وسليمان عليهما السلام. [قاموس الكتاب المقدس(٣٠٢)، معجم البلدان (١/ ٥٢١-٥٢٢)]

وقد قال بعضُ الفضلاء[١]: «أكثرُ اختلاف العلماء؛ من اشتراك الأسماء». فإذا كان اشتراكُ الأسماء مُؤثِّرًا في أذهان العلماء حتى يختلفوا؛ فأَحرى أنْ يؤثِّرَ في أذهان الجُهَّال؛ حتى يَضِلّوا.

من تناقضات النصارى

ومن ذلك في هذا الفصل، قال: (إن شمعان رأى في الرؤيا من روح القدس، أنَّه لا يرى الموتَ حتى يُعاينَ المسيح الرَّبَّ، فأقبل بالروح إلى الهيكل عندما، جاء بالطفل يسوع أبواه)[٢]، يعني: مريم، ويوسف خطيبها، فليت شعري إذا جعلوا المسيح ابنَ يوسف مجازًا؛ للعلم بأنَّه ليس منه، مع أهلية يوسف للولادة الحقيقية، فما المانع من أَنْ يجعلوه ابنَ الله مجازًا بمعنى عبدِ الله، ويُغيِّروا هذه العبارةَ الشنيعة[٣]، التي غرَّتْهم بها هذه الأناجيلُ المختلقةُ المخترعةُ.

وفي هذه النكتة ردٌّ على بعض النَّصارى؛ حيثُ أَنكرَ إخبارَ محمد ﷺ بأَنَّ أبوي يوسف لمَّا اجتمعا به؛ سجدا له، فقال: أمُّ يوسف ماتت قبل ذلك بحين، وإنمَّا كانت امرأةَ أَبيه[٤] لا أمّه؛ يقال له: هذا إنجيلكم؛ قد سمَّى يوسفَ بن داود؛ أبا المسيح.

إلزامهم من كتبهم بصدق محمد ﷺ

وقال في الفصل الرابع: (وكان أبواه يمضيان إلى يروشليم كلَّ سنة، فتخلَّف عنهما مرة، فرجعا فوجداه في الهيكل، فقالت له أمُّه: يا بُنيَّ؛ ما صنعت بنا، أناوأبوك، تعني يوسف زوجها، جهدنا في طلبك)[٥]. وليس أَباه بالإجماع، بل لمَّا كان زوجَ أمِّه سمّاه أباه مجازًا، فكذلك تلك، لمَّا كانت زوجةَ أبيه؛ سمَّاها أمَّه مجازًا.

فائدة: [٥٣/ ب] وطعن هذا المصنِّفُ بعينه في ما تضمَّنه القرآن من قوله تعالى

---

(١) قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى في مواضع كثيرة: «وقد قال بعض الفضلاء: أكثر اختلاف العقلاء من جهة اشتراك الأسماء، لكن وقوع الاشتراك والإجمال يضل به كثير من الخلق، كما يهتدي به كثير من الخلق» [مجموع الفتاوى(١٢/ ٤٥١)].

(٢) إنجيل لوقا: ٢: ٢٥-٢٧.

(٣) في: (ب): الشنعة، والتصحيح من (أ).

(٤) أبيه، ساقط من (ب) وأثبتُها من (أ).

(٥) إنجيل لوقا: ٢: ٤١-٤٨.

في قصة زكريا حيث بشره الملك بيحيى: ﴿ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾[آل عمران: من الآية٤١] بوجهين:

الدفاع عن زكريا عليه السلام

أحدهما: أنَّ صُمات زكريا لم يكن على سبيل الآية والعلامة، بل على جهة العقوبة؛ حيثُ لم يبادر إلى الإيمان بالبشرى؛ بل قال: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ﴾ [آل عمران: من الآية٤٠].

الثاني: أنَّ مُدَّة صُماتِه لم تكن ثلاثةَ أيامٍ فقط، بل كان من حين البُشرى إلى حين ولادة يحيى. وأُورِد عليه ما ذُكر في إنجيل لوقا، في مقدمته، قال زكريا للملك[١]:

(كيف أعلم هذا وأنا شيخٌ، وأمُّه قد طعنت في أيامها؟، فقال الملك: أنا جبريل الواقف قدامَ الله، أُرسلتُ أكلمك بهذا، وأُبشِّرُك، [٤٨/ أ] ومن الآن يكون صامتًا، لا يقدر يتكلم، إلى اليوم الذي يكون، هذا لأنَّك لم تؤمن بكلامي الذي تمَّ في أوانه)[٢].

يلزم في قصة مريم ما وقع في قصة زكريا

والجواب عن الأوَّل: أنَّ صُماته على جهة العقوبة؛ لا يُنافي كونَه على جهة الآية والعلامة؛ إذ من الجائز أنْ يجعل عقوبته علَمًا على حادث يتجدّد[٣] له، خصوصًا وجبريلُ أَجابه بذلك في سياق قوله: كيف أَعلم هذا وأنا شيخٌ، فيدلُّ على أنَّه ذكرَ له العلامة.

ثم هذا منتقضٌ بمريم؛ فإنها لمَّا بُشِّرت بالوَلد قالت: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ [سورة آل عمران، من الآية: ٤٧] نصَّ على ذلك الإنجيلُ في هذه المقدمة بعينها[٤]، فهلاَّ عُوقِبتْ[٥] كما عوقِب زكريًا؟!.

الجواب عن الثاني: بعدم المنافاة أيضًا؛ لأنَّه أخبر ببعض مدة صُماته، والقرآنُ

---

(١) في (أ): (الملك) والتصحيح من: (ب).

(٢) إنجيل لوقا: ١: ١٧-٢٠.

(٣) في: (ب): تجدد، والتصحيح من: (أ).

(٤) نص إنجيل لوقا: ١: ٣٤-٣٥: (فقالت مريم للملاك: كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلاً، فأجاب الملاك و قال لها: الروح القدس يحل عليك).

(٥) أي: مريم.

إنما أتى بِمُجملاتِ قضايا الأولين، أو بعضهم، لا بتفاصيلها.

فإنْ صحَّ ما في الإنجيل فهو زيادةٌ مقبولةٌ؛ على أنَّا لا نحتجُّ به، ولا هو عندنا معتمدٌ، خصوصًا وقد بينَّا وقوعَ التخليط فيه والتناقضِ، وكتابُنا[1] عندنا أوثقُ منه، ومن يقدحُ في نُبُوَّة نبيِّنا بمثل هذا؛ ما تحصَّلَ له غرضٌ، بل المرجعُ إلى أدلَّةِ النُّبوَّات وبراهينِها.

ومن ذلك في الفصل الرابع: (أنَّ المسيحَ لما تخلّف عن أبويه بيروشليم؛ رجعا فوجداه في الهيكل، جالسًا بين العلماء، يسمع منهم ويسألهم، وكانوا مبهوتين من علمه وإجابته لهم)[2].

قلت: فظاهرُ سماعه منهم، وسؤاله لهم؛ إنمَّا كان على جهة الاستفادة، وهذا مما يوجبُ السخريةَ من عقول النصارى؛ لأنَّ من يكون إلهًا [٥٤/ ب]كاملَ العلمِ والقدرةِ، أو ابنَ الإلهِ مطَّلعًا على أسرارِ أبيه، أيُّ حاجةٍ له إلى السَّماعِ من العُلماءِ، والسؤال لهم؟!.

قلت: ولهم أن يُجيبوا عن هذا بجوابين:

أحدهما: لا يُسلَّم أنه كان سؤالَ استفادةٍ، بل سؤال امتحانٍ وإفادةٍ، كما يَمتحن المعلمُ تلاميذَه بمطارحتهم، وإلقاء المسائل عليهم، بدليل قوله: وكانوا مبهوتين من علمه وإجابته لهم؛ إذ[3] المستفيدُ لا يُبهت له مُفيدُه عادةً.

الثاني: سلَّمْنا ذلك، لكنّه سألهم في صورةِ مستفيدٍ؛ ليَسُنَّ لهم الأدبَ والتواضعَ، وعدم استكبار العالم أنْ يتعلم ممن دونه، كما اعتمد من يوحنا المعمداني، وكما كان

---

(١) أي: القرآن الكريم. وهذا الكلام لا يقبل، فالله تعالى لم يحوج هذه الأمة إلى زيادة من كتب الأولين؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣]، فما الظن إن كانت تلك الزيادة من كتب محرفة؟!.

(٢) إنجيل لوقا: ٢: ٤٥-٤٦.

(٣) في (أ): (إذا) والصواب ما أثبته من (ب).

يُشاور محمدٌ أصحابَه[1]، وهو أعلمُ منهم عندكم.

والجواب عن الأول: أنَّ ما ذُكر من سماعه منهم، وسؤاله لهم ظاهرٌ في الاستفادة. وإمَّا كونُهم بُهتوا منه، [٤٩/ أ] فهو من ذكائه، وإدراكه لما يستفيده، كما يتعجب المعلم من الصبيِّ الذِّكي، ويتوسَّم[2] فيه النجابة؛ أوَّلَ ما يراه؛ لذكائه وجودةِ فهمِه.

وعن الثاني: أنَّ حمْلَ سؤالِه لهم على الأدب، وشرع التواضع؛ إنَّما يصحُّ بتقدير أنهَّم كانوا يعرفونه بالفضل والرئاسة، وليس الأمرُ كذلك؛ بل إنَّما كانوا يرونه صبيًّا متعلِّمًا، ولو عرفوه لما بُهتوا وتعجبوا منه؛ إذ الفضيلةُ لا تُنكر لأهلها.

الشياطين توهم النصارى بأن المسيح ابنُ الله

وبهذا يظهر الفرقُ بين سؤاله للعلماء؛ وبين تعمّده من يوحنَّا، ومشاورة محمدٍ لأصحابه؛ لأنَّ يوحنَّا كان يعرف المسيح بالرئاسة والفضل؛ ولهذا قال: (**والذي يأتي بعدي أقوى مني ولا استحق أن أُحلَّ سيور حذائه**)[3]. وأصحاب محمد كانوا قد تابعوه[4] وآمنوا به، وعرفوا منصبه وقدره.

وهذه القصة كانت قبل أن يتعمّد، وينزل عليه روح القدس، وإنَّما اعتقدوه معلمًا، بعد نزول الرُّوح عليه في جسدِ حمامة.

ومن ذلك في الفصل العاشر: (أنه كان يخرج الشياطين من الناس، وكانت الشياطين تصرخ وتقول: أنت هو المسيح ابن الله، وكان ينهرهم ولا يدعهم ينطقون

---

(١) ودليله قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الشورى٣٨]. وقصة مشاورته ﷺ لأصحابه في بدر مشهورة. عن أنس رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان، قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه ثم تكلم عمر فأعرض عنه فقام سعد بن عبادة فقال إيانا تريد يا رسول الله والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا، قال: فندب رسول الله ﷺ الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرًا.. الحديث. [الجمع بين الصحيحين (٢/ ٤٨٨) حديث (٢١٢٢) محمد بن فتوح الحميدي تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م. دار ابن حزم، بيروت، لبنان].

(٢) في (ب): (ويتوهم) والصواب من (أ).

(٣) جاء هذا النص في مواضع كثيرة من الأناجيل الأربعة، وكذلك إنجيل برنابا. انظر:

(٤) في (أ): (بايعوه) والصواب من (ب).

بهذا؛ لأنهم يعرفون[1] أنه المسيح)[2].

قلت: الآن حصصَ الحقُّ، وتبيَّن أنَّ الشياطين هم الذين أوهموا[3] النصارى؛ أنَّ المسيح [٥٥/ ب] ابن الله؛ ليضلوهم، والشيطان[4] ليس بمأمونٍ على الدين، حتى يصّدق فيه ويحتج بقوله.

وهم أيضًا وضعوا على المسيح النُّطقَ بلفظ: الأب، والابن، وما تصرَّف منهما، وإلاَّ فالذي يقتضيه العلمُ أنَّ المسيح لم ينطق بشيءٍ من ذلك، ولم يدّع غير العبودية، والدليل عليه أنَّه[5] نهى الشياطين أنْ تنطق بهذا، والنبيُّ لا ينهي عن قولِ الحقِّ ممن صدر، فضلًا عن الله، أو ابنه عندهم.

نبوة المسيح ونفي ألوهيته بنص إنجيل لوقا

ومن ذلك في الفصل التاسع عشر (أنَّ يسوع أحيا ميتًا، كان محمولًا على جنازة، وكان وحيدًا لأُمِّه، فخاف القوم، ومجدّوا الله قائلين: لقد قام فينا نبيٌّ عظيمٌ، وتعاهد اللهُ شعبَه بصلاحٍ)[6].

قلت: هذا هو الكلام الذي لا لبس فيه!، وهو أنَّ القوم كانوا يعتقدونه نبيًّا، ويقرُّهم هو عليه.

وبه يتبيّنُ أنَّ مخاطبتهم له بالرَّبِّ، وابن الله، ونحوه؛ ألفاظُ تعظيمٍ، وكان من عادة الله سبحانه في بني إسرائيل أنْ يتعاهدهم، بعد كل فترةٍ؛ بنبيٍّ يُصلح شأنَهم، وتعاهدهم بالمسيح، ففهموا أنَّه من جنس الأنبياء الذين سبقوه[٥٠/ أ].

من ذلك: أنه ذكر في الفصل الرابع والعشرين: (أنَّ المسيح أخرج الشياطين من إنسان، وأمرهم أنْ يدخلوا في قطيع خنازير، فدخلوا ثم وثب القطيع في البحر فغرقوا، وأنَّ الرجل أراد أنْ يتبع المسيح فيكون معه، فقال له: ارجع إلى بيتك، وأخبرْ بالذي

---

(١) في (أ): (تعرفوا) والصواب من (ب) ونص لوقا في الترجمة الحديثة: (عرفوه).

(٢) إنجيل لوقا: ٤: ٤١.

(٣) في (أ): (وهموا) والصواب من(ب).

(٤) في (أ): (الشياطين) والصواب من (ب).

(٥) في (أ): (أن نهي) والصواب من (ب).

(٦) إنجيل لوقا: ٧: ١٢-١٤.

صنعَ الله بك، فذهب الرجلُ ينادي في المدينة)[١].

وذكر في مواضعَ متعددةٍ من الأناجيل: أَنَّ المسيحَ كان إذا أبرأ ذا عاهةٍ، أو شَفى[٢] مريضًا؛ يقول له: لا يخبر أحدًا بهذا.

من ذلك في الفصل الخامس والعشرين، من هذا الإنجيل:

تناقض إنجيل لوقا

(أنه لما أحيا بنتَ رئيس الجماعة؛ أمرَ أبويها ألاَّ يخبرا أحدًا بما كان)[٣]، وهذا تناقضٌ، لا تظهر[٤] له حكمةٌ؛ أنْ يقول لبعضهم: أخبر بما رأيت، ولبعضهم: لا تخبر، على أَنَّ للأنبياء أسرارًا، وفروقًا، وحِكمًا، لا يُطلع[٥] عليها؛ لكنَّ حكايةَ هذا عن المسيح؛ مع أنَّه كان يبسُط الكلامَ بضربِ الأمثال، ويبيّن عللَ الأمور، محلُّ ريبةٍ بلا شكٍّ، وما يَتَّهم بهذا إلا جُهَّالُ النصارى، وكذَبَتُهم على الله ورسوله المسيح [٥٦/ ب] صلوات الله عليه.

ومن ذلك في الفصل التاسع والعشرين، قال لتلاميذه: (ماذا يقول الناس إني أنا؟، قالوا: يوحنا المعمداني، وآخرون: إليا، وآخرون: نبيّ من الأولين، قال: فما تقولون أنتم؟! قال بطرس: أنت المسيحُ ابن الله، فأمرهم ألاَّ يقولوا هذا لأحدٍ)[٦].

قلت: قد دلَّ هذا الكلامُ على أن أحدًا من أهل عصر المسيح؛ لم يذهب وهمُه على أنَّه الله، ولا ابنُ الله، بل إنَّما ظنُّوه نبيًا من الأنبياء، يوحنا أو غيره، ولو كان هذا صحيحًا لذهب إليه بعضُ أهلِ العصر؛ لأنَّ المسيحَ يقول في غير موضع: (ما من مكتومٍ إلا سيظهر، ولا خفيٍ إلا سيُعلن)[٧].

فأَمَّا قول بطرس: أنت المسيحُ ابنُ الله، فلا يثبت؛ إذ لو ثبت أنَّه قال ذلك؛ لم

(١) إنجيل لوقا: ٨: ٣٧-٣٩.

(٢) في (أ): (وأشفى) والصواب ما أثبتُه من (ب).

(٣) إنجيل لوقا: ٨: ٤٩-٥٦.

(٤) في: (أ): يظهر، والتصويب من (ب).

(٥) في (أ): (تطلع) والصواب ما أثبتُه من (ب).

(٦) إنجيل يوحنا: ٩: ١٨ - ٢١.

(٧) إنجيل يوحنا: ١٠: ٢٦.

يكن المسيح يأمرهم بكتمه؛ لأنَّه إمَّا باطلٌ فلا يقرُّه عليه، أو حقٌ؛ فالمسيح إنَّمَا أُرسل ليُظهر الحقَّ على الباطل، ويجاهدَ بنفسه وبمن يتبعه، ولا يخاف أحدًا مع الله، كيف وقد كان ينكر عليهم ضعفَ إيمانهم ويقينهم؟، ثم إنَّه قد صرّح قبل هذا الوقت بأنه ابنُ الله مرارًا كثيرة على ما نقلتم عنه، فما فائدة [٥١/ أ] الأمر بالكتمان بعد الإعلان؟!.

ردُّ اليهود نبوة المسيح

ثم إنَّ فائدة كتم الأمر التمكنُ من إظهاره بعد إحكامه، وكون المسيح ابنَ الله ما نراه إلاَّ خاملًا بين اليهود، والمسلمين، وطوائف من النصرانية، وليس يقول به إلاَّ شرذمةٌ قليلةٌ منهم، فصار الأمرُ بكتمانه عبثًا.

وبهذا يظهر الفرقُ بين هذه القضية، وبين كلِّ من كتم أمره من نبيٍّ وملكٍ؛ لأنَّ أولئك لما كتموا أمورَهم أُحكمت وظهرت، وهذا ليس كذلك.

على أنَّ قول بطرس: أنت المسيح ابن الله، يحتمل أنَّ معناه: أنت عبدُ الله ورسولُه، كما قدمناه من تأويل البُنُوَّة على العبودية، ويكون بطرس قد اختار بعضَ أقوال الناس التي تنازعوها، وإنَّمَا أمرَه المسيحُ بكتمان ذلك؛ لأنَّه أقرَّ برسالته وصدقِ نبوته، وفي الناس من كان يكذِبُه في ذلك، ولا يؤمن به، فكتم أمرَه حتى يشهر حاله، ولا جرم أن نبوّته ما خالف فيها إلا اليهود [٥٧/ ب]، عليهم لعنة الله أجمعين!.

ومن ذلك: في الفصل الثاني والثلاثين،: **(قال يوحنا للمسيح: يا معلم، رأينا إنسانًا يُخرج الشياطين باسمك فمنعناه؛ لأنَّه لم يتبعنا، فقال: لا تمنعوه؛ لأنَّ كلَّ من[1] ليس عليكم فهو معكم!)**[2].

وذكرت هذه القصة في السابع والعشرين، من إنجيل مرقس، وقال فيها: **(كلُّ من[3] ليس هو معنا فهو علينا!)**[4]، وبين العبارتين بونٌ بعيدٌ؛ فإن لم يكن هذا التفاوت

(١) في (أ، و ب): (كلمن)، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) إنجيل لوقا: ٩: ٤٩-٥٠.

(٣) في (أ، وب): (كلمن) والصواب ما أثبتُّه.

(٤) إنجيل مرقس: ٩: ٤٠

من قلم النُّسَّاخ[١]، وإلا فهو قادحٌ؛ لأنَّه تناقضٌ[٢]، وتقريره: أنَّ كلَّ واحدٍ من الناس إمَّا أنْ يكونَ معك، أو عليك، أو لا معك ولا عليك، فالطرفان حكمُهما معلومٌ، وأمَّا الواسطةُ الذي لا لك ولا عليك؛ فإنَّها على لفظ لوقا[٣] تكون لك؛ لأنَّها ليس عليك، وعلى لفظ مرقس يكون عليك؛ لأنَّها ليست معك؛ فيلزم من هذا أنْ يكونَ بعضُ الناس في قضية واحدةٍ من وجهٍ واحدٍ لكَ وعليكَ. ولفظُ لوقا أشبهُ بسياق القضية.

فأمَّا قوله في الفصل التاسع والثلاثين: (من لم يكن معي فهو عليّ ومن لا يجمع معي فهو يفرق)[٤]، فهو كلامٌ صحيحٌ، مناسبٌ لمَا في سياقه من القصة، وهي غيرُ هذه.

تضارب ألفاظ إنجيل لوقا مع إنجيل مرقس

ومن ذلك [قوله][٥] في الثالث والخمسين: (إذا صنعت وليمةً فلا تدع أحباءك[٦] ولا أغنياء[٧] جيرانك؛ لأنَّهم ربما كافؤك، ولكن ادع الضعفاء والمساكين، الذين لا قدرةَ لهم على مكافأتك؛ لتكون مكافأتُك في قيامةِ [٥٢/ أ] الصِّدِّيقين، فسمع بعضُ الحاضرين ذلك، فقال: طوبى لمن يأكل خبزًا في ملكوت الله)[٨].

تناقضٌ آخر

قلت: فقد أقرَّه المسيحُ على هذا ولم ينكره، فدلَّ على أنَّ الناس يأكلون في الآخرة. وهذا يناقض ما ذكر في سؤال الزنادقة له عن سبعة الإخوة الذين تزوجوا امرأة واحدة تباعًا، لمن تكون منهم في الآخرة؟، فقال: إنَّ النَّاس هناك كالملائكة لا يتزوجون؛ لأنَّ من يأكل الخبز لا يكون كالملائكة، وإذا فارق الملائكةَ بأكل الخبز؛

---

(١) النص الوارد في إنجيل مرقس في الترجمة الحديثة: ٩: ٤٠: (لأنَّ من ليس علينا فهو معنا).

(٢) المسيح ﷺ بريءٌ من هذه التناقضات؛ لكن هل من الصدف أنْ يتحدث رئيس أمريكا الأسبق (بوش) بمثل هذا الكلام ؟! أم أنه التطبيق الحرفي لنصوص الأناجيل؟، فقد أصبح شعارُه: (من ليس معنا فهو ضدنا!) أشهر من أن يذكر، وبه استطاع أن يغزو ديار الإسلام.(قلت هذا إبان غزوه للعراق ٢٠٠٣م).

(٣) عبارته السابقة: (لأنَّ كلَّ من ليس عليكم فهو معكم).

(٤) إنجيل لوقا: ١١: ٢٣.

(٥) ليست في(أ).

(٦) في (أ وب) (أحباك) والصواب ما أثبتُّه.

(٧) في (ب): (والأغنياء جيرانك) والصواب ما أثبتُّه من (أ).

(٨) إنجيل لوقا: ١٤: ١٢-١٥.

جاز أنْ يفارقهم بالنِّكاح والتزوج[١]، فهذا تناقضٌ ظاهرٌ.

ومن ذلك: في الفصل الخامس والسبعين، قوله: (وحينئذٍ ينظرون [٥٨/ ب] ابن الإنسان آتيًا في السحابة بقواتٍ ومجدٍ عظيمٍ، فإذا بدت هذه تكون، انظروا إلى فوق، وارفعُوا رؤوسكم؛ فإنَّ خلاصَكم قد دنا)[٢].

بشارة المسيح بنبينا ﷺ

قلتُ: قد سبقت حكايتنا لصعود المسيح على غمامة، وقد أشار هو هاهنا إلى أنه يأتي فيها أو في مثلها، وهذا إشارة منه إلى نزوله في آخر الزمان؛ لقتل الدجّال، وكسر الصليب، وقتل الخنزير، ووضع الجزية على اليهود والنصارى، كما سبق ذكره، وكما وعد به محمدٌ ﷺ[٣].

الفرق بين نصارى الأمس ونصارى اليوم

وأمَّا قوله: فإنَّ خلاصَكم قد دنا، فهذا خطابٌ منه لمن كان في زمنه، ممن كان على ملَّتِه من توحيد الله، والتصديق بمحمدٍ ﷺ بتقدير ظهوره، فأمَّا هؤلاء الذين بدَّلوا، أوحرَّفوا وثلَّثوا، وخالفوا وصيةَ المسيح، وغيره، في الإيمان بمحمد ﷺ، فإنَّ خلاصَهم[٤] أيضًا يكون قد دنا، لكنْ إلى جهنم! أعاذنا اللهُ منها.

ومن ذلك قوله في الفصل الثاني والثمانين: (إنَّ مريم المجدلانية[٥]**، ومريم**

---

(١) في (أ): (التزويج) والصواب من (ب).

(٢) إنجيل لوقا: ٢١: ٢٧-٢٨.

(٣) قال النبي ﷺ «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسطًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ» (صحيح) عن أبي هريرة، رواه البخاري -كتاب البدع (٤/ ٤١٤) مع فتح الباري، ومسلم (١/ ١٣٥)، وانظر: صحيح الجامع الصغير، حديث رقم (٧٠٧٧)

(٤) في: (أ): خلاصكم، والمثبت من (ب).

(٥) مريم المجدلانية: في القاموس...: المجدلية: ولا طائل تحت الرأي الشائع أنها كانت امرأة زانية؛ لأنها كانت ذات ثروة وصيتٍ حسن، وإنما كانت قد ابتليت بسبعة شياطين أخرجهم منها المسيح فتبعته، وثبتت إلى المنتهى فكانت معه وقت الصلب (بزعمهم)، والدفن (بزعمهم أيضًا)، وكانت من جملة اللواتي أتين إلى القبر لحنطنه وكانت من الأوليات عند القبر مع مريم أم يعقوب وشرفها المسيح بحديثه معها بعد قيامته. [قاموس الكتاب المقدس (٨٤٢)]. ولا أجد هنا أبلغ من عبارة الطوفي تعليقًا على هذا الكلام: (ما رأيت ولا سمعتُ بأجهل من النصارى، ولا أقلّ من عقولهم، كيف يصدقون مثل هذا؟!، فلعن اللهُ من ينسب مثل هذا إلى آحاد الأمم....).

أم يعقوب، ومن معهما لما أُخبرت بأنَّ المسيحَ قام من قبره بعد ثلاثٍ (حي)[١]، وأخبرت الرسل التلاميذ، فكان هذا الكلام عندهم كالهزء، ولم يصدقوه، وقام بطرس إلى القبر فرأى الثياب موضوعة، فتعجب)[٢].

وكذلك: ذكر في إنجيل مرقس: **(أنَّ مريم لمَّا أَخبرت التلاميذ بقيام الرَّب؛ لم يصدقوا)[٣]**

تناقض عظيم في قصة مريم المجدلية

قلت: ما رأيت ولا سمعتُ بأجهل من النصارى، ولا أقلّ من عقولهم! كيف يصدقون مثل هذا؟!، فلعن اللهُ من ينسب مثل هذا إلى آحاد الأمم؛ فضلًا عن التلاميذ، والرُّسل المعصومين، فإنَّ المسيح، صلوات الله عليه، تقدَّم فأنذرهم، قبل أنْ يفعل به اليهود ما فعلوا، بما سيكون منه ومنهم غيرَ مرةٍ، وقد شاهدوا منه الآياتِ والمعجزاتِ [٥٣/ أ] وثبتَ صدقُه، فكيف يُنسبون بعد ذلك إلى أنهم يُخبرون بوقوع أمرٍ، وعدهم بوقوعه غير مرة؛ فيتخذونه هزوًا، ولا يصدقونه، وهل الشاكُّ أو المتردِّدُ في صدقِ ما يُخبِر به الصادقُ من الله أو رسُلِه إلاّ كافرٌ؟!، خصوصًا والمخبر عندهم إلهٌ، والمخبرون به رسلٌ، فعظُمَت الرزِّية من الطرفين؛ إذ نسبوا الرُّسُلَ المعصومين إلى تكذيب [٥٩/ ب] الإلهِ، فقبَّحَ اللهُ هذه العقولَ، التي قد مرّت على هذه الفضائح نحو ألفي سنة، من علمائهم، وملوكهم، وسوقتهم، ما كان فيهم بصيرٌ يتدبّرُها فيستر عوارها بإزالتها، ولكنْ؛ قومٌ استخفوا بدين الله فاستخفَّ اللهُ بهم، وجعلهم هُزأةً للمستهزئين، وسُخْرةً للساخرين، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها!.

كفر الشاك والمتردد في صدق الله ورسله

ولا يقال: إن تردّدَ التلاميذ ليس فيما أخبرهم به المسيحُ، من قيامه من الأموات، بل في زمنه الذي[٤] أخبرتهم فيه مريم، والشيءُ قد يُعلم حقيقة وجوده، ويُجهل زمنه؛

(١) في (ب): (حي).

(٢) إنجيل لوقا: ٢٤: ١-١٢.

(٣) إنجيل مرقس: ١٦: ١١.

(٤) في: (أ): التي، والمثبت من (ب).

لأنَّـا[1] نقول: إنَّ المسيحَ أخبرهم بقيامه بعد ثلاثةِ أيـامٍ، وإخبارُ مريم لهم بذلك بعد ثلاثة أيام؛ فالزَّمن معينٌ، وقد كذبوا به على ما نعلم عنهم، فلزم المحذور.

نبوة المسيح في إنجيل لوقا

ومن ذلك [في][2] الفصل الثالث والثمانين: **(أَنَّ التلاميذ لما بلغهم قيام المسيح قام اثنان منهم يسيران[3] إلى عمواس، وهما يتحدثان فيما كان من أمر المسيح؛ إذ صار المسيح بينهما يماشيهما[4] وأُخِذ بأبصارهما عن معرفته، فقال لهما: فيما تتحدثان؛ قالا له: في أمر يسوع الناصري، كان رجلًا نبيًّا، قويًّا بالأعمال، والكلامِ قُدَّام الله، وجميعِ الشعب، فأسلموه لحكم الموت)**[5].

قلت: وكان المخاطِبُ للمسيح، سمعان بطرس، وقد سمَّاه نبيًّا، والنُبوة تنافي الإلهيةَ، فدلَّ على أنه لم يكن، ولا كانوا يعتقدونه إلهًا، ولا ابنًا للإله؛ لأنَّا علمنا بالاستقراء التام أنَّ أحدًا من الأنبياء لم يكن كذلك، والاستقراء التام يفيد العلم، فتبيَّن بهذا أنَّ النَّصارى ليسوا على دين المسيح ولا اعتقاد التلاميذ، بل هم هملٌ بلا راعٍ! ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]

هذا آخر التعليق على إنجيل لوقا.

* * *

(١) في: (أ): ولا، والمثبت من (ب).

(٢) في: ليست في(ب).

(٣) في (أ): (يشيران) والصواب من (ب).

(٤) في (أ): (شبههما) والصواب من (ب).

(٥) إنجيل لوقا: ٢٤: ١٣-٢٠.

رابعًا: التعليق على إنجيل يوحنا

ولنشرع في التعليق على إنجيل يوحنّا[١] بن زبدي:

فمن ذلك، قوله في فاتحته: (في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة، كان هذا قديمًا عند الله [٥٤/ أ] كلٌّ به وبغيره، لم يكن شيءٌ مما كان)[٢].

قلت: هذا الكلامُ من حُجَجِ النصارى التي يعتمدون عليها، وهو كلامٌ بعضُه [٦٠/ ب] صحيحٌ، وبعضه فاسدٌ متهافتٌ!، وجديرٌ بعقولهم أَنْ يحتجُّوا بمثله، فإنَّ عقولهم دون عقولِ الصِّبيان!.

وصف عقول النصارى

أَمَّا الصحيحُ منه فقوله: في البدء كان الكلمة؛ فإنَّ كلام الله سبحانه صفة من صفاته، وهو عند المسلمين قديمٌ بقدمِه[٣].

وقوله: والكلمة كان عند الله، صحيحٌ أيضًا؛ لأنَّ الكلمةَ صفتُه، والصفةُ قائمةٌ بالموصوف، ويصحُّ أنْ يُطلق عليها لفظُ العندية.

وقوله: كان هذا قديمًا عند الله، هو معنى ما ذُكر.

---

(١) يسمى يوحنا الرسول: هو ابن زبدي من بيت صيدا في الجليل. دعاه يسوع مع أخيه يعقوب الذي قتله هيرودس اغريباس الاول ليكونا من تلاميذه، ويبدو أنه كان على جانب من الغنى لان أباه كان يملك عددًا من الخدم، أما سالومة فقد كانت سيدة فاضلة نقية. كانت شريكة النساء اللواتي اشترين الحنوط الكثير الثمن لتكفين جسد يسوع! ! !. وكانت على الأرجح أخت مريم أم يسوع، وقد اتخذ مهنة الصيد حرفة، لأن عادات اليهود كانت تقضي على أولاد الأشراف أن يتعلموا حرفة ما. وكان يوحنا من تلاميذ المعمدان ومن تلاميذ يسوع، وكان وأخوه شريكي سمعان في الصيد وكان معروفًا لدى قيافا رئيس الكهنة وربما كان له بيت في أورشليم. قاموس الكتاب المقدس (١١٠٨) وقد بينا في الدراسة جهالة هذا الشخص وأن إنجيله مزور، فلهذا يقول صاحب كتاب «المدخل إلى العهد الجديد» بناءً على ذلك: أن الكنيسة كانت بطيئة في قبولها لهذا الإنجيل ولهذا منذ نهاية القرن التاسع عشر ظهر الاعتراض على نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري بشكل واسع ووصفته دائرة المعارف الفرنسية بأنه « إنجيل مزوّر وهذه الدائرة اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى. [انظر: (دراسات في الأديان (١٥٧- ١٥٨) د: سعود الخلف].

(٢) إنجيل يوحنا: ١: ١-٣.

(٣) ولأن الكلام في الصفات فرعٌ عن الكلام في الذات، فإن هذا القول صحيح؛ إذ إن الله تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد:٣].

وقولـه: كلٌ بـه كان، وبغيره لم يكن شـيءٌ مما كان، صحيحٌ أيضًا؛ لأنَّ الأشـياء موجودةٌ بـإرادة الله، وقدرته، وأمره، فالإرادةُ تخصيصٌ، والقدرةُ مع الأمرِ تؤثِّرُ، وفي القرآن المقدَّس: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فالكلمـة عندنـا هي: كُنْ، وهي أمـرٌ، مِن: كانَ، يكونُ، وبها كان المسـيحُ، وإنَّما سمُيَّ كلمةً؛ لأنَّه أُوجِد بالكلمة، فكان[1] أحقَّ بهذه التسمية من غيره؛ لأنَّ تأثيرَ القدرة كان فيه أظهرَ؛ لكونه من غير بشرٍ.

فأمَّا قولهم: (**إنَّ كلمة الله تجسَّـدت، فصـارت لحمًا ودمًا**)[2]، فلا نقوله به، ولا يمكـنُ في العقل أنْ يتجسَّـد الكلامُ، وقـدرة الله إنما تؤثـر في الممكنات لا في غيرها، ومـن جـوّز أن الكلمة تتجسَّـدُ حتى تصير إنسـانًا؛ فليجـوِّزْ أنَّها تتجسَّـد حتى تصير جمادًا، وحيوانًا: ثورًا، وحمارًا، وفرسًـا، وكلبًا، وسبُعًا!، وغيرها من أنواع الحيوان، ثم لتكن الحيوانات والجمادات آلـهةً، أو أبناءَ آلـهةٍ؛ لأنَّها أُوجدت بكلمة الله، وكلمةُ الله تجسَّـدت فاسـتحالتُ إلهًا. وأمَّا المتهافت منه فقوله: والكلمة كان عند الله، والله هو الكلمة.

وذلك لوجهين:

أحدهمـا: أنَّ الكلمـة[3] ليسـت هـي الله، ودعـوى أنـَّـا هـيَ، هـو مكابـرةٌ وسفسـطة[4]؛ فـإنَّ الكلمـةَ صفـةُ المتكلـم، والصفـةُ غيـرُ الموصـوف، فالكلمـةُ غيرُ الله.

الثـاني: أن هـذا كلامٌ جُمعَ فيه بيـن التغاير والاتحاد؛ في قضيـةٍ واحدة، من جهةٍ

---

(١) في (أ): (وكان) والصواب من (ب).

(٢) النـص الموجـود في إنجيل يوحنا: ١: ١٤ (و الكلمة صار جسـدًا، و حلَّ بيننـا، و رأينا مجده مجدًا، كما لوحيدٍ من الأب، مملوءًا نعمة و حقًا).

(٣) ليست في: (أ) وأثبتُّها من (ب).

(٤) السفسـطة: قياس مركب من الوهميات والغرض منه تغليط الخصم وإسكاته كقولنا الجوهر موجود في الذهن وكل موجود في الذهن قائم بالذهن عرض لينتج أن الجوهر عرض [التعريفات (١٥٨)].

واحدةٍ، وهو تناقضٌ محالٌ.

والوجهان اللَّذان قرنا بهما التَّهافُتَ في التحقيق: واحدٌ أو متلازمانِ.

ومن ذلك قوله: (**الله لم يره أحدٌ قطُّ، الابنُ الوحيدُ الذي هو في [٦١/ ب] حضن أبيه، هو خَبَّرَ**[١])[٢].

وأظنُّ هـذا من كلام يوحنا المعمداني؛ الذي هو: يحيى بن زكريا. قلتُ: فقوله: الابنُ، قد بيَّنا فيما سبق أنَّ المرادَ به العبدُ؛ مجازًا.

ووصفُـه [٥٥/ أ] بالوحـدة؛ ليس معناه أنَّه ليس لله ابنٌ غيره؛ بل معناه: أنَّه وحيدٌ في الرِّسالة إلى الناس، أي: لا رسولَ معه في عصره مثله سواه.

وقولـه: الذي هو في حضن أبيـه، أي: في رعايته، وحياطته من الأعداء، إلى الوقت المعلـوم، وهو الـذي يؤيده بالقـوى والمعجزات، فـكلُّ هذا يصلـحُ أنْ يعبَّر عنه بالحضانة[٣]؛ لأنَّ الله تعالى يتولى من رسلِه ما يتولى الحاضنُ من ولده.

ماصحة حديث كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين؟!

وكذلك: قول يوحنا عن المسـيح: (**إنه يأتي بعدي وهو قبلي كان**)[٤]، ليس المرادُ بذاته[٥]؛ بل بالقوة في علم الله، وبشـارات الأنبياء المتقدمين، كما قال نبينا محمد ﷺ: (**كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين**)[٦]، وقوله بعد هذا شهدت أن هذا هو

---

(١) في: (أ): خير، والصواب من: (ب)، ونص إنجيل يوحنا.

(٢) إنجيل يوحنا: ١: ١٨.

(٣) لكن هذا اللفظ - في نظري والله تعالى أعلم - لا يجوز إطلاقه على الله تعالى، حتى من باب التنزل مع الخصم، وضرب الأمثال في جنب الله تعالى بمثل هذا لا يصح.

(٤) إنجيل يوحنا: ١: ١٥.

(٥) في (أ) (بداية) والصواب من (ب).

(٦) سئل شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ عن هذا اللفظ ومما يروون عنه ﷺ: (كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين، وكنت نبيًا وآدم لا مـاء ولا طين). فأجاب: الحمد للّـه، هذا اللفظ كذب باطل، ولكن اللفظ المأثور الذي رواه الترمذي وغيره أنه قيل: يارسـول اللّه، متي كنت نبيًا؟ قال: (وآدم بين الروح والجسـد)، وفي السنن عن العِرْباض بن سارية، أنه قـال: (إني عند اللّه لمكتـوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنْجَدِل في طينته). [مجموع الفتاوى ١٨/ ٣٧٩-٣٨٠)]. قـال الألبـاني حديث (كنت نبيـا وآدم بين الماء والطين)(موضوعٌ) ومثله حديث: (كنـت نبيا و لا آدم و لاماء و لا طيـن).. وقـال الألباني، رَحِمَهُ اللَّهُ في سلسـلة الأحاديث الضعيفـة (١/ ٤٧٣): موضوع. ذكر هـذا و الذي قبله السيوطي في ذيل «الأحاديث الموضوعة» (ص ٢٠٣) نقلا عن ابن تيمية، و أقره، و قد قال في رده على البكري =

ابن الله، قد سبق بيان تأويله بمعنى العبودية والرسالة.

وقولـه: (شـهدتُ أنَّ هذا هـو ابنُ الله)[1]، قد سـبق بيانُ تأويلِـه، بمعنى العبودية والرسالة.

وقولـه: (هـذا حَمَلُ الله)، هـذه إضافةُ خلـقٍ، أي: الحَمَل المخلـوقُ لله، وكان عيسـى أحقَّ بهذه الإضافة من غيره من الناس؛ لأنَّ تأثير القدرةِ فيه كان أظهرَ؛ إذ كان آيةً وعبرةً لمن اعتبر.

ومن ذلك في الفصل الثالث: قال لنيقوديموس[2]: (إني أعلمُكم بالأرضيات، فلا تؤمنون، فكيف إن أعلمتكم بالسماويات تصدقون؟!. وما يصعد أحدٌ إلى السَّماء إلاَّ الذي نـزل من السماء، ابنُ البشر الذي هو في السماء)[3].

قلـتُ: الخطب في هذا يسـيرٌ، فـإنَّ أرواحَ النـاس كلها تفيض عليهـم من العالم

= (ص ٩): لا أصـل لـه، لا مـن نقـل و لا من عقل، فـإنَّ أحدًا من المحدثيـن لم يذكره، و معنـاه باطلٌ، فإن آدم ﷺ لم يكن بين الماء و الطين قط، فإن الطين ماء و تراب، و إنما كان بين الروح و الجسد، ثم هؤلاء الضُّلال يتوهمـون أن النبـي ﷺ كان حينئذ موجودًا، و أن ذاته خلقت قبل الذوات، و يستشـهدون على ذلك بأحاديث مفتراة، مثل حديث فيه أنه كان نورا حول العرش، فقال: يا جبريل أنا كنت ذلك النور، ويدعي أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل. و يشـير بقوله: «و إنما كان بين الروح و الجسـد» إلى أن هذا هو الصحيـح في هـذا الحديث و لفظـه: «كنت نبيًـا و آدم بين الروح و الجسـد» وهو صحيح الإسـناد كما بينته في «الصحيحة» (١٨٥٦)، و قال الزرقاني في «شرح المواهب» (١ / ٣٣) بعد أن ذكر الحديثين: صرح السيوطي في «الـدرر» بأنـه لا أصـل لهما، و الثـاني من زيادة العوام، و سـبقه إلى ذلـك الحافظ ابن تيميـة، فأفتى ببطلان اللفظين و أنهما كذب، و أقره في «النور» (كذا و لعله «الذيل») و السخاوي في «فتاويه» أجاب باعتماد كلام ابن تيميـة، في وضـع اللفظين قائلًا: و ناهيك به اطلاعًـا و حفظًا، أقر له المخالف و الموافق، قال: و كيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا و قد قال فيه الحافظ الذهبي: ما رأيت أشد استحضارًا للمتون و عزوها منه، و كأن السُّنة بين عينيه و على طرف لسانه، بعبارة رشيقة و عين مفتوحة.

[سلسلة الأحاديث الضعيفة ١/ ٤٧٣]

(١) إنجيل يوحنا: ١: ٣٤.

(٢) اسم يوناني معناه: المنتصر على الشعب، وهو فريسيٌّ، وعضو في السنهدريم، وكان واحدًا من رؤوساء اليهود، جاء إلى المسـيح في الليل: (حتى لا يراه احد) ليشـاوره ويباحثه في امر الولادة الثانية الروحية. وقد اقتنع بكلام يسوع، ودافع عن يسـوع في السـنهدريم لما هاجمه الفريسيون، ثم بعد أن مات يسـوع (بزعمهم)، عمل على تطييب جسده بالمر، ودفنه. [قاموس الكتاب المقدس (٩٨٨)].

(٣) يوحنا: ٣: ١٢-١٣.

العلوي؛ لكنَّ الفرقَ بين المسيح وغيره؛ حيث عَلم ما في السموات دون غيره، من وجوه: أحدها: الإلهامُ من الله؛ كسائر الأنبياء، الذين أطلَعَهم الله[١] على ملكوتِ السَّموات.

الثاني: أنَّ روحَ المسيح كانت روحًا خاصة، ذات خصوصية، علمت[٢] كيفيات السموات حال تجردها، وحفظت ذلك، حتى أخبرت به بعد تركُّبها في الهيكل الجسماني.

وروح غيره لم تكن لها تلك القوة، ولهذا كان المسيح لقوَّة نفسِه [٦٢/ ب] وما فيها من الخصوصيات الإلهية إذا أبرأ ذا عاهة أحسَّ بقوةٍ خرجت منه، كما أخبر بذلك لما لمست المرأة التي كانت تنزفُ الدَّمَ، ثوبَه[٣].

أطوار خلق الإنسان

الثالث: أن أرواحَ سائر الناس إنَّما تفيضُ عليهم إذا كمل لهم حملًا أربعة أشهر، ومضت عليهم الأطوار أربعين يومًا نطفة، ثم أربعين علقة، ثم أربعين مضغة، فحينئذٍ تنفخ فيه الروح[٤]، والمسيحُ كان فيضانُ روحه [٥٦/ أ] على بدنه مقارنًا لتكوُّنه، فلعلَّ لهذا تأثيرًا فيما ذُكر.

ويقال: إنَّ المسيحَ في الحقيقة مَلَكٌ ظهر في صورة البشر، كما ظهر جبريلُ في

---

(١) لفظ الجلالة: الله، ليس في: (أ)، وأثبتُّها من: (ب).

(٢) في: (ب) (عقلت) والصواب من (أ) كونها وردت في السياق.

(٣) انظر إنجيل لوقا: ٨: ٤٢ -٤٨

(٤) دليله: حديث الصحيحين، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق، قال: إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع كلمات ويقال له اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع فيسبق عليه كتابه فيعمل بعمل أهل النار ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة). [رواه البخاري: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة (٢٩٦٩) وفي القدر والتوحيد. ومسلم (٤٧٨١)].

صورة دحية[١]، وهو تحقيقٌ لقوله[٢] تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام: ٩].

وقال بعد هذا: (أحبَّ اللهُ العالَمَ؛ فبذَلَ[٣] ابنه الوحيدَ؛ لكيلا يهلك، بل تكون له حياة الأبد)[٤]. قلت: قد بينّا معنى الابنِ الوحيدِ، وحينئذٍ يكون في ذلك كسائر الأنبياء؛ أنَّ الله تعالى بذَلهَم[٥] وحيدين في أعصارهم؛ ليَهدوا العالم، وينقذوه من كيد الشيطان ومكره.

ومن ذلك في الفصل السابع، قال: (وكان اليهودُ يريدون قتلَ يسوع؛ لأنَّه كان ينقضُ السَّبت عليهم بإبرائه المرضى فيه؛ ولأنَّه كان يقول: إنَّه ابنُ الله، ويعادل نفسَه بالله)[٦].

قلت: هذا كذبٌ على المسيحِ، أنَّه كان يزعم أنَّه معادلٌ[٧] لله؛ لأنَّه مناقضٌ لقوله لـمَّا ربطوه ليصلبوه:

(إلهي غيّر عني هذا الكأس، وليس كإرادتي، بل كإرادتك)[٨]، ولو كان عديلَه لعادلت إرادتُه إرادتَه.

بطلان دعوى صلب المسيح

فلما غلبت إرادةُ الله إرادته دلَّ على بطلان هذا النقل عنه، ثم إن هذا تخليط منهم، فإن هؤلاء يزعمون أنه الله، ومُعادلُ اللهِ لا يكون: هوَ، هوَ، بل غيره، وإمَّا زعمُه أنَّه ابنُه؛ فإنْ ثبت عنه فتأويلُه سبقَ.

---

(١) دحية بن خليفة الكلبي: صحابي مشهور أول مشاهده الخندق وقيل أحد ولم يشهد بدرًا وكان يضرب به المثل في حسن الصورة وكان جبرائيل عليه السلام ينزل على صورته، شهد دحية اليرموك وكان على كردوس وقد نزل دمشق وسكن المزة وعاش إلى خلافة معاوية. [الإصابة في تمييز الصحابة رقم الترجمة (٢٣٩٢)].

(٢) في: (أ) (تحقيق قوله) والصواب من (ب).

(٣) في: (أ): بدله، والصواب من (ب)، ونص إنجيل يوحنا.

(٤) إنجيل يوحنا: ٣: ١٦.

(٥) في: (أ): بدلهم، والصواب من (ب).

(٦) إنجيل يوحنا: ٥: ١٨. وفيه: (معدلاً).

(٧) في: (ب): يعادل، والصواب من: (أ).

(٨) إنجيل متى ٢٦: ٣٩، وإنجيل لوقا ٢٢: ٤٢.

وكذلك قوله: (لأنَّ الأعمالَ التي يعملها الأبُ، يعمل الابنُ مثلها)[1]، يقتضي العمومَ والاستغراقَ؛ فيلزم منه إمَّا انحصارُ أعمال الله، فما كان يعمله المسيحُ، أو عملَ المسيحُ مثلَ جميعِ ما عمل الله سبحانه، وهو باطلٌ، وإن ادعيتموه مُنعتموه، وإن زعمتم أن اللامَ في الأعمال ليست للاستغراق، بل أراد الأعمالَ من إحياء الموتى ونحوه، فهو خلافُ ظاهرِ اللَّفظ، ثم لا تبقى فيه حجةٌ؛ لأنَّ سائرَ الأنبياء عملوا بعضَ أعمالِ الله بقدرته.

وكذلك قولُه: (ليس الأبُ يدين أَحدًا، بل أعطى الحكمَ كلَّه للابنِ؛ ليُكرم الابنُ جميعَ الناس، كما يكرمون الأب)[2]، فإنَّه مناقضٌ لاستقالته من الصَّلْبِ، فلم يُقَلْ؛ لأنَّ من جعل له الحكمَ كلَّه كيف لم يملك لنفسه الخلاصَ مما يكره؟!.

ولكنَّ هذه خرافاتٌ كلُّها!، وأنَا أحلفُ ولا أستثني! ؛ أنَّ المسيحَ لم يَقُل شيئًا من هذا، ولا كره الصَّلبَ، ولا استقال منه؛ بل لعله كان آثَرَ عنده من البقاء؛ لِعلمه بما يصير إليه من كرامة الله له على تسليمه لقضائه وقدره[3]،وصبره [٥٧/ أ] على الأذى، فلا جَرم أَنَّ الله سبحانه وتعالى[4] نظر إلى يقينه ورضاه[5]، فخلّصه وأوقع اليهود والنصارى في الضلال واختلاق المحال.

ومن ذلك قوله في هذا الفصل: (أنه ستأتي ساعة، وهي الآن حاضرةٌ، يسمع فيها الأموات صوت ابن الله، والذي يسمعونه يحيون؛ لأنه كما أنَّ الأبَ الحياةُ في ذاته، كذلك أعطى الابن أن تكون الحياة فيه، وأعطاه سلطانًا أن يكون يحكم؛ لأنَّه ابن البشر)[6].

قلت: هذا كلامٌ جمعَ مُحالًا، وتناقضًا، وفسادَ تعليلٍ.

---

(١) إنجيل يوحنا: ٥: ١٩.

(٢) إنجيل: ٥: ٢٢.

(٣) في (أ) (قدرته)، ولعل الصواب ما أثبتُّه من (ب).

(٤) وتعالى، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٥) ورضاه، ليست في (ب) وأثبتُّه من (أ).

(٦) إنجيل يوحنا: ٥: ٢٥-٢٧.

أَمَّـا المحال، فقوله: أنه سـتأتي سـاعة، فإنه يريـد[1] بها سـاعةَ القيامة، حين يأتي لبعث الناس ودينونتهم.

فقوله: وهي الآن حاضرةٌ، مُحالٌ؛ إذ سـاعتنا هذه مثلًا؛ ليسـت هي القيامة، ولا يصحُّ هذا الكلام إلاَّ بتأويلٍ بعيدٍ جدًا، وهو أنْ يقال: تقديرُه، أنَّ القدرة التي يحيى بها الموتى، في ساعة القيامة هي موجودةٌ الآن. هذا الذي يظهر لي في تصحيحه، فإن كان له تأويلٌ آخر أقربَ من هذا فعليهم بيانُه.

وأَمّـا التناقض فقوله: كمـا أن الحياة في ذات الأب، كذلك أعطى الابن أن تكون الحياة فيه، فإنَّ هذا مع ما سـبق، من أنَّه يُعادل نفسَـه بـالله، وأنَّ الأعمال التي يعملها الأبُ، يعمـلُ الابنُ مثلَها، يقتضي أنَّ حياة ذاته؛ كحيـاة ذاتِ أبيه، ولو كان كذلك لم يتطـرق عليـه الموتُ، كما لا يتطرق علـى أبيه[2]، وليس كذلك؛ بـل الأناجيل متفقةٌ على أنَّه لـمَّا صُلِب صاحَ، وأسـلمَ الـرُّوحَ، ثم قام[٦٣/ ب] من الأموات بعد ثلاثٍ. وتضمَّنت الأناجيلُ أيضًا؛ أنَّه أخبرهم بأنه يُصلبُ، ويقوم من الأموات بعد ثلاثٍ.

فإن قيل: معنى موته: أنَّ الرُّوح فارقه، والرُّوح لم يَمُت.

قلنا: فهيرودس، وفيلاطس، ورؤساء الكهنة، الذين تألبوّا في صَلبه، بل فرعون،

---

(١) في: (ب)، يؤيد، والصواب من (أ).

(٢) أي: الله، على زعم النصارى الضُّلال.

وهامان[١]، وقارون[٢]، لمّا ماتوا، هكذا جرى لهم، إنما فارقتهم أرواحهم، ولم تمت، وكذلك جميع الناس.

فإن قال قائل: إنَّ المسيح: هو الله، فلا يرد هذا التناقضُ ببيان التفاوت بين حياته وحياة أبيه.

قلنا: فيكون الله سبحانه قد مات! لمّا صُلبَ المسيحُ ثلاثة أيام، وبقي الوجود في تلك الأيام بلا إلهٍ، وقد عُلم أنَّ قرية من قرى الدنيا إذا خَلت من سلطانها لحظةً واحدةً؛ خَربتْ، فكيف لم يخرب الوجود؟!، حيث بقي ثلاثة أيام بلا مُدّبرٍ، [٥٨/ أ] لهم[٣]!.

وهذا لازمٌ لمن ادعى ذلك، فإن ادَّعى مُدعٍ أنَّ المسيح هو الله، أو[٤]هو[٥] ابن الله، ولمّا صُلِب لم يُصلب اللهُ معه، كان ذلك من الهذيان، الذي لا جواب له إلاَّ سُكنى المارستان[٦]! والله المستعان.

جنون النصارى في اعتقادهم الصلب

وأمَّا فساد التعليل؛ فقوله: وأعطاه سلطانًا أن يكون بحكم؛ لأنه ابن البشر، فإنَّ هذا فاسدُ الوضع؛ لأنَّه علّق على العِلَّة نقيض ما تقتضيه؛ لأنَّ البشرية والنسبةَ إليها ضعيفةٌ، فلا تُناسِب إعطاءَ السلطان لأجلها، وإنَّما المناسبُ أنْ يقولَ

---

(١) هامان: وزير فرعون مصر، وقد ورد ذكره في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[القصص:٣٨]. وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ﴾[غافر:٣٦] وينسب إليه قوله: قال: قد كان ظنّي بك خيرًا من هذا، تصير عبدًا يعبد بعد أن كنتَ ربًا يُعبد! فذلك حين خرج عليهم فقال لقومه وجمعهم فقال: « أنا ربُّكُمُ الأعلى ». وكان بين كلمته « ما علمت لكم من إلهٍ غيري » وبين قوله: « أنا ربُّكُمُ الأعلى » أربعون سنة. [انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/ ١٦٣)].

(٢) قارون: ابن عم موسى ﷺ، وهو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]. [انظر: تاريخ الأمم والملوك (١/ ١٧٨)].

(٣) لهم، ليست في (ب). وأثبتُّها من (أ).

(٤) في (أ): و، وفي: (ب): أو، وهو الأصوب.

(٥) في (ب): أو هو، وهي مضطربة، وما في (أ) أنسب للسياق.

(٦) المارَسْتانُ بفتح الراءِ: دارُ المَرْضَى، مُعَرَّبٌ. [القاموس المحيط للفيروزآبادي (٧٤١)].

أعطاهُ سلطانًا لأنَّه ابنُ الله؛ لأنَّ الإلهية قويةٌ تُناسِبُ إعطاءَ السلطان لأجلها، ثم لو كان إعطاؤه السلطان[1] لأنَّه ابن البشر، وكانت البشريةُ تُناسِب إعطاءَ السلطان لكان غيرُ المسيح أحقَّ بذلك؛ لأنَّه ابنُ بشرٍ واحدٍ، وغيره ابنُ بشرين اثنين!، فعِلَّةُ إعطاءِ السلطان فيه أقوى وأكملُ.

ولا يظهر لي في تصحيح هذا الكلام، على جهة الإنصاف إلاَّ أنَّ تقديره:

أنَّه أعطاه سلطانَ الحكم، وجعله حاكمًا على البشر؛ لأنَّه بشرٌ من جنسهم، فهم له أشدُّ إلفًا وانقيادًا، من الملائكة الذين ليسوا[2] من جنسهم، فإنْ كان تأويلُه هذا فهو قريبٌ، وإلاَّ فعليهم بيانُه!.

ومن ذلك قوله: (لا تظنُّوا أنني أشكوكم عند الأب، إنَّ لكم من يشكوكم، موسى الذي عليه تتوكلون، فلو كنتم آمنتم بموسى آمنتم بي [٦٤/ ب]؛ لأنَّ ذلك كُتب من أجلي)[3].

محاجة المسيح لليهود

قلت: هذه مُحاجّةٌ حجَّ بها المسيحُ اليهودَ، وحاصلُها: أنَّ موسى بشَّرَ بي، وبُعث مقدمةً بين يديَّ، فلمَّا لم تؤمنوا بي لم تؤمنوا بموسى؛ لأنَّ من جملةِ ما جاءكم به الإيمانُ بي، واليهودُ كانوا يكذِّبون عيسى في هذه الدعوى، وينكرون معرفته، ولا يعرفونه إلاَّ بيسوع بن يوسف الناصري، والنصارى عندهم أنَّ هذه حُجةٌ فَلَجَ فيها المسيح على اليهود، فكذلك محمدﷺ[4] إذا حاجَّ النصارى بما حاجّ به المسيح اليهود فَلَجَ عليهم؛ لأنَّ الصورة والدعوى واحدةٌ، فإنَّ محمدًا قال للنصارى: إنَّ عيسى بشَّرَ بي وبُعث مُقدِّمةً بين يديّ، فلمَّا لم تؤمنوا بي؛ لم تؤمنوا بالمسيح؛ لأنَّ من جُملة ما جاءكم به الإيمانُ بي، مع أنَّ النصارى كذبوا محمدًا في هذه الدعوى، وأنكروا أنَّ له عندهم اسمًا، أو يعلمون له علمًا [٥٩/ أ]، فيكون قد فَلَجَ فيها على

(١) في: (ب): للسلطان والمثبت من (أ).
(٢) في (أ): (ليس)، والصواب من: (ب).
(٣) إنجيل يوحنا: ٥: ٤٥.
(٤) وسلم، ساقطة من: (أ) والمثبت من (ب).

النصـارى، كمـا فَلَجَ المسـيحُ في دعواه على اليهـود، وإلاّ فيلزمُ أنَّ المسـيح لم يَحُجَّ اليهـودَ في هـذه الدعوى، فيكـون كاذبًا فيها، والـكاذبُ في كلمةٍ واحـدةٍ لا يصلح أنْ يكـون عـدلًا، فضلًا عن رسـولٍ، بل عن الله أو ابنِـه على زعمهم، فإنْ سـلّموا لليهود هذا[1] في المسـيح؛ سـلَّمنا لهم مثلَه في محمدٍ، وحينئذٍ يلزم[2] أحدُ أمرين: إمَّا التسوية بيـن محمدٍ والمسيحِ، في إثباتِ الرسـالة أو نفيِهـا، والنفيُ لا يقولون به في المسـيح، فيلـزمُ الإثبـاتُ، فإنَّ قيل هذا غيرُ لازمٍ؛ لأنَّ المسـيح فَلَجَ علـى اليهود في حجته دون محمدٍ على النصارى، والفرقُ بينهما ظهورُ المعجز على يدِ المسيح دون محمدٍ.

قلنـا: هـذا سـؤالٌ؛ قد أحكمنـا جوابَه فيما سـبق[3] من إنجيل متـىَّ، عند إطعام المسـيح أربعـة آلاف[4] رجـلٍ مـن خمس خبـزات وحوتيـن[5]، فكمُلـتْ الحجةُ، ولزمَكم ما تكرهون.

ومن ذلك في الفصل الثامن: (أنَّ المسـيح لما أشـبع خمسـةَ ألف رجلٍ، في خمسـة أرغفة وسمكتين، قال الناس: حقًّا إنَّ هذا هو النبيُّ الجائي إلى العالم)[6].

إنجيل يوحنا ينفي ألوهية المسيح

قلت: فهذا نصُ الإنجيل على أنَّ الناس اعتقدوه نبيًا، وأنَّ الأنبياء قبله بشَّروا بـه، على أنه نبيٌّ، فالإلهيةُ مـن أين جاءته؟!، وهما مما لا يجتمعان حتى[7] يقال: لا تنافي بين كونه نبيًا، و[8] إلـهًا.

ومـن ذلـك [٦٥/ ب] في الفصـل التاسـع: (أنَّ النـاس لمـا أكلـوا الخبز الذي

---

(١) هذا، ليست في: (ب) والمثبت من(أ).

(٢) في (ب): لزم، والمثبت من (أ).

(٣) في (ب): جوابه.

(٤) في (أ): ألف، والمثبت من (ب).

(٥) انظر النص في إنجيل متّى: ١٤: ١٣-٢١.

(٦) إنجيل يوحنا: ٦: ١٤.

(٧) حتى، تكررت في (ب).

(٨) في (أ): (أو)، ولعل الصواب ما أثبتُّه من (ب).

أطعمهم، تبعوه إلى كفر ناحوم[١] فقال: ما جئتموني إلاَّ للخبز، فاعملوا لا للطعام النابت؛ بل للطعام الباقي؛ للحياة المؤبدة، يعطيكموه ابن البشر؛ لأنَّ هذا اللهُ الرَّبُّ، قد حكَّمه أو حتَّمه، قالوا له[٢]: ما نصنع حتى نعملَ أعمالَ الله؟! قال: هذا هو عملُ الله، فآمنوا بمن أرسله)[٣].

قلت: فهذا اعترافٌ منه بأنَّه رسولٌ، يعمل ما يعمله بالتأييد الإلهي، لا أنَّه هو الله[٤]، وإلاَّ لقال لهم: أنا الله، وهذا عملي؛ لأنَّه وقتُ البيان، وتأخيرُه عن وقت الحاجة لا يجوز[٥].

وأيضًا قوله: لأنَّ هذا الله[٦] الربُّ قد حكمه، فقد اعترف بالربوبية لله[٧] فيه[٨]، فيكون هو عبدَه.

وقوله: هذا هو عملُ الله فآمنوا بمن أرسله [٦٠/ أ] يعني نفسَه، فاعترف بأنَّه معمولٌ مخلوقٌ، مرسلٌ لله سبحانه.

وذكر بعد ذلك، أنهم قالوا: (إنَّ آباءنا أكلوا المنَّ في البرية، وجاءهم خبزٌ من

---

(١) اسم عبري معناه: قرية ناحوم، وهي قرية واقعة على الشاطيء الشمالي الغربي لبحر الجليل في أرض زبولون ونفتالي، وكانت مركزًا للجباية، ويظهر أنه كان فيها مركز عسكري روماني، انتقل يسوع إليها من مدينة الناصرة في وقت مبكر من خدمته جاعلًا منها مركزًا له حتى أنها دعيت مدينته.

[قاموس الكتاب المقدس (٧٨٢)].

(٢) له، ليست في: (ب).

(٣) إنجيل يوحنا: ٦: ٢٤-٢٩.

(٤) في: (ب): إله، والمثبت من (أ).

(٥) هذه مسألة مشهورة عند الأصوليين. انظر للشيخ مصطفى الزرقا رحمه الله: [القاعدة السادسة والستون (المادة ٦٧): (لا ينسب إلى ساكت قول لكن السكوت في معرض الحاجة بيان)]. والكلام عليها، و انظر الكلام عنها في: [اللمع في أصول الفقه الكتاب (٢٠) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية – بيروت. غاية الوصول في شرح لب الأصول (٧٩) لشيخ الإسلام: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري].

(٦) لفظ الجلالة: الله، ليس في: (ب).

(٧) لفظ الجلالة: الله ليس في: (أ).

(٨) ليست في(ب).

السَّماء، فأرنا أنت آيةً، وأعطنا في كلِّ حينٍ من هذا الخبز، فقال: إنَّ موسى لم يعطكم الخبز من السَّماء، وإنما أعطاكموه أبي! ؛ لأنَّ خبزَ الله هو الذي نزل من السَّماء، ويهبُ الحياة للعالم، وأنا خبزُ الحياة، ومن يُقبل إليّ لا يجوع، ومن يؤمن بي لا يعطش إلى(١) الأبد)(٢).

ثم ذكر بعد ذلك: (أنَّ اليهود تذمّروا عليه؛ لأنَّه قال: أنا الخبز الذي نزل من السماء، قالوا: أليس هذا يسوع بن يوسف، نعرف أباه وأمّه، فكيف يقول نزلت من السماء؟!)(٣).

قلت: فمن توهَّم من هذا أنَّ عيسى نفسَه خبزٌ فهو مجنون!، وإنَّما معناه: أنَّ بسببي بقاء الإنسانِ الدَّائم في الآخرة، كما أنَّ بسبب(٤) الخبزِ بقاؤه(٥) في الدُّنيا، كما قال لمّا قيل له: (أمُّك وإخوتك يطلبونك، فقال: هؤلاء أمي وإخوتي)(٦)، يعني: التلاميذ، وغيرهم من المسترشدين. وكما قال له رجلٌ: (أُريدَ أنْ أدفنَ أَبي، فقال: دع الموتى يدفنون موتاهم)(٧)، فهذا مجازٌ ظاهرٌ، وإنما تغيَّظَتْ عليه اليهودُ؛ لدعواه أنَّه نزل من السماء.

فأمَّا قولُ اليهود بعد هذا: (كيف يقدر هذا على أنْ يعطيَنا جسدَه لنأكلَه؟!)(٨)، وجوابه لهم: (إنْ لم تأكلوا جسدَ ابن البشر، وتشربوا دمَه، فليس لكم حياةٌ فيكم، من يأكلُ [٦٦/ ب] جسدي ويشرب دمي فله(٩) الحياةُ الدَّائمة؛ لأنَّ جسدي مأكلُ حقٍ،

---

(١) ليست في(أ).

(٢) إنجيل يوحنا: ٦: ٣٠-٣٥.

(٣) إنجيل يوحنا: ٦: ٤١-٤٢.

(٤) في (أ): (سبب)، والصواب من (ب).

(٥) هكذا: والصواب (بقاءه).

(٦) إنجيل متى: ١٢: ٤٧. ولوقا: ٨: ٢١. و مرقس: ٣: ٣٢.

(٧) إنجيل متى: ٨: ٢١-٢٢. لوقا: ٩: ٥٩-٦٠.

(٨) إنجيل يوحنا: ٦: ٥٢.

(٩) في: (أ): وله، والصواب من: (ب).

ودمي مشـربُ حقٍ، من يأكل جسدي، ويشرب دمي؛ يثبتُ فيَّ، وأنا أثبتُ فيه)[1]، فإنْ لم يُحمل على مجازٍ سائغٍ؛ فلا أعلم ما هو!.

ومـن ذلـك قوله في هـذا الفصل: (أنـا أتكلم بالذي رأيـتُ عنـد الأب[2]، وأنتم تعلمون[3] ما رأيت عند أبيكم. قالوا: أبونا هو إبراهيم، قال لهم: لو كنتم بني إبراهيم عملتم عمل إبراهيم، ولكنكم تعملون أعمال أبيكم، [فقالوا لسـنا مولودين من زنا!، وإنمَّا لنا أبٌ واحدٌ، هو الله، قال لهم: لو كان الله أباكم كنتم][4] [تحبّوني؛ لأني خرجت مـن الله، لكنكـم من أبيكـم][5] إبليس، وبنبـوة أبيكم تهزؤون[6]، الـذي هو من البدء قتّالٌ للناس[7])[8].

قلـتُ: ففي هـذا الكلام قد أُضيف اليهـود بالبنوة إلى الله، وإلـى إبراهيم، وإلى إبليـس جميعًا، فدلَّ على أنَّ لفظ الأبوة والبُنوَّة[9] تـارةً يراد بها: حقيقتها؛ كإضافتهم بهـا إلى إبراهيم، وتارة: مجازها؛ كإضافتهم[10] إلى الله وإلى إبليس جميعًا لعلاقة[11] الطاعة، كما يطيعُ الابنُ أباه، ويرحم الأبُ ابنَه، وكذلك هي في حقِّ المسـيح بالنسبة إلـى الله سـبحانه، وإلاَّ وجب أنْ يكـونَ اليهودُ أبنـاءَ اللهِ؛ بتقدير حُبِّهم للمسـيح، بل

---

(١) إنجيل يوحنا: ٦: ٥٣-٥٦.

(٢) في: (أ) الرَّب، والمثبت من: (ب) ونصُّ إنجيل يوحنا،: (عند أبي).

(٣) في (أ): تعلمون، والصواب من: (ب).

(٤) مابين المعقوفتين استدركها الناسخ في الهامش الأيسر في: (ب).

(٥) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).

(٦) غيـر واضحـة في (ب)، وفي (أ): تهـزؤون ولعلها الأنسـب: ونص إنجيل يوحنا ٨: ٤٤ ليست فيـه هذه الكلمة بنصها: (انتم من أب هو إبليس و شهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ذاك، كان قتّالًا للناس من البدء، و لم يثبت في الحق؛ لأنه ليس فيه حق، متى تكلم بالكذب فإنما يتكلم مما له لأنه كذاب و أبو الكذاب).

(٧) في: (أ): قتَّال الناس، والمثبت من: (ب) هو الصواب، وموافقٌ لما في نص يوحنا السابق.

(٨) يوحنا: ٨: ٣١-٤٢.

(٩) في (ب): البنوة والأبوة، وما أثبتُّه من (أ).

(١٠) تكـرر سـهوًا في (ب) قوله: (فدل على أن لفظ البنـوة والأبوة تارة يراد بها حقيقتها كإضافتهم) وعليه شـطب بخط الناسخ.

(١١) في: (ب): بعلاقة الطاعة، والمثبت من (أ).

والنصارى[١]، وسائرُ العالم، ولا قائلَ به.

ومن ذلك قوله في الفصل الخامس عشر[٢]، وغيره من الأناجيل: **(من رآني فقد [٦١/ أ] رأى الذي أرسلني)**[٣]، قد يُتَوهمُ بهذا أنَّهما واحدٌ؛ كما تقول النصارى، وليس كذلك؛ لأنَّه قد صرّح غير موضع، وهو في الأرض أنَّ أباه في السَّماء، واتحادُهما مع ذلك مُحالٌ لا يُعقل، وإنمَّا مجازُ هذا الكلام: أنَّ أفعالي تشبه أفعالَ الذي أرسلني، وأنا آمرُ بأمره[٤]، وأنهى بنهيه، فمن رآني كأنما قد رآه؛ لأنَّه لا يرى إلاَّ من يأمره وينهاه، بمثل ما آمره به وأنهاه، وهذا كما تقول لشخصٍ: أتُحِبُّ أنْ ترى زيدًا؛ فانظر أخاه عمرًا؛ للشَّبَه الذي بينهما.

ومن ذلك قوله في السادس عشر أو السابع عشر لتلاميذه: **(لا تضطرب قلوبكم، آمنوا بالله وآمنوا بي)**[٥]، وهذا يدلُّ على تغايُرِهما، والنصارى يقولون: المسيحُ هو الله.

ومن ذلك: (أنَّ فيلفس[٦] قال له: [٦٧/ ب] يا سيدُ: أرنا الأب وحسبنا، قال له يسوع: أنا معكم كلَّ هذا الزمان ولم تعرفني يا فيلفس؟!، من رآني فقد رأى الأبَ،

---

(١) في: (ب): للنصارى، والصواب من (أ)؛ إذ إنَّ السياق يقتضيه فمعناه: والنصارى أيضًا يكونون أبناء الله. والله أعلم.

(٢) في (أ): عشرة، والصواب من: (ب).

(٣) إنجيل يوحنا: ١٢: ٤٥.

(٤) بأمره: ليست واضحة في: (ب).

(٥) إنجيل يوحنا: ١٤: ١.

(٦) في إنجيل يوحنا: ١٤: ٨ (فيلبس)، وهو: فيلبس أحد الرسل الاثني عشر، وكان من بيت صيدا على بحيرة طبرية، مدينة أندراوس وبطرس. التقى به يسوع (عيسى ﷺ) أولًا في بيت عنيا عبر الأردن حيث كان يوحنا يعمّد، فدعاه فتبعه. ووجد فيلبس نثنائيل فجاء به إلى يسوع ثقة منه بأن مقابلة واحدة منه مع السيد تقنعه أنه هو المسيح. وهكذا كان. وبعد ذلك بسنة اختاره يسوع ليكون تلميذًا له. وعندما أراد إطعام الخمسة الآلاف امتحن أولًا فيلبس وسأله: ((من أين نبتاع خبزًا ليأكل هؤلاء؟)). ويوم دخوله أورشليم منتصرًا جاء بعض اليونانيين يريدون مقابلته، فأوصلهم فيلبس، وعندما كلم يسوع تلاميذه مبينًا لهم أنهم قد رأوا الآب لم يفهم فيلبس الكلام على ما يظهر، فقال ليسوع: ((أرنا الآب وكفانا)). ويقول يوسيبيوس أن فيلبس قد دفن في هيرابوليس في آسيا الصغرى. انظر: [قاموس الكتاب المقدس(٧٠١)].

[فكيف تقول أنت: أرنا الأب؟!][1] إمَّا تؤمن أنني في الأب، والأبُ فيَّ؟!، وهذا الذي أتكلم به ليس من عندي، بل أبي الذي هو حالٌّ فيَّ، هو يفعل هذه الأفعال، آمنوا بي، أنا في الأبِ، والأبُ فيَّ[2])[3].

قلت: هذا الكلامُ لو سُمع من الأبِ[4] الذي لا نزاع فيه، وجاءت به المرسلون أجمعون، لوجب تأويلُه؛ إذ ظاهرُه محالٌ؛ لأنَّه لا يمُكن أنْ يكونَ شيئانِ كلٌّ منهما في الآخر، كما لا يمُكن أن يكون كلٌّ منهما عين[5] الآخر، ومن يعتقد ظاهرَ هذا الكلام وحقيقته، فليس من العقلاء حتى يُناظَر، وإذا وجب تأويلُه فأقربُ التأويلاتِ إليه ما ذكرناه قبل هذا بفصلٍ واحدٍ[6]، وهو: أنَّ فيه قوة إلهيةٍ، من الله سبحانه وتعالى[7]، يفعل بها الخوارق، فبواسطتها استجاز أن يقول: إنَّ الأب فيَّ، أي: سُّر الأب، وتأييده. وأنا في الأبِ، أي: مشتملٌ على سرِّه منطوٍ عليه متضمّن له[8].

وكذلك قوله: بل أبي الذي هو حالٌ فيَّ هو يفعل هذا، أي سرُّ أبي وتأييدُهُ حالٌ فيَّ، فيكون من باب حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مجازًا، وهو مجازٌ مشهورٌ.

فإنْ قيل على ما ذكرتموه أسئلة[9]:

---

(١) زيادة من: (ب). وفي نص إنجيل يوحنا: ٩: ١٤: (فكيف تقول أنت: أرنا الأب؟!).

(٢) وقع تكرار في (ب) من قوله: (وهذا الذي أتكلم به... إلى قوله: والأب فيَّ) والتصويب من: (أ) ونص الإنجيل.

(٣) إنجيل يوحنا: ١٤: ٨-١١.

(٤) قوله: سمع، و: الأب، ملحقة بخط الناسخ في الهامش العلوي الأيمن في: (ب) وليس واضحة تمامًا.

(٥) في (ب): (على الأخر)، والصواب من: (أ).

(٦) له، ليست في (أ)،، أثبتها من: (ب).

(٧) ليست في(ب).

(٨) ليست في(أ).

(٩) في (أ) و (ب): (أسولة)، و أثبتُّها على قواعد الخط المعاصرة، والسؤال في اللغة: طلب الأدنى من الأعلى. [التعريفات (١٦٣)] وقول الطوفي: أسولة، له وجهٌ في العربية: قال ابن منظور (حكى: ابن جني سُوَال وأَسْوِلَة) لسان العرب [(١١/ ٣٥٠)].

أحدهـا: أنَّا لا نُسَـلِّمُ اسـتحالةَ شـيئين كلٌّ واحدٍ منهما في الآخر، ولا اسـتحالةَ حلولِ الإله في المسيح، فما الدليل عليه؟!.

سـلَّمنا أنَّه محالٌ، لكن بالإضافة إلى عقولِ البشـر، لا إلى قدرة الخالق، وطوره الخارج عن دائرة طور البشـر، سـلَّمناه لكنَّ [٦٢/ أ] المجاز الذي حملتم عليه هذا الـكلام بعيـدٌ جـدًا، فلعلَّ هنـاك مجازًا أقـربَ منه، يُحصِّـل مقصودَنـا دونكم، فلم حصرتموه في هذا المجاز المعين؟!.

بطلان عقيدة الحلول

قلنـا: **الجواب عـن الأول**: أن العقل ميزانُ يُعرف[١] به المحالُ من غيره، والعقلُ ببديهتـه يحكـم باسـتحالة ذلك عنـد كلٍّ من يُعرض عليـه من العقـلاء، وليس وراء البديهة حجةٌ، فمن أنكر حكمَها كان كالممرور الذي لا يجد طعم[٢] حلاوة العسل، والأعمى الذي لا يُدرِكُ[٣] ضوءَ الشمس.

وأمَّا استحالة حلول الإله في المسـيح؛ فلأنَّ المسـيحَ قد وصف نفسَـه بأنَّه ابنُ الإنسـان، وابـنُ البشـر، في عـدة مواضع مـن الأناجيل[٤]، وابنُ البشـر يكون: بشـرًا وإنسانًا.

هذا مع أنَّ المسـيح قد شُـوهد وعُوين على حقيقة البشـر، وصفاتِ البشـر، من الأعضـاء والجـوارح [٦٨/ ب]، والأكل والشـرب، واللذّة والألـم. ومع الحِسِّ لا حاجةَ إلى غيره من في ذلك. وإذا ثبت[٥] أنه إنسانٌ وبشرٌ، فلو حلَّ الباري سبحانه فيه لـكان[٦] إمَّا مع بقائه سـبحانه على حقيقته وصفته قبل الحُلول، أو مع اسـتحالته عن حقيقته قبل الحُلول.

والأولُّ: يوجبُ أنَّ الباري أصغر في الحقيقة من جُرم البشر، وهو محالُ أن يكون

(١) في (أ) تكررت: يعرف.

(٢) طعم، ليست في (ب).

(٣) في (ب): يدري، والصواب من (أ).

(٤) انظر على سبيل المثال: إنجيل متى: ١: ١٨-٢٢. ولوقا: ١٢: ٨-٩.

(٥) ثبت، ليست في(أ).

(٦) لكان، تكررت في (ب).

خالق السموات والأرض كذلك[١].

والثاني: يوجِبُ تغيُّرَ القديم واستحالته، وهو أيضًا باطلٌ؛ لما ثبت في الأدلَّة الكلامية من استحالة تغيّر القديم وتنقلّه في الأحوال.

وما قرّره بعضُ سفهائهم، من أنه سبحانه لـمَّا أراد إنقاذَ الخلق تأنَّسَ بهم، وظهر في مظهرٍ يشاكلهم، وأنَّ الله سبحانه له مظاهرُ يظهر فيها، تارةً في صورة كبشٍ[٢]، وتارةً في صورة نارٍ؛ كنار العُلّيقة[٣] التي كلَّم منها موسى، وتارةً في صورة ملكٍ أو بشرٍ، كما ظهر لإسرائيل وصارعه[٤]!، فكلُّ هذه خرافاتٌ، لو طولبوا بإثباتها لتعذّر عليهم الشبهة عليها، فضلًا عن الحجة.

خرافات سفهاء النصارى

فإنْ قيل لا نُسلّم أنَّ ابن البشر يكون مطلقًا، بل إذا كان ابن البشر من الطرفين يكون بشرًا محضًا[٥] مطلقًا، إمَّا من أحد الطرفين فلا يكون كذلك، وحينئذٍ يجوز حلول الباري فيه من الجهة التي ليس هو منها بشرًا؛ قلنا: الجواب من وجهين: أحدهما: أنَّ جهته التي ليس هو منها بشرًا عندكم؛ هي: حلول الباري فيه، أو كونه هو الله، فلو كان حلول الله فيه من هذه الجهة[٦] لزم أنْ يقال: إنَّ حلولَ الله فيه؛ من جهة حلول الله

(١) من قوله: يوجب.. إلى: كذلك، كُتب في (ب) في هامش الصفحة الأعلى الأيسر وفيه عدمُ وضوحٍ، واضطرابٌ، وتقديمٌ وتأخيرٌ، والمعتمد ما في (أ).

(٢) تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فالأبدان تقشعر من قراءة مثل هذه. والحمد لله على نعمة الإسلام والإيمان.

(٣) العليق الشجرة التي آنس موسى ﷺ منها النار، قاله ابن سيده. وقيل: إنها العوسج، والعوسج، إذا عظم، قيل له الغرقد. وفي الحديث أنه شجر اليهود، فلا ينطق، يعني إذا نزل عيسى ﷺ، وقتل اليهود فلا يختبئ أحد منهم خلف شجرة، إلا نطقت وقالت: يا مسلم هذا يهودي خلفي فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجرهم فلا ينطق.
[حياة الحيوان (٢/ ١٣) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٤٣)]

(٤) إِسْرَائِيل: معنى هذا الاسم العبري: يجاهد مع الله، أو: وقد أطلق هذا الاسم في الكتاب المقدس على.. يعقوب؛ إذ أطلق عليه الملاك الذي صارعه حتى مطلع الفجر في فنوئيل في مخاضة يبوق.. هكذا يصور الكتاب المقدس الله تعالى، وفي الحقيقة هذا الاسم يعني عندهم: (اصرع إيل).. ويعنون به الله جل وتعالى عن قولهم علوًا كبيرًا..
[قاموس الكتاب المقدس (٦٩)] وانظر: [(الله جل جلاله، د: محمد البار].

(٥) المَحْضُ: بوزن الفلس اللبن الخالص الذي لم يخالطه الماء حلوًا كان أو حامضًا[مختار الصحاح (٦٤٢)].

(٦) في (أ) (الحجة) والصواب من (ب).

فيه، أو[١] من جهة أنه الله. وهذا كلامٌ لا حاصلَ له، ولا يُعقل.

الثاني: [٦٣/ أ] أنَّ ما ذكرتم يوجبُ أنَّ المسيح مركبٌ من الإلـٰهية والبشرية، فيقال لكم: إمَّا أن تعتمدوا في هذه الدعوى على الحسِّ والمشاهدة، والعادة المتعارفةً في الوجود، أو على قدرة الله تعالى[٢] الأزلية، التي لا يُعجزها شيءٌ، وأسراره التي لا تدركها العقول.

فإنْ اعتمدتم على الأوَّل؛ لزمَ أن يكونَ الله - سبحانه وتعالى عمَّا تقولون - قد وطئ مريم وأحبلها؛ كإحبال الآدميين للآدميات، حتى جاء[٣] عيسى مركبًا من الإله والبشر؛ لأنّا لا نرى في الموجودات المحسوسة، مولودًا مركبًا من جنسين، أو نوعين، إلاَّ عن وطئٍ وإحبالٍ، كما في البغل المتولد بين الحمار والفرس، والسِمْع، والعسبار[٤]؛ المتولدين من بين جنس الذئب والضبع[٥].

وإن اعتمدتم على الثاني؛ فقد أبعدتم الشُّقة، وركبتم التعاسيف الشنيعة، والمفاوز المهلكة، وما ندعوكم إليه أقرب.

فإنّا قلنا: إنَّ المسيح مؤيَّدٌ بقوةٍ إلهيةٍ من الله [٦٩/ ب] سبحانه، ويفعل بها الخوارقَ؛ كسائر النبيِّين من[٦] قبله، وإن كان هو أرجحَ منهم في ذلك؛ لفضل عناية الله به[٧].

---

(١) أو: ليست في (أ)، والمثبت من (ب).

(٢) تعالى، ليست في (ب).

(٣) في: (ب): صار، والصواب من (أ).

(٤) العِسْبارُ: قيل بين الضَّبُعِ والذّئبِ، وهو ولد الضبع من الذئب وجمعه عسابر.
[فقه اللغة (٢٤٥) حياة الحيوان الكبرى (١/ ٤٨٢).]

(٥) عن ابن أبي عمار قال قلت لجابر: الضبع أصيد هي؟! قال: نعم، قال: قلت: آكلها؟! قال: نعم! قال: قلت: أقاله رسول الله ﷺ؟! قال: نعم. قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح، قال علي بن المديني، قال يحيى بن سعيد وروى جرير بن حازم هذا الحديث فقال عن جابر عن عمر وحديث ابن جريج أصح وهو قول أحمد وإسحق والعمل على هذا الحديث عند بعض أهل العلم في المحرم إذا أصاب ضبعا أن عليه الجزاء [سنن الترمذي. كتاب الحج. باب: ما جاء في الضبع يصيبها المحرم (٧٧٩)].

(٦) من، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٧) به، ليست في (أ).

وأسندنا ذلك إلى القدرة الأزليّة التي لا يعجزها شيءٌ، واسترحنا من الشناعات، والبشاعات، وما أطبق عليها العالم من التضليل لكم، والتعديم لعقولكم.

وعن الثاني من وجهين:

أحدهما: أنَّ العالَم أجمعوا على أنَّ المحال لا يدخل تحت المقدور، ولهذا تأوّلوا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: من الآية ٢٠][1] على أنَّ المراد به الأشياءُ الممكنةُ، ومع هذا فقولُكم محالٌ بالإضافة إلى عقولِ البشر، لا إلى قدرة الله[2] الخالق تعالى[3]، لا معنى له ولا طائل.

وأيضًا فنحنُ؛ إنَّما نحنُ مخاطبون من جهة الباري سبحانه، بمقتضى ما تدركه عقولُنا، إنمَّا الطورُ الخارجُ عند دائرة العقول البشرية، فلم نُكلَّفْ إدراكَه والبناءَ عليه، بل كُلّفنا الإيمان بما جاءنا منه، إذا لم نجد عنه مندوحةً، فتكليفُنا إدراكَ ما يَخرج عن دائرة عقولنا تكليفُ ما لا يطاق، وأنتم لا تقولون به.

الثاني: أنَّ هذا مما يفتح باب السفسطة[4]؛ لأنه يُسوِّغ لكل واحدٍ دعوى المُحال، ويقول هذا ممكن بالإضافة إلى قدرة الله تعالى[5]، والطَّور الخارج عن عقول البشر.

ويلزم من هذا: أنَّ ثلاثةً من الناس لو جاءونا؛ فقال أحدهم: أنا موسى بن عمران، وقال[6] الآخر: أنا عيسى بن مريم، وقال[7] الآخر: أنا محمد بن عبد الله،

---

(١) ومواضع كثيرة من القرآن.

(٢) لفظ الجلالة: الله، ليس في (ب) والمثبت من (أ).

(٣) تعالى، ليست في (ب) والمثبت من (أ).

(٤) مذهب يوناني، سماه ابن رشد بالمغالطات في الألفاظ والمعاني. (انظر: تلخيص السفسطة. ابن رشد القرطبي الشهير بابن رشد الحفيد (المتوفى: ٥٩٥هـ). تحقيق: محمد سليم سالم. مطبعة دار الكتب، القاهرة١٩٧٢م).

(٥) ليست في(ب).

(٦) قال، ليست في (ب) والمثبت من (أ).

(٧) قال، ليست في (ب) والمثبت من (أ).

ونحن رسـلُ الله، بعثنا اللهُ لصلاح هذه الأُمم [٦٤/ أ]، وجمعِ كلمَتها، فقلنا لهم: إنَّ إرسـال هؤلاء بعد انقضاء عصرِهم، وقبل الوقت المعلوم لإرسالهم، وإحياء الميِّت منهم مُحالٌ، فلا نصدقكم!، فتقولون: هذا محالٌ بالإضافة إلى عقولِ البشـر، لا إلى قدرة الله سبحانه، فآمنوا بنا؛ لما كان لنا حجةٌ، ندفعهم بها؛ مع فتحكم لهذا الباب.

وعـن[1] الثالث: عليكم بيان المجاز الأقـرب؛ لننظر فيه، وإلاَّ فنحنُ لم يحضرنا سوى ما ذكرنا. والله أعلم بالصواب.

ومما يوجـب تأويل الكلام المذكور قوله بعده: (إني سـوف أجيئكم عن قليل، والعالـم ليس يروني، وأنتم تروني[2]، إننـي حيٌّ وأنتم أحياء في ذلك اليوم، تعلمون أني في أبي، وأنتم فيَّ، وأنا فيكم)[3].

فإنَّه إنْ لم يُتأول لزمَ من هذا أنْ يصير الكلُّ في ذلك اليوم هريسةً مضروبةً[4]! !، ولا حاجة لنا إلى التطويل.

ومـن ذلك قولـه: (إنِّي منطلقٌ وعائـدٌ إليكم، لو كنتـم [٧٠/ ب] تحبوني لكنتم تفرحون بمضيّي إلى الأب؛ لأنَّه أعظمُ منيّ)[5].

فقولـه: أعظمُ مني يـدلُّ على تغايرهما؛ لأنَّ (أَفْعَـلَ) التفضيل؛ لا يكون إلاَّ بين اثنيـن فصاعدًا، ولا يكون الشـيءُ أعظمَ من نفســه، وهذا يُبطل قولَهم: إنَّ المسـيح هو الله.

ومن ذلك قولُه: (أنبتوا فيّ، وأنا فيكم، كما أنَّ الغُصن لا يطيق أن يأتي بالثمار من

---

(١) في: (أ): ومن، والصواب من: (ب).

(٢) وأنتم تروني، ليست في(ب) والمثبت من (أ).

(٣) إنجيل يوحنا: ١٤: ١٨-٢٠.

(٤) تهكمٌ أيضًا بالنصارى؛ لتصديقهم مثل هذه الأباطيل ونسـبتها إلى عيسـى ﷺ، ومن إنصاف الطوفي رحمة الله عليه أشـار إلى الخـروج من مأزقهم هذا بتأويل هذا الكلام، قبل أن يختلـط الحابل بالنابل! كما يفهم من قوله والهريسـة: أكلة معروفة سـميت الهَريسَـةُ هَرِيسَـةً لأن البُرَّ الذي هي منه يدق ثم يطبخ ويسـمى صانعُه هَرَّاسًا. [لسان العرب (٦/ ٢٤٧)].

(٥) إنجيل يوحنا: ١٤: ٢٨.

عنده، إنْ لم ينبت في الكرمة، كذلك أنتم لا تقدرون إنْ لم تنبتوا فيّ، أنا هو الكرمة! وأنتم الأغصان، من يَنبت فيَّ وأنا فيه؛ فهو يأتي بثمارٍ كثيرةٍ، وبغيري لستم تقدرون أنْ تعملوا شيئا)[١].

قلتُ: قد بيَّن هذا الكلامُ تأويلَ قوله قبل[٢]: (إني من أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم)[٣]، وأنَّ معناه: أنَّ مادتي فيما أفعلُ من أبي، ومادتكم منيّ، ولهذا يقول: (أنا كرمةُ الحقِّ، وأبي الغارسُ، وأنتم الأغصان)[٤]، وهذا كلامٌ صحيحٌ، فإنَّ المسيحَ استمدَّ القوة من الله بواسطة روح القدس، وكان يمدُّ به التلاميذَ، ويسيرهم في البلاد، يُظهِرون الخوارقَ والمعجزات.

معنى البرقليط

ثم قال بعد ذلك: (فإنْ لم يَنبت أحدٌ فيّ طُرِح خارجًا، مثل الغُصن الذي يَجِفُّ، فيأخذونه، ويطرحونه في النار)[٥]، ومعناه أنَّ من قصد اللهَ منكم بغير طريقي، وجعل تأدبّه من غيري؛ هَلكَ، ثم ذكر بعد هذا كلامًا، أزال به اللَّبَس؛ تركتُ نقلَه لطوله!.

ومن ذلك: [٦٥/ أ] أنه ذكر البرقليط[٦] في مواضع، وأُبيِّنُ ما ذكره، حيث يقول: (والفارقليط: روح القدس، الذي يرسله أبي باسمي، هو يعلمكم كلَّ شيء، وهو يذكركم كلما قلت لكم)[٧].

---

(١) إنجيل يوحنا: ١٥: ٤-٥.

(٢) قبل، ليست في (أ)، وأثبتناها من (ب).

(٣) إنجيل يوحنا: ١٤: ٢٠.

(٤) إنجيل يوحنا: ١٥: ٥.

(٥) إنجيل يوحنا: ١٥: ٦.

(٦) لم أجد هذا اللفظ في النسخ الحديثة للأناجيل، ووردت إشارة في إنجيل يوحنا بلفظ المعزي، إلى النبي ﷺ: (١٤: ١٦): (و أنا اطلب من الأب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد). والمعزي: الجاد في أمره، أو في أمر الله وجاء في لسان العرب (ذكر عن كعب أنه قال أسماء النبي ﷺ في الكتب السَّالِفةِ محمد وأحمد والمتوكِّلُ والمُختارُ وحِمْياطا ومعناه حامي الحُرَم وفارِقْلِيطا أي يَفْرُقُ بين الحقِّ والباطل) [لسان العرب (٧/ ٢٧٦)، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٢٤٨)].

(٧) إنجيل يوحنا: ١٤: ٢٦. في الترجمات الحديثة: (١٤: ٢٦): (و أما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء و يذكركم بكل ما قلته لكم) مما يدل على التحريف المتعمد؛ إذ النسخة التي نقل منها الطوفي تثبت لفظ (البارقليط)؛ ولعلمهم بأنه لا يمكن أن ينطبق إلاَّ على نبينا محمدٍ ﷺ أخفوه واستبدلوه عمدًا.

وحيث يقول: (إنَّه خيرٌ لكم أنْ أنطلقَ؛ لأنِّي إنْ لم أذهب لم يأتكم البرقليط، فإذا انطلقتُ أرسلتُه إليكم)(١).

وحيث يقول: (إنه خيرٌ لكم أَن أنطلق؛ لأنِّي إن لم أذهب لم يأتكم البرقليط، فإذا انطلقتُ أرسلته إليكم، وإذا جاء ذلك فهو يوبّخ العالم على الخطيئة، وعلى الحكم، إمَّا على الخطيئة فلأنهم لم يؤمنوا بي، وإمَّا على الحكم فلأنَّ أركون(٢) هذا العالم يُدان)(٣).

البشارات بالنبي ﷺ في كتب أهل الكتاب

ثم قال: (إذا جاء روح الحقِّ ذلك فهو يرشدكم على جميع الحق؛ لأنَّه ليس ينطق من عنده، بل يتكلّم بكلّ ما(٤) يسمع، ويخبركم بما يأتي وهو يمجدني؛ لأنَّه يأخذ مما هو فيّ ويخبركم)(٥).

قلت: فقد حَصْحَصَ الحقُّ بهذا الكلام، وأنَّ هذا بشارةٌ(٦) من المسيح؛ بمحمدٍ - عليه أفضل الصلاة والسلام-(٧)؛ لأنَّه لم يأتِ بعد المسيح من ادعى النبوة؛ ومجَّد

(١) إنجيل يوحنا: ١٦: ٧-١١.

(٢) في كلا النسختين (أ، ب): يكون، والصواب ما أثبته، والأُرْكُون: العظيم من الدَّهاقين، والأُرْكون رئيس القرية وفي حديث عمر ﷺ أنه: دخل الشام فأتاه أُرْكُونُ قَرْيةٍ فقال له: قد صنعتُ لك طعامًا. (رواه محمد بن إسحق عن نافع عن أسلم) وأُرْكُون القرية رئيسها ودِهْقانها الأعظم. [لسان العرب (١٣/ ١٨٥)].

(٣) إنجيل يوحنا: ١٦: ٧-١١. واستبدلوا بكلمة: البرقليط، كلمة: المعزي، في جميع الترجمات الحديثة وقد بيَّنا ذلك سابقًا.

(٤) في (أ) و(ب): (كلما) و الصواب ما أثبتُّه.

(٥) إنجيل يوحنا: ١٦: ١٣-١٤.

(٦) في هامش: (أ): مطلب: (بشارة عيسى بمجيء محمد بعده).

(٧) في (ب): (عليه السلام) وما أثبتُّه من (أ). والبشارات بنبينا ﷺ كثيرة جدًا في كتب أهل الكتاب. جاء في إنجيل برنابا: (فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهواء كتابة تتألق كالشمس نصها ((لا إله إلا الله ومحمد رسول الله))، ففتح حينئذ آدم فاه وقال: أشكرك أيها الرب إلهي لأنك تفضلت فخلقتني، ولكن أضرع إليك أن تنبأني ما معنى هذه الكلمات ((محمد رسول الله))، فأجاب الله: (مرحبا بك يا عبدي آدم، واني أقول لك أنك أول إنسان خلقت، وهذا الذي رأيته إنما هو ابنك الذي سيأتي إلى العالم بعد الآن بسنين عديدة، وسيكون رسولي الذي لأجله خلقت كل الأشياء، الذي متى جاء سيعطى نورا للعالم، الذي كانت نفسه موضوعة في بهاء سماوى ستين ألف سنة قبل أن أخلق شيئا) فضرع آدم إلى الله قائلًا: (يا رب هبني هذه الكتابة على أظفار أصابع يدي) فمنح الله الإنسان الأول تلك الكتابة على إبهاميه، على ظفر إبهام اليد اليمنى ما نصه ((لا إله إلا الله))، وعلى =

عيسى، وبالغ في تمجيده، وصدَّقه في نبوته، ووبّخ العالم على خطيئة الكفر، [٧١/ ب] وقتلَ اليهود، وعيَّرهم على تكذيب عيسى، وقَبَّح[١] عبادةَ الأوثان، وأخبرَ بأنَّ الناس يُدانون يوم القيامة، ويحاسبون، وعلّم الناسَ حَسنَ الآداب، ومكارمَ الأخلاق، وظهر نامُوسه واشتُهر في البدو والحضر، كظهور نواميس الأنبياء قبله؛ إلاَّ محمدٌ e.

وإنْ لم يَكنْ هو الذي أشار إليه المسيحُ؛ لزِم القدحُ في صدق وعده[٢]؛ لأنَّه من المحال عادةً إن عاد أحدٌ يظهرُ بما ظهر به محمدٌ؛ ويتم له ذلك؛ لكونِه أخبرَ بأنَّه خاتمُ النبيِّين، ولا نبيَ بعده إلا مُدّعٍ كذابٌ[٣]، ولتوافرِ أُمَته، وعلوِّ كلمتِه، من ادَّعى ذلك أُخمِدتْ جمرتُه وكُسرت شوكتُه، فمن ضرورة إثبات صدقِ المسيح القولُ بنبوة محمد ﷺ، وقد شهد له بأنَّه روحُ الحقِّ، وأنه يرشدكم إلى جميع الحقِّ، وأنَّ ما يخبر به هو من عند الله، لا من عنده، وأنه يُمجِّدُه، ولهذا كان محمدٌ ﷺ أشدَّ الناس

= ظفر إبهام اليد اليسرى ما نصه ((محمد رسول الله))، فقبّل الإنسان الأول بحنو أبوي هذه الكلمات، ومسح عينيه وقال: (بورك ذلك اليوم الذي سيأتي فيه إلى العالم) فلما رأى الله الإنسان وحده قال: (ليس حسنا أن يكون وحده) فلذلك نوّمه، وأخذ ضلعا من جهة القلب، وملأ الموضع لحما، فخلق من تلك الضلع حواء، وجعلها امرأة لآدم، وأقام الزوجين سيدي الجنة، وقال لهما: (أنظروا إني أعطيكما كل ثمر لتأكلا منه خلا التفاح والحنطة) ثم قال: (احذروا أن تأكلا شيئا من هذه الأثمار، لأنكما تصيران نجسين، فلا اسمح لكما بالبقاء هنا بل أطردكما ويحل بكما شقاء عظيم)[إنجيل برنابا (١٠٨-١٠٩) الفصل التاسع والثلاثون].
انظر: [هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى)من (١٨٠- ٢٦٩) طبعة: أحمد عبد القادر الرفاعي. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٢٤٨-٢٥٦) فقد أطال الطوفي رحمة الله عليه في إثبات ذلك بالأدلة النقلية والعقلية، وانظر: النصوص الواردة بالبشارة بالنبي ﷺ في إنجيل برنابا، ترجمه من الإنجليزية إلى العربية، الدكتور: خليل سعادة، تحقيق: الشيخ الدكتور: أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٥م، مكتة دار الأمل، إربد، الأردن. و إنجيل الديداكي (٧)، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٥م، دار البروج، القاهرة إنجيلٌ جديد، مُكتَشفٌ في أورشليم، يحتوي على عشرين بشارةٍ بسيدنا محمد ﷺ، وهو بتحقيق الدكتور الشيخ: أحمد حجازي السقا، وقد أثبت من كلام النصارى « أن الديداكي أقدم في الزمان من الأناجيل الأربعة. و البشارات العجاب، في صحف أهل الكتاب، ٩٩ دليلًا على وجود النبي المبشر به في التوراة والإنجيل، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ مكتبة المنار الإسلامية، بالكويت، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان.].

(١) وقبّح، ليست في(ب).

(٢) أي: وعد عيسى عليه السلام.

(٣) في (أ): (كاذب).

تمجيدًا للمسيح، وقال: (أنا أولى الناس بابن مريم، إنه لم يكن بيني وبينه نبيٌّ)[١] في أحاديث غير ذلك كثيرة.

فإن قيلَ: ليس الفارقليط الذي أشار إليه المسيحُ ما ذكرتم؛ بدليل قوله:

إلزام النصارى بتصديق نبينا ﷺ لإخبار المسيح عليه السلام عنه.

(إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي [٦٦/ أ]، وأنا أطلبُ من الأب فيعطيكم فارقليط[٢] آخر؛ ليثبت معكم إلى الأبد، روح الحق الذي لن يطيق العالم أنْ[٣] يقتلوه؛ لأنهم لم يروه ولم يعرفوه، وأنتم تعرفونه؛ لأنَّه مقيمٌ عندكم، وهو فيكم)[٤]، وليست هذه صفات محمدٍ؛ لأنَّ العالم كانوا يرونه، ولهم طاقةٌ على قتله ولهذا جُرِحَ، وكُسرت رباعيتُه يوم أحد[٥]، وضُرب في أوّل الإسلام[٦]، وإنَّما هذا إشارةٌ إلى ما أُيِّدَ به التلاميذُ بعد صعود المسيح، من روح القدس على خرق

---

(١) (حديث صحيح) رواه البخاري، في أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ [سورة مريم: آية ١٦]، من حديث أبي هريرة (٣٤٤٢و٣٤٤٣) بلفظ: « أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاَّتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ ». ورواه مسلم، برقم (٦٢٨٠و٦٢٨١و٦٢٨٩)، بنحوه، وبرقم ٦٢٧٩ بلفظ:«أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، الأَنْبِيَاءُ أَوْلاَدُ عَلاَّتٍ وَلَيْسَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ نَبِىٌّ».

(٢) في (ب): (فارقليطًا).

(٣) أن، ليست في: (ب).

(٤) إنجيل متّى: ١٤: ١٥-١٧. ولفظه: (إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي، و أنا اطلب من الأب، فيعطيكم معزيا آخر؛ ليمكث معكم إلى الأبد، روح الحقِّ الذي لا يستطيع العالم أن يقبله؛ لأنَّه لا يراه و لا يعرفه، و أما أنتم فتعرفونه؛ لأنه ماكث معكم و يكون فيكم) فيلاحظُ هنا: تغيير لفظ: الفارقليط، إلى: المعزي، ولفظ: يقتلوه، إلى: يقبله.

(٥) يوم أحد، ليست في: (أ) والمثبت من: (ب): ويوم أحد: الغزوة المشهورة التي وقعت في السنة الثانية للهجرة، [انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٦٠-١٦٨)] وفيها قُتل حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه، وجمع من الصحابة رضي الله عنهم، ووقع للنبي ﷺ فيها أحداث، ونزل فيها آيات، ومن ذلك قوله ٥: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

(٦) انظر: ما لقي النبي ﷺ من الأذى، ومدى صبره عليه، وتعنت قريش، وإرادتهم قتله ﷺ: [السيرة النبوية لابن هشام (١٦٠) تقديم د: عمر عبد السلام تدمري، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، دار الكتاب العربي. بيروت. السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق. د: سليمان العودة. الرحيق المختوم (٩٧-١٧٦) لصفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ دار الوفاء، المنصورة].

العادات، وإظهارِ المعجزات، قلنا: الجواب عن ذلك[١] من وجهين:

أحدهمـا: أنَّه لا يَصِحُّ حملُـه على ما أُيِّد به التلاميذُ؛ لأنَّ من المعلوم عندكم أنَّ التلاميـذ أعطاهم ذلك المسيحُ، في حـال حياته قبل صُعُوده، وهـو بينهم، وهو ههنا يقـول: إنْ لم أذهب لم يأتكـم الفارقليط، فكيف يصحُّ أنْ يُقـال: أنَّ الفارقليط أتاهم قبل صعود المسيح، ولم يأتهم إلاَّ بعده؟!، هذا تناقضٌ. وأمَّا قولكم: ليست هذه من صفات محمدٍ.

قلنا: هي من صفاتِ جبريل، وهو روح القدس [٧٢/ ب] الذي بشَّر زكريا بيوحنَّـا[٢]، كما نُـصَّ عليه في[٣] الإنجيـل[٤]، فإنْ العالـم لا يرونـه[٥] ولا يطيقون قتله، ولـم يدعِّ أحدٌ أنَّه نـزل عليه جبريل، وتم له أمرُه، وظهر ناموسُه إلاَّ محمدٌ، فيلزم مـن ذلك صِدقُه بمقتضى وعد المسـيح، وضرورة صدقه. فـإنْ قيل: هذه وإن كانت صفاته؛ لكنَّ قوله: ليُثبت معكم إلى الأبد، ليس من صفاته؛ لأنَّ جبريل ليس معنا إلى الأبد. وكذلك قوله: لأنَّه[٦] مقيمٌ عندكم، وهو فيكم.

قلنـا: وكذلـك روحُ القـدس، ليس مـع التلاميذ إلـى الأَبد، ولا[٧] هـو مقيمٌ بين النصارى، وإنَّما[٨] هذا إشـارةٌ إلى بقاء الناموس، الذي جاء به جبريلُ إلى محمدٍ، أو إلـى بقاء محمدٍ مقبورًا بيـن أهل الأرض، فإنَّه كذلك إلى يـوم القيامة، ثم يكونُ حيًا بيـن من اتَّبعه إلى الأَبد، وذلك بخلاف أمر[٩] المسـيح، فإنـه صَعِدَ إلى أبيه، وجلس

(١) عن ذلك، ليست في(ب).
(٢) يوحنا هنا هو: نبي الله، يحيى بن زكريا ﷺ.
(٣) في، ليست في: (ب).
(٤) في لوقا: ١ : ١٣ (فقال له الملاك لا تخف يا زكريا؛ لأن طلبتك قد سـمعت، وامرأتك اليصابات سـتلد لك ابنًا و تسميه يوحنا).
(٥) في (ب) (لا يروه).
(٦) لأنه، ليست في(أ).
(٧) لا، ليست في(ب).
(٨) في (ب): ثم.
(٩) أمر، ليست في(ب).

عن يمينه، عندكم[١].

الوجـه الثاني: أنَّ كلَّ ما في الإنجيل عندكم حـقٌّ وصدقٌ، ونحن فلا[٢] اعتماد لنا عليه إلاَّ بطريق الإلزام لكم، وإلاَّ فحُجَجُنا غيرُه كثيرةٌ على المطلوب.

وإذا عُـرف هـذا فأكثـرُ ما في البـاب، أنَّ ما ذكرتمـوه وذكرناه، من ذكر المسـيح للفارقليط، لا يُمكنُ الجمعُ بينهما؛ لكنَّ الواجبَ العملُ بالكلام الحقِّ، ولا يُلغى منه شيءٌ، ما أمكنَ السبيلُ إلى ذلك.

فالواجـب بمقتضـى هذه القاعدة أنْ يُحكَم باشـتراكِ الفارقليـط[٣] [٦٧/ أ] بين محمـدٍ ﷺ؛ وبيـن ما ذكرتموه، مما أُيِّدَ به التلاميذُ، فيكـونُ ما ذكرناه دالًّا على [نبوة محمـدٍ، وما ذكرتمـوه دالًّا على][٤] تأييد التلاميذ، ويحصُلُ لنـا المقصود، وإن أبيتم هذا دخلتم في أبواب العناد والبغي؛ لأنَّا ما تركنا لكم حجةً ولا علةً، والله أعلم.

ومن ذلك في قوله في الفصل السـابع عشـر: (إنك أنت إلـه الحقِّ وحدك، والذي أرسلتَ يسوع المسيح، أنا أُمجِّدُك على الأرض)[٥].

قلت: فقد وحَّد اللهَ في هذه الحال، مع أنَّه في الأرض، والإله في السـماء، فوجبَ أنْ يكـون الإلـه الآن كامـلًا في السـماء، وأنَّ المسـيحَ ليس هو، هـو، ولا أقنومًا منه، وذلك منافٍ لما يقوله النصارى، وقد سـبق هذا البحث، وإنَّما أثبت المسـيحُ لنفسـه الرسالة، وأمَّا ما ادّعاه من البُنُوَّة إن صحَّ عنه؛ فتأويلُهُ ذكرناه غيرَ موضعٍ.

---

(١) في إنجيـل متـى: ٢٢: ٤٤ (قال الـرب لربي: اجلس عن يميني؛ حتى أضع أعـداءك موطئًا لقدميك) وفي إنجيل لوقا: ٢٠: ٤٢: (و داود نفسـه يقول: في كتاب المزامير، قال الرَّبُّ لربِّي: اجلس عن يميني) وفي ٢٢: ٦٩ (منذ الآن يكون ابن الإنسـان جالسـا عن يمين قوة الله). وفي إنجيل مرقس: ١٢: ٣٦: (لأن داود نفسـه قال بالروح القـدس: قال الرب لربي: اجلس عـن يميني؛ حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميـك). وانظر فيه أيضًا: ١٤: ٦٢، و١٦: ١٩. وغيرها

(٢) فلا، في (ب): لا اعتماد.

(٣) الفارقليط، ليست في(أ).

(٤) ما بين المعقوفتين، ليست في(أ).

(٥) إنجيل يوحنا: ١٧: ٣-٤.

ومن ذلك في الفصل التاسع عشر: (أنَّ المسيح لمَّا قام من القبر قال لمريم المجدلانيةِ: امضي إلى إخوتي، وقولي لهم: إنِّي صاعدٌ إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم)[١].

قلت: فقوله: أبي وأبيكم، يدلُّ على أنَّ الأُبوَّة كِنايةٌ عن الربوبية؛ لتشريكِه بين نفسه وبين التلاميذ فيها. وقوله: وإلهي وإلهكم، يفيد ذلك أيضًا؛ لأنَّ الإله هو الربُّ والمالكُ [٧٣/ ب]، ولم نعهد أحدًا يملك ابنَه ملكًا حقيقيًا.

ومن ذلك: (أنَّ توما[٢]، أحد الاثني عشر، كان غائبًا عن التلاميذ، فظهر لهم المسيح بعد قيامه من الأموات، فلمَّا جاء توما؛ أخبروه بظهور المسيح لهم، فقال: إنْ لم أبصر في بدنه أثر المسامير، وأجعل أصبعي في موضع المسمار، وأترك يدي في جنبه؛ لا أؤمن، ثم ظهر له المسيحُ بعد ذلك، وأراه[٣] منه ما أراد وقال له: كن مؤمنًا ولا تكن غير مؤمن)[٤].

قلت: وقد بينَّا ما في هذا، من نسبة [التلاميذ][٥] إلى عدم تصديق المسيح الصادق، فيما كان وعدهم به من عوده إليهم. واستوفينا الكلامَ عليه.

وهذا آخر التعليق، على إنجيل يوحنَّا بن زبدي، وبتمامه تم: التعليق على الأناجيل الأربعة.

* * *

(١) إنجيل يوحنا: ٢٠: ١٦-١٧.

(٢) اسم آرامي معناه: توأم، أحد الاثني عشر رسولاً، وكان يسمى التوأم والظاهر انه كان ذا مزاج سوداوي!. [قاموس الكتاب المقدس(٢٢٦)].

(٣) في: (ب): فأراه، والمثبت من (أ).

(٤) إنجيل يوحنا: ٢٠: ٢٤-٢٧.

(٥) في كلا النسختين: (أ) و (ب): الأنبياء، وفي الهامش في: (أ): صوابه التلاميذ، وهو ما أثبتُّه هنا؛ كونه ألصق بالسياق من حيث المعنى.

[البرهان على صحة نبوة نبينا محمد ﷺ]

ولنختم ذلك ببيان البرهان على صحة نبوَّة نبينا محمد [١] e؛ إذ كان هؤلاء الجُهَّالُ الضُّلَّالُ ينكرونها، ولكنْ جديرٌ بعقولٍ تصدِّقُ بالباطل أن تُنكِرَ الحقَّ، [٦٨/ أ] ولنا على ذلك براهينُ، ولكن نقتصر هنا على برهانٍ واحدٍ، واضحٍ للخاص والعام، قريبٍ إلى أذهان العلماء والعوام، وتقريره [٢]؛ أنْ نقول: إنَّ محمدًا ﷺ لا يخلو؛ إمَّا أنْ يكونَ مِلكًا ماحِقًا، كما زعمت اليهودُ والنصارى، حيث قالوا: جاء بالسيف بلا حجةٍ إلهية، أو نبيًّا صادقًا، لكنه ليس ملكًا ماحقًا؛ فلزِم أنْ يكون نبيًّا صادقًا، وإنما قلنا: إنَّه ليس ملكًا ماحقًا؛ لأنَّا نقول: كلُّ ملكٍ مَاحِقٍ لم تبقَ دولتُه وناموسُه، الذي أقامه بالسيف بعد موته، بل انقرضت دولُهم ونواميسُهم بموتهم، ومحمدٌ e [٣] لم ينقرض ناموسُه بموته؛ بل له اليومَ سبعُمائة سنة وسبعُ سنين! [٤]، وهو كلَّما جاءَ في ظهور وانتشار، وهو كذلك إن شاء الله حتى الساعة، فينتجُ أنَّ محمدًا ﷺ ليس مِلكًا ماحِقًا. وإنما قلنا: إنَّ كلَّ مِلكٍ ماحقٍ انقرضت دولتُه بموته [٥] بالاستقراء التام، وهو يفيد العلم القاطع، فإنَّ مُلوكَ الدنيا منذ خُلق آدمُ، إلى يومنا هذا لم يمت مَلِكٌ منهم إلاَّ وانقرض [٦] ناموسُه بموته؛ كالضَّحَّاك [٧]، ....

---

(١) في هامش: (أ): مطلب في تمام التعليق على الأناجيل الأربعة.

(٢) في (أ): نقرره، والصواب من (ب).

(٣) وسلم، ليست في (أ)، وأثبتُّها من (ب).

(٤) في هذا القول تأريخ لكتابة الطوفي كتابه هذا، وأنه سنة (٧٠٧هـ) والله تعالى أعلم.

(٥) بموته، ليست في: (أ)، وأثبتُّها من (ب).

(٦) مقابلها في الهامش في (أ) كتب: صوابه: أهبط، والصواب ما أثبتُّه.

(٧) أهل اليمن يدّعون أنّ الضحاك منهم، وأنه أول الفراعنة، وكان ملك مصر لما قدمها إبراهيم الخليل، والفرس تذكر أنه منهم وتنسبه إليهم وأنه: بيوراسب بن أرونداسب... ومنهم من ينسبه غير هذه النسبة، وزعم أهل الأخبار أنه ملك الأقاليم السبعة، وأنه كان ساحرًا فاجرًا. إنه هو الذي بنى مدينة بابل ومدينة صور ومدينة دمشق. وقال بعضهم: كان ملكه ستمائة سنة، وكان عمره ألف سنة، وإنه كان في باقي عمره شبيهًا بالملك لقدرته ونفوذ أمره، وقيل: كان ملكه ألف سنة وكان عمره ألف سنة ومائة سنة. [الكامل لابن الأثير (١/ ٢٣-٢٥)].

وأفريـدون(١)، ومن كان في زمانهمـا، وقبلهما، وبعدهما كالإسـكندر(٢) وملوك الطوائـف(٣)، وأكاسـرة الفـرس، وقياصـرة الـروم(٤)، وتتابعـة(٥) اليمن، ونجاشـيّ الحبشة(٦)، ....

---

(١) هـو أفريـدون بن اثغيان، وقد زعم بعض نسّـابة الفرس أن نوحًا هو أفريدون الذي قهر الضحّاك وسـلبه ملكه، وزعـم بعضهـم أنّ أفريـدون هو ذو القرنيـن صاحب إبراهيم الذي ذكـره الله في كلامه العزيز، وأما باقي نسـابة الفـرس فإنهم ينسـبون أفريـدون إلى جم شـيد الملك، وكان بينهما عشـرة آباء كلهم يسـمى اثغيـان خوفًا من الضحّـاك، وكان أفريـدون أول من ذلّل الفيلـة وامتطاها ونتج البغال واتخذ الإوز والحمـام وعلم الترياق وردّ المظالـم وأمـر النّاس بعبادة الله والإنصاف والإحسـان، وردّ علـى الناس ما كان الضحّـاك غصبه من الأرض وغيرها إلاّ ما لم يجد له صاحبًا فإنه وقفه على المساكين.

(٢) ذو القرنيـن الثاني فهو اسـكندر بن فيلبس بـن مصريم.. لمقدوني اليوناني المصري باني إسـكندرية الذي يؤرخ بأيامه الروم، وكان متأخرا عن الأول بدهر طويل (أي الإسـكندر المذكور في القرآن الكريم فذاك مؤمن وهذا كافر) كان هذا قبل المسيح بنحو من ثلاثمائة سنة وكان أرسطاطاليس الفيلسوف وزيره وهو الذي قتل دارا بن دارا وأذل ملوك الفرس وأوطأ أرضهم. [البداية والنهاية (٢/ ١٢٥)].

(٣) ملـوك الفـرس بعـد الإسـكندر في العـراق، واختلـف العلمـاء في عددهم وهـم كثُـر.[تاريخ الأمـم والملوك (١/ ٢٣٦-٢٣٨)].

(٤) كانت العرب تسـمي كل من ملك الفرس (كسـرى)، ومن ملك الحبشـة (النجاشي)، وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن (بلقيس) كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة(قيصر).. و (فرعون) علم لمن ملك مصر كافـة، و (المقوقـس) لمن ملك الإسـكندرية. و (تبـع) لمن ملك اليمن والشـحر، و (بطليموس) لمن ملك اليونـان وقيـل: الهند. و (خاقان) لمـن ملك الترك. [البداية النهاية (٢/ ١٩٢) صحيح السـيرة النبوية (١٨٢) الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة: الأولى، الناشر: المكتبة الإسلامية – عمان – الأردن].

(٥) في (ب): (تبابعة) وهم ملوك اليمن، وانظر الحديث عنهم في: [الكامل في التاريخ (١/ ١٤٣)].

(٦) ملوك الحبشة، ومنهم: أَصْحَمَةُ، مَلِكُ الحَبَشَةِ، مَعْدُوْدٌ فِي الصَّحَابَةِ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، كَانَ مِمَّنْ حَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَلَمْ يُهَاجِرْ، وَلاَ لَهُ رُؤْيَةٌ، فَهُوَ تَابِعِيٌّ مِنْ وَجْهٍ، صَاحِبٌ مِنْ وَجْهٍ، قَدْ تُوُفِّيَ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فَصَلَّى عَلَيْهِ بِالنَّاسِ صَلاَةَ الغَائِبِ، وَلَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ صَلَّى ﷺ عَلَى غَائِبٍ سِوَاهُ. وَسَبَبُ ذَلِكَ: أَنَّهُ مَاتَ بَيْنَ قَوْمٍ نَصَارَى، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ مَـنْ يُصَلِّـي عَلَيْهِ، لأَنَّ الصَّحَابَةَ الَّذِيْنَ كَانُوا مُهَاجِرِيْنَ عِنْدَهُ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ مُهَاجِرِيْنَ إِلَى المَدِيْنَةِ عَامَ خَيْبَرَ لَمَّا تُوُفِّيَ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِلنَّاسِ: (إِنَّ أَخَا لَكُم قَدْ مَاتَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ). فَخَرَجَ بِهِم إِلَى الصَّحْرَاءِ، وَصَفَّهُم صُفُوْفًا، ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ. فَنَقَلَ بَعْضُ العُلَمَاءِ: أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي شَهْرِ رَجَبٍ، سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ..
[سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٣-٣٩١)].

وملـوك العرب، كجُذَيمـة الأبرش[١]، والنعمـان بن المنـذر[٢]، وآبائه، وعمرو بـن هنـد[٣]، وغيـر هـؤلاء، ولا [٧٤/ ب] مـن ملوك المغـرب والمشـرق، ممن لا يحصـى كثرة. وإنمـا قلنا: إنَّ محمدًا لم ينقرض ناموسُـه بموته؛ فلمشـاهدة العيان، الـذي لا يحتاج إلى إقامة برهان فـإن قيل: ما ذكرتموه: صحيحٌ من جهة الطرد، لكنّه فاسـدٌ من جهة العكـس[٤]، فإنَّ من الأنبياء من انقرض ناموسُـه وليـس بملك؛ قلنا:

---

(١) جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيًا، وأبعدهم مغارًا، وأشدّهم نكاية، وأول من استجمع له الملك بأرض العراق، وضـمّ إليه العرب، وغزا بالجيـوش، وكان به برص فكنت العرب عنه، فقيل: الوضّـاح، والأبرش، إعظامًا له، ويعـود في أبنـاء مالك بن فهم بن غنم، بن زهران من الأزد. [الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ١١٥)، والتبيان في تاريـخ أنسـاب زهـران (٣) علي بن محمد بن معيض سـدران الزهـراني، ط١. ١٤١٥هـ مطابع الشـاطيء الحديثة بالدمام].

(٢) النعمـان ملـك الحيـرة، وهو النعمان بـن المنذر بن النعمان بـن المنذر ابن عمرو بن عدي بـن ربيعة بن نصر. [تاريخ الأمم والملوك للطبري (١/ ٢٥٩)].

(٣) عمرو بن المنذر بن ماء السماء اللخمي صاحب الحيرة، وكان يلقب مضرط الحجارة لشدة ملكه وقوة سياسته، وأمه هند بنت الحارث بن عمرو المقصور بن آكل المرار، وهي عمة امرئ القيس بن حجر بن الحارث. [انظر سيرته في: الكامل في التاريخ لابن الأثير (١/ ١٨٩)].

(٤) الطرد ما يوجب الحكم لوجود العلة وهو التلازم في الثبوت، العكس في اللغة عبارة عن رد الشيء إلى سننه أي على طريقه الأول مثل عكس المرآة إذا ردت بصرك بصفائها إلى وجهك بنور عينك وفي اصطلاح الفقهاء عبارة عن تعليق نقيض الحكم المذكور بنقيض علته المذكورة ردا إلى أصل آخر كقولنا ما يلزم بالنذر يلزم بالشروع كالحج وعكسه ما لم يلزم بالنذر لم يلزم بالشروع فيكون العكس على هذا ضد الطرد، وهو التلازم في الانتفاء بمعنـى كلما لـم يصدق الحد لم يصدق المحدود وقيـل العكس عدم الحكم لعدم العلة؛ والعكس المسـتوي هـو عبارة عـن جعل الجزء الأول من القضية ثانيا والجزء الثاني أولا مع بقـاء الصدق والكيف بحالهما كما إذا أردنا عكس قولنا كل إنسـان حيوان بدلنا جزأيه وقلنا بعض الحيوان إنسـان أو عكس قولنا لا شيء من الإنسان بحجر قلنا لا شـيء من الحجر بإنسـان، وعكس النقيض هو جعل نقيض الجزء الثاني جزءا أولا ونقيض الأول ثانيا مع بقاء الكيف والصدق بحالهما فإذا قلنا كل إنسـان حيوان كان عكسـه كل ما ليس بحيوان ليس بإنسـان. [التعريفات (١٨٣و١٩٨) وانظر الكلام عنه مبسوطًا في: المستصفى في علم الأصول(٣١٥-٣١٧) لأبي حامد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية - بيروت].

ذلك من جهة نسخِ الشرائع [1]، لا من جهة الانقراض بالموت. والله أعلم بالصواب.

* * *

(١) قال ابن حزم رحمة الله عليه (نسبتهم البداء إلى الله عز وجل، وحاش لله من ذلك، والعجب من إنكار من أنكر منهم النسخ بعد هذا، ولا نكرة في النسخ؛ لأنه فعل من أفعال الله، أتبعه بفعل آخر من أفعاله مما قد سبق في علمه كونه كذلك، وهذه صفة كل ما في العالم من أفعاله تعالى. وأما البداء فمن صفات من يهم بالشيء ثم يبدو له غيره، وهذه صفة المخلوقين لا صفة من لم يزل لا يخفى عليه شيء يفعله في المستأنف) [الفصل في الملل والنحل (١/ ١٢٦)] وانظر للتوسع في هذا الأمر: [الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٦٢)، و(٤/ ٦٤).]

التعليق من مصحف أشعياء[1] النبي عليه السلام[2]

فمما يدلُّ على أنَّ الله تعالى لا ولدَ له، قوله تعالى[3]: (ربيّت أبناءً، وهم غدروا بي)[4]، وقوله: (أيها النسل الفاسد والأبناء المفسدون، أحببتم[5] الربَّ، وأغضبتم ظهر إسرائيل)[6]. ووجه دلالته: أنه سمى عبيدَه - قبل المسيح بدهرٍ طويل - أبناءَه، وليس لله تعالى ابنٌ خاصٌ عند النصارى إلاَّ المسيح! [٦٩/ أ]، وإنَّما هذا توبيخٌ من الله لهم، يقول: أربيكم تربية الأبناء، وتبارزوني مبارزة الأعداء.

---

(١) أشعياء بن آموص: ومعنى الاسم: الرب يخلص، وهو النبي العظيم الذي تنبأ في يهوذا في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا- ملوك يهوذا. ويرجّح أنه عاش إلى أن جاوز الثمانين من العمر، وامتدت نبوته إلى ما يزيد عن الستين عامًا. و اسم أبيه «آموص» ويظهر من تاريخ أشعياء أنه كان يسهل عليه الدخول إلى ملوك يهوذا والتحدث إليهم، ولذا فقد ظن بعضهم أنه لا بد كان من دم ملكي أو على الأقل كان ذا ثروة طائلة.. رأى إشعياء في الهيكل رؤيا فيها رأى الله وسمع دعوة الله له..أما حزقيا الملك فقد أبدى قبولًا لرسالة أشعياء. ولما مرض حزقيا تنبأ أشعياء بشفائه. ولما أظهر حزقيا رسل مردوخ بلادان، ملك بابل، على كنوزه أنذره أشعياء بأن هذه الكنوز والأسرة الملكية في يهوذا ستحمل جميعها في يوم ما إلى بابل وقد أخمدت جيوش سرجون الثاني ملك آشور، في سنة ٧١١ ق. م. ثورة قامت في أشدود. وقد قاوم أشعياء أي تحالف مع مصر ضد آشور، ولكن بالرغم من احتجاجات أشعياء، فإن يهوذا تحالف مع الفلسطينيين في شق عصا الطاعة على سنحاريب الذي خلف سرجون على عرش آشور. فأتى سنحاريب وأخذ معظم مدن يهوذا وحاصر أورشليم وقد تنبأ أشعياء أثناء الحصار بأن الرب لا بد منقذ المدينة. وفعلًا اضطر سنحاريب إلى الانسحاب وقد ضرب ملاك الرب (يعني به: جبريل عندهم)، جيش الآشوريين ومات عدد كبير منهم وربما وقعت ضربة الله عليهم في شكل وباء حصد الكثيرين منهم ويذكر سفر ((صعود أشعياء)) وهو واحد من الأسفار غير القانونية أن أشعياء مات منشورًا بالمنشار تنفيذًا لأمر الملك منسى... ويعتبر أشعياء أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة. [قاموس الكتاب المقدس (٨١) الله جل جلاله، والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (٥٢٣-٥٢٦) د: محمد علي البار. دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ].

(٢) في الهامش في (أ): مطلب في: تعليق مصحف أشعياء. وفي هامش: (ب): أشعياء.

(٣) كان الأولى عدم إيراد هذه العبارة الموهمة؛ إذ لا يقال (قوله تعالى) إلاَّ للقرءان الكريم. والله تعالى أعلم.

(٤) سفر أشعياء: ١: ٢.

(٥) في: (ب): أجبتم، والمثبت من (أ).

(٦) سفر أشعياء: ١: ٤.

فائدة: في آخر الإصحاح السابع، من كتاب أشعياء، حكايةٌ عن الرَّبِّ سبحانه[١]، أنه قال بعد كلام طويل: **(هذه الفكرة التي فكّرت في الأرض كلها)**[٢]، ثم قال أشعياء: **(الربُّ القويُّ فكَّر فيمن يقدر أن[٣] يُبطل فكرته)**[٤].

تنزيه الله تعالى عما لا يليق به من الصفات.

قلتُ: إطلاقُ هذه العبارة على الله تعالى[٥]، على ما في عُرف النَّاس لا يصِحُّ؛ لأنَّ التفكرَ هو حركةُ النَّفس؛ لاستعلام مجهولٍ، واللهُ سبحانه لا يَخفى عنه شيءٌ، فبالواجبِ أنْ تُحمل الفكرةُ في حقِّه على العِلم؛ لأنَّ الفكرةَ سببُ العلم؛ فيكونُ من باب إطلاق السبب على المسبب.

وذكر في آخر الإصحاح الثامن عشر: **(أن الله سبحانه[٦] ردّ الشَّمس إلى خلفها عشر درجاتٍ، علامةً لحزقيا[٧]، ملك بني إسرائيل، على أنه ينفِّسُ له في عمره خمس عشرة سنة، بعد أنْ حضره الموت)**[٨] والقصة مشهورة.

قلت: فالذي انتهى إلينا: أَنَّ الشَّمس إنَّما رُدَّت ليوشع بن نون في قتال الجبارين[٩]، ولحزقيا هذا تصديقًا لأشيعاء؛ لأنَّه هو كان النبيَّ، وحزقيا المَلِكَ،

(١) سبحانه، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٢) لم أجد في سفر أشعياء هذا اللفظ في النسخ الحديثة؛ ولكن في: ١٤: ٥-٧، حول هذا المعنى، ولفظه: (قد كسر الرَّبُّ عصا الأشرار، قضيب المتسلطين، الضارب الشعوب بسخط ضربة بلا فتور، المتسلط بغضب على الأمم باضطهاد، بلا إمساك استراحت اطمأنت كل الأرض هتفوا ترنمًا).

(٣) أن، ليست في(ب).

(٤) لم أجده في سفر أشعياء هكذا، وبالجملة يمكن الاستئناس بهذا النص القريب منه، في: ١٤: ٢٦: (هذا هو القضاء المقضي به على كل الأرض، و هذه هي اليد الممدودة على كل الأمم). و١٤: ٢٧: (فإنَّ ربَّ الجنود قد قضى؛ فمن يبطل؟!، و يده هي الممدودة، فمن يردها؟!).

(٥) في: (أ): سبحانه، والمثبت من: (ب).

(٦) ليست في(أ).

(٧) اسم عبري معناه ((الرب قد قوّى أو الرب قوّة)) ابن آحاز ملك يهوذا. اشترك مع أبيه في الحكم في ٧٢٨ ق. م. وبما أن آحاز كان عاجزًا عن المساهمة الفعلية في شئون الدولة، صار حزقيا الحاكم الفعلي. قيل أن حزقيا قد بدأ يحكم في سن الخامسة والعشرين، مات الملك نحو ٦٩٣ ق. م. [قاموس الكتاب المقدس(٣٠٥)].

(٨) سفر أشعياء: ٣٨: ٥-٧.

(٩) الجبار: الرجل الذي يقتل في الغضب: (مولود الأرض، يقصد بهذه الكلمة أحيانًا ذو البأس والجور والتعدي=

ولعليّ بن أبي طالب لمّا فاتته صلاة العصر حين نام النبيﷺ على فخذه فلم يوقظه، وبعض المتعصبة ضعّف هذا الحديث وحكم بأنه موضوعٌ(١)،

حديث رد الشمس لعلي رضي الله عنه والكلام عليه

= والإثم، واحيانًا يقصد بها طول القامة وذو البنية الغريبة الهائلة. وكان الجبابرة أشداء البأس معطلين، وكان بنو عناق سكان حبرون قديمًا من أشهر الجبابرة المذكورين في الكتاب المقدس فخافهم بنو اسرائيل جدًّا حتى كان من جواسيسهم أنهم قالوا فيهم ((اننا كنا في عيوننا كالجراد وكذلك كنا في أعينهم)) وهنا دليل قاطع على ما بلغه بنو عناق من طول القامة وشدة البطش والقوة. ومن الابطال المعدودين والجبابرة المشهورين قديمًا عوج ملك باشان، الذي كان سريره من حديد طوله تسع اذرع وعرضه أربع اذرع، وجليات، الذي كان طوله ست اذرع وشبر، والمصري الذي قتله بنايا الذي كانت قامته خمس اذرع وقد قام افراد كثيرون اتصفوا بطول القامة وعظمة البنية. [قاموس الكتاب المقدس (٢٤٥) وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٧٦) طبعة: سامي السلامة. الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، دار طيبة للنشر والتوزيع].

(١) أعاد الطوفي الاستشهاد بهذا في كتابه (الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية) (١/ ٢٥٧)، واحتج بتصحيح الطحاوي والقاضي عياض للحديث، ودافع بنفس الحماس الذي ورد هنا. قلت: خرج الألباني رحمة الله عليه الأحاديث المتعلقة برد الشمس لعلي، في السلسة الضعيفة، وانتقد فيها كلام الطحاوي رحمه الله حولها، نقلتها بطولها - مع شيء من الاختصار -؛ حتى يتبين أن ما ذهب إليه الطوفي رحمة الله عليه من تصحيح الحديث، والدفاع عنه بهذا الحماس ليس بشيء، فالمعول على القواعد المتبعة عند المحدثين لتصحيح أو تضعيف الأحاديث ولا يخفى هذا على الطوفي رحمه الله، وهو ليس من فرسان هذا المجال، أعني الحديث، ولكني لست أعلم سبب قسوة عبارته السابقة. و هناك حديثان: أحدهما: (ضعيف) والآخر: (موضوع). الأول برقم: ٩٧٢- حديث (أمر ﷺ الشمس أن تتأخر ساعة من النهار، فتأخرت ساعة من النهار). قال الألباني: (ضعيف). [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة (٢ / ٤٠١) الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ مكتبة المعارف، الرياض].والثاني برقم: ٩٧١ - حديث (اللهم إن عبدك عليا احتبس نفسه على نبيك، فرد عليه شرقها) و في رواية (اللهم إنه كان في طاعتك و طاعة رسولك فاردد عليه الشمس، قالت أسماء، فرأيتها غربت، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت) قال الألباني (موضوع). أخرجه الطحاوي في(مشكل الآثار) (٢ / ٩) من طريق أحمد بن صالح حدثنا ابن أبي فديك: حدثني محمد بن موسى عن عون بن محمد عن أمه أم جعفر عن أسماء بنت عميس: (أن النبي ﷺ صلى الظهر بالصهباء، ثم أرسل عليًا رضي الله عنه في حاجة، فرجع و قد صلى النبي ﷺ العصر، فوضع النبي ﷺ رأسه في حجر علي فنام، فلم يحركه حتى غابت الشمس، فقال النبي ﷺ (فذكره باللفظ الأول و زاد): قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال، و على الأرض، ثم قام علي فتوضأ و صلى العصر ثم غابت، و ذلك في الصهباء... و أقول: و هذا سند ضعيف مجهول، و كلام الطحاوي عليه لا يفيد صحته بل لعله يشير إلى تضعيفه.قلت (الألباني القائل): ثم إن في هذه الطريق ما يخالف الطريق الأولى، ففيها أن النبي ﷺ كان يقظانًا يوحى إليه حينما كان واضعًا رأسه في حجر علي رضي الله عنه، و في الأولى أنه كان نائما، و هذا تناقض يدل على أن هذه القصة غير محفوظة، كما قال ابن تيمية (٤/ ١٨٤) و الحديث أورده ابن الجوزي في «الموضوعات» و قال (١ / ٣٥٦) «موضوع بلا شك... ثم قال: و جملة القول: أن العقل إذا تأمل فيما سبق من كلام هؤلاء الحفاظ على هذا الحديث من جهة متنه، و علم قبل =

ولا معنى لذلك؛ فإنَّ أبا جعفر الطحاوي، والقاضي عياضًا[1]؛ حكما بصحةِ هذا الحديثِ، قرأتُ ذلك على شيخنا أبي العباس[2]: في [٧٥/ ب] (قاعدة الخوارق) له[3]، وهما إمامان لا يجهلُ مقدارهما في العلم.

وأيضًا: فإنَّ ردَّ الشمس إنمَّا كان في الحقيقة مُعجزًا له ﷺ؛ ولكونه بسبب عليٍّ؛ كرامةً له، والنبي ﷺ[4] لا يُستكثَر له ردُّ الشمس؛ إذ قد رُدَّت لمن هو دونه، وهما يوشع، وأشعياء، وليس ردُّ الشمس بأعظمَ من انشقاق القمر.

فائدة: وذكر في الإصحاح التاسع عشر: **(أَمَا علمت أنّي[5] الله ربٌّ دائمٌ إلى[6] الأبد، وهو الذي خلق أقطار الأرض لا يُلغب، ولا يَعيا)**[7].

= ذلك أنه ليس له إسناد يحتج به، تيقن أن الحديث كذب موضوع لا أصل له. [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة (٢/ ٣٩٥-٤٠١) الطبعة الخامسة ١٤١٢هـ مكتبة المعارف. الرياض. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٢٥٧)]. قلت(موسى): وحكم بوضع حديث رد الشمس شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة(٨/ ١٦٥- ١٦٨).

(١) في (أ): عياض، والمثبت من: (ب): وعياض هو: القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، ثم السبتي المالكي. ولد في سنة ست وسبعين وأربع مائة. تحول جدهم من الأندلس إلى فاس، ثم سكن سبتة. واستبحر من العلوم، وجمع وألّف، وسارت بتصانيفه الركبان، واشتهر اسمه في الآفاق. له كتاب «الشفا في شرف المصطفى» مجلد، وغيره، توفي في سنة أربع وأربعين وخمس مائة في رمضانها، وقيل: في جمادى الآخرة منها بمراكش. [سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٩)].

(٢) هو: شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد تتلمذ الطوفي عليه، ونصه هذا دليلٌ على ذلك. وقد مر نقل الألباني رحمه الله لنقد ابن تيمية لهذا الحديث، مما يدل على ذلك عدم استشهاد الطوفي رحمه الله في كتاب الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٢٥٧) بقول شيخ الإسلام لو كان ممن صححه، وقد ضعف الحديث تلاميذ ابن تيمية، كابن القيم، في المنار المنيف (٥٧) وابن كثير في البداية والنهاية (١/ ٣٢٣).. وغيرهم [انظر: الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية (١/ ٢٥٧) والسلسلة الضعيفة (٢/ ٤٠٠) والمنار المنيف في الصحيح والضعيف (٥٧)للإمام ابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ - ١٩٨٣، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب].

(٣) له، ليست في (أ)، والمثبت من (ب).

(٤) في: (أ): صلى الله عليه، وفي: (ب): عليه السلام، والجمع بينهما أكمل.

(٥) في: (ب): أن، والمثبت من: (أ).

(٦) في (أ): للأبد، والصواب من (ب).

(٧) سفر أشعياء: ٤٠: ٢٨ واللغوب: التعب والإعياء لغب يلغب، بالضم لغوبًا، و لغبًا و لغِب بالكسر، لغةٌ ضعيفة: =

قلت: هذا موافقٌ لِمَا في القرآن، من قوله سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ [سورة ق،آية:٣٨]. وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة الأحقاف، آية: ٣٣].

ويُردُّ [٧٠/ أ] على اليهود قولهم: أنَّ الله أكملَ خَلقَ السَّموات والأرض، ثم استراح يوم السَّبت[1]، وفي ذلك أُنزلت الآيةُ الأولى ردًا عليهم.

وذكر في الإصحاح الحادي والعشرين، حكاية عن الله، مخاطبًا ليعقوب: (إسرائيل! لا خوفٌ عليك؛ لأنِّي معك، آتي ذريتك من المشرق، وأجمعك من المغرب، وأقول للتيمن[2]: لا تحبس من عندك، ولا تمنعهم من الخروج، آتي بنيي من بعيد، وبناتي من أقطار الأرض، كلٌّ من يدعو باسمي، إنما خلقته وجعلته لكرامتي)[3].

قلت: فهذا حكايةٌ عن الله؛ أنه أضافَ إلى نفسِه بنين وبنات، وهو يدلُّ على عدم

= أعيا أشد الإعياء و ألغبته أنا، أي: أنصبته.. وفي التنزيل العزيز ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[ق: من الآية٣٨] والعيا: العجز، وعدم إطاقة الإحكام. [لسان العرب (١/ ٧٤٢) و(١٥/ ١١١)].

(١) قال الإمام ابن كثير رَحَمَهُ اللَّهُ: (وقوله سبحانه وتعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ فيه تقريرٌ للمعاد؛ لأنَّ من قدر على خلق السماوات والأرض، ولم يعي بخلقهن؛ قادرٌ على أنْ يُحيي الموتى بطريق الأولى والأحرى. وقال قتادة: قالت اليهود -عليهم لعائنُ الله - خلقَ اللهُ السموات والأرض في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، وهو يوم السبت، وهم يسمونه يوم الراحة، فأنزل الله تعالى تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾ أي: من إعياءٍ، ولا تعب، ولا نصب، كما قال تبارك وتعالى في الآية الأخرى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣] وكما قال ﷻ: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.[سورة غافر: آية: ٥٧]. [تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠٩)].

(٢) في: (ب): للشمس، والمثبت من: (أ). والتيمن: (في قاموس الكتاب المقدس (٢٢٨)): (الصحراء الجنوبية، و اسم عبري معناه (اليميني أو الجنوبي).

(٣) سفر أشعياء: ٤٣: ٥-٨. ونص أشعياء ليس فيه كلمة: التيمن، ووجدتها في سفر الخروج: ٢٦: ١٨ و ٢٦: ٣٥ و٢٧: ٩ و٣٦: ٢٣. و٣٨: ٩، و سفر العدد: ٢: ١٠ و ٣: ٢٩، و وسفر حزقيال: ٢٠: ٤٦ و ٢٥: ١٣،. وسفر يشوع: ١٢: ٣. وفي الأناجيل، في إنجيل لوقا: ١١: ٣١. وإنجيل متى: ١٢: ٤٢. في مواضع.

إلـهية المسيحِ، وعدم كونِه ابنَ الله، من الوجه الذي سبق تقريرُه غير مرةٍ[(١)].

فائـدة: ذكر في الإصحاح الثاني والعشـرين، حكاية عن الربِّ سـبحانه، مخاطبًا ليعقوب: (أنا الرَّبُّ الذي خلق كلَّ شيءٍ، مددت السَّماء وحدي، وليَّنتُ الأرض مني وإليَّ بلا عونِ أحدٍ، وأنا الذي أُبطلُ آياتِ العرافين، وأجهِّلُ تعرُّفَهم، أردُّ الحكماءَ إلى خلفهم، وأُصيِّرُ علمهم جهلًا، وأُثبت كلامَ عبدي، وأُتمُّ نيةَ رسلي)[(٢)].

قلت: فهذه شـهادةٌ من الله سبحانه، بأنَّ الأنبياءَ فيما يخبرون به صادقون، وأنَّهم أوثـقُ من الكُّهـان[(٣)] والمنجمين[(٤)] ونحوهم، ممن يتعاطى عِلمَ الغيبِ، والسَّببُ في ذلـك أنَّ إخبارَ الأَنبياء هو إخبارُ الله، فهو يُصدِّقُه، وإخبار أولئك مزاحمةٌ لله في غيبِه، فهو تارةً يصدِقُه، وتارةً يكذِبُه؛ لِيُعلمَ [٧٦/ ب] أنْ لا عِلْمَ[(٥)] على الحقيقة والكمَالِ،

---

(١) الله تعالى أضاف إلى نفسه بنين وبناتٍ (من خلال نصوص أهل الكتاب أنفسـهم)،، مما ينفي بُنوة المسيح لله تعالى، كما قال الطوفي رَحِمَهُ اللهُ. [انظر: سفر أشعياء (٤٣: ٥-٨)، سفر الخروج (٢٦: ١٨) و(٢٦: ٣٥) و(٢٧: ٩) و(٣٦: ٢٣)، وسفر العدد (٢: ١٠) و(٣: ٢٩)، وسفر حزقيال (٢٠: ٤٦) و(٢٥: ١٣)، وسفر يشوع (١٢: ٣)، وفي الأناجيل، في لوقا (١١: ٣١)، وفي متى (١٢: ٤٢). الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٧٨-٧٩-٨٠) الإمـام أبو محمـد علي بن أحمد (ابن حزم) الأندلسـي، دار الكتـب العلمية، بيروت، لبنـان، ط٢، ١٤٢٠هـ. ومحاضرات في النصرانية (٩٣) والرد على النصارى (٣٩-٣١) الإمام: القاسم بن إبراهيم الرسي].

(٢) سفر أشعياء: ٤٤: ٢٤-٢٦.

(٣) الكاهـن: الـذي يتعاطـى الخـبر عـن الكائنـات في مسـتقبل الزمـان ويدعـي معرفـة الأسـرار، وفي الصحيح: (عـن عائشـة رضـي الله عنهـا قالت سـأل رسـول الله ﷺ نـاس عن الكهـان فقـال: (ليس بشـيء) فقالـوا: يا رسـول الله، إنهـم يحدثوننـا أحيانًا بشـيء فيكون حقًـا، فقال رسـول الله ﷺ: (تلك الكلمة مـن الحق يخطفها الجنـي فيقرهـا في أذن وليـه فيخلطـون معهـا مائـة كذبـة). [صحيـح البخـاري ج٥/ ص٢١٧٣] وانظـر: [لسان العرب (١٣/ ٣٦٣)].

(٤) المنجم و المتنجم الذي ينظر في النجوم بحسب مواقيتها وسيرها. وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا (من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد) رواه أبو داود بإسناد صحيح (سنن أبي داود (٤/ ١٥) برقم ٣٩٠٥ باب: في النجوم. والمنهي من علوم النجوم ما يدعيه أهلها من معرفة الحوادث التي لم تقع وربما تقع في مسـتقبل الزمان مثل إخبارهم بوقت هبوب الرياح ومجيء ماء المطر ووقوع الثلج وظهور الحر والبرد وتغيير الأسـعار ونحوها ويزعمون أنهم يسـتدركون معرفتها بسير الكواكب واجتماعها وافتراقها وهذا علم استأثر الله بـه لا يعلمه أحد غيره و[انظر: عون المعبود في شـرح سـنن أبـي داود (١٠/ ٢٨٤) الطبعة الثانية ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، وفتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ١٩١)]

(٥) في (ب): عالم، والصواب من (أ).

إلاَّ لله[1] سبحانه.

وقال فيه حكايةً عن الرَّبِّ سبحانه أنه قال: (**الويلُ للذي[2] يخاصم خالقه، وهو خزف من أخزاف الأرض، لعلَّ يقول الطين للفاخراني[3]: ما الذي يُصنع لي، لستُ من عملك، ولا صُنعِ يديك، الويلُ للذي يقول للأب[4]: ما الذي تولد، وللمرأة: لماذا أنت حُبلى؛ هكذا يقول الربُّ: ظهر إسرائيل ومخلِّصُه اسمه: الربُّ القويُّ، مروني بالآيات التي ينبغي أنْ أَصنعها بنيّ، وعلموني ما الذي أصنع في عمل يديَّ، أنا الذي خلقتُ الأرض والناس عليها**)[5]

قلت: فقد سمَّى الناس بنيه[6]، وأخبر أنهَّم عملُ يديه، ومخلوقون له، فلم يبق في قوله للمسيح: أنت ابني؛ دلالةٌ على بُنُوَّةٍ خاصةٍ، بل كبُنوة سائر الناس إلاَّ ما خُصَّ به من غير هذه الجهة، من إظهار المعجزات.

فائدة: ذكر في الإصحاح الخامس والعشرين[٧١/ أ]حكاية عن الرب القوي أنه قال: (**انتبهي[7]، انتبهي يا صهيون[8]، البسي لباس المجد يا أورشليم[9] القرية الطاهرة؛ لأنه لا يعود يدخلك أغلف ولا نجس**)[10]. قلت: الأغلفُ: الأقلفُ الذي لم يختتن[11]، وقد جعل عدمَ دخول الغُلفِ إليها طهارةً لها ومجدًا، والنصارى كلهم

---

(١) في (ب): الله، والصواب من (أ).

(٢) في (أ): الذي، والصواب من (ب).

(٣) صانع الأواني من الفخار. كان الطين يداس ويعجن بالأرجل. ثم يوضع على دولاب أفقي يجلس وراءه الفخاري يديره برجله من أسفل ويصنع بيده وذراعه من الطين الدائر فوقه مختلف أنواع الأواني. [قاموس الكتاب المقدس(٦٧١)].

(٤) في: (ب): للرب، والصواب من (أ).

(٥) سفر أشعياء: ٤٥: ٩-١٢.

(٦) في: (ب): بنيه، والصواب من(أ).

(٧) في: (ب): ابتهجي، ابتهجي، والمثبت من: (أ)، ونص سفر أشعياء: استيقظي، استيقظي.

(٨) سفر أشعياء: ٥٢: ١.

(٩) في: (أ): يا وراشلم (ب): يا ورشليم. والتصويب من نص سفر أشعياء.

(١٠) سفر أشعياء: ٥٢: ١.

(١١) انظر: لسان العرب (٩/ ٢٩٠) مادة (ق ل ف).

غلفٌ(١)؛ فيدلُّ ذلك على وهنِ مذهبهم، وسوءِ رأيهم.

فإن قيل: اليهودُ مختونون، فليزمُكم على مساقِ ما ذكرتم أنْ يكونوا على حقٍّ، وأنتم لا تقولون به.

قلنا: ثبت ضلالهُم بدليلٍ آخر!.

فائدة: ذكر في هذا الإصحاح ترجمةُ البنُوة في المسيح، وصلبه مع الآثمةِ، واحتماله الذنوب(٢)، وأولها: **(أنَّ عبدي ليفهم ويرتفع، ويتعظَّمُ ويتعالى جدًا، حتى يتعجبَ منه كثيرٌ من الناس؛ لأنَّ رؤيته متغيرةٌ من رؤية الرجل، ومستقبلُه أبهى من مستقبل الناس، هذا يُطَهِّرُ شعوبًا كثيرةً، وعليه؛ وفي سببه تمُسِكُ الملوكُ أفواهَها، وتَصْمُتُ؛ لأنَّهم عاينوا ما لم يُقال(٣) لهم، فهموا ما لم يسمعوا)**(٤).

قلت: هذه صفات المسيحﷺ(٥)، والترجمةُ مختصةٌ به، وقد سمَّاه اللهُ سبحانه عبدًا، وهو يرد ما ادعَّاه النصارى من إلهيته أو بُنُوتِه؛ إذ العبوديةُ تنافيهما، والعجبُ من النصارى واليهود، كيف لم يحرِّفوا هذه [اللَّفظة و](٦) القصةَ ويبدِّلوها، مع ما بدَّلوا [٧٧/ ب] من كُتب النُّبوَّاتِ، ولكنَّ تركَهم لتغييرها إمَّا تدميغٌ! أو شيطنةٌ؛ ليقال: لو حرَّفوا شيئًا من الكُتب لحرَّفوا هذه.

ثم إنهَّم يكابرون ويتمحَّلُون(٧)، ويمنعون دلالتها على ما ينافي رأيهم، وهيهات؛ إنَّ تحريفهم ومناقضاتهم بانَ واشتهرَ، وصار أشهرَ من القمر. وقد سبق جملة من ذلك في التعليق على الأناجيل.

قاعدة في التعامل مع حديث أهل الكتاب

ولما ثبت من تحريفهم وتبديلهم قال لنا نبيُنا محمدﷺ: **(إذا حدثكم أهل**

---

(١) في: (ب): قلف، والصواب من: (أ). وانظر: لسان العرب (٩/ ٢٧١-٢٧٢) ومختار الصحاح (٢٠٠).

(٢) في: (ب): للذنوب، والصواب من (أ).

(٣) هكذا وردت. والصواب: لم يقل، بالجزم.

(٤) سفر أشعياء: ٥٢: ١٢-١٥.

(٥) وسلم، ليست في(أ) والمثبت من: (ب).

(٦) في (ب) (اللفظة والقصة) وفي: (أ) القصة، والمثبت أولى.

(٧) تمحل: احتال. [لسان العرب (١١/ ٦١٩) ومختار الصحاح (٢٥٧)].

الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٤٦][1].

فإنَّه من المعلوم أنهم لم يبدِّلوا كلَّ ما نزل إليهم، بل بعضَه، وهو ما عليهم في بقائه ضررٌ؛ كالبشارة بمحمدٍ ونحوها، فلذلك قال ﷺ، « لا تصدقوهم »؛ لأنهم بتبديلِ البعض صاروا فسقةً، غيرَ مأمونين، وقال صلى الله عليه[2] «ولا تكذبوهم»؛ [٧٢/ أ] لجواز أنَّ ما أخبروكم به ليس مما بدلّوه، وقال:

﴿ وَقُولُوٓاْ[3] بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ [سورة العنكبوت، آية: ٤٦]؛ لأنَّ الذي أُنزل إليهم جميعُه حقٌّ، التوراةُ، والإنجيلُ الذي أُنزل على عيسى، وسائر الكتب المنزلة على الأنبياء، وإنَّما حدث التبديلُ بعد التنزيل بدهرٍ طويلٍ، وإنَّما النزاعُ فيما بأيديهم الآن، مع تطاول الزمان، ونقله من كتابٍ إلى كتاب، ومن لغةٍ إلى لغة، ولو لم يكن على عدل محمدٍ، وأمانته، وصدقه، غيرُ هذا التعليمُ، الذي علَّمه أمَّته لكان كافيًا لذوي الألباب، في الإيمان به، والدخول في دينه؛ لأنَّه استعمل الحزمَ في عدم تصديقهم، والعدلَ في عدم تكذيبهم، ولو كان خارجيًا على الشرائع كما يقولون، مدّعيًا ما[4] لم يؤته، مَلِكًا ماحقًا، لا نبيًا صادقًا؛ لقال: لا تصدقوهم

---

(١) (صحيح) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن: باب ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ برقم: (٤١٢٥) في: الاعتصام بالكتاب والسنة برقم(٦٨١٤) و: التوحيد برقم(٦٩٨٧)، ولفظه: ((لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم))، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ [السلسلة الصحيحة (١/ برقم: ٤٢٢)و(٦/ برقم: ٢٨٠٠)] ورواه الإمام أحمد عن ابن أبي نملة أن أبا نملة الأنصاري أخبره أنه بينما هو جالس عند رسول الله ﷺ جاءه رجل من اليهود فقال: يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة؟ قال رسول الله ﷺ: (الله أعلم) قال اليهودي: أنا أشهد أنها تتكلم. فقال رسول الله ﷺ: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن كان حقًا لم تكذبوهم وإن كان باطلًا لم تصدقوهم) [مسند أحمد، كتاب مسند الشاميين (١٦٥٩٢) باب: حديث: أبي نملة الأنصاري ﷺ. ورواه أبو داود. كتاب: العلم، باب: رواية حديث أهل الكتاب (٣١٥٩)]

(٢) صلى الله عليه، ليست في(ب).

(٣) في كلا النسختين: (أ، ب): قولوا، والمثبت هو الصواب.

(٤) في: (ب): لما. والمثبت من: (أ).

أصلًا؛ فإنَّه مطاعٌ عند أُمَّتـه، غيرُ خائفٍ من أهل الكتاب حتـى يحابيهم، بل ولأَخْلا الأرضَ منهم، ولم يقبل منهم الجزية؛ لئَلاَّ يشـككوا[١] أمته في دينه بقدحهم فيه. فلمَّا أمرَهـم بالجزيـة، وأمرَ بأن لا يُكذِّبـوا؛ مع علمه بقدحهم في دينـه، وطعنهم فيما جاء بـه؛ دلَّ ذلـك على أنَّه على حقٍّ مـن عند الله، لم يُبـال معه ببقائهـم ولا طعنهم، وأنَّ ذلـك منهـم لم يمنعه من العدل فيهم، والحكم بما جـاءه من الله في أمرهم، وهذا من البراهين القاطعة في الباب، فتأمّله.

قلـت: ثم ذكر في بيان أذى اليهود للمسـيح قوله: (وهو [٧٨/ ب] المضروب في سـبب ذوات الله، المتواضع من أجلها، يُقتل من أجل إثمِنا، ومتواضعٌ من أجل إثمِنا، وعليه أدبُ سـلامتنا؛ لأنَّ بجراحاته نبرأ كلُّنا)[٢] إلى أن قال: (دنا متواضعًا، ولم يفتح فاه، وسيق مثل الحمل للذبح، وكان صامتًا كالنعجة قُدّام جازرها، ولم يفتح فاه)[٣].

قلـت: هذه الألفاظُ كلُّهـا لا دلالةَ فيها على إزهاقِ نفس المسـيح؛ بل إنَّما تدلُّ علـى أنَّـه ضُـرب؛ لأنَّ قولـه: المضـروب في ذات الله، صريحٌ في الضَّـرب، ولا يدلُّ على الإزهاق.

وقولـه: يُقتـلُ من أجـل إثمنا، وإن كان ظاهـرًا في إزهاق النفـس، إلاَّ أنه يَحتمِل الضَّـربَ، فلا يكـون نَصًّا في الإزهـاق، [٧٣/ أ] والنَّاس يُطلقون القتـلَ على ما دون الـمُزهِقِ للنَّفس؛ كضرب العصا، والسـوط، كثيرًا مشهورًا في زمننا هذا، فلعَّل هذا قد كان أيضًا في عرفهم.

وقولـه: لأنَّ بجراحاته نبرأ كلُّنا، ظاهره المجـاز لكلِّ عاقلٍ، وإن ثبت أنه حقيقةٌ فلا يلزم من الجرح الزهوق.

وقوله: سـيق مثل الحمَـل للذبح، وكان صامتـا كالنعجة قُـدَّام جازرها، لا يدلُّ

---

(١) في (أ) و(ب) (يشككون) والصواب ما أثبتُّه لأنها منصوبة بـ(لئلا).

(٢) سفر أشعياء: ٥٣: ٤-٥.

(٣) سفر أشعياء: ٥٣: ٧.

أيضًا على الزهوق؛ لأنّا نُسلِّم لهم أنَّه سيقَ كالحمل للذبح، وصمَتَ كالنَّعْجة قدّام الجازر، وأنَّهم ربطوه على الخشبة ليصلبوه، بعد أن لطموه، وبصقوا عليه، وسخروا به، ولقي منهم العناء، عليهم وعلى النصارى ما يستحقونه! ؛ لكنْ أظلمت الأرضُ ثلاثَ ساعات، ففيها نزلت الملائكة، فحّلتْ وثاقَه، وأطلقته، وأُلقي شبهُه على الذي دلَّ عليه، يهوذا الإسخريوطي، أو غيره من أعدائه، فَصُلِبَ مكانه.

نعم!، قال في تمام هذا الكلام: (ودنا منه قومٌ من آثمةِ شعبي، وآذنَ المنافقُ بدفنه)[١]، والدَّفنُ ملزومٌ للقتل المزهق عادةً، ووجود الملزوم يدلّ على وجود اللّازم، [ولا أرى للمسلمين عن هذا جوابًا إلا الطعن في ثبوت هذا وصحته، على ما عُرف من أصل دينهم، من القدح فيما في أيدي أهل الكتاب][٢]، والجواب من وجهين:

أحدهما: أن يقال: ليس في هذا الكلام إلاّ دنوُّهُم منه، وهو لا يدلُّ على القتل، وإذنِ المنافق في دفنه، وهو لا يستلزمُ وقوع الدفن؛ إذ الأذنُ لا يستلزم وقوع المأذون فيه، وغاية ما في الباب، أن يقال: هذا الكلام عادة يقتضي وقوع القتل إلا أنه[لا يدل هذا الكلام عليه][٣].

ثم يقال لهم[٤]: هذه النُبوة قد اشتملت على النّص على عبودية المسيح، وما يدلُّ على قتله المزهق، فإمَّا أنْ تُثبِتوا الأمرين، أو تنفوهما، أو تُثبِتوا أحدَهما وتُنفوا الآخر، فإنْ أثبتموهما؛ نقضتُم رأيكم بعبودية المسيح.

فإن قالوا: هو عبدٌ من جهة [٧٩/ ب] ناسوتيته، فقد سبق جوابه بما[٥] يُغني عن إعادته، وإن نفيتموهما نقضتُم رأيكم في عدم صَلْبه، وإخبارُ أشعياء به [في مصحفه][٦]

---

(١) سفر أشعياء: ٥٣: ١٢.

(٢) مابين المعقوفتين ساقط من (ب). والظاهر أن هذا من كلام النصراني الذي رد عليه الطوفي.

(٣) في (ب): ما وقع. وما أثبتُّه بين المعقوفتين من (أ).

(٤) لم يذكر الوجه الثاني، ولعله هذا.

(٥) في: (ب): ما. والمثبت من: (أ).

(٦) في مصحفه، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

هو عمدتُكم فيه.

وإن أثبتم أحدَهما؛ فأمَّا العبوديةُ وحدها فهو أشـدُّ عليكم، وأمَّا الصلبُ وحده؛ فهو تحكمٌ، وترجيحٌ بلا مرجحٍ. على أنَّا قد قدّمنا في الطعن في صَلبِ المسيح ما يَثلِجُ له قلبُ العاقلِ الرجيحِ [٧٤/ أ][١].

فائـدة: ذكـر في الإصحاح الثلاثين، حكايةً عن الله سـبحانه، أنه قال: (السـماء كرسيّ، والأرض موطأ خلقي، لي بيتٌ يبنون لي)[٢].

---

(١) ناقش الطوفي هـذه القضية في غير موضـع من كتابـه (الانتصـارات الإسـلامية في كشـف شـبه النصرانية)، وهكـذا في كتابـه هـذا (التعليـق علـى الأناجيـل الأربعـة). واعتمـد في ذلك علـى قاعدتـه في الـردّ على أهل الكتـاب، وهـي الحجـاج العقلـي؛ لأن كل واحد مـن المسـلمين وأهل الكتاب يقـدح في كتـاب الآخر الذي بيـده، فـلا تقـوم عليـه الحجة بـه. لكنـه في أول الـرد علـى النصراني يسـتدل بالقـرآن الكريـم وبقولـه تعالى ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [سـورة النسـاء ١٥٧]؛ لأن النصـراني الذي يرد عليه الطوفي رَحَمَهُ اللَّهُ يسـتدل بهذه الآية وتفسيرها يبطلها؛ بدعوى أنها تخالف ما تواتر عند الأمتين: اليهود والنصارى، ومؤرخي المجوس على صلب المسيح، وبنص الكتب المقدس، وقد أجاد الطوفي في استئصال عقيدة الصلب لديهـم، بمـا يثلج الصدور كما ذكر. والنظر إلـى ما أورده الطوفي من نصوصهم والـرد عليها يجد الاختلافات العديدة بينهم في أعظم حادث في حياة المسـيح عَلَيْهِ السَّلَامُ حسـب معتقد النصارى، وهو الصلب؛ إن دلَّ على شـيء فإنما يدلُّ على أنهم ليس لديهم علمٌ مؤكد، ومحققٌ في هذا الأمر، وأنَّ ذلك كُله من باب الظنّ والخرص الذي لا يغني من الحق شـيئًا، وإلا لـم اختلفوا لو كان عندهم شـيءٌ مدَّون، أو رواة ثقات عاينوا وشاهدوا الأحداث، بالإضافة إلى ما هو مقررٌ في عقائدنا -نحن المسلمين- من أن الله تعالى رفع المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ إليه، فقد قال النبي ﷺ «والذي نفسـي بيده ليوشـكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا مقسـطًا، فيكسـر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحدٌ»((صحيح) عن أبي هريرة، رواه البخاري (٤/ ٤١٤) مع فتح الباري، ومسـلم (١/ ١٣٥)، وانظر: صحيح الجامع الصغير (٧٠٧٧)، وفيه زيادة (وحتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها). وقال ﷺ «وَالَّذِي نَفْسِـي بِيَدِهِ لَيُهِلَّنَّ ابْنُ مَرْيَمَ بِفَجِّ الرَّوْحَاءِ حَاجًّا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ لَيَثْنِيَنَّهُمَا». ((صحيـح) عـن أبـي هريرة، رواه مسـلم في كتـاب الحج، برقـم ٣٠٨٩، انظـر: صحيح الجامـع (٧٠٧٨)). [انظر: (الانتصارات الإسـلامية في كشـف شـبه النصرانية (١/ ٢٤٣، ٣٥٢، ٣٥٩، ٤١٣)، (٢/ ٧١٨، ٧١٩، ٧٣٢، ٧٥١، ٧٥٢).) وفي الدراسـة، الفصـل الثـاني: منهـج الطـوفي في الـرد علـى النصارى ونقـد أصولهم، المبحـث الرابـع: منهجـه في نقد عقيدة الصلـب والفداء بينا بطلان هـذا الاعتقاد. وانظر: دراسـات في الأديان د/ الخلف (٢٣١)].

(٢) سـفر أشـعياء: ٦٦: ١ ولفظه: (هكذا قال الرب: السـموات كرسـي، و الأرض موطئ قدمي، أين البيت الذي تبنون لي؟ و أين مكان راحتي؟!).

قلت: وقد سبق في الإنجيل أنَّ الأرض موطأ قدميه[1]، فلعلَّ هذا بيانٌ لذاك، ويكون قد سَمَّى الخلق قدمًا؛ لعلاقة ما مجازية، وعلى هذا تأوَّل بعضُ المسلمين قوله ﷺ «فيضع الجبّار فيها قدمه، [يعني في النار][2] فتقول قط قط »[3]، قال: فالقَدمُ: قومٌ من العالم؛ يقدمهم إلى النار، فتمتلئ بهم، والمشهور عن الجمهور: أنَّ المراد غير ذلك، وأن القَدم صفةٌ لله، على ما يليق بجلاله، وكذلك رأيُهم في سائر آيات الصفات وأحاديثها.

فائدة: وذكر في هذا الإصحاح أيضًا، في سياق الوعيد: **(لأنَّ الربَّ يحاكمهم إلى النار[4]، وبها يبلو كل ذي لحمٍ، وتكثر قتلى الربِّ ويتقدسون، ويتطهرون في الجنان، ويتبع بعضهم بعضًا، في وسط الشجر)**[5].

الرد على منكري الجنة من النصارى

قلت: هذا نصٌ على أنَّ في الآخرة جنةً ونارًا، وهو يردُّ قولَ منكري الجنة من النصارى، وقد سبق تقرير هذا، عند سؤال الزنادقة المسيح[6]، عن سبعة إخوةٍ، تزوجوا امرأةً تباعًا[7].

(١) انظر إنجيل: متى: ٥: ٣٥.

(٢) ما بين معقوفتين، ليست في(أ).

(٣) (صحيح) رواه البخاري، باب قوله: ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: من الآية ٣٠] ح (٤٤٧٠) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ «يُلقَى في النار وتقول هل من مزيد، حتى يضعَ قَدَمَه فتقول: قَطْ قَطْ» ورواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه برقم (٤٧٣٠) و(٤٧٣١). ورواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، برقم (٧١٢٢) و(٧١٢٤) و(٧١٢٦) و(٧١٢٨). والحكمة من وضع رجله سبحانه في النار أنه قد وعد أن يملأها؛ كما في قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: من الآية ١٣]. ولمَّا كان مقتضى رحمته وعدله ألاَّ يُعذب أحدًا بغير ذنبٍ، وكانت النار في غاية العمق والسعة؛ حقق وعده تعالى، فوضع فيها قدمه فحينئذٍ يتلاقي طرفاها، ولا يبقى فيها فضل عن أهلها. وأما الجنة فإنه يبقى فيها فضل عن أهلها مع كثرة ما أعطاهم وأوسع لهم، فينشىء الله لها خلقًا آخرين كما ثبت في الصحيح (عَنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: لَا يَزَالُ يُلْقَى فِيهَا وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدَمَهُ فَيَنْزَوِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ثُمَّ تَقُولُ قَدْ قَدْ بِعِزَّتِكَ وَكَرَمِكَ وَلَا تَزَالُ الْجَنَّةُ تَفْضُلُ حَتَّى يُنْشِئَ اللهُ لَهَا خَلْقًا فَيُسْكِنَهُمْ فَضْلَ الْجَنَّةِ) (رواه البخاري، (٦٨٣٦)).

(٤) في: (ب): بالنار.

(٥) سفر أشعياء: ٦٦: ١٦-١٧.

(٦) في هامش (أ): يسوع، وفي متن(ب): يسوع.

(٧) انظر إنجيل متى: ٢٢: ٢٣-٣٠.

التعليق(١): من مصحف هوشع بن بادي(٢)

ذكر في الإصحاح الرابع منه، حكايةً عن الرَّبِّ سبحانه، أنه قال:

(لأنّي كنتُ [قد](٣) أحببتُ إسرائيل في صغره، ودعوته بمصر: ابني)(٤).

قلت: فثبت(٥) أنَّ إسرائيل عبدُ مألوهٌ بإجماع، فكذلك المسيحُ، لا تدلُّ لفظة البنوة فيه(٦) على أكثر من العبودية، نعم، هذه اللفظةُ تفيد خصوصيةً في العبودية، كما سبق تقريره. وذكر فيه أيضًا، حكايةً عن الربِّ سبحانه، أنه قال في أثناء كلامٍ:(لأنّيَّ الله(٧)، وليس إنسانًا(٨) بينكم)(٩).

قلت: فدلّ هذا على أن الإلهية تنافي الإنسانية، وأنهما لا يجتمعان. وأجمعنا على أنَّ المسيح إنسانٌ يأكل ويشرب، [٨٠/ ب]فلزم أنَّه ليس إلهًا.

فإن قيل: فإنَّا(١٠) نمنعُ(١١) اجتماع الأمرين، من جهة واحدةٍ لا جهتين، والمسيحُ

---

(١) في الهامش الأيمن في: (أ): مطلب في: التعليق على مصحف هوشع. وفي هامش (ب) الأيمن أيضًا: هوشع.

(٢) هوشع: اسم عبري معناه: الخلاص، وهو ابن بئيري. وهو نبيٌ من الأنبياء الصغار (عند أهل الكتاب)، ويظن أن فترة نبواته دامت حوالي أربعين سنة، في القرن الثامن قبل الميلاد. وقد عاصر هوشع سقوط السامرة سنة ٧٢٢ ق. م. وكان ينتمي إلى مملكة الشمال، وإلى تلك المملكة (أي السامرة). تنبأ، وكان معاصرًا لإشعياء الذي تنبأ لمملكة الجنوب (يهوذا)..... وسفر هوشع أول أسفار الأنبياء الصغار في ترتيب وضعها في الكتاب المقدس. وهو السفر الثامن والعشرون، في العهد القديم. [قاموس الكتاب المقدس (١١٠٥)].

(٣) قد، ليست في (أ)، وأثبتها من (ب).

(٤) سفر هوشع: ١١: ١.

(٥) في: (ب): وثبت، والمثبت من: (أ).

(٦) ليست في: (أ).

(٧) في (ب): إله. والمثبت من: (أ).

(٨) في (ب) (وليس أنا إنسان بينكم)، والمثبت من: (أ).

(٩) سفر هوشع: ١١: ٩.

(١٠) في: (ب): إنما، والمثبت من: (أ).

(١١) في (أ): يمتنع، والمثبت من (ب)

كانت لـه جهتان[١]؛ لاهوتيةٍ، وناسوتيةٍ. قلنا: سبق جوابُ هـذا، في: التعليق على الإنجيل.

* * *

(١) في (أ): جهتا، والصواب من (ب).

التعليق(١) على: نبوة يونان

وهو: يونس بن متَّى(٢)، صاحبُ: نينوى(٣) ذكر فيها:

قصة يونس عليه السلام

أنه لـمَّا خرج من بطن [٧٥/ أ] الحوت(٤)؛ أُمِرَ أنْ يأتي نينوى فينذرَهم العذاب إنْ لـم يؤمنـوا، فأَتاهـم فأنذرهم؛ أنَّ نينوى يُخسـف بهـا بعد أربعيـن يومًا، ويقال ثلاثـة أيام، ثم خرج إلى شـرقي المدينة، واتخـذ ظُلَّةً، وقعد ينظر مـا يجري لأهلها، فآمنوا وصدَّقوا، فاسـتحيى يونس من تكذيبهم، فسأل الموتَ، فأَنبتَ الله عليه شجرةَ اليقطين(٥)، فوقَّتْه حرَّ الشـمس، ففرح بها ثم سَـلَّط اللهُ عليها(٦) الدُّود، فأكلَ عروقَها، ثم أرسـلَ الريحَ فأيبَسَـتْها، فحزن لذلك يونسُ، فقال الله له: تحزن لهلاك شـجرةٍ لم تعملها، وتريدني أهلك نينوى؟!، وكانت مدينةً عظيمةً، مسيرة ثلاثة أيام(٧).

---

(١) في الهامش الأيمن في: (أ): مطلب في: التعليق على نبوة يونس.

(٢) يونان: الصيغة السـريانية والعربية للاسـم العبري: (يونة). ومعناه حمامة. كان يوناثان النبي بن امتاي من سبط زبولون، ومن أهالي جت حافر على بعد ثلاثة أميال من الناصرة.، و تنبأ في أيام يربعام الثاني ملك السامرة. وتنبأ برد حدود السـامرة إلى مدخل حماة شـمالًا وإلى بحر العربة وخليج العقبة جنوبًا. وكان موضوع نبوءته إنقاذ بني إسـرائيل من ظلم الآراميين ((السـوريين)). وكانت نبوءته مطبوعة بطابع وطني أدبي خلقي كنبوءة هوشع وعامـوس. وهـذا النوع مـن النبوات كان يصـادف هوى في قلبي الشـعب العبراني. [قامـوس الكتاب المقدس (١١٢٦)]. وهـو النبـي الكريم ﷺ الذي نزل في قوله تعالى ﴿وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنبياء:٨٧] وفي الصحيح عن قتادة قال سمعت أبا العالية حدثنا بن عم نبيكم يعني بن عباس عن النبي ﷺ قال(لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى) رواه البخاري (٣١٢٥) ومواضع أخرى. ومسلم (٢٣٧٦) (٢٣٧٧).

(٣) نينوى: قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل بالعراق[معجم البلدان (٥/ ٣٣٩)].

(٤) انظر: سفر يونان: ٢: ١٠.

(٥) (اليقطين) ما لا ساق له من النبات كالقثاء والبطيخ وغلب على القرع وهو الظاهر هنا. من خاصية اليقطين أن لا يقربـه الذبـاب، ومن خواصه أن ماء ورقه إذا رش به مكان لا يقربه ذباب أيضًا وسـيأتي كلام الطوفي عن هذه الخـواص. [المعجم الوسـيط (٢/ ٤١٢) إبراهيـم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القـادر، محمد النجار. تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠). حياة الحيوان الكبرى (٢/ ٢٢٣) للدميري].

(٦) ليست في: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٧) انظر: سفر يونان: من: ٣: ١-٤.

قلت: والذي في القرآن العظيم[١]، وهو قوله تعالى: ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [سورة الصافات: آية ١٤٥-١٤٦] لا ينافي هذا؛ لكنَّ علماءَ المسلمين؛ من المفسرين، والقصّاص، ذكروا أنَّ إنباتَ شجرةِ اليقطين عليه، كان عند خروجه من بطن الحوت، كالفرخ الممعوط، الذي لا ريش عليه، وكان في اليقطين حكمتان:

ما ذُكر من خواص اليقطين

إحداهما[٢]: إظلالُه من الشمس.

والثاني: منعُ الذُّباب أنْ يَسقُط عليه، وذلك من خواصِّ اليقطين[٣].

فالتنافي بين هذه النبوة وبين ما ذكر المفسرون[٤]، لا بينها وبين ظاهر القرآن.

* * *

(١) العظيم، ساقطة من: (ب) والمثبت من: (أ).

(٢) في (أ): أحدها.

(٣) انظر: حياة الحيوان للدميري (٢/ ٢٢٣).

(٤) انظر قصة يونس عند ابن كثير: [قصص الأنبياء (٢٧٣) بتصرف. وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠) طبعة السلامة]

التعليق[1] من: نبوة حبقوق[2] النبي عليه السلام.

ذكر في صلواته: (يا رب، سمعت باسمك، وفزعتُ، يا رب أظهر أعمالك في سنين الحياة؛ لتُعرف في هذه السنين، اذكر رحمتك أيام الغضب؛ لأنَّ الله أتانا من التيمن، حيث ظهر لنا، واستعلن لنا من الظهر من جبال فاران[3]، وتغشَّت السماء من

(١) في الهامش الأيسر في: (ب): حبقوق.

(٢) في: (أ): حيقوق، وهو خطأ، والصواب من (ب)، وحبقوق:

(٣) فاران: برية واقعة إلى جنوب يهوذا وشرق برية بئر سبع وشور بين جبل سيناء (والأصح بين حضيروت الواقعة على مسيرة أيام من سيناء) وكنعان وكانت فيها قادس، وبطمة فاران أو ايلة (إيلات اليوم) على البحر الأحمر، كما كانت تشمل برية صين أو كانت مندمجة فيها دون حد معين يفصل بينهما، وجميع هذه المعلومات تشير إلى السهل المرتفع أو الأرض الجبلية، الواقعة إلى جنوب كنعان تحيط بها من الجهات الأخرى برية شور وسلسلة الجبال المعروفة بجبل التيه ووادي العربة. وفي هذه البرية تنقل بنو إسرائيل ٣٨ سنة. ومعظمها على ارتفاع يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٢٥٠٠ قدم عن سطح البحر. [قاموس الكتاب المقدس (٦٦٧)] هذا تفسيرهم. أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد نقل عن بعض العلماء، ومنهم ابن قتيبة الدينوري غير هذا فقال: (وجبال فاران هي جبال مكة قال وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي مكة فإن ادعوا أنها غير مكة فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم. قلنا أليس في التوراة أن إبراهيم أسكن هاجر وإسماعيل فاران وقلنا دلونا على الموضع الذي استعلن الله منه واسمه فاران والنبي الذي أنزل عليه كتابا بعد المسيح أو ليس(استعلن) (وعلن) وهما بمعنى واحد، وهو ما ظهر وانكشف، فهل تعلمون دينًا ظهر ظهور الإسلام، وفشا في مشارق الأرض ومغاربها فشوه؟!. وقال ابن ظفر: (ساعير) جبل بالشام منه ظهرت نبوة المسيح. قلت: ويجانب بيت لحم القرية التي ولد فيها المسيح قرية تسمى إلى اليوم ساعير ولها جبل تسمى ساعير. وفي التوراة أن نسل العيص كانوا سكانًا بساعير، وأمر الله موسى أن لا يؤذيهم وعلى هذا فيكون ذكر الجبال الثلاثة حقا جبل حراء الذي ليس حول مكة جبل أعلى منه ومنه كان نزول أول الوحي على النبي وحوله من الجبال جبال كثيرة حتى قد قيل إن بمكى اثني عشر ألف جبل وذلك المكان يسمى فاران إلى هذا اليوم وفيه كان ابتداء نزول القرآن والبرية التي بين مكة وطور سينا تسمى برية فاران ولا يمكن أحدا أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي فعلم أنه ليس بالمراد باستعلانه من جبال فاران إلا إرسال محمد وهو سبحانه ذكر هذا في التوراة على الترتيب الزماني فذكر إنزال التوراة ثم الإنجيل ثم القرآن وهذه الكتب نور الله وهداه وقال في الأول: جاء أو ظهر، وفي الثاني: أشرق. وفي الثالث: استعلن. وكان مجيء التوراة مثل طلوع الفجر أو ما هو أظهر من ذلك ونزول الإنجيل مثل إشراق الشمس زاد به النور والهدى. وأما نزول القرآن فهو بمنزلة ظهور الشمس في السماء ولهذا قال واستعلن من جبال فاران فإن النبي ظهر به نور الله وهداه في مشرق الأرض ومغربها أعظم مما ظهر بالكتابين المتقدمين كما يظهر نور الشمس إذا استعلت في مشارق الأرض ومغاربها ولهذا سماه=

شـعاع المحمود!، وامتلأت الأرض من محامده؛ لأنَّ شعاعَه يصير نورًا، ويصير عِزُّه في قريته، وتظهر قوتُهُ في رحبتها، الموت يسـير أمامه، ويجتمع الطير لوطء قدميه، قام فمسـح الأرض، ونظر بغضبه، فاجتمعت نحوه الشـعوبُ، وتفرغت الجبال المائية، مذ أوائل الدهر، واتَّضعتْ الآكام(١)، التي لم تزل ثابتةً مذ قديم؛ [٨١/ ب]لأنَّ الشيءَ القديم هو له)(٢).

قلـتُ: أيُّها الناظرُ في هذا الكتاب!، اعلم أولًا: أنَّ أشـدَّ الـكلامِ إجمالًا كلامُ الله سبحانه لخلقِه(٣)،

وأقربُـه إلى التصريح والنصوصية والتفصيل؛ القرآن المقدّس، والإجمال الذي فيـه بيَّنه النبـيُّ [٧٦/ أ] ﷺ امتثالًا لقوله تعالـى ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[النحل:٤٤](٤).

وكتبُ(٥) الأوائل أشدُّ إجمالاً ورمزًا من القرآن؛ حتى إنَّ معانيها المرادةَ منها؛ لا تلوحُ إلاَّ خيالًا، أو إيماءً، أو إلماعًا؛ كلمع البرق في الغسـق، أو كلمع اليدين في حبيٍّ مُكَلَّلِ(٦)، وكالخطرات الإلهية على قلوب السالكين، في ابتداء إمَارات الوصول والمعرفة.

= الله سـراجا منيرا وسـمى الشمس سـراجا وهاجا والخلق يحتاجون إلى السـراج المنير أعظم من حاجتهم إلى السـراج الوهـاج فإن الوهـاج يحتاجون إليه في وقت دون وقـت وكما قيل قد ينضرون بـه بعض الأوقات وأما السـراج المنير فيحتاجون إليه كل وقت وفي كل مكان ليلا ونهارًا سـرًا وعلانية. وقد قال النبي ﷺ (زويت لي الأرض مشـارقها ومغاربها وسـيبلغ ملـك أمتي ما زوي لي منهـا). [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح (١٩٩-٢١٧)] وسيأتي ذكر هذه اللفظة في عدة مواضع من التوراة وكتب التاريخ في العهد القديم.

(١) الآكام: القف من حجرة واحدة، و قيل هو دون الجبال وقيل هو الموضع الذي هو أشدُّ ارتفاعًا ممَّا حَوْلَه وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حَجَرًا.. والجمع أَكَمٌ وأُكُمٌ وإِكامٌ وآكامٌ [لسان العرب (١٢/ ١٧٣)].

(٢) سفر حبقوق: ٣: ١-٦.

(٣) في: (ب): خلقه، والمثبت من: (أ).

(٤) سورة النحل، آية: ٤٤.

(٥) في (ب): فكتب. و المثبت من (أ).

(٦) ومَضَ البرْقُ أي لَمَعَ لمْعًا خفيًّا ولم يَعْتَرِضْ في نَواحي الغَيم قال امرؤ القيس:

أَحَـارِ تَـرى بَـرقًـا أُريـكَ وَميـضَـهُ … كَـلَـمـعِ الـيَـدَيـنِ في حَـبِـيٍّ مُـكَـلَّـلِ

[لسان العرب (٧/ ٢٥٢)]

فـإذا عرفتَ هذا؛ فاعلـمْ أنَّ هذا الكلامَ الذي حكيناه، عـن حبقوق[١] النبي ﷺ ليـس نصًا في أحدٍ من البشـر؛ لكنّه أحـرى أن يكون في محمـدٍ ﷺ، وبيان ذلك بفكِّ رموزه، وفتح مقفل كنوزه، وتطبيق تنزيله بتأويله.

بشارة حبقوق عليه السلام بالنبي ﷺ

فنقول وبالله العصمةُ: قوله: يا ربِّ أظهر أعمالك، في سـنين الحياة؛ لِتُعرفَ في هذه السنين.

أقول: المرادُ بسنين الحياة سنون[٢] الحياة الدنيا؛ لأنهَّا مُدةُ الحياة الفانية، ومن المعلوم أنَّ للعالـم حياتين: فانيةً، وباقيةً.

فالحياة الدنيا، هي: الفانية، وهي المشار إليها بقوله: لتُعرفَ في هذه السنين، فهي إشـارةٌ عهديةٌ، أي: لتعرف في سنين الحياة، وذلك أنَّ[٣] فائدةَ إيجاد الخلق، وإرسالِ الرُّسُل: تعريفُ الله نفسَه لخلقِه، ودعاؤهم[٤] إلى عبادته وتوحيده.

ما صحة هذا الحديث؟!

ولهـذا ورد في بعـض الآثـار، حكايـةً عن الله سـبحانه أنـه قال: (كنـت كنزًا لا أُعْـرفُ، فخلقـتُ خلقًـا؛ لأُعـرفَ)[٥]. فهـذا في الحقيقـة شـفقةٌ مـن النبـيِّ حبقـوق[٦] علـى خلق الله، الآتين بعـده، ليَعرفُوا اللهَ؛ فيفوزوا بالسـعادة، وحذرًا منه عليهم، أنْ يجهلوه ويكفروا به؛ فيقعوا في الشقاوة.

وقولـه: وأْذكر رحمتك أيامَ الغضب. معناه: أنَّ الله سـبحانه إذا غضب على قومٍ أخفى عنهم رُشْـدَهُمْ من معرفتـه وغيرها، فيضلوا؛ فيهلكهـم بضلالهم، كما قال في القرآن الكريم:

---

(١) في: (أ): حيقوق، وهو خطأ، والصواب من (ب).

(٢) في (ب): سنين.

(٣) في: (ب): لأن، والتصويب من (أ).

(٤) في: (ب): دعائهم، والتصويب من (أ).

(٥) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه تعليقًا على هذا القول: (عندما سئل ومما يروونه أيضًا: «كنت كنزًا لا أعرف فأحببت أن أعرف فخلقت خلقًا فعرفتهم بي فعرفوني»). فأجاب: هذا ليس من كلام النبي ﷺ ولا يُعرف له إسنادٌ صحيحٌ ولا ضعيفٌ [مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية (١٨/ ٣٧٦) جمع بن قاسم].

(٦) في: (أ): حيقوق، وهو خطأ، والصواب من (ب).

فيضلـوا؛ فيهلكهم بضلالهـم، كما قال في القـرآن الكريم: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [سـورة الإسـراء: ١٦]، أي: أمرناهـم بالطاعة، ثم قضينا عليهم بالفسـق، ثـم دمَّرناهم بفسـقهم، وهذا على رأي المعترفين بالقدر، وهو الصواب(١).

فالنبـيُّ حبقـوق(٢) عَلَيْهِ السَّلام دعـا [٨٢/ ب] الله سـبحانه أنْ لا يسـتغرقَ خلقَـه بالغضـب؛ بل إذا غضب على قـومٍ في زمنٍ؛ تدارك آخرين، بأنْ يذكر رحمته [٧٧/ أ] فيتغمَّدهم بها.

وكذلك كان الأمر، فإنَّ الله سـبحانه وتعالى(٣) لـمَّا غَضِب على أهلِ الفترة، بين عيسـى ومحمدٍ، تدارك من بعدهم بمحمدٍ ﷺ، فأرشـدهم إلى الحقِّ، وصدَّهم عن الباطل، كما قال سبحانه فيما يؤثر عنه: سبقت رحمتي غضبي(٤).

---

(١) في تفسيرها ثلاثة أقوال: أحدها: انه من الأمر وفي الكلام اضمار تقديره امرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا هذا مذهب سـعيد بن جبير قال الزجاج ومثله في الكلام امرتك فعصيتني فقد علم ان المعصية مخالفة الأمر. والثاني: كثرنا يقـال أمرت الشـيء وآمرتـه أي كثرته ومنه قولهم مهرة مأمـورة أي كثيرة النتاج يقال أمر بنـو فلان يأمرون أمرا اذا كثـروا، هـذا قول أبـي عبيدة وابن قتيبـة. والثالث: أن معنى أمرنـا: أمرنا يقال: أمرت الرجـل بمعنى أمرته، والمعنى: سلطنا مترفيها بالإمارة.. وروى خارجة عن نافع أمرنا ممدودة مثل آمنا وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابن كثير وهي قراءة ابن عباس وأبي الدرداء وأبي رزين والحسـن والضحاك ويعقوب، قال ابن قتيبة: وهي اللغة العالية المشـهورة، ومعناه كثرنا أيضًا، وروى ابن مجاهد أن أبا عمرو قرأ أمَّرنا مشـددة الميم وهي رواية أبـان عن عاصم وهي قـراءة أبي العالية والنخعي والجحدري، قال ابن قتيبـة: المعنى جعلناهم أمراء. وقرأ ابو المتوكل وأبو الجوزاء وابن يعمر أمرنا بفتح الهمزة مكسورة الميم مخففة فأما المترفون فهـم المتنعمون الذين قد أبطرتهم النعمة وسـعة العيش والمفسرون يقولون هم الجبارون والمسلطون والملوك وانما خص المترفين بالذكر لأنهم الرؤساء ومن عداهم تبع لهم. [زاد المسير في علم التفسير (٥/ ١٨-١٩) للإمام: عبد الرحمن بن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ المكتب الإسلامي - بيروت]

(٢) في: (أ): حيقوق، وهو خطأ، والصواب من (ب).

(٣) ليست في(ب).

(٤) الحديث متفـق عليه، وله طـرق. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله ﷺ: (لما قضـى الله الخلق - وفي رواية مسلم عن قتيبة - لما خلق الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي) وفي رواية البخاري (غلبت غضبي). وأخرجه البخاري من حديث شـعيب بن أبي حمزة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبـي ﷺ قـال: (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشـه إن رحمتي سـبقت غضبـي). ومن حديث مالك=

وكما قال في القرآن المُقدَّس: ﴿ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وقوله: لأن الله أتانا من التيمن، حيث ظهر لنا، أي: أتانا أمرُه، وبركتُه، وهداهُ، على لسانِ رُسُلِه، وهو إشارةٌ إلى (.................)[2].

قوله: واستعلن لنا من جبال فاران، أي ظهر لنا؛ لأنَّ الاستعلانَ الظهورُ، وهو ضدَّ السرِّ، أي: استعلن لنا أمرهُ، وحكمُه، وبركتُه.

وجبال فاران: جبال مكة والحجاز[3]، فيما يتعارفُه الناسُ، وهذه اللفظةُ محكيةٌ عن التوراة[4]، ولم يظهر ما يصلحُ أن يكون أمرًا، وبركةً من الله، وناموسًا من نواميسه؛ إلاَّ دين محمدٍ ﷺ.

قوله: وتغشت السماءُ من شعاع المحمود، وامتلأتِ الأرضُ من محامده، فيه إشارتان ظاهرتان في المقصود: أحدهما: الإشارةُ إلى اشتهار محمدٍ في

= عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (لما قضى الله الخلق كتب عنده) وذكر نحوه. ومن حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (لما خلق الله الخلق كتب في كتاب كتبه على نفسه فهو موضوع عنده على العرش إن رحمتي تغلب غضبي). ومن حديث أبي رافع الصائغ عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه بمعناه. وفي رواية أخرى عن أبي رافع عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوبٌ عنده فوق العرش). وأخرجه مسلم مختصرًا من حديث سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: (قال الله ٥ سبقت رحمتي غضبي) ومن حديث عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه - فهو موضوعٌ عنده إن رحمتي تغلب غضبي). [الجمع بين الصحيحين (٣/ ٩٦) رقم (٢٣٤٦)].

(١) سورة الأنبياء آية: ٧١.

(٢) للأسف الشديد هناك بياضٌ بمقدار سطر تقريبًا، من هذا الموضع إلى قوله: وقوله. في كلا النسختين (أ و ب).

(٣) الحِجاز البلد المعروف سميت بذلك من الحَجْز الفصل بين الشيئين لأنه فصل بين الغَوْر والشام والبادية وقيل لأنه حَجَز بين نَجْدٍ والسَّراة وقيل لأنه حَجَز بين تِهامة ونجد وقيل سميت بذلك لأنها حَجَزَتْ بين نَجْد والغَوْر وقال الأصمعي لأنها احْتُجِزَتْ بالحِرار الخمس منها حَرَّة بني سُلَيْم وحَرَّة واقِمٍ قال الأزهري سمي حِجازًا لأن الحِرَارَ حَجَزَتْ بينه وبين عالية نجد[معجم البلدان (٢/ ٢١٩) ولسان العرب (٥/ ٣٣١)].

(٤) وردت هذه اللفظة: (فاران) في عدة مواضع، على سبيل المثال: في التوراة: سفر التكوين: ٢١: ٢١ وسفر التثنية ٣٣: ٢. وسفر العدد: ٢٠: ١٠. و١٢: ١٦. و ١٣: ٣. و١٣: ٢٦. في كتب التاريخ: سفر الملوك الأول: ١١: ١٨. وسفر صموئيل الأول: ٢٥: ١.

السماء ليلة المعراج[١]، أو إلى حراسة السَّماء بالشُّهب[٢]؛ لأجل مبعثه، فإنه يُقال: لم تُحرس السماءُ بالشهب إلاَّ لمبعثه، وما كان منها قبله؛ فهو بزمنٍ يسيرٍ، على جهة الإنذار بمبعثه.

ويقال: إنَّ الشياطين كانت تخترق السموات السبعَ حتى بُعث المسيحُ عليه السلام،

---

(١) ذكر الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وفي الحديث المتفق عليه، رويالبخاري: عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان أبو ذر يحدث: أن رسول الله ﷺ قال (فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلىء حكمة وإيمانا فأفرغه في صدري ثم أطبقه ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء الدنيا فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء افتح قال من هذا؟ قال هذا جبريل قال هل معك أحد؟ قال نعم معي محمد ﷺ فقال أرسل إليه؟ قال نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسودة وعلى يساره أسودة إذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل يساره بكى فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت لجبريل من هذا؟ قال هذا آدم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح (فقال له خازنها مثل ما قال الأول ففتح). قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وإدريس وموسى وعيسى وإبراهيم صلوات الله عليهم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال أنس فلما مر جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح. (فقلت من هذا؟ قال هذا إدريس ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا؟ قال هذا موسى ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح قلت من هذا؟ قال هذا عيسى ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قلت من هذا؟ قال هذا إبراهيم ﷺ).
قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري كانا يقولان قال النبي ﷺ: (ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام). قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبي ﷺ: (ففرض الله على أمتي خمسين صلاة فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال ما فرض الله لك على أمتك؟ قلت فرض خمسين صلاة قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعني فوضع شطرها فرجعت إلى موسى قلت وضع شطرها فقال راجع ربك فإن أمتك لا تطيق فراجعت فوضع شطرها فرجعت إليه فقال ارجع إلى ربك فإن أمتك لا تطيق ذلك فراجعته فقال هي خمس وهي خمسون لا يبدل القول لدي فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت استحييت من ربي ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدري ما هي ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك). [صحيح البخاري كتاب الصلاة، باب: كيف فرضت الصلاة في الإسراء (٣٤٢)، وأخرجه مسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ رقم (١٦٣). الجمع بين الصحيحين (١/ ١٤٩) حديث (٣٥٥)].

(٢) عن حراسة السماء من الشهب قال الله تعالى؛ حكايةً عن الجن: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٩].

فمُنعت من ثلاث سمواتٍ، فلما بعُث محمدٌ ﷺ[١] مُنعت من الباقي[٢].

جبال فاران الوادرة في كتب الأولين هي: جبال مكة والحجاز

قلت[٣]: ولعل هذا هو كان السببَ في كثرة الكهّان في الدهر الأول؛ لأنَّ مادتَهم استراقُ الشياطينِ السمعَ، وقد كانوا مفوَّضين في عالم الملكوت، فلمَّا حُجِبوا قلَّتْ مادةُ الكُهَّان؛ بل عُدمت، فلهذا قال محمدٌ ﷺ: (انقطعت الكهانة)[٤]، فحراسةُ السَّماء بالشهب هي تغشيها من شعاع المحمود المذكور هاهنا.

وأمَّا امتلاءُ الأرض من محامدِه فظاهرٌ؛ فإنَّ أهلَ الشرق والغرب، والسَّهل والجبل، يثنون عليه، إمَّا مع المتابعة كالمسلمين أو مع عدم المتابعة [٧٨/ أ] كالفلاسفة، وأصحاب الملل؛ فإنَّ أحدًا [٨٣/ ب] منهم لا يَشُكُّ في حِكمته، وعلوِّ هِمَّتِه، وحُسنِ سياستِه للنَّاموس وإقامته.

الإشارة الثانية: قولُه: من شُعاع المحمود، وقوله: من محامده؛ فإنَّ هذين لفظان

---

(١) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من (أ).

(٢) انظر القرطبي وكتب التفاسير مهم.

(٣) قلت، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٤) رواه البخاري رحمه الله في (خلق أفعال العباد): حدثنا عمرو بن زرارة، ثنا زياد، عن محمد بن إسحاق، حدثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري، عن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، عن عبد الله بن عباس عن نفر من الأنصار أن رسول الله ﷺ قال لهم: «ما كنتم تقولون في هذا النجم الذي يرمى به؟ قالوا: كنا يا رسول الله إنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك، ولد مولود، مات مولود، قال رسول الله ﷺ: ليس ذلك كذلك ولكن الله إذا قضى في خلقه أمرا يسمعه أهل العرش فيسبحوا فيسبحوا من تحتهم بتسبيحهم فيسبح من تحت ذلك، فلم يزل التسبيح يهبط حتى ينتهي إلى السماء الدنيا، ثم يقول بعضهم لبعض: لم سبحتم؟ فيقولون: سبح من فوقنا فسبحنا بتسبيحهم، فيقولون: أفلا تسألون من فوقكم لم سبحوا فيسألونهم فيقولون: قضى الله في خلقه كذا وكذا، الأمر الذي كان فيهبط به الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى السماء الدنيا فيتحدثون فيتحدث به فيسترقه الشياطين بالسمع على توهم منهم واختلاف، ثم يأتون به إلى الكهان من أهل الأرض فيحدثونهم فيخطئون ويصيبون، فيحدث به الكهان، ثم إن الله ٥ حجب الشياطين عن السماء بهذه النجوم وانقطعت الكهنة اليوم فلا كهانة». [خلق أفعال العباد(١٠٠) البخاري، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار المعارف السعودية - الرياض] و قال ابن حجر رحمه الله: قال القرطبي: «كانوا في الجاهلية يترافعون إلى الكهان في الوقائع والأحكام ويرجعون إلى أقوالهم وقد انقطعت الكهانة بالبعثة المحمدية لكن بقي في الوجود من يتشبه بهم وثبت النهي عن إتيانهم فلا يحل اتيانهم ولا تصديقهم». أ. هـ [فتح الباري(١٠/ ٢١٩)].

مشتقان من مادة اسم محمدٍ وأحمد[١] وهما اسما نبيّنا ﷺ، وهو[٢] إشارةٌ إلى أنَّه المرادُ من هذه الصِّفات، ولهذا يقول حسان بن ثابت[٣] في مدحه:

.... فذو العرش محمودٌ، وهذا محمدُ[٤]

وقوله: لأنَّ شعاعَه يصير نورًا، أي: ينتشِرُ ويكثرُ، ويعلو ويظهر، وكذلك كان دينُهُ عليه السلام خفيًا، ثم ظهر حتى ملأ الوجودَ.

وقوله: ويصير عِزُّهُ في قريته، وتظهر قوَّتُه في رحبتها.

قلت[٥]: قريتُه هي: مدينة يثرب[٦]، وفيها ظهر عِزّه، وقوَّتُه، ومنها أنصارُه وفيها كمُل الوحي والدين[٧]، وتمَّت النِّعمةُ الإلٰهيةُ، على أهل دين الحنيفية، كما قال سبحانه في القرآن الكريم ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[٨].

وقوله: الموتُ يسير إمَامَه، هذه صفة ﷺ[٩] في غزواته؛ فإنَّ كتائبَ المهاجرين والأنصار، ومن انضم إليهم من مُسلِمَة البادية، كانوا يقدِّمونه، وفيهم الموتُ العاجل

---

(١) أحمد، ليست في: (ب)، والمثبت من (أ).

(٢) هو، ليست في: (ب)، والمثبت من (أ).

(٣) حسان بن ثابت الخزرجي: شاعر الرسول ﷺ، يكنى أبا الوليد وأبا عبد الرحمن وأبا الحسام لمناضلته عن رسول الله ﷺ ولتقطيعه اعراض المشركين، ولد في المدينة قبل مولد الرسول ﷺ بنحو ثماني سنين، عاش في الجاهلية ستين سنة، وفي الإسلام ستين أخرى، و من حديث البراء بن عازب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحسان بن ثابت: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك. وهو في الصحيحين. البخاري برقم ٣٢١٣ و ٤١٢٣ و٤١٢٤ و٦١٥٣ وفي صحيح مسلم ص ١٩٣٣.[انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، رقم الترجمة ١٧٠٦، الاستيعاب (١/ ١٠٠-١٠١)].

(٤) والبيت في [ديوان حسان ﷺ(٨٢) شرح الدكتور: يوسف عيد، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ دار الجيل].

(٥) قلت، ليست في(ب) والمثبت من (أ).

(٦) يثرب: يثرب بفتح أوله وسكون ثانيه وكسر الراء وباء موحدة قال أبو القاسم الزجاجي يثرب مدينة رسول الله ﷺ سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن قانية، فلما نزلها رسول الله ﷺ سماها طيبة وطابة؛ كراهية للتثريب وسميت مدينة الرسول لنزوله بها. [معجم البلدان (٥/ ٤٣٠)].

(٧) الدين، ليست في(أ).

(٨) سورة المائدة: آية: ٣.

(٩) في (أ): صلى الله عليه، وفي (ب): عليه السلام. والمثبت أولى.

لمن له يُباري ويُساجلُ، ويبطئ بالإجابة، ولا يعاجل. وفيه أيضًا إشارةٌ إلى قوله ﷺ: (نُصِرتُ بالرُّعبِ مسيرةَ شَهرٍ)(١) أي: كان يرعب منه مَنْ بينه وبينَه مسيرةُ شهرٍ، فكان الرُّعْبُ من جنده يسير أمَامه، والرُّعبُ من أسباب الموت.

وقوله: ويجتمع الطير لوطء قدميه. أي: يتبعُهُ حيثُ سار؛ لتأكُلَ من لحوم القتلى في المعارك، وهذا معنى قول الشاعر(٢):

قد عوَّدَ الطَّيرَ عاداتٍ وثَقْنَ بِها ... فهُنَّ يتبعْنَه في كلِّ مُرتَحلِ

وقول الآخر(٣):

وترى الطَّيْرَ على آثارِنا ... رأيَ عينٍ ثِقةً أنْ ستُمارُ

وقول النابغة(٤):

إذا ما سَرى بالجيْشِ حلَّقَ فوقَه ... عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ

---

(١) (صحيح) رواه البخاري، برقم (٤٣٨): كتاب الصلاة، ورواه مسلم: المساجد، برقم (١١٩١). من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٢) سليمان بن مسلم بن الوليد الشاعر الضرير، وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني الشاعر المشهور، كان كأبيه شاعرًا مجيدًا وكان ملازمًا لبشار بن بردٍ يأخذ عنه، ولذا كان متهمًا دينه: مات سنة (١٩٩) هـ. [معجم الأدباء (١/ ٤٨٦) ياقوت الحموي].

(٣) الأفوه: لقب واسمه: صلاءة بن عمرو بن مالك، وفي ذلك يقول الأفوه: (أبي فارسُ الشوهاء عمرو بن مالكٍ... غداة الوغى إذ مال بالجد عاثِر) كان الأفوه من كبار الشعراء القدماء في الجاهلية وكان سيد قومه وقائدهم في حروبهم وكانوا يصدرون عن رأيه والعرب تعده من حكمائها وتعد داليته: (معاشر ما بنوا مجدًا لقومهُم... وإن بنى غيرُهم ما أفسدوا عادوا) [الأغاني (١٢/ ١٩٨) لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، ط٢، دار الفكر - بيروت].

(٤) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني، شاعر جاهلي، من أهل الحجاز. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء فتعرض عليه أشعارها. وكان الأعشى وحسان والخنساء ممن يعرض شعره على النابغة. وكان أبو عمرو ابن العلاء يفضله على سائر الشعراء. وهو أحد الأشراف في الجاهلية. وكان حظيًا عند النعمان بن المنذر، حتى شبب في قصيدة له بالمتجردة (زوجة النعمان) فغضب النعمان، ففر النابغة ووفد على الغسانيين بالشام، وغاب زمنا. ثم رضي عنه النعمان، فعاد إليه. شعره كثير، جمع بعضه في ديوان صغير. وكان أحسن شعراء العرب ديباجة، لا تكلف في شعره ولاحشو. وعاش عمرًا طويلًا. [الأعلام (٥/ ٤٤-٤٥)]. وأبياته في: [المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر (٢/ ٣٨٣) ضياء الدين الموصلي، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٩٩٥م، المكتبة العصرية - بيروت، وتاريخ بغداد (١٤/ ٣٣٥)].

حوائم[١] قد أيقنَ أنَّ قبيلَه[٢] إذا ما التقى الجمعانُ أولُ غالبِ

ولا نعلمُ أحدًا ممن استعلن بأمر الله كان على هذه الصفة؛ إلاَّ محمدًا، عليه أفضلُ الصلاة والسلام؛ لأنَّ الأنبياء على قسمين: أحدهما: من لم يحوجه الله إلى الجهاد ببدنه؛ بل كان ينتقم له بالأمور السماوية؛ كطوفان[٨٤/ ب] نوح[٣]، والرِّيح العقيم لهود[٤]، والصاعقة لصالح[٥].

والثاني: من أحوجه إلى الجهاد البدني؛ كإبراهيم [٧٩/ أ]، وموسى، ويوشع، وسليمان، عليهم السلام[٦]، ولم يشتهر منهم بذلك مثلُ محمدٍ ﷺ[٧]، فإن أشدَّ الأنبياء قبله جهادًا موسى، ويوشع، وداود، ولم يتجاوز جهادهم دائرة الشام. وأمَّا سليمان عليه السلام، فلم يكن جهادُه جهادًا في الحقيقة؛ لأنَّ الجهاد بذلُ الجهد، وسليمان عليه السلام[٨] كان يركب على البساط، ويسير في الهواء، والجنُّ، والشياطينُ تقضي الأشغال، وكان في جهاده أروحَ منه جالسًا في بيته.

فأمَّا محمدٌ ﷺ[٩] فاقتحمت خيلُه على قِلَّة عسكره أقصى اليمن، وأقصى الشام، إلى حدود أرضِ الرُّوم، ووصلت إلى البحرين[١٠]. ثم أصحابُه من بعده بلغوا أقصى

---

(١) في النسختين هكذا، وفي الديوان، (جوانح).

(٢) في: (ب): رعيله، والمثبت من (أ)، وهو موافقٌ لما في الديوان.

(٣) والطوفان مشهور، وقصته في آيات كثيرة، انظر: (العنكبوت: ١٤).

(٤) وأيضًا أخبار إهلاك قوم عاد ذكرت في مواضع كثيرة في القرآن الكريم، (الذاريات: ٤١). (فصلت: ١٥).

(٥) وقد جمع الله ذكر ما أصاب تلك الأمم في قوله تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ لَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شِقَاقِيٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثۡلُ مَآ أَصَابَ قَوۡمَ نُوحٍ أَوۡ قَوۡمَ هُودٍ أَوۡ قَوۡمَ صَٰلِحٖۚ وَمَا قَوۡمُ لُوطٖ مِّنكُم بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٨٩].

(٦) عليه السلام، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٧) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٨) عليه السلام، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٩) في: (ب): عليه السلام، وفي: (أ): صلى الله عليه، والمثبت أولى.

(١٠) البحرين هكذا يتلفظ بها في حال الرفع والنصب والجر ولم يسمع على لفظ المرفوع من أحد منهم إلا أن الزمخشري قد حكى أنه بلفظ التثنية فيقولون هذه البحران. لما كانت سنة ثمان للهجرة وجه رسول الله ﷺ العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي حليف بني عبد شمس إلى البحرين ليدعو أهلها إلى الإسلام أو إلى الجزية وكتب معه إلى المنذر بن ساوي وإلى سيبخت مرزبان هجر يدعوهما إلى الإسلام أو إلى الجزية =

خراسان[١]، وأرضَ المغرب، وفتحوا قسطنطينية، وكثيرًا من بلاد[٢] الروم، ولهذا[٣] كان ﷺ يُسمَّى في الكتب القديمة[٤]: نبيِّ الملاحم[٥]، أي: الوقائع والغزوات.

وقوله: قام فمسح[٦] الأرض، أي: سار فيها، كما بينًّا، ونظر بغضبه، يعني: لله[٧] سبحانه، ولتوحيده، فاجتمعت نحوه[٨] الشعوب، يعني: شعوب العرب على الإسلام.

وقوله[٩]: وتفرَّغت الجبال، يعني: من العرب؛ لأنَّهم كانوا يسكنون الجبال في الجاهلية، فلمَّا جاء الإسلامُ تركوها، ودخلوا القرى لأَجل الجِهاد؛ لتجتمع كلمتُهم.

= فأسلما وأسلم معهما جميع العرب هناك وبعض العجم. [معجم البلدان (١/ ٣٤٦-٣٤٨)]. قلت: وهجر المذكورة هي منطقة الأحساء اليوم. أما البحرين اليوم دولة (معروفة) ملكية مستقلة، وهي جزيرة في الخليج العربي ولا تندرج تحت الاسم القديم، وكانت تسمى فيما مضى - كما حدثني بعض أهلها - دلمون.

(١) خراسان: بلاد واسعة.. آخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، وليس ذلك منها، إنما هو أطراف حدودها وتشتمل على أمهات من البلاد منها نيسابور وهراة ومرو، وهي كانت قصبتها وبلخ وطالقان ونسا وأبيورد وسرخس، وما يتخلل ذلك من المدن التي دون نهر جيحون، وقد فتحت أكثر هذه البلاد عنوة وصلحًا، وذلك في سنة ١٣ في أيام عثمان رضي الله عنه بإمارة عبد الله بن عامر بن كريز، والنسبة إليها، يقال: الخراسي والخراساني ويجمع على الخراسين. [معجم البلدان (٢/ ٣٥١)].

(٢) في: (ب): تخوم، والمثبت من: (أ).

(٣) ولهذا، تكررت في: (أ).

(٤) في الكتب القديمة، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٥) في مسند أحمد، برقم: (٢٢٣٤٨). قَالَ حُذَيْفَةُ رضي الله عنه: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي فِي طَرِيقِ الْمَدِينَةِ، قَالَ: إِذَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْشِي فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: (أَنَا مُحَمَّدٌ وَأَنَا أَحْمَدُ وَنَبِيُّ الرَّحْمَةِ وَنَبِيُّ التَّوْبَةِ وَالْحَاشِرُ وَالْمُقَفَّى وَنَبِيُّ الْمَلَاحِمِ). قال النووي رحمه الله: (.. وفي حديث آخر: (نبي الملاحم)؛ لأنه ﷺ بُعث بالقتال، قال العلماء: وإنما اقتصر على هذه الأسماء مع أن له ﷺ أسماء غيرها كما سبق؛ لأنها موجودة في الكتب المتقدمة وموجودة للأمم السالفة). [شرح النووي على مسلم (١٥ / ١٠٦) (باب: في أسمائه ﷺ) وانظر: موسوعة نضرة النعيم (١/ ١٩٤)].

(٦) في (أ): يمسح والمثبت من: (ب).

(٧) في (أ): الله، والصواب من: (ب).

(٨) في: (أ): إليه، والمثبت من: (ب).

(٩) قوله، ليست في (ب)،، المثبت من(أ).

وقوله: و اتَّضعَت الآكامُ، التي لم تزل ثابتة مُذ قديم، إشارةٌ إلى أحد أمورٍ:

إمَّا: إلى وطء خيله جبالَ العرب وحصون غيرهم، حتى ذلّت واتَّضَعَتْ له، وانقادتْ لحكمه، أو إلى قهر جبابرة الكُفَّار، من العرب[١] وغيرهم. وكنيَّ عنهم بالآكام؛ لجامع صعوبة المُرتقى، ووعورة المسالك[٢]، أو إلى رفض الجبروت والتكَبُّر، والتَّفاخُر بالأحساب، الذي كان يفعلُه أهلُ الجاهلية، بقوله عليه السلام: (**كلُّكُم من آدم، وآدمُ من تراب**)[٣]، ونحوه. وقوله: (**كلُّ مأثرةٍ كانت في الجاهلية، فهي تحت قدمي هذا**)[٤]، ونحو[٥] ذلك.

وقوله: لأنَّ الشيءَ القديمَ هو له، أي: هذا الناموسُ كان مذخورًا[٦] له في القِدم،

---

(١) من العرب، ليست موجودة: (أ) وهناك خطٌ بعد كلمة: الكفار، يشير إلى وجودها في الهامش ولم أجدها في النسخة التي بين يدي، وما أثبتُّه من: (ب).

(٢) في (أ): وعور المسلك.

(٣) الحديث: في مسند الإمام أحمد بن حنبل برقم: (٨٧٢١) (ج ٢ ص ٣٦١) وحسَّن إسناده الأرنؤوط. وفي سنن أبي داود برقم: (٥١١٦)(ج ٤ ص ٣٣١). سنن الترمذي برقم: (٣٢٧٠)(ج ٥ ص ٣٨٩)وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٠٠). سنن الترمذي برقم: (٣٩٥٥) (ج ٥ ص ٧٣٤) وحسنه الألباني. سنن البيهقي الكبرى حديث برقم: (٢٠٨٥١) (ج ١٠ ص ٢٣٢). وحسنه الألباني في الصحيحة بلفظ: (الناس ولد آدم وآدم من تراب) (٣/ ٨) برقم: (١٠٠٩). وحسنه الألباني (٣/ ٦٢)برقم (٤٨٩٩) في تحقيقه مشكاة المصابيح، للإمام: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.

(٤) رواه مسلم (٤/ ٣٩) برقم (٣٠٠٩) بنحو هذا اللفظ: (أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ). وفي مسند أحمد (٢/ ٣٦) برقم (٤٩٢٦) بهذا اللفظ: عن ابن ربيعة قال: (سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على درج الكعبة:... ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية فإنها تحت قدمي اليوم إلا ما كان من سدانة البيت) قال الشيخ: شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف. وفي مشكاة المصابيح (٢/ ٧٤): قال الألباني: (صحيح) (برقم ٢٥٥٥) بلفظ: عن جابر بن عبد الله ﷺ: (...فخطب الناس وقال: «.. ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ودماء الجاهلية موضوعة ...) وفي مسند الطيالسي (١ / ٢٩٩) برقم (٢٢٧٠) عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ لما فتح مكة قال: (... ألا إن كل مأثرة تعد ودم مال تحت قدمي هاتين إلاَّ السدانة والسقاية). وفي سنن أبي داود، كتاب الديات، باب: دية الخطأ شبه العمد برقم (٣٩٧٣).

(٥) في: (ب): ونحوه، والمثبت من: (أ).

(٦) في: (ب): مذحورًا، والمثبت من: (أ).

حتى[(١)] يأتي[(٢)] فيقيمه.

واعلم: أنَّ من أنصفَ، وقصدَ الحقَّ؛ رأى تفسيرَنا لهذا الكلام صحيحًا، مستقيمًا، حقًّا، لا تشوبُه عِلَّةٌ، ورأى أنَّ[(٣)] محمدًا ﷺ[(٤)] أحقُّ الخلقِ[(٥)] بهذه الأوصاف، واعتقدَ أنَّ هذه علاماتٌ له، في كتب الأنبياء الأوائل، والله أعلم [٨٠/ أ].

* * *

(١) حتى، ليست في (ب).

(٢) في: (ب): ليأتي، والمثبت من: (أ).

(٣) أنّ، ليست في: (ب)،، المثبت من(أ).

(٤) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٥) الخلق، ليست في(ب)، والمثبت من: (أ).

التعليق من كتاب: ملاخي[1] النبي عليه السلام

وذكر في كتاب: ملاخي[2] النبي عليه السلام، حكايةً عن الرَّبِّ سبحانه [٨٥/ ب]، أنَّه قال لبني إسرائيل:

(قد تعلمون أنَّ الابنَ يُكرمُ أباه، والعبدُ مولاه، فإنْ كنتُ لكم أبًا؛ فكيف لا تُكرموني؟!، وإنْ كنتُ لكم مولى؛ فكيف لا تهابوني؟!)[3].

قلت: فهذا يدلُّ على أنَّ الله سبحانه يستعملُ لفظَ الأُبُوَّةِ، والبُنُوَّةِ، بينه وبين خَلقه، على جهةِ المجازِ، وضربِ المثلِ، فلا يكونُ في استعمالها بينَه وبينَ المسيح دلالةٌ على أمرٍ أخصّ من العبوديةِ.

* * *

(١) في هامش: (أ) الأيمن: مطلب في ذكر كتاب مالاخي النبي. وفي هامش (ب) الأيسر: مالاخي. و:ملاخي، هو الموافق لما في العهد القديم من سفر: ملاخي.

(٢) ملاخي: ملاخي: اسم عبري معناه: رسولي، وهو آخر الأنبياء في العهد القديم، ودعي الختم؛ لأن نبواته كانت ختامًا لذلك العهد، ولا يعرف عنه إلا ما هو مدون في سفره. وقد زعم بعضهم ان الاسم ((ملاخي)) هو لقب لاسم كاتب آخر كعزرا مثلًا ولكن لا يوجد شيء يدعم هذا الزعم بصورة واضحة، وقد يكون هذا لقبًا لأحد الأنبياء المجهولين على كل فما نظنه هو أن الكاتب كان نبيًا مستقلًا بذاته اسمه ملاخي... حين كتب هذا السفر لم يكن لليهود أي ملك بل كان يحكمهم حاكم أو وال معين على الارجح من قبل الملك الفارسي. ونستنتج أن ملاخي قد جاء بعد كلٍ من حجي وزكريا وقد يكون أن هذه الأسفار الأخيرة قد جاءت بترتيب تاريخي على الارجح. وعاش بعد السبي وبعد حجي وزكريا وبعد تتميم بناء الهيكل ويظن أنه كان معاصرًا لنحميا سنة ٤٣٣ ق. م [قاموس الكتاب المقدس (٩١٣-٩١٤)].

(٣) سفر ملاخي: ١: ٦.

التعليق من نبوة: أرميا بن حالقيا، النبي عليه السلام

ومن التعليق على[١] نبوة أرميا[٢] بن حالقيا النبي ﷺ حكايةً عن الرَّبِّ سبحانه، يوبِّخ بني إسرائيل على عبادة الأصنام، قال: (**لأنَّهم قالوا للخشبة: أنتِ أبونا!، وقالوا للحجر: أنتَ ولدتنا!**)[٣].

قلت: ومن المعلوم أنَّ أحدًا ممن عَبد الأصنامَ ونحوها، لم يعتقد أنَّها ولدته، ولا أنَّها أبوه، وإنَّما هذا توبيخٌ لهم؛ حيث نسبوا إلى الأصنام؛ ما أنعم اللهُ به عليهم، كأنَّه قال: أنا أبوكم، وأنا ولدتكم، وأنتم تكفرون نعمتي، وتضيفون ذلك إلى الأصنام.

فهذا يدلُّ على نسبة الله خلقَهُ إلى نفسه بالأُبُوَّة، والولادة؛ إنَّما هو: كنايةٌ عن الرُّبوبية والخَلق، أي: أنا ربُّكم، وأنا خلقتكم، وكذلك الأمر في حق عيسى عليه السلام.

ومنه، قوله في الإصحاح الخامس، حكايةً عن الربِّ سبحانه، أنَّه قال موبخًا لبني إسرائيل: (**أمَا ترى ما يصنعون في قرى يهوذا، وأسواق أورشليم، إنَّ الأبناءَ يلتقطون حطبًا، والآباء يؤجِّجون نارًا، والنِّساء يعجنَّ العجين؛ ليعملن قرابين لنجوم السماء، ويكثرون المرور للآلهة الأخرى؛ ليسخطوني، وإنَّما يُسخطون أنفسهم، ويُخزون وجوههم**)[٤].

قال بعض مفسّري هذا الكلام: كانت قرابينُهم هذه شبهَ خشكنانج[٥]، يتخذونها من سميذٍ[٦] معجونٍ بالدهن والسكر؛ للنَّجم الذي يُسمَّى الزُّهرة[٧].

---

(١) في (ب): من.

(٢) إرْميا: بن حالقيا من سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام. ومعناه: الرب يؤسس، أو: الرب يثبّت، النبي العظيم. وهو ابن حالقيا الكاهن من عناثوث في أرض بنيامين [قصص الأنبياء(٤٨٦)].

(٣) سفر أرميا: ٢: ٢٧.

(٤) سفر أرميا: ٧: ١٧-١٩.

(٥) خبزٌ فارسيٌ معرب. انظر: [لسان العرب (١/ ٤٨١)].

(٦) السيمذ: السَّمِيد، وهو الحُوَّارى من الدَّقيق سُمِّيَ به لأنَّه يُنَقَّى من لُباب البرِّ [تاج العروس (٢٧٣١). القاموس المحيط (٤٢٦)]

(٧) والزُّهَـرَةُ بفتح الهاء هذا الكوكب الأبيض قال الشاعر قد وَكَّلَتْني طَلَّتِي بالسَّمْسَرَه وأيْقَظَتْنِي لطُلُوعِ الزُّهَرَه. [لسان العرب (٤/ ٣٣١)].

قلـتُ: فهذا يدلُّ علـى أنَّ ما يتعاناه بعض الناس، من خِدمة الكواكب، والتقرُّبِ إليها كُفْرٌ، وأنه مُسخِطٌ للربِّ سبحانه.

وقد صنَّفَ فخرُ الدين الرَّازي، كتابًا سـمَّاه: «السِّرُّ المكتوم في استخدام أرواح النجوم[1]» في هذا المعنى، وفيه الكفرُ الصُّراح!، والشِّركُ البَوَاح![2]، يَعرفُ ذلك من نظر فيه، وحكى في أوله حكاياتٍ، تتضمَّنُ مساعدةَ الرَّوحانيات لخُدَّام الكواكبِ على مـا يريدون؛ ترغيبًا في ذلـك، وهو إمَّا كذبٌ، أو أنَّ ذلـك في الحقيقة [٨١/ أ] مضافٌ بالاستقلال إلى قـدرة الله[3]، لا إلى الرَّوحَانيات؛ لكنَّه وافقَ تلـك الخدمة؛ فَظُنَّ أنه من تأثيرها لأَجلها.

ومنه: قولُ الربِّ سبحانه، في آخر هذا الإصحاح: **(لا يفتخر [٨٦/ ب] الحكيمُ بحكمتـه، ولا يفتخرُ الجبارُ بجبروتـه، ولا يفتخرُ الغنيُّ بغناه؛ ولكنْ يفتخرُ الذي يفتخـرُ بهـذا؛ إذا علم وفهـم أنِّي أنا الربُّ، الـذي يُظهر العـدلَ والبرَّ في الأرض، وبهذا أُسرُّ)[4].**

نقد كتاب السر المكتوم للرازي

قلت: حاصِلُه أنَّ الذي يُرضي اللهَ من عبده معرفتُه وتوحيدُه، وإعطاؤه في الإلهية حقَّه، لا الحكمةُ والجبروتُ والغنى؛ لأنَّ الأوَّلَ: أكبرُ عباداتِه، والثاني: مزاحمةٌ له في صفاتِ ذاتِه.

والسَّـيِّدُ إنمَّـا يرضـى من عبـده بالخدمـة لا بالمزاحمة، ولهذا سـبق العارفون العاملون العالَـمِين[5]. والمقابلةُ هاهنا إنَّما هي بين العارف المجرَّدِ، والعالِمِ المجرَّدِ عن تلك المعرفة الخاصة؛ إذ لابُدَّ لهذا العالِـم من معرفةٍ يحصُل بها التوحيدُ، أمَّا من كان عارفًا عالِـمًا؛ فهو سابقٌ لمن لم يتَّصِفْ إلاَّ بإحدى الصِّفَتين. والله أعلم.

---

(١) في استخدام أرواح النجوم، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٢) في الهامش الأيمن في (أ) كُتب: مطلبٌ في: بيان كفر ما في السرِّ المكتوم، لفخر الدين الرازي.

(٣) لفظ الجلالة: الله، ليس في (ب) والمثبت من: (أ).

(٤) سفر أرميا: ٩: ٢٣-٢٤.

(٥) والمعنى: أن العارفين بالله تعالى، العاملين بطاعته؛ سبقوا العالمَين إلى الله تعالى.

ثم قال الربُّ سبحانه بعد هذا: (هذه أيامٌ؛ يجيئكم أمرٌ فيها بعقابِ جميعِ الذين يختتنون من أهل مصر، واليهود، والأدمانين[١]، وبني عمون[٢]، والأموابين[٣]، وجميع محلقي الشوارب الذين يسكنون البراري؛ لأنَّ جميع الشعوب غُلْفَتُهُم في مذاكرهم، وجميع بني إسرائيل غُلْفَتُهُم في قلوبهم)[٤].

قلت: هذه شهادةٌ من الربِّ سبحانه، على اليهود والنصارى بالبلادة وضَعف الإدراك، وقلة العقل!، وهذا مما يُستدلُّ به على نُبُوَّة محمدٍ ﷺ[٥]؛ استدلالاً استئناسيًا لا برهانيًا؛ لأنَّ الحقَّ يُعرَفُ تارةً بالبرهان، وتارةً بإطباق الألبَّاءِ عليه، وتارةً بتخلف البُلَداءِ عنه!.

وهؤلاء تحاموا[٦] عن دين محمدٍ ﷺ، وقد شهد اللهُ عليهم بالبلادة، فهم جُدراءُ أنْ يصبوا ببلادتهم الباطلَ، ويخطئوا الحقَّ.

---

(١) الأدُوميُّون: هم نسل عيسو أو آدوم) وقد ذكر الأدوميون في سجلات مصر في عصر الأسرة الثانية عشرة التي حكمت من سنة ٢٠٠٠ إلى سنة ١٧٨٨ ق. م. وقد طرد عيسو ونسله الحوريين من أرض يدوم وسكنوا في موضعهم وكان حكام آدوم، في البداية، أمراء يشبهون رؤساء القبائل أصبحوا فيما بعد، وقبل قيام مملكة اسرائيل، يلقبون بالملوك. [قاموس الكتاب المقدس(٣٩-٤٠)].

(٢) بنو عمون: أنهم نسل بن عمتي، ابن لوط، الذي ولد في مجاورة صوغر، وانتشرت ذريته في الشمال وسكنت جبال جلعاد بين نهري ويبوق. وكانوا على صراع مستمر مع الأموريين إلى الشمال منهم، خاصة على الحدود الشرقية والشمالية. [قاموس الكتاب المقدس(٦٤٠)].

(٣) في: (أ): الأموايين، والصواب من: (ب)، ونص سفر أرميا: (مصر، و يهوذا، و أدوم، و بني عمون، و موآب): وموآب: اسم سامي: لأرض موآب أي ما وقع شرقي البحر الميت، وتسمى ايضًا بلاد موآب، ويقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الاردن اليوم. وكانت منقسمة إلى قسمين:(١)-أرض موآب أي ما وقع شرقي البحر الميت وتسمى ايضًا بلاد موآب.(٢) عربات موآب وهي ما كان في وادي الاردن مقابل أريحا. أما أرض موآب فهي سهل مرتفع علوه فوق سطح البحر نحو ٢٦٠٠ الى ٢٨٠٠ قدم، ويحده غربًا سلسلة من الجبال فجبل المصلوبية وجبل نبا وهي تصلح لرعي المواشي. أما عربات موآب فهي وادي الاردن بين مصب يبوق والبحر الميت. ولم يستح كُتَّاب قاموس الكتاب المقدس أن يصفوه بأنه (بكر ابنة لوط من أبيها) فلعنة الله على المغضوب عليهم والضالين. [قاموس الكتاب المقدس(٩٢٩-٩٢٧)]

(٤) سفر أرميا: ٩: ٢٥-٢٦.

(٥) في (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٦) في (ب) (تخلفوا) والصواب من (أ).

وفي قوله: محلقي الشوارب، ذمٌّ للجوالقيَّة[1]، وغيرِهم ممن يحلِقُ لحيتَه وشاربَه ويُغيِّر خلقَ الله.

ومنه في الإصحاح السابع: قال الربُّ في سياقِ ذمِّ عبدةِ الأصنام: (**أَمَّا الربُّ فخلقَ الأرضَ بقوَّته، وأتقن البلاد بحكمته، ومدَّ الأرض برأيه، وهو الذي يصيِّر صوتَ الرَّعد في الماء في السماء، ويرفع من أقطار الأرض، ويُظهرُ البرقَ، ويُصيِّره للمطر، وهو الذي يُخرجُ الرِّياحَ من خزائنها، قد جَهِدَ [٨٧/ ب][٨٢/ أ] كلُّ الناس، ولم يُبصروا العلم**)[2].

وفي الإصحاح الثاني والثلاثين: ذكر هذا بعينه[3] وقال: (**جَهِدَ[4] كلُّ إنسانٍ عند إدراك علمه**)[5]. قلت: هذا يدلُّ على بطلان ما وجَّه به الحكماءُ، والفلاسفة، تكوُّنَ الحوادث السَّمائية؛ كالرَّعد، والبرقِ، والبَرَدِ، والصَّواعقِ، والمطرِ، والثلج[6]، والصَّقيع، والضَّباب، وغيرِها مما أبدؤوا فيه في كُتُبهم، وأعادوا؛ لأنَّ اللهَ سبحانه أخبر عن هذه الأشياء؛ أنَّه يفعلُها بحكمته، وأنَّ العالمَ اجتهدوا فلم يعلموا علمَها، مع أنَّ لِمَا تقولُه الفلاسفةُ في ذلك وقعًا في النفوس، واتجاهًا في المعقول، فالله أعلم.

(١) من فرق الشيعة أتباع هشام بن سالم الجواليقي، رافضي مفرط في التجسيم والتشبيه، وبعضهم ينسبهم إلى التصوف، قال الصنهاجي: (وقالت الجوالقية: إن الإمام بعد جعفر ابنه موسى بن جعفر، وإن جعفر نص على إمامة موسى عند جمهور شيعته. ثم افترقت الجوالقية بعد حياة موسى بن جعفر الثانية، فصاروا ثلاث فرق: فقالت فرقة منهم: إن موسى بن جعفر قد مات، وقطعوا على موته فسموا: القطعية. وقالت فرقة: إن موسى بن جعفر حي لم يمت، ولا يموت حتى يملأ الأرض عدلًا، وإنه القائم المهدي المنتظر عندهم، وهذه الفرقة تسمى: الواقفة وتسمى أيضًا: الممطورة). وقال اسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي: (ومن الفرق المبتدعة الجوالقية: وهم الذين يحلقون لحاهم ويلبسون الجوالق والكساء الغليظ)انظر: [الفرق بين الفرق (٨٧). روح البيان في التفسير تفسير سورة الأنعام: ١٥٨ (٣/ ١٢٢) اسماعيل حقي. الدار السلفية / الهند. الحور العين، محمد بن عبدالمنعم الصنهاجي الحميري، دار آزال للطباعة والنشر. ببيروت. البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣٠٧)]

(٢) سفر أرميا: ١٠: ١٢-١٤.

(٣) في (أ): نفسه، والمثبت من: (ب).

(٤) في: (ب): جهل، والمثبت من: (أ).

(٥) سفر أرميا: ٥١: ١٧ ولفظه: (بَلِدَ كلُّ إنسانٍ بمعرفته، خزيَ كلُّ صائغ من التمثال؛ لأنَّ مسبوكه كذبٌ و لا روحَ فيه).

(٦) الثلج، ليست في(ب)، والمثبت من: (أ).

ومنه في الإصحاح التاسع، يخاطبُ الربُّ عصاةَ بني إسرائيل قال: (كما لا يقدرُ الهنديُّ أن يغيّر سـوادَ جلدَه!، والنَّمِرُ تبقيعَهُ، كذلك أنتم؛ لا تقدرون على الإحسـان والخير! ؛ لأنَّكم قد تعودتم الشرَّ)[1].

قلت: هذا كلامٌ إذا تأمَّلَه العاقلُ كاشـفٌ عن حقيقةِ القَدَرِ، وتلخيصُهُ: أنَّ الباري سـبحانه؛ رَكَزَ في طبـاع العالم وجبلاَّتهم، الميلَ إلى أفعالهم من خيرٍ وشـرٍ، كما ركَزَ الإحـراقَ في طبيعـةِ النَّـار، والإغـراقَ في طبيعة الماء، وكما وضع السَّـواد في جسـم الأسـود[2]، والتبقيعَ في النَّمِرِ والفَهَدِ، والغرابِ الأبقعِ[3]، والسُّـمَّ في الحيَّة، والظُّلْمَ والاسـتيلاءَ في طبع السَّبُع؛ لكنَّه أجرى فعلَ تلك الطبائعِ على كسـب أهلها؛ فعلى الكسـبِ يترتبُ الجزاءُ، وعلى ركز الفعـل في الطبع، وتحريك الداعي له، وهو خَلْقُهُ المنسوبُ إلى الله سبحانه؛ يترتب التسْليمُ، والله بكلِّ شيءٍ عليمٌ.

ومنه في الإصحاح التاسـع عشـر، قال أرمياءُ في أثنـاء كلامٍ: **(هكذا يقول الربُّ الذي صيّر الشمس نورَ النهار[4]، وتدبيرَ القمرِ والنجومِ لنورِ اللَّيل، الذي يزجُرُ البحرَ فتسـكُنُ أمواجُـه)**[5]. قلـت: لعلَّ هذا ممـا غرَّ النصـارى؛ حيثُ زعموا أنَّ المسيحَ إلهٌ؛لكونهم نقلوا عنه أنَّه زَجَر البحرَ فسكنت أمواجُه، والريح المهيجةُ له، وذلك وهمٌ منهم قبيحٌ؛ لأنَّ سـكونَ البحرِ بالزَّجر أَعَمُّ من الإلهية، فكلُّ إلهٍ يزجُرُ البحرَ فيسـكن موجُه، وليس كلُّ من زجر البحرَ فسكنَ موجُه إلهًا؛ إذ لا يلزمُ من وجودِ الأعمِّ وجودُ الأخـصِّ، وإنَّمـا كان [٨٨/ ب] ذلـك -إنْ صحَّ عنه- بتأييدٍ من الله سـبحانه كسـائر معجزاته، ومعجزات الأنبياء - عليهم السلام[6]-كما سَبَق.

---

(١) سـفر أرميا: ١٣: ٢٣. ولفظه (هل يغير الكوشـي جلده أو النمر رقطه فانتم أيضا تقدرون أن تصنعوا خيرا أيها المتعلمون الشر) والكوشيين: شعب الحبشة. انظر: قاموس الكتاب المقدس: (٩٢١).

(٢) في (ب): الجسم. وليس فيها: الأسود، والمثبت من (أ).

(٣) في: (أ): الأيقع، والمثبت من: (ب). والغراب الأَبْقَعُ: الذي فيه سواد وبياض[مختار الصحاح (٧٣)].

(٤) في (ب): للنهار، و المثبت من: (أ).

(٥) سفر أرميا: ٣١: ٣٥.

(٦) عليهم السلام، ليست في (ب) ومثبتة من (أ).

التعليق من كتاب حزقيال

ومن التعليق[١] من كتاب حزقيال[٢]، [٨٣/ أ] في الإصحاح التاسع منه: (قل لبني إسرائيل: لِمَا تقولون الآباءُ أكلوا حَصرمًا؟! وأسنانُ الأبناء تضرَسُ، وإنما النفسُ التي تُجرِمُ هي تُعَاقَب)[٣].

قلت: هذا معنى قوله تعالى، في القرآن المجيد[٤]: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام، آية: ١٦٤]، ومعنى قوله سبحانه[٥]: ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء، آية: ٧]، ومعنى قوله: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف، آية: ١٧٣]. وهي قضيةٌ عقليةٌ بديهيةٌ: أنَّ أحدًا لا يُعاقَبُ بجريمة أحدٍ، وقال النبي ﷺ لرجلٍ معه ابنه: (أمَا[٦] إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه)[٧].

---

(١) في الهامش الأيمن في (أ): مطلب في: التعليق من كتاب حزقيال. وفي هامش: (ب) الأيسر: حزقيال.

(٢) حَزْقِيال: اسم عبري معناه: الله يقوي:. وهو أحد أبناء الأنبياء الكبار، ابن بوزي،. ولد وكبر ونشأ في فلسطين، وربما في أورشليم في بيئة الهيكل، أثناء خدمة النبي أرميا. ثم حُمِل مسبيًا من يهوذا مع يهوياكين (٥٧٩ ق. م.) ثماني سنوات بعد نفي دانيال، وكان شابًا في ذلك الوقت، ولم يكن طفلًا لكنه كان تحت السن عندما نهض اللاويون بواجباتهم وحسبوا في الإحصاء كرجال. وعاش مع المسبيين اليهود على نهر خابور أو ((كبار)) وهو قناة في أرض بابل، وربما كانت في تل أبيب، تزوّج ربما مبكرًا في السنة السادسة، أو على الأكثر في السنة التاسعة من السبي، وكان له بيت بدأت نبوته في السنة الخامسة لسبي يهوياكين، أي بزمن مدته ٧ سنين قبل خراب الهيكل في أورشليم، بينما كان ساكنًا على ضفاف الخبير وكان في السنة الثلاثين من عمره وهي السن التي فيها يدخل اللاويون الخدمة (أي النبوة) والنظرية أن السنة الثلاثين لا تشير إلى سن حزقيال، لكنها تاريخ محسوب أما من اعتلاء نبوخذ نصر، العرش، ومع أنه كان مسبيًا في أرض غريبة. إلا أنه كانت له الحرية أن ينطق بنبواته. وكان يرجع إليه شيوخ الشعب لأجل النصيحة.، وقد امتد نشاط حزقيال النبوي فترة تزيد عن ٢٢ سنة على الأقل. و لا يعرف وقت موته ولا الطريقة التي مات بها. [قاموس الكتاب المقدس (٣٠١-٣٠٥). (قصص الأنبياء (٤١٧-٤١٨). (الله جل جلاله، والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم (٥٣٤-٥٣٥) د: محمد علي البار].

(٣) سفر حزقيال: ١٨: ١-٥.

(٤) في القرآن المجيد، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٥) سبحانه، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٦) أما، ليست في: (أ)، والمثبت من (ب).

(٧) (صحيح): عن أبي رمثة ﷺ قال: انطلقت مع أبي، إلى رسول الله ﷺ فلما رأيته قال أبي: من هذا؟! قلت: لا أدري! قال: هذا رسول الله ﷺ، فاقشعررت حين قال ذلك، وكنت أظن أن رسول الله ﷺ لا يشبه الناس، فإذا له =

ثم قال الربُّ سبحانه: (والرَّجل إن كان برًّا يعمل بالبرّ، والعدل، ولا يأكلُ على الجبال ذبائحَ الأصنام، ويرفع عينيه إلى أصنام بني إسرائيل، ولا يتنجَّس بامرأةِ غيره، ولم يدنُ من المرأة وهي حائض، ولم يظلم، ولم يخسر أحدًا، وردَّ الرَّهن على صاحبه، وبذَلَ طعامَه للجائع، وكسا العُريان، ولم يُقرض بالرِّبا، ولم يُعطِ بالعِينة[1]، وردَّ يدَه عن الإثم، وأنصفَ بين الرَّجُل وصاحِبه، ولزمَ وصاياي، وعملَ بها، وحفظَ أحكامي، وعملَ بالحقِّ، من كان هذا فِعله فهو برٌّ يَحيىَ ويَبقى)[2].

ثم قال في تمام هذا كلامًا طويلًا، مُلخّصُه: (أنَّ من وُلِدَ له وَلَدٌ فَعمِلَ بعملِ أبيه الخاطئ، كان حُكمُه حُكمَ أبيه لخطئه، وإن عمل بالبِّر فلا شيء عليه من إثم أبيه)[3].

الدلالة على إنسانية عيسى عليه السلام

قلت: فجميع هذه الخصال منهيٌّ عنها في دين الإسلام؛ على وفق ما في كتب الأوَّلين، وغرضُنا بهذا: الردُّ على بعض النصارى؛ حيث قَدحَ فيما جاء به محمد ﷺ[4] من الشرع، وقال: إنه غير موافقٍ لشرع من قبلَه، ولا لمصالح العالم.

ومنه في الإصحاح الخامس عشر، في النبوة في ملكِ صور[5]، قال له الربُّ:

= وفرة بها ردع من حناء، وعليه بردان أخضران، فسلم عليه أبي، ثم أخذ يحدثنا ساعة، قال: (ابنك هذا؟ قال: أي ورب الكعبة أشهد به، قال: أما إن ابنك هذا لا يجني عليك، ولا تجني عليه). [صحيح ابن حبان ح(٥٩٩٥)ج ١٣ ص ٣٣٧. صححه الألباني في صحيح أبي داود برقم (٣٧٧٣)) وصححه في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل في شرح الدليل، لإبراهيم بن محمد بن ضويان برقم (٢٣٠٣). وفي صحيح الجامع (١٣١٧)].

(١) بيع العينة هو: أن يبيع شيئا من غيره بثمن مؤجل، ويسلمه للمشتري، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بثمن نقدا أقل من ذلك القدر، وجاء تحريمها في شريعتنا بأدلة، منها قول رسول الله ﷺ: « إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم ».
[صحيح البخاري الجنائز (١٣١٨)، صحيح مسلم القدر (٢٦٥٨)]

(٢) سفر حزقيال: ١٨: ٥-١٧.

(٣) سفر حزقيال: ١٨: ١٧-٢٠.

(٤) ليست في(ب).

(٥) صور: مدينة قديمة ساحلية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تحاط بالبحر من ثلاث جهات، ولهذا كانت قديمًا من أهم الحصون المنيعة على الأعداء، وتقع في العصر الحاضر ضمن لبنان وتبعد عن بيروت (٨٥)كم جنوبًا.
[معجم البلدان (٣/ ٤٣٣). موسوعة المدن العربية (٤٤٨).

(قلتَ إنيّ إلهٌ، لعلّك تقدرُ أن تقول بين يدي قاتليك: إنيّ إلهٌ، ستعلمُ أنّك إنسانٌ،؛ إذا وقعت في أيدي قاتليك، وأنك لست إلهًا)[١].

قلتُ: قد صرّح الله سبحانه، بأنَّ من لا يقدرُ أنْ يخلِّصَ نفسه[٢]، من يد قاتليه ليس بإلهٍ، وأنَّ من ثبت أنهَ إنسانُ ليس بإلهٍ[٣].

والنصارى سلّموا بموجب ما اتفّقت عليه أناجيلُهُم أنَّ المسيح صَلَبه[٤] [٨٩/ ب] اليهودُ، وأنه جَهِدَ أنْ يُخلِّص نفسَه فلم يستطع، وثبت أنَّه كان إنسانًا؛ لأنَّ خواصَّ الإنسانية كانت [٨٤/ أ] ظاهرةً عليه، من الأكل والشرب حتى في الآخرة؛ حيث قال: **(ما عدتُ أشرب الخمر إلاّ في مجد أبي)**[٥]، فثبت أنَّ المسيح إنسانٌ، وأنَّه ليس بإلهٍ، والله أعلم.

ومنه في آخر[٦] **الإصحاح الخامس والعشرين منه، أنَّ الربَّ سبحانه، قال لحزقيال: (قل لآل إسرائيل، البيت المسخط: أَما تكتفون بكل نجاستكم يا بني إسرائيل؛ حتى تأتوا بالغرباء؟! غُلفِ القلوب والمذاكر؛ لينجسوا بيتي ويُقربوا**[٧] **على مذبحي)**[٨].

قال بعده: **(كلُّ غريب أغلف القلب والمذاكر لا يدخل مقدّسي)**[٩].

قلت: فهذا ذمٌّ لغُلفِ المذاكر، وهم الذين لا يَختتنون، والنصارى كذلك!. فهم مذمومون على ألسنةِ الرسّل.

---

(١) سفر حزقيال: ٢٨: ٦-٩.

(٢) نفسه، ليست في(أ).

(٣) لعل الطوفي هنا يريد أن يلزمهم بما في كتبهم، وإلاّ فقوله: قد صرح الله سبحانه... الخ يعني في هذا السفر، وهذا عليه إشكالٌ من حيث ثبوت هذه الكتب عن الأنبياء بنصها؛ لأن المعروف تحريفُها وعدمُ الجزم بشيء منها، دون بينة أو دليلٍ تطمئن إليه النفس.

(٤) في (ب): صلبته، والمثبت من (أ).

(٥) انظر النصوص في: إنجيل متى: ٢٦: ٢٩. مرقس: ١٤: ٢٥. لوقا: ٢٢: ١٨. وقد مرَّت معنا.

(٦) آخر، ليست في(أ).

(٧) في (ب): يقربون، والمثبت من: (أ).

(٨) سفر حزقيال: ٤٤: ٦-٧.

(٩) سفر حزقيال: ٤٤: ٩.

الكلام على الختان

فإن قيل: إنمَّا ذمَّ من اتَّصفَ بكونه أغلفَ القلب، والمذاكرِ جميعًا، وربَّما انضمَّ إليه وصفُ الغُربة، فمِن أين لكم أنَّ الأوصاف الثلاثةَ كَمُلتْ في النَّصارى؛ حتى يكونوا مذمومين؟!.

قلنا: أمَّا كونُهم غُلفَ القلوب؛ فلما بينَّا قبلُ من بلادتهم؛ حتى سلكوا في دينهم أوعَر الطُّرُقِ.

وأمَّا الغُربة؛ فيمكن إثباتُها فيهم؛ باعتبار هذا أو غيره. ثم هب أنَّ الوصفين فُقِدا فيهم، أليسوا غُلفَ المذاكير؟!! ؛ فيكون فيهم الذمُّ بقدرِ ما حصل فيهم من أوصافِه، فهم مذمومون على ألسِنَةِ الرسُّل في الجملة.

* * *

التعليق من: كتاب دانيال

ومن التعليق[١] من كتاب، دانيال[٢]: أنَّ بختنصَّر[٣]، المَلِك ببابل[٤]؛ رأى رؤيا، وقال: لا يعلم تأويلها إلاَّ من عَلِم صورتهَا، فلم يعلمها إلاَّ دانيال،

---

(١) في الهامش الأيمن في (أ): مطلب في التعليق على كتاب دانيال. وفي هامش: (ب) الأيمن: دانيال.

(٢) دانيال: وهو اسم عبري معناه ((الله قضى)) وهو: أحد الأنبياء الأربعة الكبار وكان من عائلة شريفة ويظن أنه ولد في أورشليم، وأتي بأمر نبوخذ نصر «إلى بابل مع ثلاثة فتيان من الأشراف: هم حننيا وميشائيل وعزريا سنة ٦٠٥ ق. م. فتعلم هناك لغة الكلدانيين ورشح مع رفقائه الثلاثة للخدمة في القصر الملكي. وفي السنة الثالثة لملك كورش ملك الفرس رأى دانيال في رؤيا النزاع الأخير بين قوات العالم وملكوت الله. قال ابن كثير: (وقد قال أبو بكر بن أبي الدنيا في كتاب أحكام القبور: حدثنا أبو بلال محمد بن الحارث بن عبد الله بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري حدثنا أبو محمد القاسم بن عبد الله، عن أبي الأشعث الأحمري، قال: قال رسول الله ﷺ: إن دانيال دعا ربه ٥ أن تدفنه أمة محمد، فلما افتتح أبو موسى الأشعري تستر وجده في تابوت تضرب عروقه ووريده، وقد كان رسول الله ﷺ قال: من دلَّ على دانيال فبشروه بالجنة. فكان الذي دل عليه رجل يقال له حرقوص فكتب أبو موسى الأشعري إلى عمر بخبره فكتب إليه عمر: أن ادفنه وابعث إليَّ حرقوص فإن النبي ﷺ بشره بالجنة. قال ابن كثير: (وهذا مرسل من هذا الوجه وفي كونه محفوظًا نظر والله أعلم). [قاموس الكتاب (٣٥٧-٣٦٠). قصص الأنبياء (٤٦٨-٤٦٩) (الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوارة والعهد القديم (٥٢٩-٥٣٤)].

(٣) بختنصر: نبوخذ ناصَّر، نبوخذ نصَّر: اسم بابلي معناه ((نبو حامي الحدود))، لمع اسم نبوخذ نصر حينما دشن خبرته العسكرية بالتغلب على نخو وجيشه معه من السوريين وقتل الآلاف منهم، في واقعة قرقميش سنة ٦٠٥ ق. م. واستولى نبوخذ نصر على ما خلفه وراءه من ممتلكات، في سورية وفلسطين. وجاء إلى القدس وسبى بعض سكانها، ومن بينهم دانيال ورفاقه، ولكنه ما إن وصله نعي أبيه حتى أسرع بالعودة إلى بابل، وأعلن نفسه خليفة لأبيه سنة ٦٠٥ ق. م. ولم يكتف نبوخذ نصر بامتلاك القدس واخذ بعض سكانها أسرى، بل أمر رجاله بأخذ جماعات أخرى من السكان ونقلهم إلى بابل، من القدس وفينيقية ومصر، واستمر يحكم ارض يهودا، ويتسلم الضرائب، مدة ثلاث سنين.. و تغلب على أعدائه بسرعة، وعاد الى فلسطين جرار، واحتل القدس وقضى على الثورة.. فجاء نبوخذ نصر للمرة الثالثة واحتل المدينة وسبى السكان الى بابل واستولى على بيت المقدس.. و احتل القدس للمرة الرابعة، بعد حصار شديد.. وأحرق نبوخذ نصر الهيكل، واخذ آلاف السكان أما ارميا، وكان قد تنبأ بما حدث، فقد أوصى به نبوخذ خيرًا. ثم حاصر نبوخذ نصر صور، وباقي مدن الساحل الفينيقي، واحتلها وعامل سكانها بقسوة، وفي سنة ٥٨٢ ق. م. حمل من جديد على أواسط سورية، وبلاد العموريين والموآبيين ثم غزا مصر سنة ٥٦٧ ق. م). [قاموس الكتاب المقدس (٩٤٥-٩٥٥)].

(٤) بابل: بكسر الباء اسم ناحية منها الكوفة والحلة ينسب إليها السحر والخمر قال الأخفش لا ينصرف لتأنيثه وذلك أن اسم كل شيء مؤنث إذا كان علما وكان على أكثر من ثلاثة أحرف فإنه لا ينصرف في المعرفة. [معجم البدان(١/ ٣٠٩)].

وكان من سبي بيت المقدس، من أولاد الأنبياء، فقال: (أيُّها الملك! رأيت حذاءك تمثالا[١] عظيمًا، حسنَ المنظر، ومنظرُه مُفزعٌ مخوفٌ، رأسُه من ذهبٍ جيِّدٍ، وصدره وذراعاهُ من فضةٍ خالصةٍ، وبطنُه وفخذاه من نُحاسٍ، وساقاه من حديدٍ، وقدماه بعضُها حديدٍ وبعضها خزفٌ، ورأيتَ أنَّه[٢] قد قُطِعَ حجرٌ من الجبل بلا أيدي، وضرب التمثال على قدميه اللذين[٣] من حديدٍ وخزفٍ، ودقَّهما وطحطحَهما جدًا، وتطحطحَ الحديدُ والنُّحاسُ، والفخَّار، [٩٠/ ب] والفضةُ والذهبُ جميعًا، وصارت كلُّها كالهشيم الذي يُذرى من بيادر الصيف، وحملتها الريحُ العاصِفُ، ولم[٤] يوجد لها أثرٌ، والحجرُ الذي وقع على التمثالِ صار جبلًا عظيمًا، وامتلأت منه الأرض [٨٥/ أ] كلُّها. هذه رؤياك)[٥].

ثم عَبَّرها[٦]: بملوكٍ يأتون بعد بختنصَّر، مختلفين في[٧] القوة والضعف، على حسب اختلاف جواهر أجزاء[٨] التِّمثال، ثم بعد ذلك يُقيم إلهُ السَّماءِ مُلكًا، لا يتغيَّر إلى الأبد.

قلت: قد[٩] زعم بعضُ مفسِّري أهل الكتاب أنَّ هذا الحجرَ الذي، صار جبلاً عظيمًا؛ هم القومُ الذين قوَّاهم اللهُ على مملكةِ اليونانيِّين.

قلت: وهو سوءُ تصرُّفٍ في التأويل[١٠]، بل حَمْلُه على محمدٍ عليه السلام أولى؛ لوجهين:

---

(١) في (أ): مثالاً، والصواب من: (ب).

(٢) أنه، ليست في(ب).

(٣) في: (أ): الذين، والمثبت من: (ب).

(٤) ولم، تكررت في (أ).

(٥) سفر دانيال: ٢: ١-٤٥.

(٦) انظر تعبيرها في سفر دانيال: ٢: ٣٦-٤٥.

(٧) في، ليست في(ب).

(٨) أجزاء، ليست في(أ) والمثبت من: (ب)، وهناك خطٌّ في (أ) يشير إلى وضعها في الهامش ولم أجدها.

(٩) في: (ب): فزعم، والمثبت من: (أ).

(١٠) قد يدل هذا على معرفة الطوفي رَحِمَهُ اللهُ بتأويل الرؤى..

أحدهما: أنَّه ذكرَ أنَّ الحجرَ قُطعَ بلا أيدي، وهو يناسب ظهورَ محمد ﷺ[1] فريدًا وحيدًا، بغير ظَهرٍ ولا قوةٍ، ثم استوسق[2] أمره حتى آلَ إلى ما آلَ، والذين ملكوا أرض[3] اليونانيين ليسوا كذلك، بل كان خروجُهم في منعةٍ وقوةٍ وغلبةٍ.

الثاني: أنه ذكر أنَّ الحجرَ صار جبلًا عظيمًا، وامتلأت منه الأرضُ كلُّها، وهذه صفةُ دين محمدٍ، حيث طبّق الأرضَ شرقًا وغربًا، سهلا[4] وجبلاً، برًا وبحرًا، إنسًا وجنًا، أمَّا الذين[5] ملكوا اليونانيين فاختص ملكُهم بتلك الأرضِ، وهي رقعةٌ من الدُّنيا. والله أعلم.

ومنه في الإصحاح التاسع: قال دانيالُ: (فإذا جبريلُ؛ الرجلُ الذي رأيت في الرؤيا قبل ذلك، قد طار وتحلَّق، وأتاني من السماء، ودنا منِّي في وقتِ قُربان السماء فقال: يا دانيال، افهم الرؤيا، سيأتي على شعبك، وقريةِ قدسك سبعون أسبوعًا؛ لتنقضي الذنوبُ وتفنَى الخطايا، ولغفران الإثم[6]؛ وليؤتى بالحق الذي لم يزل قبل العالمين؛ ولتتم الرؤيا، ووحي الأنبياء، ويصير قُدُس القدس للمسيح، وإلى مجيء الملك المسيح سبعةُ سوابيع، واثنان وستون أسبوعًا، ويعود فيبني أورشليم، وبعد اثنين وستين أسبوعًا يُقتل المسيح ولا يكون لها[7] ثبات)[8].

قلت: حكايةُ دانيال، أنَّ جبريل قال له: ويصير قدس القدس للمسيح، يُصدِّقُ مقالة[٩١/ ب] المسلمين في أن المسيح نبيٌّ لا إلهٌ، ويبطلُ قولَ النصارى في أنَّه: الله.

(١) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).
(٢) استوسق: تمكن له الأمر. [انظر: لسان العرب (١٠/ ٣٨٠)، مختار الصحاح (٤١٥).]
(٣) أرض، ليست في(أ).
(٤) السهل ضد الجبل وأرض سهلة، والسهولة ضد الحزونة. [مختار الصحاح (١٩٤)].
(٥) الذين، ليست في(أ) وهناك إشارة إلى وضعها في الهامش، والمثبت من (ب).
(٦) والإثم، ليست في(أ) والمثبت من: (ب).
(٧) في (أ): له، والصواب من (ب).
(٨) سفر دانيال: ٩: ٢١-٢٦.

وقوله: ليؤتى بالحق الذي لم يزل قبل العالمين، إنْ حُمِل على ما جاء به المسيحُ، من الحكمة والنبوّة؛ فلا شكَّ أنَّه قبل العالمين؛ لأنَّ علم تعالى[1] الله تعلّق به حينئذٍ، وإن حُمِل على نفس المسيح؛ فالمرادُ به رُوحُ القُدس الذي أُيّدَ به، وهو الذي كان منه بنفخةِ جبريل[٨٦/ أ]، في جيب مريمَ؛ فإنَّ شرعنا المعصومَ وَرَدَ بأنَّ: (الله سبحانه[2] خلقَ الأرواحَ قبل الأجساد بألفي عام)[3]، وكانت روح عيسى في تلك الأرواح.

وأيضًا قولُه: إلى مجيء الملك المسيح، يدلُّ على أنه ليس إلهًا، ولا ربًّا بالمعنى الـذي تريده النصارى؛ لأنَّ حقيقةَ الـمَلِكِ عُرفًا غير حقيقة الإله والربِّ، وإنْ كان من صفات الربِّ الملِك؛ إلاَّ أنَّ المرادَ هنا ليس تلك الصفة.

بقي الكلام في قوله: يُقتلُ المسـيح، هو ظاهرٌ في إزهاق النفس، وشـرعُ الإسلام وردَ بأنـه لـم يُقتل ولـم يُصلـب[4]، فتعيَّن حَمْلُه علـى ما حصل له مـن الضرب غير المزهـق، أو يُقـدحُ في صحةِ هذه اللفظة، وإلاَّ فما أعلمُ عنـه جوابًا غير هذين، إلاَّ أن يُتأوَّل على معنىً يقصد قتلَه ويعزمُ عليه، أو يُقتل على زعمهم، وهو في الحقيقة إنسانٌ أُلقي عليه شبهُه، وقد سبق الكلام في قتل المسيح مستوفىً، والله أعلم.

فائدة: ذكر في الإصحاح العاشر من كتاب أشعياء، في النبوة في أهل البريّة القريبة من البحر قال: (تُسرِعُ العقويةُ من البريّة مثل العاصف من الشمس[5]، ويقدم من أرض

---

(١) تعالى، ليست في(أ).

(٢) في (ب): الله تعالى، والمثبت من: (أ).

(٣) (لا يصح) قال ابن القيم: (أما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام فلا يصح إسناده ففيه عتبة بن السكن قال الدار قطني متروك وأرطأة بن المنذر قال ابن عدي بعض أحاديثه غلط). وذكره الغزالي وكأنه يرى صحته، وعلق عليه بقوله: (أما قوله ﷺ خلق الله الأرواح قبل الأجساد أراد بالأرواح أرواح الملائكة وبالأجساد العالم من العرش والكرسي والسموات والكواكب والهواء والماء والأرض). [الروح (١٧٢) ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م دار الكتب العلمية، بيروت. معارج القدس في مدراج معرفة النفس. (١١١-١١٢) الطبعة الثانية، ١٩٧٥م، دار الآفاق الجديدة - بيروت. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني(١٥/ ١٥٦) محمود الألوسي. دار إحياء التراث العربي - بيروت].

(٤) في (ب): لم يصلب ولم يقتل، والصواب من (ب).

(٥) في (ب): التيمن، والمثبت من (أ) وهو الصواب.

بعيـدة، قد رأينا منظـرًا فظيعًا، ظالـمٌ يظلمُ، ومنتهِبٌ ينتهـبُ، اصعد بأهل الأهواز[١]، وجبـال ماه؛ لأنّـي قد بطلتُ زفراتها كُلَّها)[٢]، ثم قـال[٣]: (قال لي الربُّ: انطلق فأقم ديدبان ليُخبر بما يرى، فرأى الرئيةُ فارسـين راكبين، أحدهما: راكبٌ حمارًا، والآخر راكبٌ جملا)[٤].

قلتُ: زعَم بعضُ مفسري أهل الكتاب أن صاحب الحمار رئيسُ ماه، وصاحبَ الجمل رئيس الأهواز؛ لأنهُ قد تقدّمَ ذكرهما؛ ولأنه يقول بعد ذلك: (وإذا تقدم رجلٌ من الفارسـين، وهَتَف وقال: سـقطت بابل، سـقطت بابل)[٥]، وهـذا كان قديمًا من الزَّمان.

وبعض المسـلمين [٩٢/ ب] يقول صاحبُ الحمار هو: المسـيحُ، كما ثبت في الإنجيـل أنَّه ركبَ الحمار[٦] تصديقًا لهذا الكلام، وصاحب الجمل محمّد ﷺ؛ لأنه عربيٌّ، وكان يركب الإبلَ كثيرًا، واتهموا أهلَ الكتاب في تفسيرهم له برئيس الأهواز، وقالوا لهم: أنتم بين [٨٧/ أ] جهلٍ بالمراد، وحسـدٍ وعنادٍ؛ لأنَّكم إنْ لم تعلموا مراد هذا النبيِّ أشعياء؛ بصاحب الجمل فقد جهلتم، وإن علمتم وحرّفتم فقد عاندتم.

قلـت: والإنصـافُ أنَّ الكلام مُجمَلٌ مُحتمِلٌ، ولا نصوصيـةَ له[٧] على أحدٍ من الرجليـن، وذكر مـاه، والأهواز، قرينةٌ تدلُّ على تفسـير أهل الكتـاب، وذكر الجمل الغالـبِ في مراكب العَـرَب، وكون ترجمة النبوّة في أهل البريّـة القريبة من البحر يدلُّ

---

(١) الأهواز: اسم عربي سمي به في الإسلام وكان اسمها في أيام الفرس خوزستان وفي خوزستان مواضع يقال لكل واحد منها خوز كذا منها خوز بني أسـد وغيرها فالأهواز اسـم للكورة بأسـرها وأما البلد الذي يغلب عليه هذا الاسم عند العامة اليوم فإنما هو سوق الأهواز[معجم البلدان (١/ ٢٨٤)].

(٢) سفر أشعياء: ٢١: ١-٢.

(٣) ثم قال، ليست في: (أ) والمثبت من: (ب).

(٤) سفر أشعياء: ٢١: ٦-٧.

(٥) سفر أشعياء: ٢١: ٨-٩.

(٦) انظر: إنجيل متى: ٢١: ٥ و٧، وإنجيل يوحنا: ١٢: ٥ و١٤-١٥. وإنجيل مرقس: ١١: ٧.

(٧) له، ليست في (أ)، المثبت من (ب): وهي عائدة على الكلام.

علـى ما قاله بعضُ المسـلمين، فـإنَّ الحجاز - خصوصًا مكة - على سـاحل البحر، والله أعلم.

* * *

التعليق من: سفر الخليقة

التعليق[١] من سفر الخليقة، وهو السفر الأوَّل من التوراة:

فمن ذلك، وقال الله: (لنخلُق [٢]بشرًا على شبهنا، قد رسَمْنا فضله؛ ليكون كصورتنا ومثالنا، وأسلطُه على سمك البحار، وطير السماء)[٣]، إلى أن قال: (وخلق اللهُ آدم بصورته، صورة الله خَلقَه، ذكرًا وأنثى خلقهما الله، وبارك عليهما)[٤]. قلت: هذا مما لا تشنيع فيه على أهل الكتاب؛ لأنَّه قد ثبت في دين الإسلام مثلُه؛ حيث قال النبي ﷺ: (لا تقبح الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) وفي لفظٍ: (على صورة الرحمن)[٥].

وأمَّا لفظ: شبهُنا، ومثالُنا، فلا أعلمُ دين الإسلام وَرَد بها؛ إلاَّ أن أبا حامد الغزالي[٦] رحمه الله قال في جوابِ فتيا، سُئل فيها عمَّن يرى اللهَ سبحانه في المنام، ماذا

---

(١) في هامش: (ب): الخليقة.

(٢) في: (ب): نخلق، والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ١: ٢٦، وسفر التكوين: هو: يتحدث عن الخليقة والإنسان الأول آدم وامرأته حواء ونسلهما ثم عن الفيضان ثم دعوة الله لإبراهيم.

(٤) سفر التكوين: ١: ٢٧-٢٨.

(٥) صحيح البخاري (ج٥/ ص٢٢٩٩) (٥٨٧٣) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعًا). صحيح مسلم (ج٤/ ص٢٠١٧) (٢٦١٢) وبلفظ (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته) الطبراني في المعجم الكبير (ج١٢/ ص٤٣٠) (١٣٥٨٠) قال شيخ الإسلام: حديث: (خلق آدم على صورته أو صورة الرحمن) قد رواه هؤلاء الأئمة رواه الليث بن سعد عن ابن عجلان ورواه سفيان بن عيينة عن أبي الزناد ومن طريقه رواه مسلم في صحيحه ورواه الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء عن النبي ﷺ مرسلا ولفظه خلق آدم على صورة الرحمن مع أن الأعمش رواه مسندًا) [دقائق التفسير (٢/ ١٧١) لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أستاذنا أ. د: محمد السيد الجليند. الطبعة الثانية. ١٤٠٤هـ. مكتبة علوم القرءان. دمشق].

(٦) محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، بقرية «غزالة» القريبة من طوس من إقليم خراسان عام (٤٥٠هـ - ١٠٥٨م)، وإليها نسب الغزالي. اختاره نظام الملك للتدريس بالمدرسة النظامية في بغداد فقصدها في سنة (٤٨٤هـ) وكان قد بلغ الرابعة والثلاثين من عمره. توفي في (١٤ من جمادى الآخرة ٥٠٥هـ) عن عمر بلغ خمسا وخمسين عاما، وترك تراثا صوفيا وفقهيا وفلسفيا كبيرا، بلغ ٤٥٧ مصنفا ما بين كتاب ورسالة، كثير منها لا =

يرى؟! قال: يرى مثال الله[(١)].

مواقف الفرق من الصفات

قال: والله سبحانه له مثالٌ لكن لا مثلَ له، وفرَّق بين المثلِ والمثالِ، نعم، الفرق بين المسلمين واليهود[(٢)] في هذا أنَّ اليهود يعتقدون اللهَ سبحانه جسمًا، يُصرِّحون بذلك، عملًا بظواهر ما عندهم، هذا وغيرُه، وكذلك النصارى، أمَّا المسلمون فهم في النصوص الواردة في هذا الباب من الكتاب والسُّنة على: ثلاث فرقٍ، طرفين وواسطةٍ:

ففرقةٌ: تسمَّوا بالمنزِّهة، تلك النصوص عندهم هباءٌ منثورٌ، وما لا مندوحةَ لهم عن صحته يتأولونه، ولو بأبعد التأويلات، وعمدة هؤلاء قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى، آية ١١] [٩٣/ ب].

وفرقةٌ: يُسمَّون[(٣)] بالمشبِّهة[(٤)]، اعتقدوا ظاهر النصوص على قياس الشاهد،

= يزال مخطوطا، ومعظمها مفقود. [مقدمة: إحياء علوم الدين للغزالي: (١/ ٣-١٧) الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢)].

(١) لفظ الجلالة، الله، ليست في: (أ). انظر كلام الشيخ ابن عثيمين في: (لقاء الباب المفتوح (٦٦/ ١٦))

(٢) في (ب): اليهود والمسلمين، والصواب من (أ).

(٣) في (ب) (تسموا).

(٤) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه: (وجماع الأمر أن الاقسام الممكنة فى آيات الصفات وأحاديثها ستة أقسام، كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة: قسمان يقولان: تجرى على ظواهرها. وقسمان يقولان: هى على خلاف ظاهرها. و قسمان يسكتون. أما الأولون فقسمان: أحدهما: من يجريها على ظاهرها ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف وإليهم يتوجه الرد بالحق. الثانى: من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يجرى ظاهر اسم العليم والقدير والرب والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللائق بجلال الله فإن ظواهر هذه الصفات فى حق المخلوق إما جوهر محدث وإما عرضٌ قائم به. فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك فى حق العبد أعراض والوجه واليد والعين فى حقه أجسام، فإذا كان الله موصوفًا عند عامة أهل الاثبات بأن له علمًا وقدرة وكلامًا ومشيئة وإن لم يكن ذلك عرضًا يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليس أجساما يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين. وهذا هو المذهب الذى حكاه الخطابى وغيره عن السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو أمرٌ واضحٌ فإن الصفات كالذات فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير أن تكون من جنس صفات المخلوقات. فمن قال: لا أعقل علمًا ويدًا إلا من جنس العلم واليد المعهودين. قيل له: فكيف تعقل ذاتًا من غير جنس ذوات المخلوقين ومن المعلوم أن =

فقالوا في الباري سبحانه مقالةَ اليهود، ومن عمدتهم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى، آية ١١] [٨٨/ أ].

وفرقةٌ: تسمَّو بأهل التوسُّط، والسُّنة والجماعةِ[١]، فنزَّهوا الله سبحانه عن مشابهة مخلوقاته ومماثلتها، عملًا بقوله سبحانه[٢]: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ وأثبتوا له بتلك النصوص صفاتٍ تليق بذاته، عملًا بقوله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى، آية ١١]، وغَيرها من آيات الإثبات. والله أعلم.

ثم قال بعد ذلك: (ورأى الله جميعَ خلقِه فرآه حسنًا، وكان صباح اليوم السادس؛ يومَ الجمعة)[٣].

قلتُ: هذا منافٍ لما في صحيح مسلم، وغيره، من أنَّ خلْقَ آدم كان يومَ الجمعة، في آخر ساعةٍ منه، ما بين العصر إلى الليل، واعتمادُنا على ما عندنا؛ لأنَّ النبي ﷺ قال: (إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم)[٤] كما سبق، وهذا من

= صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذى ليس كمثله شىء الا ما يناسب المخلوق فقد ضل فى عقله ودينه. [مجموع الفتاوى (الفتوى الحموية) (٥ / ١١٣)].

(١) قال شيخ الإسلام (فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به فى كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل بل هم الوسط فى فرقة الأمة كما ان الأمة هى الوسط فى الأمم. فهم وسط فى باب صفات الله بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة. وهم وسط فى باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجبرية. وفى باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم وفى باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية. وفى أصحاب رسول الله بين الروافض والخوارج).انظر: [مجموع الفتاوى (٣/ ١٤١)]. انظر: [شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ: محمد خليل هراس، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ. دار الهجرة للنشر والتوزيع، الثقبة. القواعد المثلى، للشيخ محمد الصالح العثيمين، فتاوى أركان الإسلام (٧٦-٨٦) الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، جمع: فهد بن ناصر السليمان. الطبعة الثانية، ١٤٢٥هـ الدار المصرية السعودية. القاهرة].

(٢) سبحانه، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ١: ٣١ ولفظه: (و رأى الله كلَّ ما عمله، فإذا هو حسنٌ جدًا، و كان مساءً و كان صباح يومًا). ولم يرد في هذه الترجمات، كلمة: الجمعة.

(٤) (صحيح) رواه البخاري، سبق تخريجه ص ١٨٨.

حديث أهل الكتاب.

ثم قال: **(وأكمل اللهُ أعماله في اليوم السادس، واستراح في اليوم السابع من جميع أعماله التي عمل، وبارك عليه وقَدّسَه؛ لأنه فيه استراح من جميع أعماله، وفرغ من خلقه الذي خلق)**[1].

قلت: على هذا الكلام وقع الردُّ في القرآن بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴾[2]، أي تعب؛ لأنَّ قولهم: استراح من أعماله؛ يُشعِرُ بلحوق التعب له؛ بل يستلزمُه؛ إذ لا راحة إلاَّ عن تعبٍ، ولحوقُ التعب من أمَارات العلاج والعجز، والله تعالى[3] لا يفعل الأشياء على وجهٍ يلحقه عجزٌ ولا تعبٌ؛ بل: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[4]، وإنَّما خلقَ الكائنات في ستة أيام؛ لحكمٍ ذكرها العلماء، ولا عجب من اليهود؛ في إطلاق الاستراحة على الله سبحانه؛ فإنَّهم يعتقدونه جسمًا، والتعب والراحة من لواحق الأجسام، والباري يتعالى عن ذلك[5].

ثم ذكر: **(أنَّ الله غرس فردوسًا في عدنٍ، وأنبت شجرة الحياة وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشّر، وكان النهرُ يخرج من عدنٍ، يسقي الفردوسَ، ثم ينقسم من هناك أربعة أقسام:**

أحدها: اسمه فيشون[6]، وهو المحيط بأرض الهند، وثَمَّ أجودُ الذهب، وهناك

---

(١) سفر التكوين: ٢: ١-٣.

(٢) سورة: ق: ٣٨.

(٣) تعالى، ليست في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٤) سورة: يس، آية: ٨٢.

(٥) والباري يتعالى عن ذلك، ليست في: (ب)، وإنما كتب مكانها: والله أعلم، والمثبت من: (أ).

(٦) قال في معجم البلدان: فيشون بالشين المعجمة بوزن جيرون اسم نهر[معجم البلدان (٤/ ٢٨٥)].

الفيروزج[١]، وحجارة [٩٤/ ب] البلّوْر[٢].

والثاني: جيحان[٣]، وهو المحيط بأرض [٨٩/ أ]كوش[٤] الحبشة.

والثالث: الدِّجلةُ، وهو الذي يذهب قبلِّي الموصل.

والرابع: الكبير الفُرات)[٥].

قلت: بعضُ هذا موافقٌ لِما جاء به شرعُنا، وهو: أنَّ من أنهار الجنة جيحان والفرات، وبعضُه مخالفٌ، وهو: أنَّ منها دجلةَ، وفيشون، إن لم يُرِد[٦] به سيحون[٧]، فإنَّ شرعنا لم يذكر ذلك، والوارد في السنة النبوية، أنه ﷺ قال: (رأيت سدرة المنتهى،

---

(١) الفَيْرُوزَجُ: ضَرْبٌ من الأصباغِ. وفي فقه اللغة: من الجواهر[لسان العرب (٢/ ٣٤٥) فقه اللغة للثعالبي (١١١٦)].

(٢) البلور: جَوْهَرٌ مائي معروفٌ أبيضُ شفّافٌ واحدتُه بَلورَةٌ. [تاج العروس (٢٥٤١). فقه اللغة (١١١٦)]

(٣) جيحان نهر بالمصيصة بالثغر الشامي ومخرجه من بلاد الروم ويمر حتى يصب بمدينة تعرف بكفربيا بإزاء المصيصة وعليه عند المصيصة قنطرة من حجارة رومية عجيبة قديمة عريضة فيدخل منها إلى المصيصة وينفذ منها فيمتد أربعة أميال ثم يصب في بحر الشام. [معجم البلدان (٢/ ١٩٦)]

(٤) كوش، ليست في: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٥) سفر التكوين: ٢: ٨-١٤. مع تغير في الألفاظ التي أودها الطوفي رحمة الله عليه، والنص الوارد في هذا السفر في الترجمة الحديثة، هكذا: (و غرس الرب الإله جنةً في عدْنٍ شرقًا، ووضع هناك آدم، الذي جَبلَه، وأنبت الرَّبُّ الإله من الأرض كلَّ شجرةٍ شهيةٍ للنظر، وجيدة للأكل، وشجرة الحياة في وسط الجنة، وشجرة معرفة الخير والشر، وكان نهرٌ يخرج من عدْنٍ؛ ليسقي الجنة و من هناك، ينقسم فيصير أربعة رؤوس، اسم الواحد: فيشون؛ وهو المحيط بجميع أرض الحويلة؛ حيث الذهب، و ذهب تلك الأرض جيدٌ، هناك المقل و حجر الجزع، و اسم النهر الثاني: جيحون، وهو المحيط بجميع أرض كوش، و اسم النهر الثالث: حداقل، و هو الجاري شرقي آشور، و النهر الرابع: الفرات). ونهرا دجلة والفرات مشهوران بالعراق، حررها الله تعالى، وأطلق الله قيدها.

(٦) في: (ب): ترد، والصواب من: (أ).

(٧) سيحون: نهر مشهور كبير بما وراء النهر قرب خجندة بعد سمرقند يجمد في الشتاء حتى تجوز على جمده القوافل وهو في حدود بلاد الترك. [معجم البلدان (٥/ ٣٣٤-٣٣٥)].

وإذا يخرج من أصلها أربعة أنهارٍ، سيحان وجيحان، والنيل[١] والفرات)[٢].

وأمَّا توجيهُ كونِ هذه الأنهار في أصل سدرة المنتهى، وفي الأرض أو تأويلُه فموضعه غير هاهنا. وقد تكلم عليه النووي[٣] في شرح صحيح مسلم[٤]، والله أعلم.

---

(١) النيل: نيل مصر: تعريبُ نيلوس من الرومية قال القضاعي: ومن عجائب مصر النيل جعله الله لها سقيا يزرع عليه ويستغنى به عن مياه المطر في أيام القيظ إذا نضبت المياه من سائر الأنهار فيبعث الله في أيام المد الريح الشمال فيغلب عليه البحر الملح فيصير كالسكر له حتى يربو ويعم الربى والعوالي ويجري في الخلج والمساقي فإذا بلغ الحد الذي هو تمام الري وحضر زمان الحرث والزراعة بعث الله الريح الجنوب فكبسته وأخرجته إلى البحر الملح وانتفع الناس بالزراعة مما يروى من الأرض وأجمع أهل العلم أنه ليس في الدنيا نهر أطول من النيل لأن مسيرته شهر في الإسلام وشهران في بلاد النوبة وأربعة أشهر في الخراب حيث لا عمارة فيها إلى أن يخرج في بلاد القمر خلف خط الاستواء وليس في الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال إلا هو ويمتد في أشد ما يكون من الحر حين تنقص أنهار الدنيا ويزيد بترتيب وينقص بترتيب بخلاف سائر الأنهار فإذا زادت الأنهار في سائر الدنيا نقص وإذا نقصت زاد نهاية وزيادة وزيادته في أيام نقص غيره وليس في الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجيء من خراج نهر ما يجيء من خراج ما يسقيه النيل.[معجم البلدان (٥/ ٣٣٤-٣٣٥)]

(٢) رواه مسلم. كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها. باب: ما في الدنيا من أنهار الجنة. برقم (٢٨٣٩) وشرح النووي على صحيح مسلم(١٧/ ١٧٦) شرح حديث (٢٨٣٩).

(٣) في (أ): النواوي. وهو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي، الشافعي (٦٣١ - ٦٧٦ هـ - ١٢٣٣ - ١٢٧٧ م) علامة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في نوا (من قرى حوران، بسورية) واليها نسبته. تعلم في دمشق، وأقام بها زمنًا طويلًا. من كتبه: و « منهاج الطالبين - ط » وغيره. [الإعلام (٨/ ١٤٩)].

(٤) قال النووي رحمه الله: (قوله ﷺ (سيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌ من أنهار الجنة). اعلم أن سيحان وجيحان غير سيحون وجيحون، فأما سيحان وجيحان المذكوران في هذا الحديث اللذان هما من أنهار الجنة في بلاد الأرمن فجيحان نهر المصيصة وسيحان نهر إذنه وهما نهران عظيمان جدا أكبرهما جيحان فهذا هو الصواب في موضعهما وأما قول الجوهري في صحاحه: جيحان نهر بالشام فغلطٌ، أو أنه أراد المجاز من حيث أنه ببلاد الأرمن وهي مجاورة للشام قال الحازمي سيحان نهر عند المصيصة قال وهو غير سيحون وقال صاحب نهاية الغَريب سيحان وجيحان نهران بالعواصم عند المصيصة وطرسوس واتفقوا كلهم على أن جيحون بالواو نهر وراء خراسان عند بلخ واتفقوا على أنه غير جيحان وكذلك سيحون غير سيحان وأما قول القاضي عياض هذه الأنهار الأربعة أكبر أنهار بلاد الإسلام فالنيل بمصر والفرات بالعراق وسيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون ببلاد خراسان ففي كلامه إنكار من أوجه أحدها قوله الفرات بالعراق وليس بالعراق بل هو فاصل بين الشام والجزيرة والثاني قوله سيحان وجيحان ويقال سيحون وجيحون فجعل الأسماء مترادفة وليس كذلك بل سيحان غير سيحون وجيحان غير جيحون باتفاق الناس كما سبق الثالث أنه ببلاد خراسان وأما سيحان وجيحان ببلاد الأرمن بقرب الشام والله أعلم وأما كون هذه الأنهار من ماء الجنة ففيه تأويلان ذكرهما القاضي عياض أحدهما أن الإيمان عم بلادها أو الأجسام المتغذية مائها صائرة إلى الجنة والثاني: وهو الأصح أنها على ظاهرها وأنَّ لها مادة من الجنة، والجنة مخلوقةٌ موجودةٌ =

ثـم ذكر: (أن الله سـبحانه جمعَ لآدم جميع حيوان البرِّ وطيرِ السـماء، وجاء بهم إلى آدم؛ ليسـميّهم، فسمّاهم بأسماءٍ، صارت أسـماءَهم)[1]. قلت: هذا موافقٌ لقوله تعالـى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾[البقـرة: ٣١] ولـم يتعرض في التـوراة لعرضهم على الملائكة.

ثـم ذكر: (أنَّ الله سـبحانه خَلَقَ من ضلـع آدم امرأةً، وقرّبها إليـه. فقال آدم: هذه المرأة لأنها أُخِذت من المرء)[2].

قلت: وهذا موافقٌ لما ورد في السُّنة[3].

ثم ذكر: (أنَّ آدم وامرأته كانا كلاهما عُريانين، لا يستحيان، وأنَّ الله سبحانه أذِن لهما أنْ يأكلا من جميع شـجر الجنة؛ إلاَّ شـجرة معرفة الخير والشَّر، فإنك يوم تأكل منها تموت موتًا)[4].

قصة آدم وحواء عليهما السلام في التوارة

قلت: التوراة والقرآن أطلقت[5] فيهما الشـجرة فلم تُسـم[6]، ولـم يُعيّن جنسُـها ولا نوعُها، غير أنَّ التوراةَ وصفتها بأنها: شجرةُ معرفة الخير والشَّرِ.

نعم، اختلف مفسِّرو[7] القرآن في عينها، فقيل هي: السُّنبلة، وقيل: شجرة التيِّن،

= اليـوم، عنـد أهـل السـنة، وقد ذكر مسـلم في كتـاب الإيمان في حديـث الإسـراء أن (الفرات والنيـل يخرجان مـن الجنـة) وفى البخـاري: (من أصـل سـدرة المنتهى)]. [شـرح النووي علـى صحيح مسـلم(١٧/ ١٧٦) شرح حديث (٢٨٣٩)]

(١) سفر التكوين: ٢: ١٩-٢٠.

(٢) سفر التكوين: ٢: ٢١-٢٣.

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسـول الله ﷺ: (اسـتوصوا بالنسـاء فإن المرأة خلقت من ضلع وإن أعوج شـيء في الضلـع أعـلاه فإن ذهبت تقيمه كسـرته وإن تركته لم يزل أعوج فاسـتوصوا بالنسـاء) [رواه البخـاري، برقم (٣٠٨٤) و (٤٧٨٧)ومسلم:برقم (٢٦٧٠) و(٢٦٧١)].

(٤) سفر التكوين: ٢: ١٦-١٧ و٢٥.

(٥) في (أ): أطلقا، والصواب من: (ب).

(٦) في (أ): يُسم، والصواب من: (ب).

(٧) في (أ) و(ب): مفسروا، والصواب ما أثبتُّه.

ولهـذا قال معبرو[1] الرؤيا: من رأى أنه يأكل التيـن أصابه حُزْنٌ[2]؛ لأنَّ آدم لما أكلَها أصابَه الحزُنُ بخروجه من الجنّة.

وذكـر بعـد هـذا في التـوراة: (أنَّ الحيّة قالـت للمرأة: لم لا تأكلان من شـجرة الفـردوس؟! فقالـت: لئلا نموت، فقالت الحيـة: إنكما لا تموتان مـن أكلها، ولكنَّ الله علـم أنكما يـوم [٩٥/ ب] تأكلانِ منها تنفتح أعينكمـا، وتكونان كآلهةٍ!، تعرفان الخيرَ والشَّـرَ، فأكلت المـرأة وأطعمتْ بعلَهـا، فانفتحت أعينهمـا، وعلِمَا [٩٠/ أ] أنهما عُريانان، فأخذا من ورق، التين وجعلا يوصِّلان مآزر)[3].

قلتُ: هذا كلامٌ مخالفٌ للقرآن، في البعض دون البعض.

أَمَّـا قولـه: إن الحيّـة هـي أغوت المـرأة حتـى أكلت، فهـو بالظاهـر مخالفٌ؛ لأنَّ القـرآن العظيم[4]نـصَّ علـى أنَّ الـمُغـرِي[5] لهـا إبليـسُ، لكن الجمـع ممكنٌ؛

(١) في (أ) و(ب): معبروا، والصواب ما أثبتُّه.

(٢) قـال القرطبـي رحمة الله عليه: (اختلف أهل التأويل في تعيين هذه الشـجرة التي نهـي عنها فأكل منها، فقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وجعدة بن هبيرة: هي الكرم، ولذلك حرمت علينا الخمر. وقال ابن عباس أيضا وأبو مالك وقتادة: هي السـنبلة، والحبة منها ككلى البقر، أحلى من العسـل وألين من الزبد، قاله وهب بن منبه. ولما تاب الله على آدم جعلها غذاء لبنيه. وقال ابن جريج عن بعض الصحابة: هي شجرة التين، وكذا روى سعيد عن قتادة، ولذلك تعبر في الرؤيا بالندامة لآكلها من أجل ندم آدم عليه السلام على أكلها، ذكره السـهيلي. قال ابن عطية: وليس في شـيء من هذا التعيين ما يعضده خبر، وإنما الصواب أن يعتقد أن الله تعالى نهى آدم عن شـجرة فخالف هو إليها وعصى في الاكل منها. وقال القشـيري أبو نصر: وكان الامام والدي رحمه الله يقول: يعلم على الجملة أنها كانت شجرة المحنة. [الجامع لأحكام القرءان للقرطبي (١/ ٣٠٥)].

(٣) سفر التكوين: ٣: ١-٧.

(٤) العظيـم، ليسـت في: (ب). والطوفي في معرض الرد على أهل الكتـاب يذكر موافقة كلامهم أو مخالفته للقرءان الكريـم، وإلاَّ فنحـن لا نحتاج إلى موافقـة كتبهم لما عندنا، كما قرر الطوفي ذلك مـرارًا في هذا الكتاب، وغيره من كتبه.

(٥) في: (ب): المغوي، والمثبت من: (أ) قال القرطبي: (ولا خلاف بين أهل التأويل وغيرهم أن إبليس كان متولي إغواء آدم، واختلف في الكيفية، فقال ابن مسـعود وابن عباس وجمهور العلماء أغواهما مشـافهة، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وقاسـمهما إني لكما لمن الناصحين ﴾ والمقاسـمة ظاهرها المشـافهة. [الجامع لأحكام القرءان للقرطبي (١/ ٣١٢)].

بأنَّ إبليس دخل الجنة في فم الحيّة[1]، فنسب الإغواء في التوراة: إليها؛ لأنَّها محلٌ للشيطان المغوي، وفي القرآن: إلى الشيطان اعتبارًا بحقيقة المتكلم، وهو أولى بالصواب والحق في العقل. وأمَّا قولُه: إن الحيّة قالت: يوم تأكلان منها تكونان كآلهة، فهو موافقٌ لما في القرآن؛ من قوله تعالى حكاية عن إبليس ﴿وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ﴾ [الأعراف، آية٢٠]، أي: لئلا تكونا كذلك، أو كراهة أن تكونا كذلك.

وذكر في التوراة بعد هذا: (أن الله سبحانه قال لبزيان[2]: آدم قد صار كأحدنا فعلم الخير والشّر، لعلَّه الآن يمد يده فيأخذ أيضًا من شجرة الحياة، ويأكل منها فيحيا[3] الدهر[4]، فأخرجه الله[5] الربُّ من فردوس عدنٍ؛ ليحرث الأرض)[6].

---

(١) قال السيوطي رحمة الله عليه: (أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن مسعود وناس من الصحابة قالوا: لما قال الله لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة فأتى الحية هي دابة لها أربع قوائم كأنها البعير وهي كأحسن الدواب فكلمها إن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم فأدخلته في فمها فمرت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لما أراد الله من الأمر فكلمه من فمها فلم يبال بكلامه فخرج إليه فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين فأبى آدم أن يأكل منها فقعدت حواء فأكلت ثم قالت: يا آدم كل فإني قد أكلت فلم يضر بي، فلما أكل بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وأخرج عبد الرزاق وابن جرير عن ابن عباس قال: إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض أنها تحمله حتى يدخل الجنة معها ويكلم آدم، فكل الدواب أبى ذلك عليه حتى كلم الحية فقال لها: أمنعك من ابن آدم فإنك في ذمتي إن أدخلتني الجنة فحملته بين نابين حتى دخلت به فكلمه من فيها وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها، يقول ابن عباس: فاقتلوها حيث وجدتموها اخفروا ذمة عدو الله فيها). [الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي(١/ ١٣٠) عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١٩٩٣م، دار الفكر. بيروت].

(٢) في: (ب): ليزيان، والمثبت من: (أ)، وهي كلمةٌ غير واضحة المعنى، وبالرجوع إلى الكتاب المقدس سفر التكوين: ٣: ١-٢٤، لم أجد هذه الكلمة فيه. والنص الوارد في: ٢٢-٢٣: (قال الرب الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها).

(٣) في (أ): (فيحيى): والصواب من (ب).

(٤) في: (ب): للدهر، والمثبت من: (أ).

(٥) لفظ الجلالة: الله، ليس في (ب)، والمثبت من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ٣: ٢٢-٢٣.

وذكر عبدُ الرزّاق[١] في تفسيره: حدثنا[٢] عمر بن عبد الرحمن[٣]، قال: سمعت وهب بن منبّهٍ يقول: «لـمَّا أسكنَ اللهُ آدم وزوجته الجنةَ، ونهاه عن الشجرة، وكانت شجرةً غصونها متشعبٌ بعضُها إلى بعضٍ، وكان لها ثمرٌ تأكله[٤] الملائكة لخلدهم»، وساق القصة، إلى أن قال: «قيل لوهبٍ: هل كانت الملائكة تأكل؟! فقال: يفعل الله ما يشاء! »[٥].

---

(١) عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري، الصنعاني (١٢٦ - ٢١١ هـ = ٧٤٤ - ٨٢٧ م): من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحوا من سبعة عشر ألف حديث. له (الجامع الكبير) في الحديث، قال الذهبي: وهو خزانة علم، وكتاب في (تفسير القرآن) و (المصنف في الحديث) ويقال له الجامع الكبير، حققه حبيب الرحمن الاعظمي الباكستاني المعاصر، ونشره المجلس العلمي الباكستاني في ١١ جزءًا. [الأعلام (٣/ ٣٥٣) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٢١٦)].

(٢) في: (ب): ثنا، و المثبت من (أ). وثنا: صيغة اختصار عند المحدثين، وصيغ الأداء عندهم كثيرة: (حدَّثَنا) و (سَمِعتُ) لِمَا سُمِع من لفظ الشيخ. واصطُلِح على أنَّ (حدَّثَني) لِمَا سَمِعتَ منه وحدَك، و(حدَّثَنا) لِمَا سَمِعتَه معَ غيرك. وبعضُهم سَوَّغ (حدَّثَنا) فيما قراه هو على الشيخ. وأما (أخبَرَنا) فصادِقةٌ على ما سَمِع من لفظ الشيخ، أو قرأه هو، أو قرأه آخَرُ على الشيخِ وهو يَسمع. فلفظُ (الإخبار) أعمُّ من (التحديث). و (أخبرني) للمنفرِد. وسَوَّى المحققون كمالكٍ والبخاريِّ بين (حدَّثنا)و (أخبرنا) و (سَمِعتُ)، والأمرُ في ذلك واسع. فأمَّا (أنبأنا) و (أنا) فكذلك، لكنها غلَبتْ في عُرف المتأخرين على الإجازة. وقولُه تعالى: ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾. دَالٌّ على التَّساوِي. فالحديثُ والخبرُ والنَّبأُ مُترادِفاتٌ. وأما المغاربة فيُطلقون: (أخبرَنا)، على ما هو إجازةٌ، حتى إنَّ بعضهم يُطلِقُ في الإجازة: (حدَّثَنا). وهذا تدليس. ومن الناس من عَدَّ (قال لنا) إجازةً ومُناوَلةً. [الموقظة في علم مصطلح الحديث(١٠)للذهبي].

(٣) عمر بن عبد الرحمن بن مهرب يقال له ابن درية عمة مولى الأخنس ابن شريق حليف لقريش. كان شيخا صالحًا، حدث عن وهب بن منبه [مشاهير علماء الأمصار لابن حبان (١/ ٣٠٥) رقم الترجمة (١٥٤٢). العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد (٢/ ٣٩٦-٣٩٧) طبع المكتب الإسلامي)].

(٤) في: (ب): تأكلها، والمثبت من: (أ).

(٥) والرواية بنصها في تفسير عبدالرزاق الصنعاني هكذا: (عن وهب بن منبه: « لما أسكن الله آدم الجنة وزوجته نهاه عن الشجرة، وكانت الشجرة غصونها يتشعب بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكلها الملائكة لخلودهم، وهي الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف الحية، وكانت الحية لها أربع قوائم كأنها بختية من أحسن دابة خلقها الله، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس، فأخذ من الشجرة التي نهى الله عنها آدم وزوجته، فجاء بها إلى حواء، فقال: انظري هذه الشجرة ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم، فقالت: انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها فأكل منها آدم فبدت لهما سوآتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه يا آدم =

قلتُ: هذا أسهلُ مما ذكر في التوراة، فإنّ فيه محذورين شنيعين:

أحدهما: أنه مشعرٌ؛ بل ظاهرٌ بأنَّ الله سبحانه إنما كان حيًا، خالدًا، عالمًا بالخير

= أين أنت؟ قال: هأنذا يا رب، قال: ألا تخرج؟، قال: أستحي منك يا رب، قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة تتحول ثمارها شوكا، قال: ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرتان أفضل من الطلح، والسدر، ثم قال: يا حواء أنت التي غررت عبدي فإنك لا تحملين حملا إلا حملته كرها، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مرارا، وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكون لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم، وهم أعداؤك حيث لقيت أحدا منهم أخذت بعقبه، وحيثما لقيك شدخ رأسك»، قال عمر: فقيل لوهب: وهل كانت الملائكة تأكل؟ قال: يفعل الله ما يشاء). [تفسير القرءان (٢/ ٢٢٦-٢٢٧) الإمام: عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد. الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ مكتبة الرشد - الرياض. ورواها ابن جرير الطبري في تفسيره (١/ ٥٢٦) طبعة أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ. وابن كثير في تفسيره (١/ ٢٣٦) ونقلها جمع من المفسرين] ومعلوم أن وهبًا ينقل من كتب أهل الكتاب، فما وافق ماعندنا قبلناه، وما خالفه رفضناه، ولا يكفي اعتذاره هنا عن الجواب على سؤال عمر له عن أكل الملائكة بقوله: الله يفعل ما يشاء؛ إذ من المعلوم أن الله تعالى يفعل ما يشاء، (والملائكة خِلْقتهم عظيمة، منهم مَن له جناحان، ومنهم مَن له ثلاثة، ومنهم له أربعة، ومنهم مَن لهُ أكثر من ذلك، وثبت أن جبريل ﷺ له ستمائة جناح. وهم جند من جنود الله، قادرون على التمثل بأمثال الأشياء، والتشكُل بأشكال جسمانية؛ حسبما تقتضيها الحالات التي يأذن بها الله -سبحانه وتعالى- وهم مقربون من الله ومكرَّمون، لا يوصفون بالذكورة والأنوثة، ولا يتناكحون، ولا يتناسلون. والملائكة لا يأكلون ولا يشربون، وإنَّما طعامهم التسبيح والتهليل ولا يملون، ولا يفترون، ولا يتعبون، ويتصفون بالحسن، والجمال، والحياء، والنظام). [الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)(٥٤) عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية، الطبعة: الأولى١٤٢٢هـ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية] وقد تعقب هذه الرواية الشيخ الدكتور: محمد بن محمد أبو شهبة في (الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير) فقال: (.. وأغلب كتب التفسير بالرأي ذكرت هذا أيضًا، وكل هذا من قصص بني إسرائيل الذي تزيدوا فيه، وخلطوا حقًا بباطل، ثم حمله عنهم ابن عباس وغيره من الصحاب والتابعين، وفسروا به القرءان. ويرحم الله ابن جرير، فقد أشار إلى أن مايرويه عن ابن عباس وابن مسعود إنما مرجعه إلى وهب وغيره، من مسلمة أهل الكتاب، وياليته لم ينقل شيئًا من هذا، وياليت من جاء من بعده من المفسرين صانوا تفاسيرهم عن مثل هذا. وفي رواية ابن جرير الأولى ما يدل على أن الذين رووا عن وهب وغيره كانوا يشكون فيما يروونه لهم، فقد جاء في آخرها: (قال عمر: قيل لوهب: وما كانت الملائكة تأكل؟! قال: الله يفعل مايشاء!) فهم قد استشكلوا عليه: كيف أن الملائكة تأكل؟! وهو: لم يأت بجواب يُعتد به. ووسوسة إبليس لآدم ﷺ لا تتوقف على دخوله في بطن الحية؛ إذ الوسوسة لا تحتاج إلى قرب ولا مشافهة، وقد يوسوس إليه وهو على بعد أميال منه، والحية خلقها الله يوم خلقها على هذا، ولم تكن لها قوائم كالبختي، ولاشيء من هذا).

[الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير(١٧٥) الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ مكتبة السنة بالقاهرة].

والشّر؛ لكونه أكلَ من الشجرة.

الثاني: أنَّ بزيان مثلُ الله سبحانه في ذلك؛ لقوله: قد صار كأحدنا.

وفيه محذورٌ آخرُ، وهو: أنَّه يُشعِر بأنَّ الله لم يعلم أنَّ آدم سيأكل من الشجرة، ولا أنَّه أكلَ منها حين أكلَ، حتى أخبره على ما صرّح به[1]، أو أشار إليه [٩٦/ ب] قبلُ، على ما سيأتي، وكلُّ هذا قبيحٌ رديٌّء، يجلُّ سَوَقَة المخلوقين أن يحكوه عن أنفسهم، فضلًا عن الخالق.

وقوله: وكانا عريانين، وعلما أنهما عريانان[2]، ينافي بظاهره قوله سبحانه ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾[3]؛ لأنَّ بُدوَّ الشيءِ يستدعي استتاره، لكن قد يقال: الاستتارُ تارةً يكون لمعنىً في المرأى، وتارة لمعنىً في الرائي؛ لكنَّ حمل الأمر [٩١/ أ] على أنهما كانا مستترين؛ أنسبُ بحكمة الله ولطفه، وإكرامِهِ آدمَ عليه السلام[4]، ويدلُّ عليه: أنَّ في التوراة: أنَّ الله سبحانه صَنَع لهما بعد المعصية سَرَابيل من الجلود[5]، وألبسهما. فإذا كان بعد المعصية لا يجعلهما عريانين؛ فما الظَّنُ فيما قبلها، حين الكرامة؟!.

أنهما عريانان، ينافي بظاهره قولَه سبحانه: ﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا ﴾

وقولُه: فأخذا من ورق التين، وجعلا يوصِّلانِ مآزر، موافقٌ لقوله تعالى: ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ [سورة: طه، آية: ١٢١]؛ وفيه تنبيهٌ على أنَّ الشجرة كانت شجرة التين، كما حكينا عن بعض المفسرين[6].

وذكر: (أن آدم وامرأته سمعا صوت الربِّ يمشي في الفردوس فاستترا من بين يدي الله

---

(١) به، ليست في(ب).

(٢) في: (ب): أنها، والمثبت من: (أ).

(٣) سورة: طه، آية: ١٢١.

(٤) عليه السلام، ليست في(ب).

(٥) النص الوارد في ذلك، في: ٣: ٢١: (وصنع الربُّ الإلهُ لآدم و امرأته أقمصةً من جلدٍ، و ألبسهما).

(٦) ولا يعنينا هذا الخلاف في شيء، وقد سبق ذكر أقوال أهل التفسير في كنه هذه الشجرة.

الربُّ بين شجر الفردوس، ونادى الله آدم، فقال آدم؛ أين أنت، فقال: سمعت صوتك تمشي في الفـردوس، ورأيت أني عريانٌ فاسـترتُ، فقال الله الربُّ: ومـن أدراك أنك عريانُ، لعلك أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟)[١] وساق القصة.

وهذا الكلام فيه تشانيع، منها:

الكلام على التجسيم

[الأول][٢]: صفةُ الله بالمشـي في الجنة، وهو تجسـيمٌ[٣]، وقد يُعارَضُ بما صحَّ عنه في دين الإسـلام، من صفة النزول[٤]، والجوابُ مشتركٌ، لكنْ مع التحقيق يلزم

(١) سفر التكوين: ٣: ٨-١١.

(٢) ما بين معقوفتين زيادة مني للتوضيح وترتيب الكلام.

(٣) هـذه اللفظـة مبتدعة، ولم تكن على عهد السـلف، قال شـيخ الإسـلام رحمـة الله عليه: (ذكر التجسـيم، وذم المجسـمة فهذا لا يُعرف في كلام أحد من السـلف والأئمة كما لا يعرف في كلامهم أيضًا القول بأن الله جسم أو ليس بجسم) [درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: (١ / ٢٤٩)].

(٤) حديـث النـزول مـن الأحاديـث المتواتـرة، نـص علـى ذلـك أبـو زرعـة الـرازي كمـا في عمـدة القـاري (٧ / ١٩٩)، وابـن القيـم في تهذيـب السـنن (٧ / ١٠٨)، والذهبـي في العلـو ص (٧٣)، وابـن عبـد الهـادي في الصـارم المنكـي ص (٣٠٤)، والكتـاني في النظـم المتناثـر ص (١٩١) وغيرهـم. انظـر: [اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث(١٢٩)د: محمد الخميس، ط١. ١٤١٩هـ وزارة الشئون الإسلامية - السـعودية]. في صحيح البخاري ((١٠٩٤): عن أبي هريرة ﷺ أن رسـول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه مـن يسـتغفرني فأغفر له) وأخطـأ الدكتور: مصطفى ديب البغا حينما أراد تفسـير النزول علـى غير معتقد أهل السنة والجماعة فقال: (ينزل ربنا) هذا النزول من المتشـابه الذي يفوض علم حقيقته إلى الله تعالى أو المراد ينزل أمره ورحمته ولطفه ومغفرته أو المراد تنزل الملائكته بأمر منه. (السـماء الدنيا) الأولى وسـميت الدنيا لقربها من أهل الأرض). انظر[الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسـماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، تحقيـق: د. مصطفـى ديب البغـا الطبعة الثالثـة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، دار ابن كثير، اليمامـة - بيروت، و: مذهب أهـل التفويـض في نصوص الصفات، أحمد بن عبـد الرحمن القاضي، الطبعة الأولـى ١٤١٦هـ دارالعاصمة، الريـاض] ولفظـه: « ينـزل ربنـا إلى السـماء الدنيا حيـن يبقى ثلث الليـل الآخر فيقـول من يدعوني فأسـتجيب له »... « متفـق عليـه. وهـذا ما قـرره عن أهل الحديـث الحافظ أبـو بكر الإسـماعيلي في اعتقاد أئمة أهـل الحديث، ص (٦٢)، حيث قال: (وأنه ٥ ينزل إلى السـماء الدنيا على ما صح به الخبر عن رسـول الله ﷺ بلا اعتقاد كيف فيه). وشـيخ الإسـلام أبو عثمان إسـماعيل الصابوني في عقيدة السـلف أصحاب الحديث ص (٢٦)، حيث قال: (ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف، بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه، ويُمِرُّون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويَكِلون علمه إلى الله)، قلت: قوله: (يَكِلون علمه إلى الله) يقصد به علم كيفية النزول، فقد استأثر الله بعلم الكيف، أما المعنى فهو معروف من لغة العرب وهو لائق بجلال الله وعظمته من غير تكييف ولا تمثيل ولا تعطيل =

اليهـود التشـنيع، دون المسـلمين؛ لأنَّ المسـلمين إمَّـا متـأوِّلٌ أو سـاكتٌ، واليهودُ ليسوا كذلك.

الثاني: قوله: آدم أين أنت؟!.

الثالث: قولُه: ومن[1] أدراك أنك عريان؟! لعلَّك أكلتَ من الشجرة؟!.

فـإنَّ هـذا ظاهرٌ في أنَّـه تعالى لم يعلم أيـن آدم، حتى أخبره. ولم يعلـم أنَّه أكلَ، حتى اسـتدلَّ عليه بالعُريِّ، وهذا افـتراءٌ عظيمٌ على الله، يدلُّ على أنَّ هذه التوراة ليسـت التي أُنزلتْ على موسى، كما سـبق تقريره في الإنجيل. ومن نظر ببصيرةٍ وعقـلٍ، في القـرآن والتـوراة؛ علـم بعـد الإنصـاف أنَّ القـرآن أشـبهُ بالحكمـة والصـوابِ [٩٧/ ب] مـن التوراة[2]؛ فإنَّها تشـبهُ خرافات الصبيان!، وما سـببُ ذلك إلاَّ تقادمُ العهد، واستيلاء التحريف.

بطلان توراة اليهود وافتراؤها على الله تعالى

وذكر فيها: (أنَّ اللهَ وكَّلَ بطريق شجرة الحياة ملكًا كروبيًّا بحربةٍ يحرسها)[3].

قلت: كأنه يريد من آدم وغيره[4]؛ لئلا يأكلَ منها فيصيرَ مثلَ الله سبحانه!، وهذه عقولٌ سخيفةٌ.

وذكر: (أنَّ آدم سمَّى زوجته حواء؛ لأنها أمُّ كلِّ حيٍّ)[5].

قلـتُ: هـذا قريبٌ، وهو من باب الاشـتقاق؛ كتسـميته إياها امرأةً؛ لأنَّهـا من المرء، فالمرأة اسم لجنسها أو نوعها. وحوّاء اسم لشخصها. ويقال: [٩٢/ أ] سُمِّيَتْ حَوَّاء؛ لأنَّها حَوَتْ عليه لـمَّا نـزلا إلى الأرض، وقبل ذلك، أي: اجتمعت معه وأَلِفتْه، وقد تُسمَّى المرأةُ

= ﴿ 0000000﴾ [سـورة الشـورى. الآيـة: ١١]. الخلاصـة: يؤمـن أهل السـنة بصفة النزول الإلهي على الكيفية اللائقة بالله تعالى وأنه نزول حقيقي إلى السماء الدنيا كل ليلة. انظر: [اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث(١٢٩)د: محمد الخميس، ط١ ١٤١٩هـ وزارة الشئون الإسلامية والإرشاد. السعودية].

(١) في (أ): (من أدراك)، والمثبت من (ب).

(٢) هذا الكلام موجهٌ من الطوفي رَحِمَهُ اللهُ إلى المخاطبين من اليهود والنصارى، وهذا أولى توجيهٍ لكلامه، والحمد لله تعالى أن لدينا قاعدة ذهبية في التعامل مع نصوص أهل الكتاب، سبق تقريرها غير مرة.

(٣) سفر التكوين: ٣: ٢٤، ونصه: (فطرد الإنسان، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم، و لهيب سيف متقلب؛ لحراسة طريق شجرة الحياة).

(٤) في (ب): (أو غيره)، والصواب من: (أ).

(٥) سفر التكوين: ٣: ٢٠.

حوَّاء من: الـحُوَّة، وهي: حمرةٌ في الشفتين. والله أعلم.

وذكر: قصة قابيل وهابيل مبسوطةً(١)، وهي غيرُ منافيةٍ لما في القرآن الكريم(٢)، وبينهما تفاوت في الزيادة والنقّص، وليس ذلك موجبًا للتنافي.

وذكر: (أن آدم عاش تسـعمائة سـنة وثلاثين سـنة، ثمانمائة بعد أن ولد شـيئًا، ومائة وثلاثين قبلها)(٣).

وهـذا مخالفٌ لما صحَّت به السُّـنةُ النبوية، مـن أنَّ آدم وهب ابنه داود من عمره -وهو ألف سنة- أربعين سنة، فيبقى تسع مائة وستون سنة(٤).

---

(١) هذا نص سفر التكوين ٤: ١-٢٥، حول قصة هابيل وقابيل، وقد سمِّي قابيل (قايين): (و عرف آدم حواء امرأته، فحبلت، وولدت قايين، و قالت: اقتنيت رجلًا من عند الربِّ، ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعيًا للغنـم، وكان قايـن عاملًا في الأرض، و حدث من بعد أيـام أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانًا للربِّ، و قدم هابيـل أيضًـا من أبكار غنمه، ومن سـمانها فنظر الرب إلى هابيـل و قربانه، و لكن إلى قايـن و قربانه لم ينظر، فاغتاظ قايين جدًا و سـقط وجهه، فقال الربُّ لقايين: لماذا اغتظت؟! و لماذا سـقط وجهك؟! إن أحسنت أفلا رفع، و إن لم تُحسـن؛ فعند الباب خطية رابضة، و إليك اشـتياقها، و أنت تسود عليها. و كلم قايين هابيل أخاه، و حدث إذ كانا في الحقل إن قايين قام على هابيل أخيه و قتله، فقال الربُّ لقايين: أين هابيل أخوك؟!، فقال: لا أعلم أحارسٌ أنا لأخي؟!، فقال: ماذا فعلت؟! صوت دم أخيك صارخ إلي من الأرض، فالآن ملعونٌ أنت من الأرض، التـي فتحت فاهـا؛ لتقبل دم أخيك من يدك، متى عملت الأرض لا تعـود تعطيك قوتها، تائهًا و هاربًا تكون في الأرض، فقال قايين للربِّ: ذنبي أعظم من أن يحتمل!، إنك قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، و من وجهـك أختفـي، وأكون تائهًا و هاربًا في الأرض؛ فيكـون كلُّ من وجدني يقتلني!، فقال له الرب: لذلك كلُّ من قتل قايين فسـبعةُ أضعاف ينتقم منه، و جعل الربُّ لقايين علامةً؛ لكي لا يقتله كلُّ من وجَدَه، فخرج قايين من لدن الربِّ، و سـكن في أرض نود شـرقي عدن، و عرف قايين امرأته فحبلت، و ولدت حنوك، و كان يبني مدينة فدعا اسـم المدينة كاسم ابنه حنوك، و ولد لحنوك، عيراد، و عيراد ولد محويائيل، و محويائيل ولد متوشائيل، و متوشائيل ولد لامك، و اتخذ لامك لنفسه امرأتين، اسم الواحدة: عادة، و اسم الأخرى: صلة، فولدت عادة: يابال، الذي كان أبًا لسـاكني الخيام، ورعاة المواشـي، و اسـم أخيه: يوبال الذي كان أبًا لكل ضارب بالعود و المزمـار، و صلـة أيضًا ولدت: توبال قايين، الضـارب كل آلةٍ من نحـاس و حديد، و أخت توبال قايين نعمة، و قـال لامك لامرأتيه: عادة، و صلة: اسـمعا قولي يا امرأتي لامـك، و أصغيا لكلامي، فإني قتلت رجلًا لجرحي، و فتىً لشدخي، إنه ينتقم لقايين سبعة أضعاف، و أما للامك فسبعة و سبعين، و عرف آدم امرأته، أيضًا فولدت ابنًا، ودعت اسمه شيئًا، قائلة: لأنَّ الله قد وضع لي نسـلًا آخر عوضًا عن هابيل؛ لأنَّ قايين كان قد قتله).

(٢) قصتهما في سورة:(المائدة: ٢٧-٣١).

(٣) سفر التكوين: ٥: ١-٥.

(٤) عن أبي هُرَيْرَةَ، قال: قال رَسـولُ الله ﷺ: «لَمَّا خَلَقَ الله آدَمَ مَسَـحَ ظَهْرَهُ فَسَقَطَ مِنْ ظَهْرِهِ كُلُّ نَسَمَةٍ هُوَ خَالِقُهَا =

على أنَّ محمد بن سعدٍ[١] ذكر: أن الله سبحانه[٢] أكمل لآدم ألف سنة، ولداود مائة سنة[٣]، في القصة المشهورة في السُّنَّة.

وذكر: (أنَّ أخنوخ وهو إدريس عليه السلام، رفع إلى الفردوس[٤] بعد ثلاثمائة وخمس وستين سنةً)[٥]، وهذا لا ينافي القرآن.

وذكر بعد ذكره مولد نوحٍ: (أنَّ الربَّ[٦] سبحانه قال: لا تسكن روحي في البشر إلى الدهر؛ من أجل أنَّهم لحمٌ، ولتكن أيامُ الإنسان مائة وعشرين سنةً)[٩٣/ أ][٧].

قلت: التوراةُ عند النصارى حجةٌ لهم وعليهم، وهذه التوراة تنطقُ بأنَّ روح الله

= مِنْ ذُرِّيَّتِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَجَعَلَ بَيْنَ عَيْنَي كُلِّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ وَبِيصًا مِنْ نُورٍ، ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى آدَمَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَؤُلاءِ؟ قال: هَؤُلاءِ ذُرِّيَّتُكَ، فَرَأَى رَجُلًا مِنْهُمْ فَأَعْجَبَهُ وَبِيصُ ما بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فقال: أَيْ رَبِّ، مَنْ هَذَا؟ فقال: هَذَا رَجُلٌ مِنْ آخِرِ الأُمَمِ مِن ذُرِّيَّتِكَ يُقَالُ لَهُ دَاوُدُ، قال: رَبِّ وَكَمْ جَعَلْتَ عُمْرَهُ؟ قال: سِتِّينَ سَنَةً، قال: أَيْ رَبِّ، زِدْهُ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَلَمَّا انْقَضَى عُمْرُ آدَمَ جَاءَهُ مَلَكُ الْمَوْتِ فقال: أَوَلَمْ يَبْقَ مِنْ عُمْرِي أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أَوَلَمْ تُعْطِهَا لابْنِكَ دَاوُدَ؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود قال: فَجَحَدَ آدَمُ فَجَحَدَتْ ذُرِّيَّتُهُ وَنَسِيَ آدَمُ فَنَسِيَتْ ذُرِّيَّتُهُ، وَخَطِيءَ آدَمُ فَخَطِئَتْ ذُرِّيَّتُهُ». قال أبو عيسى: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وقد رُوِيَ من غيرِ وَجْهٍ عن أبي هُرَيْرَةَ عن النَّبِيِّ ﷺ.

[مسند أحمد: (١/ ٧٣) (١/ ٢٥١) سنن الترمذي، (٣/ ٣٨٨) ح (٣١٧٨) واللفظ له]

(١) محمد بن سعد كاتب الواقدي، كان أحد الفضلاء النبلاء الأجلاء، صحب الواقدي المذكور قبله زمانًا وكتب له فعرف به، وسمع سفيان بن عيينة وأنظاره، وصنف كتابًا كبيرًا في طبقات الصحابة والتابعين والخلفاء إلى وقته، فأجاد فيه وأحسن، وهو يدخل في خمس عشرة مجلدة، وله طبقات أخرى صغرى، وكان صدوقًا ثقة. ويقال اجتمعت كتب الواقدي عند أربعة أنفس: أولهم كاتبه محمد بن سعد المذكور، وكان كثير العلم غزير الحديث والرواية كثير الكُتُبَة، كتب الحديث والفقه وغيرهما. وقال الحافظ أبو بكر الخطيب صاحب «تاريخ بغداد» في حقه: ومحمد بن سعد عندنا من أهل العدالة وحديثه يدل على صدقه فإنه يتحرى في كثير من رواياته، وهو من موالي الحسين بن عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب. وتوفي يوم الأحد لأربع خلون من جمادى الآخرة، سنة (٢٣٠) ببغداد. ودفن في مقبرة باب الشام، وهو ابن (٦٢) سنة، رحمه الله تعالى. [وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٨)، ميزان الاعتدال (٦/ ١٦٢)].

(٢) سبحانه، ليست في: (ب).

(٣) سنة، ليست في: (ب).

(٤) في (أ): (من بعد)، والصواب من (ب).

(٥) سفر التكوين: ٥: ٢١-٢٣.

(٦) في (أ): (الله)، والمثبت من: (ب).

(٧) سفر التكوين: ٦: ٣.

لا تحل في البشر؛ لكونه لحمًا. وبالاتفاق أنَّ المسيح كان لحمًا ودمًا، بشرًا سويًا، وروح الله هي: الله، بدليل قوله في أول[١] هذا السفر من التوراة: (**وكانت روح الله ترِفُّ على الماء**)[٢].

فدلَّ ذلك على أنَّ الله لم يحلَّ في المسيح كما قالت النصارى، وذكر في أناجيلهم[٩٨/ ب].

وأمَّا قولُه: لتكن أيام الإنسان مائة وعشرين سنة، فهذا إنْ ثبت فهو تقديرٌ إلهيٌ لعُمر الإنسان، غير معقول العلة، وقد اعتبره أهل العلم في مسألة[٣] ميراث المفقود[٤]، ونحوها من المسائل.

وتكلَّمَ أهلُ الطبِّ في توجيهه، وسألتُ بعضَ أفاضلهم عنه فقال: «لم يأتوا فيه بمقنعٍ غير أنهم زعموا أن الإنسان لا يزال في نموٍ إلى أربعين، ثم يقف أربعين، ثم يأخذ في الانحطاط والضعف أربعين»[٥].

قلت: وهذا ينظر إلى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ

---

(١) أول، ليست في: (أ) والمثبت من: (ب).

(٢) سفر التكوين: ١: ٢.

(٣) مسألة، ليست في (ب)، والمثبت من (أ).

(٤) قال في الكافي: (في باب ميراث المفقود: إذا غاب الإنسان وخفي خبره، وغالب سفره السلامة؛ كالتاجر والسائح، انتظر به تمام تسعين سنة من يوم ولد، في أشهر الروايتين، وفي الأخرى: ينتظر به أبدًا، أو يرجع إلى اجتهاد الحاكم في تقدير المدة. وإن كان غالب سفره الهلاك كالذي يفقد من بين أهله أو يفقد في طريق الحج فإنه ينتظر به تمام أربع سنين؛ لأنها أكثر مدة الحمل، وتعتد زوجته عدة الوفاة وتحل للأزواج. قال أحمد: إذا أمرت زوجته أن تتزوج قسمت ميراثه. وقد روي عنه التوقف. وقال: قد هبت الجواب فيها وكأني أحب السلامة. والأول: المذهب. فإن مات للمفقود من يرثه في مدة غيبته دفع إلى كل وارث اليقين، ووقف نصيب المفقود، فإن بان حيًا دفع إليه، وإن بان ميتًا حين موت مورثه رُد على من يستحقه، وكذلك إن كانت المدة قد مضت، وإن لم تكن مضت ولم يتبين أمره فحكم نصيبه من الميراث حكمُ سائر ماله، يُقسم على ورثته إذا مضت المدة؛ لأنه محكومٌ بحياته، ويجوز أن يصطلحوا على الفاضل عن نصيب المفقود من الموقوف؛ لأنه حقهم، ولا يجوز أن يصطلحوا على نصيب المفقود. والله تعالى أعلم). [الكافي في فقه ابن حنبل (٢/ ٥٦٦)، وانظر: الروض المربع في شرح زاد المستقنع (٣/ ٤٣)]

(٥) لم أجد هذا القول بعد بحث طويل.

بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴾ [الروم: ٥٤].

لكنَّ التقديرَ بأربعين، أربعين، في كلِّ طورٍ لا برهان عليه، وإلاَّ فقد يقال على قوله: لتكن أيامُ الإنسان مائة وعشرين سنة: إنْ أُريدَ أنَّ كلَّ إنسانٍ يبلغُها فهو باطلٌ بالمشاهدة.

وإنْ أُريدَ أنَّ كلَّ إنسانٍ لا يتجاوزها فباطلٌ أيضًا بالمشاهدة؛ فإنَّ كثيرًا من الناس يتجاوزها، وإنْ أُريدَ أنَّ بعضهم يبلغها، وبعضهم لا يتجاوزها؛ فإنْ أُريدَ بالبعض أكثرُ الناس، أو شطرُهم فباطلٌ أيضًا بالمشاهدة، وإنْ أُريدَ أقلَّهم فالوحيُ الإلهي لا يصدر لمثل[1] هذه الفائدة القليلة.

وذكر: (أنَّ الشرَّ لمَّا كثُر في أيام[2] نوحٍ أَسِف الربُّ وحزن قلبه على خلقهِ لآدم في الأرض، وعزم على إهلاك من في الأرض من كل ذي روح إلا نوحًا، فإنه وجد رحمةً بين يدي الربِّ)[3].

قلت: هذا من وضعِ اليهود وكذبِهم على اللهِ؛ حيثُ نسبوه إلى الجهل والابتداء؛ حتى احتاج إلى الاستدراك بالبداء[4]، ونسبوه إلى الأسف، وحُزن القلب؛ بناءً على رأيهم في التجسيم، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

والصَّوابُ في هذا وغيره ما عليه العقلاء، من أنَّ الله سبحانه يتصرَّفُ في مُلكه

(١) في (ب): (إلى) والصواب من: (ب).

(٢) في: (ب): في زمن، والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ٦: ٥-٨.

(٤) البداء ظهور الشيء بعد أن لم يكن به. وهو استِصْواب شيء عُلم بعدَ أن لم يُعْلَم وذلك على الله غير جائز. [التوقيف على مهمات التعاريف (١١٨) محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق. النهاية في غريب الحديث والأثر(١/ ٢٧١)أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت]. قال الشهرستاني: (البداء له معان: البداء في العلم: وهو أنه يظهر له خلاف ما علم ولا أظن عاقلا يعتقد هذا الاعتقاد والبداء في الإرادة: وهو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد وحكم. والبداء في الأمر: وهو أن يأمر بشيء ثم يأمر بشيء آخر بعده بخلاف ذلك ومن لم يجوز النسخ ظن أن الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة). [الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٤٦)].

بمقتضى مِلكه، وأنَّ عِلمَه تعلَّقَ في الأزل، بأنَّ بقاء هذا الشيء مصلحةٌ في وقت كذا، مفسدةٌ في وقت كذا، فيُبقيه في وقت المصلحة، ويهلكه في وقت المفسدة، ثم تلك المصلحة والمفسدة قد تكون ظاهرةً للناس، وقد تقصرُ عقولُهم عن إدراكها، والحكيمُ المجرِّبُ لا يُتَّهمُ.

تنقص اليهود لله تعالى ووصفه بالعظائم، لعنهم الله.

وبهذا قرّر المسلمون جواز النَّسخ [٩٩/ ب] في الشرائع والأحكام(١)، وجعلوا نظيره الطبيب حيث يصف للمريض اليوم شيئًا ثم ينهاه عنه غدًا، بحسب مصلحة مِزاجِه وتدبيره، واختلاف الأزمنة والأمكنة والأمزجة(٢)، والله أعلم.

وذكر: **(أنَّ الله سبحانه أمرَ نوحًا أن يصنع فُلكًا طولُه ثلاثمائة ذراع، وعرضه خمسون ذراعًا، وارتفاعُه ثلاثون)**(٣). وهذا لم يرد في شريعة الإسلام لهُ تقديرٌ، ولا في التصديق به محذورٌ(٤).

وذكر: **(أنَّ الماء لما أخذ في النُّضُوب أرسل نوحٌ عليه السلام(٥) الغرابَ؛ ليكشف له خبر الأرض هل ظهرت؟!، فذهب فلم يرجع، ثم أرسل الحمامة فلم تجد لرجلها(٦) مستقرًا، فعادت ثم أرسلها بعد سبعة أيام، فعادت وفي فمها ورقةُ زيتون، فعلمَ أنَّ الماء قد قلَّ، ثم أرسلها بعد سبعة أيام فذهبت ولم تعد)**(٧).

قلت: فلعلّ هذا سبب استيحاش الغراب، واستئناس الحمامة، حيث رجعت ولم يرجع، فكأنه(٨) أبْعَدَ في المذهب، حتى وجد مستقرًا نادرًا فأقام به، أو بقي [٩٤/ أ] طائرًا، حتى وجد مستقرًا.

---

(١) انظر في قضية النسخ: [تفسير ابن كثير (١/ ٣٧٧-٣٧٧)]و[(٢/ ٧٦)].

(٢) في: (أ): للأمزجة، والمثبت من: (ب).

(٣) سفر التكوين: ٦: ١٥.

(٤) به محذور، ليست واضحة في (ب)، والمثبت من: (أ)

(٥) ليست في(ب).

(٦) في (ب): (رجليها) والمثبت من: (أ) وهو موافقٌ لما في سفر التكوين.

(٧) سفر التكوين: ٨: ٦-١٢.

(٨) في (ب): (وكأنه) والمثبت من: (أ).

وذكـر: (أنَّ الله لـمَّـا أهلك العالم بالطوفان، قـال في قلبه: لا أعود أبيد الأرض؛ لموضـع أنَّ ضميـرَ قلب الإنسـان إلى الشّـرِّ مذ حداثتـه، ولا أعود أُهلـك كلَّ حيٍ؛ كالذي فعلتُ)[١].

قلت: كأنَّه عذرَ الإنسـانَ؛ لكونه مطبوعًا على الشَّـرِّ، فنـدمَ على إهلاك العالم، وتابَ عن ذلك فنسـبوه إلى الجهل في خَلْـق الخلقِ، وإهلاكِهِ، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا[٢]؛ فإنَّ هذا من تحريف اليهود، والله أعلم.

وذكـر: (أنَّ الله سبحانه أطلق لنوحٍ وبنيه أكلَ كلِّ شيءٍ من حيوانٍ وخضرٍ، قال: غير أني أنهاكم عن أكل لحمٍ فيه دمٌ نفسُه جامدٌ، فلا تأكلوا الدَّم، فإني انتقم للدّم[٣]، من الرجل وأخيه[٤]، ومن يهريق[٥] دم إنسـانٍ معي ففي الإنسـان يهراقُ دمُه؛ من أجل أنَّه على صورة الله خلق آدم)[٦]. قلت: قد مرّ الكلام على الصورة. وفي هذا الكلام إشارةٌ إلـى أنَّ القصاص حقٌ لله تعالى، ولهذا مُنع مَنْ قبلنا مـن قبول الدِّيَة، وإنما أُحلّت لنا رخصةً ونحلةً، وليس في دين الإسلام ما ينافي هذا، وقد قررتُه في: (الفوائد)[٧].

وأمَّـا الـدّم فإنه محرَّمٌ في دين الإسـلام، إلاَّ ما يشـق اجتنابه، كمـا في عروق[٨] [١٠٠/ب] اللّحـم ونحـوه[٩]. واليهـود يتتبعـون ما في عـروق اللحم منـه، فهو من

---

(١) سفر التكوين: ٨: ٢١.

(٢) علوًا كبيرًا، ليست في(ب)، والمثبت من (أ).

(٣) في: (ب): الدم، والمثبت من: (أ).

(٤) في (أ): (أخته)، والمثبت من: (ب).

(٥) في (أ): (مهريق)، والمثبت من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ٩: ١: ٦.

(٧) من كتب الطوفي. أحال عليه في الانتصارات الإسلامية (١/ ٣٨٤، ٣٧٧، ٢٧٨)(٢/ ٦٣٨)، وكتابه هذا: التعليق على الأناجيل الأربعة، هنا. ودرء القول القبيح بالتحسين والتقبيح (المطبوع)(١٠٦).

(٨) عروق، في: (ب): عليها سواد فلم تضح، والمثبت من (أ).

(٩) الـدم الـذي يبقى في خلل اللحم بعدَ الذَّبح، وما يبقـى في العروق: فمباح، ولم يذكر جماعة إلاَّ دم العروق، قال شيخنا: لا أعلم خلافًا في العفو عنه، وأنه لا ينجّسُ المرقة، بل يؤكل معها. [الفروع في الفقه الحنبلي(١/ ٢٤٩) محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي].

الآصار التي عليهم، وخفّفت علينا[١].

وذكر: (**أنَّ الله سبحانه، أعطى نوحًا وبنيه ومن بعدهم، ميثاقًا أن لا يُهلك أحدًا بالطوفان العامِّ بعد ذلك، وجعل علامة ذلك ظهور القوس في السحاب**)[٢].

ذكر قوس قزح

قلت: هو المسمى بقوس قزح[٣]، ولهذا جاء عن بعض السّلف أنه قال: « قوس قزح أَمَانٌ من الغرق»[٤].

وبلغنا عن بعض المنجمِّين والفلاسفة؛ أنَّه يزعم أنَّه لابد للأرض من طوفانٍ من كل عنصرٍ من عناصر العالم، فقد مضى طوفان الماء، ولابُدَّ من طوفان الأرض، وهو رملٌ تنسفه الريحُ حتى يُطِمَّ الأرضَ، ومن طوفان الهواء؛ يهدم كلَّ ما على وجه الأرض، ومن طوفان النار؛ تحرقُ كلَّ ما على وجه الأرض.

الطوفان

قلت: وهذا لا ينافي الأمَان من طوفان الماء؛ لكنْ يظهرُ منه أنَّه من الخرافات الواردة، عن الأقيسة الفاسدة.

وذكر: (**أن نوحًا غرس كرمًا وشرب من خمره، فانكشفت عورته في نشوته، فأبصرها حامٌ، أبو[٥] كنعان فأخبر أخويه[٦]، فأخذ سام[٧]، ويافث[٨]؛ رداءًا وألقياه**

(١) في (ب): (عنا)والمثبت من: (أ).

(٢) سفر التكوين: ٩: ٩-١٧.

(٣) وقوسُ قُزَحَ طرائق متقوسةٌ تَبْدو في السماءِ أيام الربيع، وهو غير مصروف ولا يُفْصَلُ قُزَحُ من قوس، لا يقال: تأمَّلْ قُزَحَ فما أبْيَنَ قوسه، وفي الحديث عن ابن عباس: (لا تقولوا قوسُ قُزَحَ فإِن قُزَحَ اسم شيطان وقولوا قوس الله ﷻ)، كأنه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهلية وأن يقال قوسُ الله. [لسان العرب (٥/ ٢٦٣)].

(٤) عن بن عباس رضي الله عنهما قال: (المجرة باب من أبواب السماء وأما قوس قزح فأمان من الغرق بعد قوم نوح عليه السلام). [رواه البخاري في الأدب المفرد، باب: قوس قزح (١/ ٢٢٩)] صححه الألباني في [صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري(٢٨٤)]قال النووي: يكره أن يقال: قوس قزح لهذه التي في السماء. [الأذكار (٣٦٨)]وانظر: [فيض القدير للمناوي (٢/ ١٨٢)]و [لسان العرب (٥/ ٢٦٣)].

(٥) في: (ب): أو، هو خطأ والمثبت من: (أ)، ومن سفر التكوين ٩: ٢٢.

(٦) في (أ): (إخوته) والمثبت من (ب).

(٧) سام: اسم عبراني معناه: اسم، وهو أكبر أبناء نوح عليه السلام، ولد حين كان عمر نوح خمسمئة سنة، وكان متزوجًا وقت الطوفان، لكن لم يكن له أولاد وقتئذ [قاموس الكتاب المقدس(٤٤٨)].

(٨) يافث: اسم سامي ربما كان معناه: جمال، أو: يفتح. وهو: الابن الثالث لنوح [قاموس الكتاب المقدس(١٠٤٧)].

على عواتقهما، ومشيا على أعقابهما؛ لئلاً ينظرا عورة أبيهما؛ حتى وارياها، فلما صحا نوحُ وعلم ما كان من ذلك[٩٥/ أ]دعا لسام ويافث، وقال: ملعونٌ كنعان!، وعبدَ العبيد يكون لإخوته)[1].

الافتراء على نبي الله نوح عليه السلام

قلتُ: هكذا وجدته في نسخةٍ من أصحّ النسخ بالتوراة[2]، أنَّ الناظر إلى عورة أبيه هو[3] حام؛ أبو كنعان، وأنَّ دعاء نوحٍ كان على كنعان، وهذا جورٌ لا تليقُ نسبتُه إلى نوحٍ ﷺ[4]، بل إلى عوام الناس؛ أنَّ رجلاً يسيءُ أدبَه عليه فيدعو على ابنه!، وقد قال الله سبحانه في القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [سورة الأنعام: آية ١٦٤]، خصوصًا على مذهب اليهود في القدر، وأن لا يعاقب إلاَّ من أذنب.

فإن قيل: فلو لم يصرِّح بلعن كنعان لَلَحِقه شؤمُ اللعنةِ؛ بطريق التلقي عن أبيه حام، فلا فرق.

قلنا: بلى[5]، فرقٌ بين أنْ يلحقه شؤمُها عن غير قصدٍ، وبين أن يُقصدَ بالعقوبة غيرُ المذنب، ولو جاز هذا لجاز أن يُعذِّب اللهُ جميع بني آدم بذنب [١٠١/ ب] أبيهم آدم، وأنتم لا تقولون به.

وذكر: (أن الطوفان كان لستمائة سنةٍ من عمر نوحٍ، وأنه عاش بعده ثلاثمائة وخمسين سنة، ومات[6])[7].

قلت: هو موافق لما في القرآن من قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤].

---

(١) سفر التكوين: ٩: ٢٠-٢٦.
(٢) المقصود أنها مضبوطة أو أصحها لديهم، فقد علمنا تحريف التوراة ومراحله.
(٣) هو، ليست في(ب).
(٤) عليه السلام، ليست في(ب).
(٥) في (أ): (قلت) وبلى، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).
(٦) ومات، ليست في: (أ) والمثبت من: (ب).
(٧) سفر التكوين: ٧: ٦ و٩: ٢٨-٢٩.

وذكر: (أنَّ الأرض كانت كلها بعد نوحٍ وكثرة ولده، لسانًا واحدًا سريانيًا[١]، فارتحلوا من المشرق إلى بقعةٍ من الأرض، فجعل الرجل منهم يقول لصاحبه: هلمّوا فلنضرب لبنًا ونحرقهُ بالنار فيصير حجارة؛ فنبني قريةً، وصرحًا رأسه في السماء، فقال الربُّ: هذا شعبٌ واحدٌ، ولسانٌ واحدٌ، فهلُمَّ نهبط فنقسّم ألسنتهم؛ لئلاً يفهم أحدُهم كلامَ صاحبه، ففعل الربُّ ذلك، فتفرقوا وتركوا بناء الصرّح، ولذلك سُمّيت البقعة: بابل؛ لأنَّ ثمَّ بُلبلتْ[٢] الألسن، ومن هناك افترقوا [أولاد نوح][٣]في الأرض)[٤].

قلت: كأنَّ الحكمةَ في اختلاف [٥]... أن يتفرقّوا فيعمروا الأرض[٦]، ولا يلزموا مكانًا واحدًا. هذا محتملٌ قريبٌ.

أَمَّا إنْ قيل: إنَّ الله حذّر من أن يرتقوا إليه، أو نحو هذا، كما سبق من حكاية: أنه:

(وكل بالشجرة كروبيًا بحربة[٧] يحرسها، لئلاً يأكلَ منها آدم أو غيرُهُ فيصير إلهًا)[٨]، فهذا من الخرافات. !

وذكر: (أنَّ إبراهيم ولوطًا بعد أنْ عادا من مصر سكنا أرض كنعان[٩]، فكان رعاتهما يقتتلون، فاتفّقا على أن يفترقا، فأقام إبراهيم بكنعان، وشرّق لوطٌ إلى أرض سَدُوم[١٠]، فلما فارق لوط، قال اللهُ لإبراهيم: ارفع عينيك، وانظر المكان الذي أنت فيه،

(١) في: (أ): سرانيًا، والمثبت من: (ب). وهي:
(٢) في: (ب): تبلبلت، والمثبت من: (أ).
(٣) ليست في: (ب)، وهي ملحقة في الهامش الأيسر في (أ).
(٤) سفر التكوين: ٩: ١ -٩.
(٥) كلمة غير واضحة كتبت في الهامش في (أ)، والمثبت من: (ب).
(٦) في: (أ): الدنيا، المثبت من (ب).
(٧) في: (أ): بحرية، والمثبت من: (ب).
(٨) سفر التكوين: ٣: ٢٤، وقد سبق.
(٩) هي فلسطين، سميت بفلسطين بن كسلوخيم بن صدقيا بن كنعان بن حام بن نوح. [معجم البلدان (٤/ ٢٧٥)].
(١٠) مدينة من مدائن قوم لوط كان قاضيها يقال له سدوم [معجم البلدان (٣/ ٢٠٠) لسان العرب (١٢/ ٢٨٣)].

إلى الشمال والجنوب، والمشرق والمغرب [٩٦/ أ]، وأنَّ[١] جميع الأرض التي ترى كلَّها لك[٢]، أعطيها لك، ولنسلِك إلى الأبد، وأكثِّر ذرِّيتك مثلَ ترابِ الأرض)[٣].

قلتُ: فنظرنا فإذا ملك بني إسرائيل ارتفع عن أرض كنعان وغربها[٤] وشرقها، وجملة من شمالها، وغالبِ جنوبها بظهور محمدٍ ﷺ[٥]، وصار للعرب، بمقتضى وعد الله الصادق لخليله إبراهيم عليه السلام[٦]. وذلك يدلُّ على فضيلة العرب، وصحة النبوة فيهم؛ لأنَّهم من بني إبراهيم، وغالبُ بني إسرائيل صاروا تحت [١٠٢/ ب] الذُّل والصغار، والخزي والعار؛ بكفرهم وفجورهم. والله أعلم.

وذكر: **(أنَّ إبراهيم سأل ربَّه ولدًا يرثُهُ ويرث أرضَه، فوعده بذلك. فسأله آيةً على ذلك فقال له: خذ عجلًا وكبشًا ثلاثيًا، وعنزًا ثلاثيًا، وشقتين، وفرخ حمامٍ، ففصِّلهم على السواء[٧]، واجعل كلَّ عضوٍ منهم، بإزاء صاحبه ولا تفصِل الطير، واجعله كأنه واقع على تلك الأجساد)[٨].**

قلتُ: هذا مخالفٌ لمَا في القرآن في الصورة والسبب، أمَّا الصورة: فإنَّ في القرآن قال: ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٠]، لم يذكر شيئًا من ذوات الأربع، وأمَّا في السبب: فلأنَّه قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [سورة البقرة: آية ٢٦٠]، وهاهنا ذكر أنَّه سأله علامةً على حصول الولد، وما في القرءان أشبه[٩] بالحكمة

(١) في: (ب): فإن، والتصويب من: (ب).

(٢) في (ب): لك أعطيها ولنسلك، وليس فيها بعدها: لك. والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ١٣: ١: ٦.

(٤) في (ب): وغرها، والصواب من (أ).

(٥) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٦) قلت: فيها دلالات قاطعة على حقِّ المسلمين الثابت في أرض فلسطين وأن اليهود مغتصبون لها بدون حقٍّ، وقد ذكر جمعٌ أن يهود اليوم ليس لهم علاقة بيعقوب عليه السلام، بل هم نتاج السبي البابلي الذي فعله بختنصر، فجاء بقوم من العراق فأسكنهم فلسطين.

(٧) في: (ب): الستواء، والصواب من (أ).

(٨) سفر التكوين: ١٥: ٣-١١ وفيه: (و يمامة) بدلاً من (شقتين).

(٩) الطوفي رحمة الله عليه يكثر من استعمال هذا الكلمة كثيرًا، والمتتبع لها يعلم أن معناها عنده: أصوب وأحكم؛ لأنه لا يعقل أن يفاضل إمامٌ مثله بين القرءان الكريم وكتبٍ محرفة كهذه بمثل هذا اللفظ، والله تعالى أعلم.

والصـواب، وحـال إبراهيم، فـإنَّ إبراهيم كان[1] مقامُـه مقامُ من لا يفكـر إلاَّ في أمر الآخـرة، والنظـر في عجائـب حكمة الله، لا في ملـك الأرض، وإرثها مـن بعده، وإذا كان النبـيّ في حياته لا يلتفت إلـى الدنيا، فما ظنُّك له بعد موته؟!، لكنَّ هذا المذكور في التوراة؛ يقدحُ في قول من قال: إنَّ زكريا إنَّما أَمسـك عن الكلام حين بُشّـر بيحيى عقوبةً له؛ حيث سأله العلامةَ ولم يبادر بالإيمان؛ لأنَّ العقوبات تزيد بزيادة المقامات والأحوال، وإبراهيم عليه السلام[2] أعلى مقامًا وأقوى حالاً من زكريا، وقد سـأل الآية من الله سـبحانه لا من جبريل، ومع هذا لم يُعاقب بشـيءٍ، فهذا يقدحُ فيما في الإنجيل[3] من ذلك، وقد سبق فاعرفه.

وذكـر: (أنَّ الله سـبحانه قـال لإبراهيم: إن نسـلك يكون سـاكنًا في غير أرضه، ويعملون فيها[4]، ويُستعبدون ويستكدون[5] أربعمائة سنة، والشعب الذي يستعبدهم انتقم منه أيضًا، وإنهم يخرجون من بعد ذلك بملكٍ عظيم)[6] [٩٧/ أ].

قلت: هذا إشـارةٌ إلى بني إسـرائيل الخالفين بمصر بعد يعقوب ويوسـف، فإنَّ فرعون استعبدهم؛ حتى أُرسل موسى فخلَّصهم وأغرق الله فرعون.

وقوله: يخرجون من بعد ذلك بملكٍ عظيم، دليلٌ على أنَّ موسى بعد إغراق فرعون عاد إلى مصر بنفسـه، أو بنائبه يوشـع، وكالب[7]، - على خلافِ ذكره أهلُ القصص

---

(١) كان، ليست في (أ)، والمثبت من: (ب).

(٢) عليه السلام، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٣) يعني ما ورد في: (إنجيل لوقا: ١: ١٨-٢٢): (فقال زكريا للملاك كيف اعلم هذا لأني أنا شيخ وامرأتي متقدمة في أيامها فأجاب الملاك و قال له أنا جبرائيل الواقف قدام الله و أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا و ها أنت تكون صامتـا و لا تقـدر أن تتكلـم إلى اليوم الـذي يكون فيه هذا لأنك لـم تصدق كلامي الذي سـيتم في وقته و كان الشـعب منتظريـن زكريا و متعجبين من إبطائه في الهيكل فلما خرج لم يسـتطع أن يكلمهـم ففهموا انه قد رأى رؤيا في الهيكل فكان يومئ إليهم و بقي صامتا)

(٤) فيها، ليست في: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٥) في: (ب): يستكدوا، والمثبت من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ١٥: ١٣-١٤.

(٧) كالب: بن يفنة، اسم عبري بمعنى: كلب، وورد ذكره في سفر العدد (١٤: ٦):

(و يوشع بن نون و كالب بن يفنة من الذين تجسسوا الارض مزقا ثيابهما) وهو أحد الرجلين اللذين ممن يخافون الله =

[١٠٣/ب]- إلـى مصر، فملكَ أرض فرعون ونعمَه، وأنَّ الأرض المذكورة في قوله تعالـى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [سورة الأعراف: آية: ١٣٧] هي أرض مصر. وقد نص على ذلك القرآن حيث يقول: ﴿كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَـٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ﴾[1] [سورة الشعراء: آية: ٥٩]. والله أعلم.

وذكر: (أنَّ سـارة، امرأة إبراهيم لـم يكن لها ولدٌ، وكان لها أَمَةٌ مصريةٌ، اسمها: هاجرُ، فقالت سارة لإبراهيم: ادخل على هاجر، عسى الله أن يرزق منها ولدًا تتعزا[2] بـه، فدخل علـى هاجر فحملت فهانت[3] مولاتها في عينها، فشتمتها سـارة، فهربت هاجـر، فتلقّاهـا مَلك الربِّ فقـال: ارجعي إلى مولاتك فكوني تحـت يدها، يكثِّر اللهُ نسلَك إكثارًا لا يُحصى عدده، وقال لها: إنك حبلى، وستلدين غلامًا اسمُه إسماعيل؛ لأنَّ الله قـد سـمِع تعبُدَك، وهو يكون بدويًّا من جميـع الآدميين، ويُبارك فيه، يدُه على الكلِّ، ويدُ الكلِّ به، وعلى حَدِّ جميع إخوته ينـزل، وكان إبراهيم حين ولادة إسماعيل ابنَ ستة وثمانين سنة)[4].

نبوة النبي ﷺ في التوراة

قلت: قد نطق الوحي الإلهي[5] بأن: إسماعيل يُبارَك فيه، وتكون يده على الكل، أي:

= وهما يوشع وكالب وهما القائلان لبني إسرائيل حين نكلوا عن الجهاد ﴿ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَـٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائـدة:٢٣] [قاموس الكتاب المقدس(٧٥٨) قصص الأنبياء (٤٤١)].

(١) مـا بيـن معقوفتين أثبته من السـورة؛ تصحيحًا للخطأ في كلا النسـختين (أ وب)؛ حيث كتب بدلاً منها بعد: بني إسرائيل.. «قومًا آخرين»، وهو وهمٌ واضحٌ من النُّساخ.

(٢) في: (أ): تتعزا، والمثبت من: (ب).

(٣) في (أ) (فهابت)، والصواب من (ب).

(٤) سفر التكوين: ١٦: ١: ١٦.

(٥) إنْ عنى الطوفي رحمة الله عليه بالوحي الإلهي هذا النص من التوراة، فهذا على فرض ما بقي منه مما لم يحرف، وإلا ففي القرءان غنية عن ذلك ودليل هذا ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن اليهود جاؤوا إلى رسول الله ﷺ فذكروا له أن رجلًا منهم وامرأة زنيا، فقال لهم رسـول الله ﷺ (ما تجدون في التوراة في شـأن الرجم). فقالوا نفضحهم ويجلدون فقال عبد الله بن سلام: كذبتم إن فيها الرجم، فأتوا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها فقال له عبد الله بن سلام: ارفع يدك، فرفع يده فإذا فيها آية الرجم، =

على كل ولد إبراهيم، وأنه ينزل على حدِّ إخوته، أي: يرأس ويعلو عليهم، ولم تظهر بركةُ إسماعيل، وعِزّهُ، ورفعته على[1] بقية بني إبراهيم؛ إلاَّ بظهور محمد ﷺ[2]. فهذا دليلٌ على نبوته في التوراة، وثبت بهذا أن بكر إبراهيم هو إسماعيل.

وذكر: أن الله سبحانه استعلن لإبراهيم بعد ذلك؛ فوعده بأشياء، منها أن قال: **(أعطيك وذريتك من بعدِك أرضَ مسكنك، جميع أرض كنعان، ميراثًا إلى الأبد، وأكون لها إلهًا)**[3].

وقد بيّنا فيما سبق، أنَّ أرضَ كنعان خرجت من أيدي بني إسحاق، وصارت لبني إسماعيل، محمدٍ وأمتِه، وهو يدلُّ على صحةِ نبوةِ محمدٍ؛ إذ من المحال أنْ يَمتنَّ اللهُ على إسماعيل؛ بأنْ يورثَ أرضَه الكُفَّار، الكذابين على الله سبحانه.

وذكر: أن الله سبحانه عاهد إبراهيم عهدًا، [٩٨/ أ] أنْ يختتن هو ونسلُه، ومن تبعهم من غيرهم، كالعبيد ونحوهم. قال: **(فيكون[4] عهدًا بيني وبينك، وميثاقًا بخلوفكم إلى الدهر)** قال:

(وأي ذكرٍ بقي أغرل، ولا يختتن فتهلك تلك النفسُ من شعبها إذا[5] أضَاعت ميثاقي)[6].

قلت: فهذا فيه وجوبُ الختان على الرِّجال دون النساء. وهو مذهب جماعة من المسلمين[7]، وقال قومٌ بالطرفين، الوجوب عليهما وعدمِه.

= فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم، فأمر بهما رسول الله ﷺ فرجما، قال عبد الله فرأيت الرجل يجنأ على المرأة يقيها الحجارة. [صحيح البخاري (٣/ ١٣٣٠) ح (٣٤٣٦) و (١٢٦٤) وأخرجه مسلم. رقم(١٦٩٩)].

(١) مكررة في: (أ).

(٢) في (ب): (عليه السلام).

(٣) سفر التكوين: ١٧: ٨.

(٤) في (ب): (يكون)، والصواب من (أ).

(٥) في: (أ): إذا، والمثبت من: (ب).

(٦) سفر التكوين: ١٧: ٩-١٤.

(٧) قال ابن قدامة: (فأما الختان فواجب على الرجال ومكرمة في حق النساء وليس بواجب عليهن. هذا قول =

وفيه تضليلٌ[1] للنصارى [١٠٤/ ب]؛ لأنَّهم يتركون الختان، مع أنَّ اللهَ أوجبه على إبراهيم ونسله إلى الدهر، فيلزمهم إمَّا الضَّلال، أو أنَّهم ليسوا من نسلِ إبراهيم، إلاَّ أن يبينوا أن حكم التوراة في هذا نُسِخَ عندهم.

حجة النصارى في ترك الختان

وربما استروح النصارى في ترك الختان، إلى أنَّ المحذور من الغُرلةِ[2] إنَّما هو احتقانُ البولِ فيها، لكن ذلك ليس محذورًا عندنا؛ لقول المسيح: (**النّجسُ ما خرج من القلب، لا ما خرج من الفرج**)[3] أو إلى: (**قوله لخلفائه، ما ربطتموه في الأرض فهو مربوطٌ في السماء، وما حللتموه في الأرض فهو محلولٌ في السماء**)[4]، وقد حكم خلفاؤه بعدم وجوب الختان، لكن هذه خرافاتٌ إذا نوقشوا

= كثير من أهل العلم. قال أحمد: الرجل أشد؛ وذلك أن الرجل إذا لم يختتن فتلك الجلدة مدلاة على الكمرة ولا ينقي ما ثم، والمرأة أهون. قال أبو عبد الله: وكان ابن عباس يشدد في أمره. وروي عنه أنه: لا حج له ولا صلاة، يعني: إذا لم يختتن. و الحسن يرخص فيه، يقول: إذا أسلم لا يبالي أن لا يختتن. ويقول: أسلم الناس الأسود والأبيض لم يفتش أحد منهم ولم يختتنوا، والدليل على وجوبه أن ستر العورة واجبٌ، فلولا أن الختان واجبٌ لم يجز هتكُ حرمة المختون، بالنظر إلى عورته من أجله؛ ولأنه من شعار المسلمين فكان واجبًا كسائر شعارهم، وإن أسلم رجلٌ كبيرٌ فخاف على نفسه من الختان سقط عنه؛ لأن الغسل والوضوء وغيرهما يسقط إذا خاف على نفسه منه فهذا أولى، وإن أمن على نفسه لزمه فعله. قال حنبل: سألت أبا عبد الله عن الذمي إذا أسلم ترى له أن يطهر بالختان؟ قال: لا بد له من ذلك قلت إن كان كبيرا قال أحب إلي أن يتطهر لأن الحديث: (اختتن إبراهيم وهو ابن ثمانين سنة) قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ ويشرع الختان في حق النساء أيضا قال أبو عبد الله وحديث النبي ﷺ: (إذا التقى الختانان وجب الغسل) فيه بيان أن النساء كن يختتن وحديث عمر إن ختانة ختنت فقال: أبقي منه شيئا إذا خفضت وروى الخلال بإسناده عن شداد بن أوس قال قال النبي ﷺ: (أنه قال للخافضة: أشمي ولا تنهكي فانه أحظى للزوج وأسرى للوجه) والخفض ختانة المرأة. [المغني (١/ ١٠٠)].

(١) قال ابن القيم: (فدينهم شرب الخمور، وأكل الخنزير، وترك الختان، والتعبد بالنجاسات، واستباحة كل خبيث، من الفيل إلى البعوضة) [هداية الحيارى (٨)].

(٢) الغُرْلَة: القُلْفَة. [لسان العرب (٤/ ٤٣٤)] قال ابن القيم في رائعته:

وسل اليهود وكل أقلف مشرك عبد المسيح مقبل الصلبان

[متن القصيدة النونية (٩) مكتبة ابن تيمية، القاهرة. الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ].

(٣) إنجيل متى: ١٥: ١١ و ١٥: ١٨، وإنجيل مرقس: ٧: ١٥ و ٧: ١٨.

(٤) إنجيل متى: ١٦: ١٩ و ١٨: ١٨.

فيها[١] تعذَّر عليهم القيام بنصرها.

وذكر: (أنَّ الله سبحانه[٢] بشَّر إبراهيم بإسحاق من سارة، وإبراهيم يومئذ ابن تسع وتسعين سنة، وسارة لها تسعون سنة، فقال لإبراهيم حين استبعد ذلك: حقًّا إن زوجتك سارة تلدُ لك غلامًا ويدعى اسمه[٣] إسحاق، وأقيم معه ميثاقًا إلى الأبد، ولخلفِه من بعده، وعلى إسماعيل، فقد سمعتك، وقد باركت عليه، وكثَّرته كثيرًا جدًا، ويولد له اثنا عشر شريفًا، وأجعله لشعبٍ عظيم)[٤].

مدح الصحابة رضي الله عنهم

قلتُ: ففي هذا دليلان، على صحة نبوة محمدٍ ﷺ[٥]:

أحدهما: قوله: يولد لإسماعيل اثنا عشر شريفًا، وصفهم الله بالشرف، والكفّار ليسوا عند الله أشرافًا، وعُبَّاد الأصنام كُفّارٌ؛ فلا يكونون[٦] شرفاء. ولم يُعلم من بني إسماعيل من ظهر بما يناسب الناموس الإيماني، والدِّين التوحيدي، الجاري على عادة الأنبياء المتقدمين؛ إلاَّ محمدٌ ﷺ[٧]، والاثنا عشر شريفًا: هو وأصحابُه الذين

---

(١) في: (أ): عليها، والمثبت من: (ب).

(٢) سبحانه، ليست في: (ب)، والمثبت من (أ).

(٣) اسمه، ليست في (أ)، وأثبتها من (ب).

(٤) سفر التكوين: ١٧: ١٦-٢٠.

(٥) في (ب): (عليه السلام) والمثبت من: (أ).

(٦) في: (ب) يكونوا، والمثبت من: (أ).

(٧) في (ب) (عليه السلام) والمثبت من (أ).

قطع لهم بالجنة[١]، وسبطاه[٢] أو عمّاه: حمزة[٣]، والعبّاسُ[٤]، فهؤلاء نظراءُ نقباء موسى، الاثني عشر شريفًا[٥]، وحواريّ عيسى الاثني عشر.

ومن أنكر أنَّ هؤلاء هم[٦] المشار [٩٩/ أ] إليهم في التوراة[٧] بهذا الخطاب، فعليه أنْ يبيِّنَ لنا في بني إسرائيل مَنْ هو أحقُّ منهم بذلك.

الدليل الثاني: قوله: وأجعله لشعب عظيمٍ، وصف الله سبحانه هذا الشعب بكونه عظيمًا، وهو شعبُ العرب. واللهُ لا يَعظُم عنده إلا الخيِّرُ الفاضلُ؛ إذ الشِّريرُ أهونُ عليه من الذَّرة!. ولا يَرِدُ علينا من مات في الفترة قبل النبوة؛ لأنَّ أولئك يُمتحنون في الآخرة، كما تُمتحن [١٠٥/ ب] الأطفالُ، وقد جاء في ذلك حديثٌ ذكره وثيمَة[٨] في أواخر (القصص). ولا من كفر حين النبوة[٩]؛ لأنَّهم قليلون بالنسبة إلى العرب، فالاعتبار بالأكثر.

وإذا ثبت أنَّ شعب العرب عظيمٌ عند الله؛ وجبَ أنْ لا يخلو من رسولٍ، كشعب

(١) عن عبدالرحمن بن عوف ﷺ قال، قال: رسول الله ﷺ (عشرة في الجنة أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة ﷺ وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبدالرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة وسعيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة رواه الإمام أحمد والترمذي والنسائي جميعا عن قتيبة بن سعيد. [الأحاديث المختارة ٣/ ١٠٢ (٩٠٣) محمد بن عبدالواحد المقدسي الحنبلي، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة النهضة، مكة المكرمة. وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، رقم: (٤٠١٠) و(٧٤٥٧). وصححه في صحيح سنن الترمذي (٣٧٤٨). وسنن أبي داود (٤٦٤٩) وسنن ابن ماجه (١٣٣)] قلت: فيه رد على من رمى الطوفي بالرفض إذ لو كان رافضيًا لقال: إنهم الأئمة الإثنى عشر، عند الشيعة.

(٢) الحسن والحسين رضي الله عنهما.

(٣) سبقت ترجمته.

(٤) في (ب) (وعباس) والصواب من (أ): والعباس: هو:.

(٥) شريفًا، ليست في (أ) والمثبت من: (ب).

(٦) هو، ليست في: (أ).

(٧) في التوراة، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٨) وثيمةبن موسى. سبقت ترجمته انظر: [ميزان الاعتدال (٧/ ١٢٠) لسان الميزان ٦-٢١٧. وفيات الأعيان ٦- ١٢. و ضعفاء العقيلي (٤/ ٣٣٢) رقم الترجمة: (١٩٤٠)].

(٩) أي: ولا يرد علينا أيضًا: من كفر حين النبوة... الخ.

إسحاق؛ حيث كان للهِ به عنايةٌ لم تُخلِه من الرُّسُل، ولم يظهر من العرب من ادعى الرسالة، وظهر ناموسُه حتى طبَّق الأرضَ شرقًا وغربًا إلاَّ محمدٌ ﷺ[1]، فوجبَ أنْ يكون هو النبيَّ الحقَّ، الذي عظَّمَ اللهُ به شعبَ إسماعيل. والله أعلم.

وذكر: **(أن إبراهيم لـمَّا تخلَّى[2] عنه خطابُ الربِّ بما ذكر، ذهب فاختتن وهو ابنُ تسعٍ وتسعين سنةً، وختن إسماعيل وهو يومئذٍ ابنُ ثلاثة عشرة سنة، وختن كلَّ ذكرٍ كان في بيته من تلادٍ، أو مستفاد، وإسحاق لم يكن وُلِد بعدُ، بل قد بُشِّر به في العام القابل)[3]**

قلتُ: قوله، اختتن إبراهيم وهو ابن تسع وتسعين، مخالفٌ لـمِا جاءت به السُّنة النبويةُ، أنَّه اختتن وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم[4]، والسُّنَّة عندنا أوثق.

وذكر: **(قصةَ ضيفِ إبراهيم، وضيافته لهم بالعجل، وبشرى سارة بالولد، ومجادلة إبراهيم في قوم لوط)[5]** على وجه لا ينافي القرآن[6]، غير أنَّه ذكر: **(أنَّ امرأة لوطٍ خرجت معه في جملة أهله، فالتفتت إلى ورائها، فصارت قائمةً من ملح، وأنَّ الله**

---

(١) في (ب) (عليه السلام).

(٢) في: (ب): تجلى، والمثبت من: (أ)، وفي سفر التكوين: (فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم).

(٣) سفر التكوين: ١٧: ٢٣-٢٧.

(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقَدُّوم) قال البخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد وقال: (بالقدُوم) مخففة، تابعه عبد الرحمن بن إسحاق عن أبي الزناد تابعه عجلان عن أبي هريرة ورواه محمد بن عمرو عن أبي سلمة. [رواه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء. باب قوله تعالى: ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلًا﴾ (٣١٠٧). ورواه في كتاب: الاستئذان. باب: الختان بعد الكبر ونتف الإبط (٥٨٢٤) ورواه مسلم في كتاب: الفضائل. باب: فضائل إبراهيم الخليل عليه السلام (٤٣٦٨)].

(٥) سفر التكوين: ١٧: ١٥-١٧.

(٦) أي قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا كَذَلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات ٢٤-٣٧].

سبحانه أمطر على قوم لوطٍ كبريتًا ونارًا)[١].

الكلام على امرأة لوط

قلت: فالمطرُ مذكورٌ في القرآن، لكنْ ذكرَ أنَّه حجارة من سجِّيل منضود[٢]، وزاد مع ذلك أنه خسفَ بها، فجعل عاليها سافلها، ولا تنافي؛ لجواز أنَّه عذَّبها بجميع هذه الأنواع من العذاب.

وأمَّا خروج امرأة لوط معه؛ فاختلف فيه أهلُ الإسلام؛ بناءً على ما دلَّت عليه[١٠٠/ أ] قراءتا: الرَّفعِ، والنَّصْبِ، في ﴿ٱمْرَأَتَكَ﴾، في قوله تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ [سورة هود: آية: ٨١].

فمن رفعَ وجعله استثناءً متصلًا قال: هي بدلٌ من: ﴿أَحَدٌ﴾، فتقديره: لا يلتفت منكم إلاَّ امرأتُك، فيدلُّ على: أنَّها كانت من لوطٍ وأهلِه السَّارين. ومن نصبَ؛ جعله مستثنىً من ﴿فَأَسْرِ﴾ فتقديره: أسرِ بأهلك؛ إلاَّ امرأتك فلا تسر بها[٣].

فأمَّا بقيةُ القرآنِ فإنّما دلَّ على استثنائها من الناجين كسورة الأعراف[٤]، [١٠٦/ ب] والحجر[٥]، والشعراء[٦]، والنمل[٧] والعنكبوت[٨].

---

(١) سفر التكوين: ١٨: ٧-٩ و١٩: ١ -١٩.

(٢) اقرأ الآيات في الحاشية السابقة.

(٣) قراءة: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ قال الأكثرون: هو استثناء من المثبت، وهو قوله: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ تقديره ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ وكذلك قرأها ابن مسعود ونصب هؤلاء امرأتك؛ لأنه من مثبت، فوجب نصبُه عندهم. وقال آخرون من القراء والنحاة: هو استثناء من قوله: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾ فجَّوزوا الرفع والنصب، وذكر هؤلاء وغيرهم من الإسرائيليات أنها خرجت معهم، وأنها لما سمعت الوَجْبَة التفتت وقالت واقوماه. فجاءها حجر من السماء فقتلها. [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨-٣٣٩)]. وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بضم التاء من امراتك وقرأ الباقي بفتحها. [البدور الزاهرة في القراءات العشرة المتواترة/ ١٥٥. تأليف الشيخ: عبد الفتاح القاضي. ط/ البابي الحلبي الطبعة الأولى ١٩٥٥].

(٤) في قوله ﷻ: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٨٣].

(٥) في قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٦٠].

(٦) في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ١٧١].

(٧) في قول الله جل وعلا: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٥٧].

(٨) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٣٢]. وقوله جلَّ ذكره: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [آية: ٣٣].

وجمع بعضهم بين[1] القراءتين بأنها: سرتْ هي معهم، وأنَّ لوطًا لم يسرِ بها.

قلت: والذي دلَّتْ عليه القصص والتفاسير؛ أنَّها سرتْ معهم، فيُحمل الأمرُ إمَّا على تأويل هذا المتأوِّل المذكور، أو على جعل[2] الاستثناء في قراءة الرفع منقطعًا، فتقديره: لكنِ امرأتُك مصيبُها ما أَصابهم.

وأمَّا من[3] جعلَ امرأته قائمةً من ملحٍ فهو على جهة المسخ، وقد نقل أنَّهم أصابهم مسخٌ؛ فتكون قد أصابها ما أصابهم، من جنس المسخ إنْ صحَّ هذا المذكور في التوراة، وإلاَّ فالذي ذكره المسلمون أنَّها التفتتْ فأصابها حجرُ فقتلها به[4]. والله أعلم.

هذه هي الأخلاق اليهودية في وصف أنبياء الله تعالى بعظائم الأمور

وذكر: (أنَّ لوطًا بعد هلاك قومه سكن مغارةً، ومعه ابنتاه، فقالت الكبرى للصغرى: إنَّ أبانا قد شاخ، وليس على وجه الأرض من يغشانا، كسبيل جميع أهل الدنيا، فهلُمِّي فلنسق أبانا خمرًا، ونضاجعه، ونقيم من أبينا خلفًا ونسلًا، وإنَّهما سقتاه الخمر، وضاجعتاه في ليلتين، فواقعهما ولم يعلم، فأحبلهما، فولدت الكبرى ابنًا سمَّته: موآب، فهو أبو الموآبين، وولدت الصغرى غلامًا، سمته: يوعام، فهو[5] أبو بني عمون، إلى يومنا هذا)[6].

---

(١) بين، تكررت في: (أ).

(٢) جعل، ليست في: (أ) وأثبتها من: (ب).

(٣) من، ليست في: (أ) وأثبتها من: (ب).

(٤) به، ليست في: (أ) وأثبتها من: (ب). انظر: [تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٨-٣٣٩)].

(٥) في: (ب): وهو، والمثبت من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ١٩: ٣٠-٣٨. زعم اليهود-أخزاهم الله-أن نبي الله لوطًا لما نجاه الله من عذاب سدوم، سكن كهف جبل. ومعه ابنتاه اللتان سلمتا من أهله. فلما استقر بهم الحال قالت إحداهما للأخرى: هلمي نسقي أبانا الخمر حتى إذا سكر ضاجعناه وأقمنا من أبينا نسلا. وأنهما فعلتا ذلك فوطئهما لوط فحملتا منه بولدين وهما: مؤاب وعمون. أبعد الله اليهود، كيف يحسن أن يبتلي الله من اصطفاه وارتضاه لرسالته بهذه الكبيرة؟ وكيف يحميه بالأمس ويهتك ستره اليوم؟ فأيّ فائدة في نشر هذه الفاحشة وتخليدها الكتب ليقرع بها الأنبياء قرنًا بعد قرن وحقبًا بعد حقب؟. الله أكرم من ذلك. وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (من ذلك ما حكى فيها من مدح لوط على لسان إبراهيم وشهادته له بالبر وذلك أن الله تعالى لما أعلم إبراهيم بأنه يريد أن يهلك سدوم وعمورا وهما مسكن قوم لوط قال يا رب أتهلك الأبرار مع الفجار يعنى بالأبرار لوطًا وبنتيه فسماهم أبرارًا، وشهد له بذلك بين يدي =

قلت: لعن الله اليهود[١]! ؛ فإنَّ هذا من أكاذيبهم على الله ورسُلِه.

أمَّا شربُ الخمر فيقال: كان مباحًا لهم.

وأمَّا وطءُ البنات فلم نعلمه جائزًا في شرع آدم فَمَنْ بعده بعقد النكاح، مع أنَّه قد كان يجوز[٢] فيه نكاحُ الأخوات، فكيف يُجرِّد الله سبحانه[٣] رسله الكرام المحفوظين من قيد العصمة، حتى يوقعَهم فيما لم يَجُز قط بالنكاح سفاحًا وزنىً، وقد كان يحوطهم، و يحرسهم مما هو أيسر من هذا بكثير، كما عصم يوسف من امرأة العزيز، بعد السجن والإكراه به، وغير ذلك[٤].

قصة إبراهيم عليه السلام وسارة

وذكر: (قصة سارة؛ زوجة إبراهيم، حين أخذها الجبّار[١٠١/ أ] واسمه: ايتمالخ[٥]، وقال إبراهيم: هي أختي، فلما عاتبه الجبَّار على ذلك قال: حقًا هي أختي؛ ابنةُ أبي، وليست من أمي، وجعلها اللهُ لي امرأةً)[٦].

قلت: يحتمل أنَّها كانت أخته من أبيه الأقرب؛ دون أُمِّه؛ على ما عُرف من دين

= الله تعالى، وكيف يصح أن يكون ابنتا لوط من الأبرار ويوقعان أنفسهما في أن يزنى بها أبوهما نبي الله ثم لم يعصمه الله تعالى من مثل هذه الرذيلة، ثم إن الله شهد عنه هذه الفضيحة التي يتحدث بها على مدى الدهر، مع أنه لم يسمع قط من المتشرعين من أجاز نكاح البنات وهل هذا من ناقله وناسبه إلى الله إلا جرأة وتواقح على الله). [تخجيل من حرف التوراة والإنجيل(٢/ ٥٦٥ - ٩٠٢)صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي دراسة وتحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام(١ / ٢٠١): الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي، تحقيق: د. أحمد حجازي السقا ١٣٩٨ هـ دار التراث العربي - القاهرة].

(١) آمين!.

(٢) يجوز، ليست في: (أ)، وأثبتها من (ب).

(٣) سبحانه، ليست في(أ) والمثبت من: (ب).

(٤) انظر [سورة يوسف: الآيات: ٢٣-٣٤].

(٥) ايتمالخ: في الترجمات الحديثة: أبيمالِك: اسم عبريٌ ومعناه: ابو ملك، أو: الأب ملك، وقد ورد: اسمًا لملك في فلسطين عاش في عصر إبراهيم. وقد جاء إبراهيم إلى بلاده ومعه سارة زوجته ولكنه قال عنها انها اخته، وفيما بعد ذلك دخل إبراهيم مع ابيمالك في عهد بشأن آبار المياه التي تخاصم عليها رجالهما مع بعضهم البعض، وبناء على هذا العهد سمي ذلك المكان بئر سبع. [قاموس الكتاب المقدس(٢٣)].

(٦) انظر القصة بتمامها في سفر التكوين: ٢٠: ١ -١٨ واسم: ايتمالخ في هذا السفر: (ابيمالك).

آدم، في نكاح الأخوات. وكان هذا قبل النسخ في شرع موسى، ويحتملُ أنَّه أراد من أبيه الأبعد آدم أو نوح. وتبيَّن بهذا أنَّ إبراهيمَ لم يكذب في الإخبار، وأنَّ ما جاء في السُّنَّة من قوله ﷺ: [١٠٧/ ب] (لم يكذب إبراهيم إلا في ثلاثٍ)(٧)، ليس المرادُ به الكذبَ الحقيقيَّ المطلقَ، بل إمَّا التّعريض، وسماه كذبًا مجازًا، أو الكذبُ من وجهٍ دون وجهٍ، أي: من جهة كونها زوجةً لا أختًا، أو باعتبار دليل الخطاب، أي أنه: لمَّا قال(٨) هي أختي فُهِم منه أنَّها ليست زوجةً، وهو مفهوم لقبٍ.

وذكر: (أنَّ سارة ولدت إسحاق بعد هذه القصة(٩)، ولإبراهيم يومئذ مائة سنةٍ، وأنه ختن إسحاق لثمانية أيام من مولده، كما عهد اللهُ إليه)(١٠).

وذكر: (أنَّ سارة لمَّا ولدت إسحاق؛ رأت ابن هاجر المصريّة يهزأ، فقالت لإبراهيم: أَخْرِجْ عني هذه الأَمَةَ؛ لئلاَّ يرثَ ابنُها مع ابني إسحاق!، فخرج إبراهيم بهاجر وابنها)(١١).

وذكر: نحو القصة المشهورة في السُّنة في ذلك، من إعوازه الماء، ومقاربته

---

(٧) (متفق عليه) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لم يكذب إبراهيم ﷺ إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله ٥ قوله (إني سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة فقيل له إن ها هنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال من هذه قال أختي فأتى سارة قال يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال إنكم لم تأتوني بإنسان إنما أتيتموني بشيطان فأخدمها هاجر فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيا قالت رد الله كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر، قال أبو هريرة تلك أمكم يا بني ماء السماء). [رواه البخاري (٣١٠٨) و(٢٠٦٥) و(٢٤٤١) و(٤٦٩٤) و(٦٤٣٦). ورواه مسلم (٤٣٧١)]

(٨) قال، ليست في(أ) والمثبت من: (ب).

(٩) في: (ب): القضية، والمثبت من: (أ).

(١٠) سفر التكوين: ٢١: ١-٥.

(١١) سفر التكوين: ٢١: ٩-١١.

الموت من العطش، ومخاطبة الملك لها في(١) إظهاره الماء(٢).

لكن في القصة(٣) في التوراة تحريفات لا تخفى على عاقل، منها:

أنّه ذكر: (أنَّ الغلام سكن في بريّة فاران، وتعلّم الرميَ فيها)(٤)، لكنه فسّر بريّة فاران بأنّها: بريّةُ بئر سبع، وأنّها: من بلاد إيتمالخ، صاحب التيمن، الذي جرى له القصةُ المذكورة آنفًا مع سارة.

والصحيح: أنَّ فاران إنَّما هي: مكة(٥).

ومنها أنه قال: (وأنكحتُه أمُّهُ - يعني إسماعيل - من أهل مصر)(٦).

والصَّوابُ: أنّه إنَّما تزوّج من جُرْهُم(٧)، قومٍ وردوا عليه بمكة من العرب اليمانيَّة.

ومنها: وهو أدلُّها على الكذب!، أنّه قال- يعني لـمَّا أراد إبراهيم أنْ يعتزل بالغلام كما قالت سارة -:

قصة إسماعيل عليه السلام وهاجر

(فابتكر إبراهيم بالغداة، وأخذ خبزًا، وسقاءً مملوًا ماءً، ودفعه إلى هاجر، ووضعَ الغلام على عاتقها، وأرسلها فمضت، فأتت بريّة بئر سبع، وفنيَ الماء من

---

(١) في: (ب): و، والمثبت من: (أ).

(٢) انظر الحديث الطويل في قصة هاجر واسماعيل عليهما السلام في:. [رواه البخاري في كتاب: أحاديث الأنبياء. باب: قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلًا) (٣١١٣). (٢١٩٥). (٣١١٢). (٣١١٤)]

(٣) في: (ب): القضية، والمثبت من: (أ).

(٤) سفر التكوين: ٢١: ٢٠-٢١.

(٥)) وردت هذه اللفظة (فاران) في عدة مواضع، على سبيل المثال في التوراة:سفر التكوين: ٢١: ٢١ وسفر التثنية ٣٣: ٢. وسفر العدد: ٢٠: ١٠. و١٢: ١٦. و ١٣: ٣. و١٣: ٢٦. في كتب التاريخ: سفر الملوك الأول: ١١: ١٨. وسفر صموئيل الأول: ٢٥: ١. قال شيخ الإسلام: (وجبال فاران هي جبال مكة). [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١٩٩-٢١٧)]

(٦) سفر التكوين: ٢١: ٢١.

(٧) جرهم: قبيلة عربية كانوا يعدونها من العرب العاربة، وكانت جُرْهُمُ ممن سكن اليمن وتكلموا بالعربية، ثم نزلوا بمكة فكانوا بها، على حسب ما نوردهُ من أخبارهم، وقَطُورًا بنو عم لهم، ثم أسكنها الله إسماعيل عليه السلام، ونكح في جرهم؛ فهم أخوال ولده. [انظر: مروج الذهب للمسعودي (١١) البداية والنهاية (١/ ١٣٨- ١٤٧)]

السقاءِ ورمت الغلام تحت أصل شيحٍ[1]**، ومضت فجلست**[١٠٢/ أ] **بإزائه برمية سهمٍ؛ لئلاً تراه حين يموت)**[2].

وبيانُ الكذِب الصَّريح من هذا الكلام: أنه قد سبق أنَّ إسماعيل وُلِد لإبراهيم، وعمرُ إبراهيم ستٌّ وثمانون سنة، وأنَّ إسحاق وُلد له وعمره مائةُ سنةٍ، وأنَّ هذه القصة كانت بعد ولادة إسحاق؛ لأنَّ سارة خشيت أنْ يرث إسماعيلُ مع ابنها إسحاق، وهذا لا يكون إلاَّ بعد ولادته؛ إذ قبلها هو معدومٌ، وكانت هي آيسةً من الولد.

وإذا عُرفَ هذا تبيَّن أنَّ إسماعيل كان له حين نفته سارةُ وأُمَّه؛ أربعُ عشرة سنة، وذلك من سنة ستٍ وثمانين من عمر إبراهيم، إلى سنةٍ مائة من عُمرِه، ومن يكون في هذا السِّنِّ يكونُ رجلًا بالغًا [١٠٨/ ب] مشتدًّا؛ لاسيما وهي يحكي في التوراة: **(أنَّ اللهَ كان مع الغلام فشبَّ)**[3].

ثم هو مع ذلك يَحكي: أنَّ إسماعيل كان على عاتق هاجر، مع سقاءٍ مملؤٍ ماءًا، ومع خبز الزوادة، وأنها لما فنيَ الماء رمته تحت أصلِ شيحٍ، وهذه صفاتُ الأطفال المراضيع، لا صفات الرجال البُلَّغ، أو الغلمان المراهقين.

فهذا يوجب: إمَّا تناقضَ ما في التوراة، من هذه الحكاية على ما وصفنا، أو بطلانَ أحدِ النقيضين المذكورين فيها، أعني: كون إسماعيل له حينئذٍ أربع عشرة سنةً، أو كون هاجر حملتْه على عاتقها، أو أنَّ هاجر لم تكن آدميةً بل ثنيةَ جبلٍ!، نُفخ فيها الروح حتى حملت زوادتها، خبزًا، وسقاءً مملوءًا ماءً[4]، وإنسانًا عمره أربع عشرة سنةً إلى بريَّةٍ فاران.

فإنْ تكلَّفَ متكلِّفٌ، وادعىَّ: أنَّ إسماعيل لم يكن على عاتقها، بل على عاتق

---

(١) الشِّيحُ نبت و المَشْيُوحاءُ بالمد وسكون الشين الأرض التي تنبت الشيح [مختار الصحاح (٣٥٤)]

(٢) سفر التكوين: (٢١: ١٤-١٦).

(٣) سفر التكوين: (٢١: ٢٠).

(٤) في: (أ): وسقاءً مملوءً ماءً من ماء، وفي: (ب): مملوء من ماء، والمثبت هو الصواب.

إبراهيم، وعلى عاتقها هي الزادُ والماءُ[١]، وأنَّ ما ذكرناه أولاً تحريفٌ قلميٌّ من بعض النُسَّاخ.

قلنا له: لا يصحُّ ذلك أيضًا؛ لأنَّ العادةَ إنَّما جرت بحمل الأطفال، لا بحمل من له أربع عشـرة سـنة! ؛ خصوصًا وإبراهيمُ يومئذٍ له مائةُ سنة، شـيخٌ كبيرٌ، كيف يطيق على حمل رجلٍ مثلِه على عاتقه مسافةً طويلةً؟!.

وإذ قـد ثبت بما ذكرنـاه التحريفُ والتناقـضُ في التوراة؛ سـقط احتجاجُ اليهود والنصـارى بِهـا؛ لجواز وقوع التَّحريف في كل ما تحتجُّـون به منها، لكن يصحُّ لنا أنْ نحتجَّ عليهم بما فيها؛ إلزامًا وجدلًا؛ لأنَّهم يعتقدون أنَّها حجة. وبهذا يسقطُ احتجاجُ بعضِ النصارى؛ على الطعن في صدق محمدٍ ﷺ، بالقدح في صحة إخباره عن زواج موسـى ببنت شـعيب[٢]، على رعاية غنمِ أبيها، ثماني حجج[٣][١٠٣/ أ]، وأنَّ القصةَ التبسـت عليه؛ بتزوّج يعقوب براحيل ابنة خالهِ؛ فإنَّ رعاية الغنم في زواجه كانت، لا في زواج موسى، وستأتي القصةُ إن شاء الله تعالى[٤]، فاعلم ذلك.

---

(١) هكذا في: (أ)، وفي: (ب): الماء والزاد، والمثبت من: (أ).

(٢) عند تفسـير قوله تعالى من سـورة القصص(٢٣): ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ اختلفوا في هذا الشيخ من هو؟ فقيل هو شـعيب ﷺ وهذا هو المشهور عند كثيرين، وممن نص عليه الحسن البصري ومالك بن أنس، وجاء مصرحًا به في حديث ولكن في إسناده نظر. وصرح طائفة بأن شعيبا ﷺ عاش عمرًا طويلًا بعد هلاك قومه حتى أدركه موسـى ﷺ هذا وتزوج بابنته. وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسـن البصري: أن صاحب موسى ﷺ هذا اسـمه شـعيب، وكان سـيد الماء، ولكن ليس بالنبي صاحب مدين وقيل: إنه ابن أخي شـعيب وقيل: ابن عمه وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب وقيل: رجل اسمه «يثرون» هكذا هو في كتب أهل الكتاب: يثرون كاهن مدين أي كبيرها وعالمها. وقال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله: اسـمه يثرون زاد أبو عبيدة: وهو ابن أخي شـعيب وزاد ابن عباس: صاحب مدين. ويثرون: اسـم مدياني معناه: فضل. كاهن مديان، وحمو موسـى ويدعى أيضًا رعوئيل أي صديق أو خليل الله. ويظهر أن هذا الاسـم كان اسـمه الشـخصي، ويثرون لقب شـرف أطلق عليه. وبينما كانت بناته السـبع يرعين أغنامه، أسـدى إليهن موسـى الهارب من مصر خدمة، أدت إلى تعرفه بأسـرة يثرون وزواجه بصفورة إحدى بناته. ورعى موسـى أغنام حميه مدة ٤٠ سـنة. [قصص الأنبياء (٢٩٠)، (سفر الخروج ٣: ١) (٢: ١٨)، (٣: ١) .]

(٣) والقصة، في سورة القصص: الآيات: ٢٢-٢٨.

(٤) تعالى، ليست في(أ) والمثبت من: (ب).

ثـم قال: (ومن بعد هذه الخطوب ابتلـى اللهُ إبراهيم فقال له: خذ ابنك وحيدك، اسـحاق، الـذي تحبُّـه، وامـضِ بـه إلـى أرضِ كـذا، فاجعلْه لـي قربانًـا على بعض الجبال)(١).

وذكر: قصة الذبيح، وفدائه بالكبش، إلى أن قال:

قصة الذبيح ومن هو؟

(ونـاداه ملـك الربِّ فقال: يقول الله لك: إني أقسـمت حيث إنَّـك لم تبخل عليَّ بابنـك وحيدك، لأبرِّكنَّ عليـك، وأكثِّرُ خَلفَك كنجوم السـماء، ومثل الرمل الذي على سـاحل البحر، ويرث خَلفُك أرضَ أعدائهم، ويتبرَّكُ بخَلَفِك سـائرِ الشُّعوب الذي على الأرض). (٢)

قلت: اعلم أنَّ المسـلمين اختلفوا في الذبيـح من ولدي إبراهيم [١٠٩/ ب] من هو؟! فقال قومٌ: هو إسحاق، كما في التوراة.

قصة موسى عليه السلام مع شيخ مدين

وقال آخرون هو: إسـماعيل، والقولان روايتان عن (الإمَام)(٣) أحمد، ورجّح كلًا مـن القولين قومٌ، والمختارُ الذي دلَّ عليـه ظاهرُ القرآن، وأقوالُ أكثرِ العلماء، وهو مستفادٌ من فحوى التوراة، أنَّه: إسماعيل؛ ولكنَّ نصَّ التوراةِ محرّفٌ مبدلٌ في ذلك(٤).

---

(١) سفر التكوين: ٢٢: ١: ٢.

(٢) سفر التكوين: ٢٢: ١٥: ١٨.

(٣) الإمـام، ليسـت في(ب) والمثبت من: (أ). قال الشـربيني في تفسـيره: (وقال الإمام أحمد بـن حنبل: الصحيح أن الذبيح إسـماعيل عليه السـلام وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف) [تفسـير السراج المنير، شمس الدين: محمد بن أحمد الشربيني، سورةالصافات، آية (٧٧) (٣/ ٤٦٤) ٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية].

(٤) قال شـيخ الإسـلام (وفي الجملة فالنزاع فيها مشهور، لكن الذي يجب القطع به أنه إسماعيل، وهذا الذي عليه الكتاب والسنة والدلائل المشهورة، وهو الذي تدل عليه التوراة التي بأيدي أهل الكتاب). وقال ابن حجر رحمة الله عليه بعد أن سـاق الآثار الدالة على الراجح: (وهذه الآثار من أقوى الحجج لمن قال إن الذبيح إسـماعيل). وقال النووي: (واختلف العلماء في الذبيح هل هو إسـماعيل أم إسـحاق؟ والأكثرون على أنه إسماعيل، وكان إسـماعيل أكبر من إسـحاق.). [مجموع فتاوى شيخ الإسـلام (٤/ ٣٣١)، فتح الباري شرح صحيح البخاري (١٤/ ٤٠٤) ١٩٩٣م دار الفكـر. تهذيب الأسـماء واللغـات (١/ ١٢٦) ١٩٩٦م. دار الفكر. وقصص الأنبياء (١٥٥). والحـاوي للفتـاوي للسـيوطي، القـول الفصيح في تعيين الذبيـح، ١٩٩٠م المكتبة العصرية. تفسـير القرطبي (٢/ ١٣٢) الإسـرائيليات والموضوعات في كتب التفسـير (١٧٥) الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ مكتبة السنة بالقاهرة. وغيرها كثير.].

أمَّا ظاهرُ القرآن؛ فإنَّ الله سبحانه حكى في سورة الصافات قصة الذبيح مستوفاةً، ثم عقبها بقوله: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [سورة الصافات: آية: ١١٢]، والظاهر منه: أنَّه حكى قصتَه على الترتيب في الواقع، كما حُكيَ في التوراة، ويدلُّ عليه أنه ابتدأ بذكر جهاده قومَه، وتكسير أصنامهم، وما كادوه به من وضعهم له في النار إلى قوله: ﴿فَأَرَادُوا (١) بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات٩٨] ثم(٢) قال: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [سورة الصافات: الآيات: ٩٩-١٠١]. وساق القصة مرتبةً إلى قوله: ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ ﴾ [سورة الصافات: آية: ١١٢]. وهذا ظاهرٌ في قصة الترتيب الوجودي، وإنْ لم تكن الواو للترتيب.

وأيضًا: فإنَّ الله سبحانه وصفَ الذَّبيح بأنَّه حليمٌ، بقوله، ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ (٤) بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [سورة الصافات: آية: ١٠١]، ونحن إذا نظرنا بعين التحقيق، وجدنا الحِلمَ في بني إسماعيل؛ أغلبَ منه في بني إسحاق.

وبيانُ ذلك: أنَّ أكملَ بني إسماعيل: محمدٌ، وأكملَ بني إسحاق: موسى؛ كليمُ الله، عليهما السلام(٤). وإذا نُظِرَ في سيرتهما وقوبل بين حلميهما؛ وُجدَ بينهما بونٌ عظيمٌ.

فمن ذلك: أنَّ موسى لما استغاثه الإسرائيليُّ على القبطيِّ، بادر به فوكزه فمات!، حتى عاتبه الله على ذلك وقال(٥): ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ [١٠٤/ أ]

---

(١) في كلا النسختين: (أ)، (ب) خطأ حيث كتبت: (وأرادوا)، والمثبت هو الصواب.

(٢) ثم ليست في: (أ)، وأثبتها من: (ب).

(٣) في كلا النسختين: (أ)، (ب) خطأ، حيث كتبت: (ويشرناه) والمثبت هو الصواب.

(٤) عليهما السلام، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٥) في: (ب): فقال، والمثبت من: (أ).

مُضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾[١]، ومحمدٌ ﷺ[٢] مرَّ بعمارٍ[٣] وأُمِّه[٤]، وهما[٥] يعذبان في الله فقال: (صبرًا[٦] آل ياسر[٧]، فإنَّ موعدكم الجنة)[٨]، وكان قادرًا على أنْ يبطش بمن حولهما من الكفَّار، ثم يستنجدُ ربَّه فيُنجِدُه بما أنجدَه به، حين أراد أبو جهل أنْ يرمي الحجرَ على رأسه وهو يصلي، أو يستنجدُ عشيرتَه بني هاشم، أو يهربُ كما فعلَ موسى[٩]. هذا أقلُّ ما يقال، لكنه كان أوقرَ،وأحلمَ وأثبتَ.

ومن ذلك: أن موسى عليه السلام[١٠] لـمَّا عادَ من ميقات ربِّه، وجد قومَه عاكفين على

---

(١) سورة القصص: آية ١٥.

(٢) في: (أ): صلى الله عليه، وفي: (ب): عليه السلام، والمثبت أولى.

(٣) عمار بن ياسر، حليف بني مخزوم، وأمه سمية، مولاة لهم، كان من السابقين الأولين هو وأبوه، وكانوا ممن يُعذَّب في الله، فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول (صبرا آل ياسر موعدكم الجنة)،هاجر إلى المدينة، وشهد المشاهد كلها، ثم شهد اليمامة، فقطعت أذنه بها، ثم استعمله عمر علي الكوفة، وكتب إليهم: إنه من النجباء من أصحاب محمد. وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ أن عمارًا تقتله الفئة الباغية، وأجمعوا على أنه قتل مع علي بصفين سنة سبع وثمانين في ربيع، وله ثلاث وتسعون سنة، واتفقوا على أنه نزل فيه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: من الآية١٠٦] وروى عن النبي ﷺ عدة أحاديث، وروى عنه من الصحابة أبو موسى، وابن عباس وعبد الله بن جعفر، وأبو لاس الخزاعي، وأبو الطفيل وجماعة من التابعين. [الإصابة في تمميز الصحابة، رقم الترجمة(٥٧٠٨)].

(٤) سمية بنت خباط. مولاة أبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، والدة عمار بن ياسر، كانت سابعة سبعة في الإسلام، عذبها أبو جهل، وطعنها في قبلها، فماتت، فكانت أول شهيدة في الإسلام، وكان ياسر حليفًا لأبي حذيفة، فزوجه سمية، فولدت عمارًا فأعتقه، وكان ياسر وزوجته وولده منها ممن سبق إلى الإسلام . [الإصابة في تمميز الصحابة، رقم الترجمة (١١٣٣٦)].

(٥) وهما، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

(٦) صبرًا، كتبت تصحيحًا في هامش: (أ) الأيمن بخط الناسخ.

(٧) آل ياسر، وبدلاً عنها: آل سمية، ليست في(ب)، وفي: (أ): آل سمية، وفي هامشها الأيمن تصحيح: آل ياسر.

(٨) (صحيح). الحديث ورد بألفاظ عدة، انظر: [المستدرك على الصحيحين ج ٣ ص ٤٣٢(٥٦٤٦)و(٥٦٦٦). المعجم الكبير للطبراني ج ٢٤ ص ٣٠٣(٧٦٩)والمعجم الأوسط ج ٢ ص ١٤١(١٥٠٨) وصححه الألباني صحيح السيرة (١٥٤). الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٣ ص ٢٤٩. السيرة النبوية لابن اسحاق (١/ ٦٦) [فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي (١ / ١٠٣) حديث رقم (١٠٣) تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الثامنة ١٩٩٨م. دار القلم. دمشق].

(٩) يريد قوله تعالى: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ سورة القصص، آية: ٢١.

(١٠) عليه السلام، ليست في(ب).

العجل، ألقى الألواحَ فكسرها، وبادر له هارونُ، فأخذ بلحيته، حتى عطَّفه بقوله: ﴿يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ﴾ [طه، ٩٤]، وأبانَ له عذره، و لمَّا قتلَ الخضرُ الغلامَ [١١٠/ ب] بادر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[١] وأخذ[٢] برجله وأراد أن يُلقيه في البحر!. و لمَّا فرَّ الحجرُ[٣] بثوبه تبعه[٤] يعدو، وطفق يضربه بالعصا حتى أثّر فيه آثارًا، و لمَّا قذفه قارون، وأمرَ اللهُ الأرضَ بطاعة موسى؛ أمرَها فأخذته، فجعل قارون يستغيث به ولا يُعرِّجُ عليه حتى عاتبه الله[٥] فيه، وقال: (يستغيث بك فلا تجيرهُ، لو استغاث بي لأجرته)[٦]. ومحمد ﷺ[٧] يقول: (لو سمعت شِعرَها قبل هذا - يعني قُتيلَةَ[٨] - لما

---

(١) عليه السلام، ليست في(ب).

(٢) في (ب): (فأخذ) والصواب من (أ). انظر: [قصص الأنبياء (٣٧٢)].

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (إن موسى كان رجلاً حييًا ستيرًا لا يُرى من جلده شيء استحياء منه، فآذاه من آذاه من بني إسرائيل، فقالوا ما يستتر هذا التستر إلاَّ من عيب بجلده، إما برص وإما أدرة وإما آفة، وإن الله أراد أن يبرئه مما قالوا لموسى فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل فرأوه عريانا أحسن ما خلق الله وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [صحيح البخاري (ج ٣ ص ١٢٤٩) برقم (٣٢٢٣) ومسلم، (ج ١ ص ٢٦٧) برقم(٣٣٩)]

(٤) تبعه، ليست في(ب).

(٥) لفظ الجلالة: الله، ليس في(أ) والمثبت من: (ب).

(٦) قال ابن كثير بعد ذكر قصة قارون مع موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: (وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا إسرائيليات كثيرة أضربنا عنها صفحًا وتركناها قصدًا) [التفسير (٦/ ٢٥٧). قصص الأنبياء (٣٩٥)].

(٧) في (ب): (عليه السلام) والمثبت من: (أ).

(٨) قتيلة بِنْت النّضر بن الحَارِث بن علقمة بن كَلَدة بن عَبْد مناف بن عَبْد الدار بن قصي القُرَشِيَّة العَبْدرية. كانت تحت عَبْد الله بن الحَارِث بن أميَّة الأصغر بن عَبْد شمس، فولدت له عليًّا، والوليد، و مُحَمَّد، وأم الحكم.

قال الواقدي: هي التي قالت الأبيات القافية في رسول الله ﷺ لما قتل أباها النضر بن الحَارِث يوم بدر، وهي:

يا راكبًا إنّ الأثيلَ مَظِنَّةٌ ... من صبح خامسةٍ وأنتَ موفَّقُ

أبلِغ بها ميْتًا بأنَّ تحِيَّةً ... ما إنْ تزالُ بها النجائبُ تُعْنِقُ

منّي إليه وعَبْرةً مسفوحةً ... جادتْ لمائحِها وأخرى تخنُقُ

ظلتْ سيوفُ بني أبيه تنوشُهُ ... لله أرحامٌ هناك تَشَقَّقُ

قسرًا يُقادُ إلى المنيَّةِ مُتعبًا ... رَسْفَ المُقَيَّدِ، وهو عانٍ موثَقُ

قتله) يعني أخاها[١] النضر ابن الحرث.

و لـمَّـا قيـلَ له: إنَّ هذه قسـمة لم يُرد بها وجـهُ اللهِ قال: (قد أوذي موسـى بأكثر مـن هذا فصبـر)[٢]. ولمّا قال له الأنصـاري: (أَنْ كانَ ابنَ عمتك)[٣] في قصّةِ شـراج الحرّة[٤]، غَضِبَ، ولم يفعلْ غيرَ أنْ استوفى للزبير حَقَّهُ في صريح الحُكم.

وكان يبالـغ الكفارُ في أذاه وهو يقول: (اللهم اغفر لقومي؛ فإنهم لا يعلمون)[٥]. وضُرب يوم أحد؛ فَشُجَّ وجهُهُ فجعل يمسح الدمَّ ويقول: (كيف يفلح قوم أدموا وجهَ نبيِّهم؛ وهو يدعوهم إلى الله)[٦].

هـذا مع أنَّ موسـى صلوات الله عليه إنَّمـا كانت غضباتُـه في الله، ولله، ولكنَّها[٧]

امـحَـمَّـد، أولـسـتَ ضِـنْءِ نجيبةٍ ... مـن قـومـهـا، والـفـحـلُ فـحـلٌ مُـعْـرَقُ
مـا كـان ضـرَّكَ لـو مـنـنـتَ وربـمـا ... منَّ الفتى وهـو المَـغـيظُ المُـحْـنَـقُ
فـالـنـضـرُ أقـربُ مَـن تـركـتَ قَـرابـةً ... وأحـقّـهُـم إنْ كـان عِـتـقٌ بـعُـتَـقُ

فلما بلغ رسـول الله ﷺ ذلك بكى حتـى أخضلت الدموع لحيتـه، وذكر الزبير قال: فرّق رسـول الله ﷺ حتى دمعـت عينـاه، وقال لأبي بكر: «يا أبا بكر، لو سـمعتُ شِـعرها لم أقتل أباها». [أسـد الغابـة في تميز الصحابة (٣/ ٤٠٤-٤٠٥) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/ ٧٢٦) ت: هشان عطا، عادل العدوي، أشرف أحمد. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. مكتبة نزار الباز. مكة].

(١) (٩) قلت: لعل الصواب: أباها.

(٢) صحيـح. [صحيـح البخاري: كتـاب: الخمس، باب: مـا كان النبي ﷺ يعطـي المؤلفة قلوبهـم... (٣٢٢٤)، (٤٠٨٠)، (٤٠٨١)، (٥٧١٢)، (٥٧٤٩)، (٥٩٣٣)، (٥٩٧٧) ورواه مسلم باب: إِعْطَاءِ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَى الإِسْلاَمِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِىَ إِيمَانُهُ (٢٤٩٤) (٢٤٩٥)].

(٣) صحيح. [صحيح البخاري: كتاب: التفسير، باب: تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ (٤٣٠٩) ورواه مسلم كتاب: الفضائل. باب: وجوب اتباع النبي ﷺ (٦٢٥٨)].

(٤) الشَّـرج بالتسـكين مَسِـيل الماء من الحِرارِ إِلى السُّهولة والجمع أَشراج وشِـرَاج وشُرُوج قال أَبو ذؤيب يصف سحابًا له هَيْدَبٌ يَعْلُو الشِّراجَ وهَيْدَبٌ مُسِفٌّ بِأَذْنابِ التِّلاعِ خَلُوجُ وقال لبيد لَيالِيَ تَحتَ الخِدْرِ ثِنْيُ مُصِيفَةٌ من الأُدْمِ تَرْتادُ الشُّرُوجَ القَوابِلا وفي حديث الزُّبَيْر أَنه خاصم رجلًا من الأَنصار في سُيُول شِرَاجِ الحَرَّة إِلى النبي ﷺ فقال يا زُبَيْرُ احْبِس الماء حتى يَبْلُغ الجُدُر [لسان العرب (٢/ ٣٠٥)].

(٥) صحيح. [صحيح البخاري: (٦٥٣٠). ورواه مسلم (٦٢٥٨)].

(٦) صحيح [رواه مسلم كتاب: الجهاد والسير الفضائل. باب: غزوة أحد (٤٧٤٦)].

(٧) في: (ب): لكنها، والمثبت من: (أ).

كانت تُخرجهُ في بعض الأوقات عن حال مثلِه، ومحمد ﷺ(١) لم يَخرُج عن ذلك، مع أنَّ غضبه لله كان(٢) هو ما هو.

وأيضًا: فمَنْ قابلَ حِلمَ حُلماء العرب المشهورين؛ كقيس ابن عاصم(٣)، والأحنف بن قيس(٤)، وخلفاء النبيِّ الأربعة، في ولايتهم وقبلها، وأهلِ البيت، وما حُكي عنهم من الحِلم، ومعاوية بن أبي سفيان(٥)، في بني عبد شمسٍ الذين يقول فيهم

(١) في: (ب): عليه السلام، والمثبت من: (أ).

(٢) ليست في(أ).

(٣) قيس بن عاصم بن سنان بن.. التميمي المنقري. وأمه أم أسفر بنت خليفة. وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم، وأسلم سنة تسع. ولما رآه النبي ﷺ قال: «هذا سيد أهل الوبر». وكان عاقلًا حليمًا مشهورًا بالحلم، قيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ فقال: من قيس بن عاصم؛ رأيته يومًا قاعدًا بفناء داره محتبيًا بحمائل سيفه، يحدث قومه، إذ أتي برجل مكتوف وآخر مقتول، فقيل: هذا ابن أخيك قتل ابنك قال: فوالله ما حل حبوته، ولا قطع كلامه. فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال: يا ابن أخي، بئسما فعلت، أثمت بربك، وقطعت رحمك، وقتلت ابن عمك، ورميت نفسك بسهمك، وقللت عددك. ثم قال: لابن له آخر: قم يا بني إلى ابن عمك، فحل كتافه، ووار أخاك، وسق إلى أمك مائة من الإبل دية ابنها فإنها عربية. وكان قيس بن عاصم قد حرم على نفسه الخمر في الجاهلية. [أسد الغابة (٢/ ٤٢١)].

(٤) الأحنف بن قيس، والأحنف لقب به، لحنف كان برجله، أدرك النبي ولم يره، ودعا له النبي ﷺ فلهذا ذكروه، وأمه امرأة من باهلة. عن الأحنف بن قيس قال: «بينما أنا أطوف بالبيت في زمن عثمان، إذ أخذ رجل من بني ليث بيدي فقال: ألا أبشرك؟ قلت: بلى، قال: أتذكر إذ بعثني رسول الله ﷺ إلى قومك، فجعلت أعرض عليهم الإسلام وأدعوهم إليه، فقلت أنت: إنك لتدعو إلى خير، وتأمر به، وإنه ليدعو إلى الخير، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: اللهم اغفر للأحنف فكان الأحنف يقول: فما شيء من عملي أرجى عندي من ذلك. يعني: دعوة النبي ﷺ». وكان الأحنف أحد الحكماء الدهاة العقلاء. وقدم على عمر في وفد البصرة، فرأى منه عقلًا ودينًا وحسن سمت، فتركه عنده سنة، ثم أحضره، وقال: يا أحنف، أتدري لم احتبستك عندي؟ قال: لا يا أمير المؤمنين قال: إن رسول الله ﷺ حذرنا كل منافق عليم، فخشيت أن تكون منهم، ثم كتب معه كتابًا إلى الأمير على البصرة يقول له: الأحنف سيد أهل البصرة فما زال يعلو من يومئذ. وكان ممن اعتزل الحرب بين علي وعائشة رضي الله عنهما بالجمل، وشهد صفين مع علي، وبقي إلى إمارة مصعب بن الزبير على العراق، وتوفي بالكوفة سنة سبع وستين، ومشى مصعب بن الزبير - وهو أمير العراق لأخيه عبد الله - في جنازته. [أسد الغابة (١/ ٣٤)].

(٥) معاوية بن أبي سفيان ﷺ واسم أبي سفيان صخر بن حرب، كان هو وأبوه وأخوه من مسلمة الفتح. وقد روى عن معاوية أنه قال: أسلمت يوم القضية ولقيت النبي ﷺ مسلمًا. قال أبو عمر: معاوية وأبوه من المؤلفة قلوبهم ذكره في ذلك بعضهم وهو أحد الذين كتبوا لرسول الله ﷺ وولاه عمر على الشام عند موت أخيه يزيد.. وقال عمر إذ دخل الشام ورأى معاوية: هذا كسرى العرب وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم فلما دنا منه قال له: أنت صاحب الموكب العظيم قال: نعم يا أمير المؤمنين قال: مع ما يلغني عنك من وقوف ذوي الحاجات =

الشاعر[١]:

حين بانت بنو أميَّة عنه والبهاليلُ من بني عبد شمس

خطباءٌ على المنابر، فرسانٌ على الخيل، قالةٌ غيرُ خرس [١٠٥/ أ]

بحُلومٍ إذا الحلومُ استُخفَّت، ووجوهٍ مثلِ الدنانير مُلسِ

بحلوم آحاد[٢] بني إسرائيل؛ لم يجد بين الحلمين نسبةً، وكذلك رعاع العرب مع رعاع بني إسرائيل.

حلم العرب

فقد بانَ أنَّ آثارَ الحِلم أظهرُ في بني إسماعيل؛ منها في بني إسحاق، والموصوفُ بالحلم في القرآن هو: الذبيح. فدلَّ على أنَّ الذبيح هو: إسماعيل.

وأمَّا أقوال العلماء: فرُوي عن ابن عباسٍ أنه قال: (الذَّبيحُ إسماعيلُ)، واحتج بقوله تعالى[٣]: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٧]، ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، ووجهُ دلالتِه [١١١/ ب] ما قرَّرْناه آنفًا.

وعن الحسن البصري أنه: كان لا يَشُكُّ أنَّه إسماعيلُ[٤].

= يبايك قال: مع ما يبلغك من ذلك. قال: ولم تفعل هذا قال: نحن بأرض جواسيس العدو بها كثيرة. فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به فإن أمرتني فعلت وإن نهيتني انتهيت. فقال عمر لمعاوية: ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس إن كان ما قلت حقا إنه لرأي أريب وإن كان باطلا إنه لخدعة أديب قال: فمرني يا أمير المؤمنين. قال: لا آمرك ولا أنهاك. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر الفتى عما أوردته فيه قال: لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه. وذم معاوية عند عمر يوما فقال: دعونا من ذم فتى قريش من يضحك في الغضب ولا ينال ما عنده إلا على الرضا ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه توفي معاوية في رجب لأربع ليال بقين منه سنة ستين وقال: إنه أول من جعل ابنه ولي العهد خليفة بعده في صحته. [الاستيعاب في أسماء الأصحاب (١/ ٤٤٤)].

(١) الأبيات لعبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك، من بني عامر بن لؤي: شاعر قريش في العصر الأموي. كان مقيما في المدينة. وقد ينزل الرقة. وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان. ثم انصرف إلى الكوفة بعد مقتل ابني الزبير (مصعب وعبد الله) فأقام سنة. وقصد الشام فلجأ إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، فسأل عبد الملك في أمره، فأمنه، فأقام إلى أن توفي. أكثر شعره الغزل والنسيب، وله مدح وفخر. ولقب بابن قيس الرقيات لأنه كان يتغزل بثلاث نسوة، اسم كل واحدة منهن رقية. [الأعلام (٤/ ١٩٦)].

(٢) في: (ب): آجاد، والصواب من: (أ).

(٣) تعالى، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ)

(٤) القول في: [تفسير ابن كثير (٧/ ٣٣)].

وقال أبو معشر[(١)] عن محمد بن قيس[(٢)] قال: « دخل رأسُ الجالوت[(٣)] على عمر بن عبد العزيز[(٤)] فقال له عمر: أيُّ ابني إبراهيم أُمِرَ أنْ يذبح؟، فقال: إسحاق!. قال: ويحك أَمَا تجدون في كتابكم: أنْ اذبح لي ابنَك الوحداني؟ قال: بلى! ؛ ولكنّ اليهود تحسدُ العربَ! »[(٥)]

ذكر هذه الآثار وثيمةُ بإسناده في (القصص)، ولم يذكر وثيمةُ أنَّ أحدًا من السلف

---

(١) نجيح بن عبد الرحمن السندي، أبو معشر: فقيه، له معرفة بالتاريخ. أصله من السند. كان ألكن، يقلب الكاف قافا. أقام في المدينة إلى أن اصطحبه المهدي العباسي معه إلى العراق (سنة ١٦٠ هـ) وأمر له بألف دينار، وقال له: تكون بحضرتنا فتفقه من حولنا. وحدث عن: محمد بن كعب، وسعيد المقبري، ونافع العمري، وموسى بن يسار، وابن المنكدر، وأبي وهب مولى أبي هريرة، ومحمد بن قيس القاص، ومحمد بن عمرو، وهشام بن عروة، وعدة. واختلط في آخر عمره، ومات ببغداد فصلى عليه هارون الرشيد. له كتاب « المغازي » نقل عنه الواقدي وابن سعد [سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٣٥). الأعلام للزركلي(٨/ ١٤)].

(٢) محمد بن قيس المدني القاص، قاص، ثقة من السادسة وحديثه عن الصحابة مرسل[تقريب التهذيب (٢/ ١٢٦)].

(٣) قال ابن حجر في ألقاب الملوك: (.. والقطنون لملك اليهود وهذا في القديم ثم صار يقال له رأس الجالوت، ونمرد لملك الصابئة، ودهمي لملك الهند، وقور لملك السند، ويعبور لملك الصين، وذو يزن وغيره من الأذواء لملك حمير، وهياج لملك الزنج، وزنبيل لملك الخزر، وشاه أرمن لملك أخلاط، وكابل لملك النوبة، والأفشين لملك فرغانة وأسروسنة، وفرعون لملك مصر، والعزيز لمن ضم إليها الإسكندرية، وجالوت لملك العمالقة ثم البربر، والنعمان لملك الغرب من قبل الفرس) [فتح الباري. كتاب الأدب (١٢/ ٢٣٥)].

(٤) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الاموي القرشي، أبو حفص: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيها له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الاموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان ابن عبد الملك بالشام. وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة ٩٩ هـ فبويع في مسجد دمشق. وسكن الناس في أيامه، فمنع سب علي بن أبي طالب (وكان من تقدمه من الامويين يسبونه على المنابر) ولم تطل مدته، قيل: دس له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة، فتوفي به سنة ١٠١هـ. ومدة خلافته ستان ونصف. وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة. وكان يدعى « أشج بني أمية » رمحته دابة وهو غلام فشجته. وقيل في صفته: « كان نحيف الجسم، غائر العينين، بجبته أثر الشجة، وخطه الشيب، أبيض، رقيق الوجه مليحا ». وفي كتاب الاسلام والحضارة العربية: « كانت طريقته في إدارة ولايته إطلاق الحرية للعامل، لا يشاور الخليفة إلا في أهم المهمات مما يشكل عليه أمره ». [الأعلام للزركلي(٥/ ٥٠)].

(٥) لم أجده بهذا السند واللفظ. وهناك قصص للجالوت مع بعض الخلفاء فيها حديث عن الفداء، ومقتل الحسين ﷺ، في تفسير الطبري (١/ ٣١٤) تفسير سورة البقرة، آية (٨٥).

قال هو إسحاقُ؛ إلاَّ كعبُ الأحبار[1]، وهو: إمَّا حاكٍ، أو معتقدٌ لِما في التوراة.

قلت: ووجهُ احتجاج عمر من قوله: اذبح لي ابنك الوحداني، هو أنَّ هذه الصفة لا تُتَصوَّر إلاَّ في إسماعيل؛ لأنَّه الذي وُلد له أولًا، وبقي وحدانيًا أربعَ عشرة سنة، حتّى وُلِد إسحاقُ؛ فبعد ولادته لم تبق هذه الصفةُ تَصْدُق على واحدٍ منهما؛ لأنَّ صفةَ الوحدة زالت عنه بصاحبه.

فإنْ قال قائلُ: إنَّه أرادَ الوحدانيَّ في محبتك له، وإيثاره على صاحبه، وهو إسحاق.

قلنا: هذه دعوى تحتاج إلى حُجَّةٍ، وسيأتي الكلام عليها.

وهذا البحث كلُّه مع المخالفين من المسلمين؛ إذ اليهودُ لا تقوم عليهم الحجَّةُ بما ذكرناه.

ومن المسلمين من احتجَّ على أنَّ الذبيحَ إسحاقُ بقوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴾ [ص: ٤٥-٤٦].

ومعناه: أنه أخلصهم بالامتحان بالبلاء؛ فإبراهيم بالنار، وإسحاق بالذبح، ويعقوب بفراق يوسف، وغيره[2].

والجواب: أنَّ هذا ليس نصًا في المطلوب، بل هو[3] إمَّا ظاهرٌ، أو محتملٌ، وعندنا ما يعارضه أبينُ منه، وهو قوله سبحانه، في سورة الأنبياء: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [سور الأنبياء، آية: ٨٥]، فجعل إسماعيلَ من الصابرين، والصبرُ لا يكونُ إلاَّ على بلاءٍ، وهذا أولى أنْ يُستدلَّ به على أنَّه الذَّبيحُ؛ لأنَّه الوصفُ الذي وصفَه به في قصةِ الذبح [١٠٦/ أ] حيث قال:

---

(١) في: (أ): الحبر، والمثبت من: (أ)، وكعبٌ سبقت ترجمته.

(٢) انظر: [تفسير ابن كثير (٧/ ٧٦)].

(٣) هو، ليست في(ب) والمثبت من: (أ).

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [سورة الصافات: ١٠٢].

وأمَّا المستفادُ من فحوى التوراة، فقوله: خذ ابنك وحيدك. وإسحاقُ لم يتصِّف بصفةِ الوحدةِ ذلك الوقت قطُّ، إنَّما ذلك[١١٢/ ب] إسماعيلُ، كما سبق في توجيه استدلال عمر بن عبد العزيز بقوله: ابنك الوحداني.

وقوله: الذي تُحبُّه، يُدلُّ على أنَّه إسماعيلُ؛ لأنَّه كان بِكرَه، وأوَّلَ ما فرحَ به من الولدِ، والعادةُ في طباعِ الناس [أنَّ الإنسان] [١]، يحبُّ من كان كذلك من ولده أكثر، وقد يُعارضُ هذا بقضيّة عبد المطلب [٢]؛ حيث كان عبدُ الله [٣]؛ ابنُه أحبَّ ولدِه إليه، وكان أصغرَهم؛ لكنَّا نُجيبُ عنه بأنَّه: إنَّما كان كذلك لِما كان في وجهه، من نور نبوة نبيِّنا محمدٍ ﷺ [٤]. وبهذا بعينه يُرجّح أنَّ إسماعيل كان أحبَّ ولدي إبراهيم إليه. ويقال: إنَّ لفظ التوراة كان قبل التحريف: (اذبح ابنك بكرك) [٥]، وقد ثبت أنه: إسماعيلُ.

وقوله: وأُكثِّرُ خلفك كنجوم السماء والرمّل، والعربُ أكثرُ من بنيّ إسرائيل بن إسحاق. وكلُّما جاءوا من قِلَّةٍ، والعربُ في كثرة.

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٢) عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث: (نحو ١٢٧ ق هـ - ٤٥ ق هـ = نحو ٥٠٠ - ٥٧٩ م) زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه بمكة. كان عاقلا، ذا أناة ونجدة، فصيح اللسان، حاضر القلب، أحبه قومه ورفعوا من شأنه، فكانت له السقاية والرفادة. قال « سيديو » في خلاصة تاريخ العرب: « مارس الحكومة العظمى بمكة من سنة ٥٢٠ إلى سنة ٥٧٩ م، خلص وطنه من غارة الحبشة ». وهو جد رسول الله ﷺ قيل: اسمه شيبة و « عبد المطلب » لقب غلب عليه. وهو ممن وفد على الملك « سيف ابن ذي يزن » في وجوه قريش يهنؤنه بالنصر على الحبشة، كما في كتاب « ملوك حمير » وقيل: هو أول من خضب بالسواد من العرب. وكان أبيض مديد القامة. مات بمكة عن نحو ثمانين عاما أو أكثر». [الأعلام للزركلي(٤/ ١٥٤)].

(٣) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، أبو قثم الهاشمي القرشي، الملقب بالذبيح (٨١ ق هـ - ٥٣ ق هـ = ٥٤٤ - ٥٧١ م): والد رسول الله ﷺ. ولد بمكة، وهو أصغر أبناء عبد المطلب. [الأعلام(٤/ ١٠٠)]

(٤) في (ب): (عليه السلام) والمثبت من: (أ).

(٥) في (أ) (بكفك) والصواب من(ب).

وكذلك قوله: يرثُ خلفُك أرضَ أعدائهم. وهذا في سياق ذكر الذَّبيحِ، فيكون خَلَفُ إبراهيم من جهة الذَّبيح أولى بذلك، والعربُ بنو إسماعيل، هم الذين ورثوا أرضَ اليهود، وكثيرًا من أرض النصارى.

وقوله: يتبرَّكُ بخلفِك سائرُ الشعوب، وهذه صفة العَربُ، عمَّت بركتُهم شعبَهم؛ بإقامة التوحيدِ، وشعبُ بني[1] إسرائيل بإقامة العدل فيهم وإقرارهم بالجزية، وإلا فهم يستحقون القتل على كفرهم بإنكارهم نبوة محمد ﷺ.

وذكر: [**أنَّ إسحاقَ توجه إلى ايتمالخ، ملك أهل فلسطين فتراءى الله لهُ، وقال كما قال لإبراهيم، حين عزم على ذبح ولده، ووعده كذلك[2])[3]**.

فإنْ صحَّ هذا لم ينافِ حملنا لِما وُعد به إبراهيم من ذلك، على ولد إسماعيل؛ لجوازِ أنْ تكون البركةُ، وتكثيرُ العدد في[4] ولدهما جميعًا[5]، وقد أنجز اللهُ في بني إسحاق؛ حيث أورثهم أرضَ فرعون، والعمالقة، وغيرهم، وفي بني إسماعيل؛ حيث جَعلهم بعدَهم في أرضهم، وغيرها إلى الآن][6].

سجود إبراهيم وسجود يوسف وتأويله

وذكر: (**أنَّ إبراهيم لـمَّا ماتت سارةُ، طلب مغارة عفرون بن صاغر[7]؛ ليدفنها فيها، فلمَّا أجابه عفرون إلى ذلك، - مع ملاطفة في الكلام - سجدَ إبراهيمُ قُدَّام شعبِ الأرض كُلِّه)[8]**.

وذكر: قبل ذلك: (**أنه سجد لشعب الأرض)[9]**.

(١) بني، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

(٢) كذلك، ليست في(ب) والمثبت من: (أ).

(٣) سفر التكوين: ٢٦: ١: ٧.

(٤) العدد في، ليست في(ب) والمثبت من: (أ).

(٥) جميعًا، ساقطة من: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٦) مابين معقوفتين: سقط من الأصل في: (أ)، والحق بخط الناسخ في الهامش الأيمن، وكُتب بعد: صح.

(٧) عَفرون: اسم عبري معناه ((غزال صغير)) وهو: ابن صوحر، حثّيّ كان يقيم في الخليل، وقد باع ابراهيم حقل المكفيلة ومغارتها [قاموس الكتاب المقدس(٦٣٢)].

(٨) سفر التكوين: ٢٣: ١: ٧.

(٩) هذا النص ورد بعد النص السابق، في: ٢٣: ١٢.

وهـذا لا محذور فيه؛ بناءً على أنَّ ذلك كان تحيتَهم، فَفَعله إبراهيمُ [١١٣/ ب] تحيةً، وشكرًا للإحسان، لا على سبيل العبادة، وهذا يردُّ على من قَدح في صدقِ قوله تعالى، في سورة يوسف: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا ﴾ [سورة يوسف، آية: ١٠٠]؛ لأنَّ السُّجودَ إذا ثبت أنَّه من ملَّة إبراهيم شكرًا للمنعم؛ فيوسفُ كان أمنَّ على إخوته وأبويه، أو أبيه وخالتِه، على خلافٍ في ذلك[١]، من عفرون على إبراهيم، فهم أولى بالسُّجود شكرًا.

وذكر: (أنَّ إسماعيلَ ولَد اثني عشر شريفًا: نيبوث، وقيذر، و أريل، ومبسم، ومشمع [١٠٧/ أ]، ودوما[٢] وماسا، وجادر، وبنما، وناظور، ونافش، وقادم)[٣].

قلت: وقد سبق أنَّه وعد أنْ يولد لإسماعيل اثنا عشر شريفًا، لكنَّ هؤلاء لم يشتهروا، شهرةَ محمد في الاثني عشر المذكورين من أصحابه، فحَمْلُ الخطاب المذكور عليهم أولى.

وذكر: (أنَّ إسحاق لـمَّا دخلَ أرضَ ايتمالخ وكانت زوجتُه رفقا[٤] بنت عمه جميلةً، فقال: إنها أختي، وأنَّ ايتمالخ أشرف يومًا من طاقةٍ، فوجد إسحاق يُلاعبُ

---

(١) قوله: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ﴾ قال السدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: إنما كان أباه وخالته، وكانت أمه قد ماتت قديمًا. وقال محمد بن إسحاق وابن جرير: كان أبوه وأمه يعيشان. قال ابن جرير: ولم يقم دليل على موت أمه، وظاهر القرآن يدل على حياتها. وهذا الذي نصره هو المنصور الذي يدل عليه السياق. [تفسير ابن كثير (٤/ ٤١١-٤١٢)].

(٢) في: (ب): وذوما والمثبت من: (أ).

(٣) النص الوارد بالأسماء، هكذا: ٢٥: ١٣-١٥: (و هذه أسماء بني إسماعيل بأسمائهم، حسب مواليدهم: نبايوت؛ بكر إسماعيل، و قيدار، و ادبئيل، و مبسام، و مشماع، و دومة، و مسا، و حدار، و تيما، و يطور، و نافيش، و قدمة). وفيه اختلافٌ في الأسماء - كما ترى - عن الأصل الذي نقل منه الطوفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

(٤) رِفقة: اسم عبري ربما كان معناه: رباط، أو حبل قيد، وهي ابنة بتوئيل وأخت لابان، لما كبر اسحق كلف أبوه أحد خدامه ليبحث له عن زوجة من بين فتيات عشيرته فذهب الخادم وإذ طلب إرشاد الله وفقه لاختيار رفقة فتزوجت اسحق، وبعد زواجها بنحو عشرين سنة ولدت يعقوب..، وقد ماتت رفقة قبل اسحق في الوقت الذي كان ابنها يعقوب عند خاله لابان ودفنت في مغارة المكفيلة عند قبر ابراهيم. [قاموس الكتاب المقدس(٤٠٨)].

امرأتــه، فقال له: مـا صنعت؟! لقد كاد[١] رجلٌ من شـعبنا يُضاجِعُ هـذه المرأةَ وهي امرأتُك!، فلم تخبرنا، ولقد كادت تلحقنا الخطيئة). [٢]

الدفاع عن النبي ﷺ

قلت: ففي هذا ردٌّ على من قدح في طهارة محمد ﷺ[٣] من النصارى بكونه كان يُحـبُّ النسـاء، ويلاعبُهّن ويسـتمتع بهـن، فهذا إسـحاق بنُ خليـلِ الله، قد لاعب امرأتَه، وسـائرُ الأنبياء كانوا يسـتمتعون بنسـائهم، وإنما ذلك شـهوةٌ مباحةٌ، كأكلِ الطَّيب، ولُبسِ الناعم، فلا يقدح في الطهارة.

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان

ولعل المسيحَ لو تزوَّج وأولد؛ لكان[٤] خيرًا له وأكمَلَ، كسائر الأنبياء، على أنَّ في علم المسـلمين أنـه ينزِلُ في آخر الزمان؛ فيقتل الدَّجَّال، [ويكسـر الصليب، ويحرِّمُ الخنزير][٥]، ويتزوج، ويولد له، ويُدفن إذا مات بالمدينة في حجرة النبي ﷺ[٦].

[وقـد تضمنـت التـوراة: أنَّ][٧] إبراهيـم، وإسـحاق، تواطـأت قصتاهمـا في إخبـارِ كلٍّ منهما بأنَّ زوجتَه أختهُ؛ لـمَّا خاف من غائلـة الإخبار بالزَّوجيّة، فلا يبعُد أنَّ قصة يعقوب و[٨] موسـى توافقتا، في أنَّ كلاً منهما آجَرَ نفسَـه بصَدَاقِ امرأته؛ حتى

(١) في: (أ): كان، وهو خطأ فاحش، والمثبت من: (ب).

(٢) سفر التكوين: ٢٦: ٧: ١٠.

(٣) في (ب) (عليه السلام).

(٤) في (ب) (كان) والصواب من (أ).

(٥) ما بين معقوفتين ساقطة من: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٦) الصحيح في هذا ما ذكر أن عيسى عليه السلام يمكث ما شاء الله أن يمكث ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه، أما ما ذكر الطوفي رحمه الله من دفنه في حجرة النبي ﷺ فقد قال ابن كثير رحمة الله عليه: (ثم يموت فيدفن فيما قيل في الحجرة النبوية عند رسول الله ﷺ وصاحبيه، وقد ورد ذلك حديث ذكره ابن عساكر في آخر ترجمة المسيح عليه السلام في كتابه عن عائشة مرفوعا أنه يدفن مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر في الحجرة النبوية ولكن لا يصح إسناده. وقـال أبوعيسـى الترمذي: حدثنا زيد بن أخزم الطائي حدثنا أبو قتيبة مسـلم بن قتيبـة حدثني أبو مودود المدني حدثنا عثمان بن الضحاك عن محمد بن يوسف بن عبد الله ابن سلام عن أبيه عن جده قال: مكتوب في التوراة: (صفة محمد وعيسى ابن مريم عليهما السلام يدفن معه) قال أبو مودود وقد بقي من البيت موضع قبر. ثم قال الترمـذي: هذا حديث حسـن كذا قـال: والصواب الضحاك بن عثمان المدني. وقـال البخاري هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه.) [قصص الأنبياء (٥٧٥)].

(٧) ليست في(ب).

(٨) في: (ب): في، بدل الواو، والمثبت من: (أ)،، هو الصواب.

تزوج.

وبهذا يُردُّ على من قَدَحَ في صحةِ إخبار محمدٍ بقوله: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ﴾ [القصص: ٢٧]، وزعم أنَّ ذلك خاصًا بيعقوب؛ بناءً على أنَّ التوراة لم تتضمنه، وليس ذلك بشيءٍ، فإنَّا ندعي تحريفَ التوراة [١١٤/ ب].

وبتقدير التسليم نقول: التوراةُ لم تتضمن جميع تفاصيل ما وقع لموسى وغيره، فلعلَّ[1] هذا مما أخلَّتْ به.

وذكر: (أنَّ يعقوب لمَّا قضى الأجلَ الذي كان بينه وبين خاله لابان، في رعاية الغنم عن مهر ابنته، استأجره ليرعى له مدةً أخرى، وجعل يعقوب أجرته كلَّ أجلح، يولد من المعز، وكلَّ حملٍ أبقع، وملمعٍ أبيض بسوادٍ، وكلَّ أملحٍ ببياض، فرضي لابان، وأخرج عن غنمه كلَّ فحلٍ خالطه لونان، وأبعد بيعقوب وما معه من الغنم، عن بقية رُعاتها، ثلاثة أيام، فأوحى اللهُ إلى [١٠٨/ أ] يعقوب: أنْ خذ القضبان الرطبة، من اللَّوز و الدُّلَبِ[2]، فقشَّرها حتى يظهرَ بياضُها، وأنصبْها في موارد الغنم، حيث تأتي لتشرب، ففعل يعقوب ذلك، فكانت الغنم إذا أقبلت، تفزع[3] وترجع إلى ورائها، فتضطرب الأجنة في بطونها، يعني: فتتكيَّف بكيفية البياض مع سوادها في أنفسها فتنتج بقعًا، ومُلحًا، وجُلحًا، ومنمَّرةً، حتى صار له من ذلك شيءٌ كثيرٌ، وكان أوَّل نتاجِها ليعقوبَ، وآخره لخالهِ لابان)[4].

قلت: هذا سببٌ مشهورٌ، مؤثرٌ في أنَّ الجنين يتكيَّفُ بكيفيةِ ما تراه الأمُّ، وهو من الأسباب التي يأتي لها ابنُ الأسودينَ أبيضَ، وابنُ الأبيضين أسودَ. وقد نصَّ على

---

(١) في (أ) (ولعل) والصواب من (ب).

(٢) الدُّلْبُ شجر العَيْثام وقيل شجر الصَّنار وهو بالصَّنار أَشْبَهُ قال أَبو حنيفة الدُّلْبُ شجر يعظم ويتَّسِع ولا نَوْرَ له ولا ثمر وهو مُفَرَّضُ الوَرَقِ واسِعُه شبيه بورق الكَرْم واحدتُه دُلْبة وقيل هو شجر ولم يوصف. [لسان العرب (١/ ٣٧٧)].

(٣) في: (أ): تفرع، والصواب من: (ب).

(٤) سفر التكوين: ٣٠: ٢٥-٤٣.

ذلك الحكماء.

وذكر بعد هذا: (أنَّ يعقوب أخبَر أنَّه رأى في المنام أنَّ الفُحول التي تُسفدِ الغنمَ، جُلحٌ وبقعٌ ومنمَّرةٌ)[١].

قلت: فهذا يحتملُ، وأنَّ هذي بشرى ليعقوب، أنَّ النَّتاج يأتي على الصفة التي اشترطت لنفسك، فيكون[٢] هذا من بابِ التَّنبيهِ بالسَّبب على المسببِ؛ لأنَّ كونَ الفحل أملحَ؛ سببٌ لمجيء نتاجه كذلك، وإنَّما السببُ الذي جاء الناتج له، على ما وصف ليعقوب، هو ما ذكر أولًا من القضبان المقشورة، ويحتملُ أنَّ الله سبحانه خَلقَ فُحولًا ملحًا، وبُقعًا، أو قلبَ ألوان فحول الغنم عند سفادها[٣] كذلك، أو أَرسلَ مَلَكًا ساقَ فحول بقية غنم لابان[٤]، التي عزلها عن يعقوب، فجاءت فسفدت، ويكون ذلك جُزءَ سببٍ مضمومًا إلى القضبان المقشورة؛ لطفًا ليعقوب، ومبالغةً في إعانته، فكلُّ[٥] ذلك ممكنٌ، فإذا نُسِبَ إلى قدرة الله فهو قريبٌ.

فساد عقائد اليهود في الله ﷻ والملائكة الكرام

وذكر: (أنَّ يعقوب لـمَّا رجعَ من حوران[٦]، أرضِ خالِه لابان[١١٥/ ب]، إلى كنعان، أرضِ أبيه إسحاق، وجاز بأهلِه بريَّةَ بالق، عرض له رجُلٌ؛ فقاتله وصارعه، إلى أن أسفر الصبح، ورأى أنَّه لا يُطيقه، فدنا منه ومسَّ خاصرته؛ فوهنت خاصرةُ يعقوب، ثم قال ليعقوب: أطلقني، قال: لا؛ حتى تُباركَ عليَّ، فقاله له: ما اسمك؟!. قال: يعقوب. قال: بل أنت إسرائيل! ؛ لأنك قاومت المَلَك والرجلَ فاستطعته. وقال للرجل: ما اسمك؟!. فقال: مالك ولاسمي؟! ثم بارك على يعقوب، ودعا يعقوب

---

(١) سفر التكوين: ٣١: ١٠-١٢.

(٢) في: (ب): ويكون، والمثبت من: (أ).

(٣) السِّفادُ نَزْوُ الذكر على الأنثى[لسان العرب (٣/ ٢١٨)].

(٤) في: (ب): لابن والصواب من: (أ).

(٥) في: (ب): وكل، والصواب ما في: (أ).

(٦) حوران كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة ذات قرى كثيرة ومزارع وحرار وما زالت منازل العرب وذكرها في أشعارهم كثير وقصبتها بصرى. [معجم البلدان (٢/ ٣١٧)].

اسمَ ذلك البلد: منظر الله؛ لأنه رأى الملك [١٠٩/ أ] وجهًا لوجهٍ)[١].

قلت: ظنَّ بعضُ النصارى أنَّ المصَارعِ ليعقوب في هذه القصة هو: الله سبحانه!!، واحتجَّ بذلك، وبقضايا أُخرَ؛ على أنَّ اللهَ سبحانه له مظاهرُ يظهَرُ فيها تارةً رجلًا، وتارةً نارًا، وتارةً كبشًا! [٢]. وجوَّزَ لذلك أنْ يكونَ ظهرَ في ناسوت المسيح، وليس في هذه القصةِ في التوراة ما يدلُّ على أنَّ المصارع له كان[٣] هو الله سبحانه، كيف وقد غلَبَه يعقوبُ، حتى جعلَ يقول له: أطلقني فقد أسفر الفجر[٤]، وهو يقول: لا حتى تباركَ عليّ؟!، وإنَّما[٥] هو ملكٌ من الملائكة[٦].

(١) سفر التكوين: ٣٢: ٢٢-٣٠.

(٢) تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، فالمؤمن يشمئز من قراءة هذه المصائب، لولا الرد على مثل هؤلاء الضُّلال.

(٣) كان، ليست في(أ)، وأثبتها من: (ب).

(٤) في (أ) (الصبح الفجر)، والصبح ليست في (ب).

(٥) وإنما، تكررت في: (أ).

(٦) قال الجعفري: زعم اليهود أن يعقوب عند منصرفه من حران طالبًا بلاده تصارع مع الملك فغلبه يعقوب وتألم ورك يعقوب حين دنا منه الملك. وأن الملك بقي في يد يعقوب مقهورًا حتى قال له: دعني وأباركك، فلهذا لا يأكل اليهود عرق الفخذ، وربما قال بعض جهال اليهود: «إن الذي صارعه يعقوب هو الله» - تعالى الله عن جهلهم علوًا كبيرًا - وأستغفره من حكاية أقوالهم. وقال ابن حزم رحمة الله عليه: (.. أن يعقوب صارع الله ﷻ تعالى الله عن ذلك وعن كل شبه لخلقه فكيف عن لعب الصراع الذي لا يفعله إلا أهل البطالة وأما أهل العقول فلا يفعلونه لغير ضرورة ثم لم يكتفوا بهذه الشهرة حتى قالوا: إن الله ﷻ عجز عن أن يصرع بنص كلام توراتهم وحقق ذلك قولهم عن الله تعالى أنه قال كنت قويا على الله تعالى فكيف على الناس ولقد أخبرني بعض أهل البصر بالعبرانية أنه لذلك سماه إسرائيل إيل بلغتهم هو اسم الله تعالى بلا شك ولا خلاف فمعناه أسر الله تذكيرا بذلك الضبط الذي كان بعد المصارعة إذ قال له دعني فقال له يعقوب لا أدعك حتى تبارك علي ولقد ضربت بهذا الفصل وجوه المتعرضين منهم للجدال في كل محفل فثبتوا على أن نص التوراة أن يعقوب صارع الوهيم وقال أن لفظ الوهيم يعبر بها عن الملك فإنما صارع ملكا من الملائكة فقلت لهم سياق الكلام يبطل ما تقولون ضرورة. أن فيه (كنت قويا على الله فكيف على الناس) وفيه أن يعقوب قال (رأيت الله مواجهة وسلمت نفسي) ولا يمكن البتة أن يعجب من سلامة نفسه إذ رأي الملك ولا يبلغ من مس الملك لما نص يعقوب أن يحرم على بني إسرائيل أكل عروق الفخذ في الأبد من أجل ذلك. وفيه أنه سمى الموضع بذلك فنيئيل؛ لأنه قابل إيل وهو الله ﷻ بلا احتمال عندكم، ثم لو كان ملكًا كما تدعون عند المناظرة لكان أيضًا من الخطأ تصارع نبيٍ وملكٍ لغير معنى، فهذه صفة المتَّحدين في العنصر لا صفة الملائكة والأنبياء، فإن قيل قد رويتم أن نبيكم صارع ركانة بن عبد يزيد، قلنا: نعم؛ لأنَّ ركانة كان من القوة بحيث لا يجد أحدًا يقاومه في جزيرة العرب، ولم يكن رسول الله ﷺ موصوفًا بالقوة الزائدة فدعاه إلى الإسلام، فقال له: إن صرعتني آمنت بك، =

وذكر: (أن يعقوب عَبَّرَ من منظر الله، وهو يعرج من وركه!، من غمزةِ الملك له؛ ولذلك صار في بني إسرائيل عِرْقُ النسا[1])[2].

قلت: ولعلَّه السببُ في لحوق عرق النسا لإسرائيل؛ حتى نذرَ إنْ شفاه اللهُ منه حرَّمَ أحبَّ الأشياء المأكولة إليه، فكان ذلك لحم الجزور، فامتنع منه كما ذكره المفسرون[3] في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ [سورة آل عمران، آية: ٩٣].

وذكر: (أنَّ يعقوبَ سجدَ لأخيه العيص لـمَّا التقاه سبعَ مراتٍ؛ بالأرض، وسجدَ له كلُّ من معه، من أزواجه وإمَائه وأولاده، حتى يوسفُ وهو صبيٌّ)[4]، فيوسفُ إذ صار مَلِكًا وسُرِّي به حزنُ يعقوب أولى أنْ يُسجدَ له، وهذا ردٌّ على من أنكرَ سجودَ

= ورأى أن هذا من المعجزات، فأمره ﷺ بالتأهب لذلك ثم صرعه للوقت، وأسلم ركانة بعد مدة، فبين الأمرين فرق كما بين العقل والحمق، ولكل مقام مقال، ولكن إذا أكل الملائكة عندكم كسور الخبز حتى تشتد بها قلوبهم والشاي واللبن والسمن والفطائر فما ينكر بعضهم للصراع مع الناس في الطرقات وهذه مصائب شاهدة بضلالهم وخذلانهم وصحة اليقين بأن توراتهم مبدلة!!. وفي الفصل المذكور: أن الله تعالى قال ليعقوب: لست تدعى من اليوم يعقوب لكن إسرائيل ثم في السفر الثاني من توراتهم قال الله تعالى: قل لآل يعقوب وعرف بني إسرائيل فقد سماه بعد ذلك يعقوب وهذه نسبة الكذب إلى الله تعالى!. [تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٣/ ٨٢). الفصل في الملل والنحل (١/ ١١٠-١١١)].

(١) عِرْقُ النَّسَا مَفْتُوح مَقْصُورٌ وَجَع يَمْتَدُّ من لَدُنِ الوَرِكِ إلى الفَخِذِ كُلِّها في مكانٍ منها بالطُّولِ ورُبَّما بَلَغَ السَّاقَ والقَدَمَ مُمْتَدًا. [فقه اللغة للثعالبي (٤٩١)].

(٢) سفر التكوين: ٣٢: ٣١-٣٢.

(٣) قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: (قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد، حدثنا شهر قال: قال ابن عباس رضي الله عنهما حضرت عصابة من اليهود نبيّ الله ﷺ فقالوا: حدِّثنا عن خلال نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي. قال: «سَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ، وَلَكِنِ اجْعَلُوا لِي ذِمَّةَ اللهِ، وَمَا أَخَذَ يَعْقُوبُ عَلَى بَنِيهِ لَئِنْ أنا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا فَعَرَفْتُمُوهُ لَتُتَابِعُنِّي عَلَى الإِسْلامِ». قَالُوا: فَذَلِكَ لَكَ. قَالَ: «فَسَلُونِي عَمَّا شِئْتُمْ» قالوا: أخبرنا عن أربع خلال: أخبرنا أيُّ الطعام حَرَّمَ إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ كيف هذا النبي الأمي في النوم؟ ومن وَلِيّه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه وقال: «أَنْشُدُكُمْ بِالَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى: هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ إِسْرَائِيلَ مَرِضَ مَرَضًا شَدِيدًا وَطَالَ سُقْمُهُ، فَنَذَرَ لِلَّهِ نَذْرًا لَئِنْ شَفَاهُ اللهُ مِنْ سُقْمِهِ لَيُحَرِّمَنَّ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ وَأَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ، وَكَانَ أَحَبَّ الطَّعَامِ إِلَيْهِ لُحْمان الإِبِلِ، وَأَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ أَلْبَانُهَا» فقالوا: اللهم نعم. قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِمْ») [تفسير ابن كثير (٢/ ٧٤)].

(٤) سفر التكوين: ٣٣: ٣ و٣٣: ٧.

يعقوب ليوسف في القرآن وقد سبق.

وذكر: (أنَّ يعقوب نزل ساليم[١]، قرية سجيم[٢] في أرض كنعان، وأنَّ أبا سجيم بن حمورا، سيد الأرض زنا بجاريةِ يعقوب وابنتِه، وخطبها من يعقوب وبنيه، فغضبوا لذلـك فقالوا لـه: إن اختتنت أنت وجميعُ مـن في قريتك زوَّجناك، وكنَّا وإياك شـعبًا واحـدًا، فقَبِل ذلـك[١١٦/ ب]، واختتن هو وأهلُ قريته، ودخـل بنو يعقوب القريةَ، وأهلُها جرحى[٣] في ألمِ الختان، فقتَلوا كُلَّ من فيها وأخذوا مالهم)[٤].

قلت: نسبةُ هذا إلى يعقوب، وهو من أكرم الأنبياء على الله - حتى إنهم سمَّوا الله ظهر إسـرائيل، أي: عونه وناصره - قبيحٌ جدًّا؛ إذ كيف يُسـلَّط على أُمِّ ولد نبيِّه وابنتِه مـن يَفجُر بها؟!، وهو قادرٌ على عصمتهما منه، بما عَصم به سـارةَ من ايتمالخ؛ مَلِكِ فلسطين.

وأمَّا ما حُكيَ عن بني يعقوب، من مكرهم بأهل القرية فقبيحٌ أيضًا؛ إذ[١١٠/ أ] فيـه غـدرٌ، ولعلَّ فَتْكَهُـم بِهم قد كان لغير هذا السـبب؛ كالجهـاد في الله ونحو ذلك، ولكنَّ هذا من أكاذيب اليهود على اللهِ ورسلِه وتحريفِهم.

وذكـر: (أنَّ الله اسـتعلن على يعقوب، وهو إذ أقبل من فـدن آرام، وبارك عليه، وقال له: لا يُدعى أيضًا اسـمُك يعقوب، ولكن يكن اسـمُك إسـرائيل، وقال الله: أنا اللهُ، إيل، أشدُّ أعظِمُك، وأُكثِّرُك وسائرَ الشعوب منك)[٥].

---

(١) سـاليم: اسـم عبراني معناه (سـلام) والمكان غير معروف الآن بالضبط، والأغلب أن عين نون وسـاليم تقعان في وادي الأردن على بعد ثمانية أميال رومانية من سـكيثوبوليس، أما في الخريطة الحديثة، فهناك مدينة اسـمها سـاليم تقع على مسـافة أربعة أميال شـرق شكيم على سـهل ممتد جنوب وادي فارعة. وعين نون هي خرائب ممتدة على منحدر وادي طوباس على بعد نحو عشـرة أميال شـمال شـرق شـكيم، وأربعة أميال شـمال وادي فارعة. [قاموس الكتاب المقدس(٤٤٧)].

(٢) شـكيم أو (نابلس) وهو اسـمها الحالي، تبعد ٣١،٥ ميلاً شمالي أورشليم، ٥،٥ ميلاً جنوب شرقي السامرة. [قاموس الكتاب المقدس(٥١٥)].

(٣) جرحى، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٤) سفر التكوين: ٣٣: ١٨ - ٢٠ و٣٤: ١ - ٣١، وفيه: شكيم ابن حمور، بدل: سجيم بن حمورا.

(٥) سفر التكوين: ٣٥: ٩-١١.

قلت: هاهنا ذكرَ أنَّ المستعلن على يعقوب هو: اللهُ. وفي قصة الرَّجُل الذي صارعه، ذكر أنَّه كان مَلَكًا، وقال له: اسمُكَ إسرائيل؛ لأنَّك قاومت المَلَكَ والرَّجُلَ، فدلَّ على أنَّ ذاك[1] لم يكن هو اللهَ، كما توهَّم بعضُهم. فإنْ ادعى مُدعٍ أنَّ هذه القصةَ حكايةٌ عن تلك؛ فعليه الدليل.

قصة يوسف عليه السلام

وذكر: (أنَّ راحيلَ ماتت في نفاسها ببنيامين[2]، وسمته: ابن أوجاعي، وأنَّها دُفنتْ على طريق أفرث وهي بيت لحم، ونصب يعقوب على قبرها نصبةً[3]، هي إلى يومنا هذا)[4].

قلتُ: قد بينَّا أنَّ هذا لا يقدح في صحة قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف: ١٠٠] في قصة يوسف، بناء على أنه دعا خالته، - وهي أختُ أمِّه: ليا، وزوجة أبيه - أُمًّا مجازًا، كما كان يُدعى يوسفُ النَّجَّار[5] - زوجَ مريم - أبًا للمسيح: إذا قيل جاء أبواه يطلبانه، وكان مع أبويه، وقد نطقَ به الإنجيلُ، وقد سبق بيانه في الكلام عليه[6].

---

(١) في: (ب): ذلك، والصواب ما في: (أ).

(٢) بَنيامين: سم عبري معناه ((ابن اليد اليمنى، أو ابن اليُمن)) وهو ابن يعقوب من امرأته راحيل، وكان أصغر أخوته. ولدته أمه في طريق بيت لحم وهم راجعون من فدان ارام إلى أرض كنعان. [قاموس الكتاب المقدس(١٩٢) قصص الأنبياء(٢١٤)].

(٣) في: (ب): نصبته، والصواب من (أ).

(٤) سفر التكوين: ٣٥: ١٦ -٢٠.

(٥) النجار، ليست في: (ب)، والمثبت من: (أ).

(٦) في إنجيل متى: ١٣: ٥٥: (أليس هذا ابنَ النجار؟! أليست أمُّه تدعى: مريم، و إخوته: يعقوب، و يوسي، و سمعان و يهوذا). وفي إنجيل لوقا: ٢: ٢٧: (فأتى بالروح إلى الهيكل، و عندما دخل بالصبي يسوع أبواه؛ ليصنعا له حسب عادة الناموس). و ٢: ٤١ (و كان ابواه يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح) و ٢: ٤٨ (فلما أبصراه اندهشا و قالت له أمه: يا بني لماذا فعلت بنا هكذا؟! هو ذا أبوك و أنا كنا نطلبك معذبين).

وذكر: (أنَّ روبيل[١] بن يعقوب جامع سُريَّة أبيه بلها فبلغ ذلك إسرائيل)[٢]، ولم يذكر عنه إنكارَها، فإن كان أنكرَ فالشناعةُ على هذا الكلام من جهة:

شناعات اليهود

أنَّ الله لـم يحصِّـن فراشَ نبيِّه من الزِّنا، ولـم يعصمْ ابنَ نبيِّه منه، وإن لـم يكن أنكرَ ففيه تشنيعان: أحدهما: هذا المذكور[١١٧/ ب].

والثاني: نسبةُ يعقوب إلى الدياثة، وعدم الغَيرة على فراشه. ونحن نرى أنَّ سُوقيًا لو عبث ابنُه بفراشه لغضبَ لذلك بالطبع؛ دعِ الشرعَ[٣].

وذكـر: (أنَّ يوسـفَ رأى أنَّـه وإخوته جمعـوا حزمًا من المزرعـة، وقد قامت حزمته، وجاءت حزم إخوته، فسجدت لها، فأبغضه إخوتُه لذلك)[٤].

قلت: هـذه الرُّؤيا لم يقصَّها علينـا القرآنُ، وإنَّما قصَّ رؤيا النُّجوم، والشَّـمس، والقمـر، وهي في التوراةكما في القـرآن، وأنَّ يعقوب زجَره لـمَّـا قصَّها، وقال له: **(ما هذه الرؤيا التي رأيت أجئ أنا وأمك [١١١/ أ] وإخوتك، فنسـجد لك على الأرض، وكان يعقوب قد وعى معنى الرؤيا)[٥]**.

قلت: وإنَّما أرادَ بذلك أنْ يصدَّ عنه كيدَ إخوتِه له، باستبعاده ذلك وإنكارِه.

قلت: ففي هذا فائدتان:

---

(١) رأوبين: اسم عبري معناه: هوذا ابن، هو بكر يعقوب ولدته له ليئة، وكان نسله قليلاً وضعيفًا. عندما تآمر أخوته لقتـل يوسـف تقدم هو باقـتراح أن يلقى أخـوه في البئر آملًا أن يرده إلـى أبيه حيًّا. ولم يكن معهـم عندما باعوا يوسف إلى الإسماعيليين فاغتاظ جدًا عندما رجع إلى البئر وإذا بيوسف ليس فيه، وعندما وجد رأوبين أخوته أنفسـهم في ضيقة شـديدة في مصر بعد عشرين عامًا أسـرع فذكرهم أنه لم يشترك معهم في المؤامرة التي قصدوا بها قتل يوسف. [قاموس الكتاب المقدس(٣٩٣)].

(٢) سفر التكوين: ٣٥: ٢٢.

(٣) قلت: وماذكره الطوفي ليس بحاجة إلى كبير عناء في الاستدلال بالفطرة عليه، ويكفي أن نذكر ما رواه البخاري عـن عمـرو بن ميمـون قال: رأيـت في الجاهلية قـردة زنت فرجموهـا يعني القـردة فرجمتها معهـم. [صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب: القسامة في الجاهلية (٣٦٣٦)].

(٤) سفر التكوين: ٣٧: ٥-٨.

(٥) في سفر التكوين: ٣٧: ٩-١١. (ثم حلم أيضا حلما آخر و قصه على إخوته فقال إني قد حلمت حلما أيضا و إذا الشمس و القمر و احد عشر كوكبا ساجدة لي و قصه على أبيه و على إخوته فانتهره أبوه و قال له ما هذا الحلم الذي حلمت هل نأتي إنا و أمك و إخوتك لنسجد لك إلى الارض فحسده إخوته و أما أبوه فحفظ الأمر).

إحداهمـا[1]: قول يعقوب ليوسـف: أجـيُء أنا وأمـك، فنقـول[2]: إنْ كانت أمُّ يوسـف التي ولدته حيةً الآن، فهذا يناقض ما سبق في التوراة، من أنَّها ماتت قبل هـذا، ودفنت ببيت لحـم[3]، فيكون هذا طعنًا على التوراة التـي يحتجُّ بها اليهودُ والنصارى، وإن كانت قد ماتت فقد سـمَّى يعقوب ليوسـف بعـد أُمِّه أُمًّا، فتلك التـي سـجدت له مع يعقـوب، عند تأويـل الرؤيا. ويحصل به جـوابُ القادح في قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [سورة يوسف ١٠٠].

تحقيق القول في أمّ يوسف المذكورة في قصة السجود

الفائدة الثانية: أنَّ بعض النصارى أنكر أنَّ يعقوب وبنيه سـجدوا ليوسـف؛ بناءً علـى أنَّ التوراة لـم يذكر فيها السـجود، عند[4] التقـاء بعضهم ببعـضٍ، وإنما اعتنقا وبكيا.

وهذا لا يضرُّنا، فإنَّ ما نطق به القرآنُ من سـجودهم له مسـتفادٌ من هاهنا، وذلك لأنَّ يعقوبَ فَهِمَ أنَّ[5] تأويلَ رؤيا يوسف: أنَّ الشَّمس والقمر، وإحدى[6] عشر كوكبًا، سـجدوا له سجودَ إخوة يوسـف وأبويه له، وقد ثبتَ أنَّ الرؤيا صحَّت، فكذا تأويلُها خصوصًا والرؤيا رؤيا نبيٍّ، والتأويلُ تأويلُ نبيٍّ، أيّما نبيٍّ[7].

وأيضًـا: فإنَّ الرؤيا الأخرى، وهي سـجودُ حُزَمِهم لحزمتـه تدلُّ على ذلك؛ لأنَّ الرؤيتين دلَّتا على حكمٍ واحدٍ.

قلـت: وفي ورود القرآن برؤيا النجوم، دون رؤيـا الـحُزَم أقوى دليلٍ على صدق محمد ﷺ، وأنَّ القرآنَ وحيٌ من الله، وأنَّه إنَّما أخبرَ بما أُوحيَ إليه، وإلاَّ فلو[١١٨/ ب] كان يَنقُـل ذلك من كتب الأوليـن، لتتبَّعَها، ولظفِر برؤيا الـحُزَمِ، ولذَكَرها خشـيةَ أنْ

---

(١) في (أ) (أحدهما) والصواب من (ب).
(٢) فنقول، عليها بقعة سوداء في: (ب)، والمثبت من: (أ).
(٣) انظر: سفر التكوين: ٣٥: ١٩، و ٤٨: ٧.
(٤) عند، تكررت في: (أ).
(٥) أن، ليست في(أ)، والمثبت من: (ب).
(٦) هكذا في النسختين (أ) و(ب).
(٧) أيما نبيٍّ، ليست في: (أ)، وأثبتها من (ب).

يُطعَنَ عليه بالزيادة والنقص، فاعلم ذلك.

وذكر: (أن يعقوب قال ليوسف: إن إخوتك يرعون في أرض كذا، فاذهب فأتني بخبرهم وخبر الغنم)[١].

قلت: وهذا مخالفٌ لِمَا في القرآن، من أنَّ إخوته سألوا أباهم أنْ يُرسلَه معهم، وهو أشبهُ بالصواب[٢]؛ لأنَّ يعقوب كان قد عَلِمَ بُغضَ إخوةِ يوسف له[٣]، وحسدَهم له على رؤياه التي رأى، فكانَ أحزَمَ من أنْ يُسلِّمه إليهم اعتباطًا[٤] إلاَّ بسؤال مُلحٍّ.

وذكر: (أنَّ يهوذا[٥] وجد كُنَّته [١١٢/ أ] امرأة ابنه على الطريق، في صفة زانيةٍ، فصالحها على أنْ يزني بها بجديٍ من الغنم، ورهنها على الجدي خاتَمه وعمامته، وقضيبًا كان في يده[٦]، ولم يعلم أنها كُنّته، وكانت أيِّمًا من ابنه، فلمَّا ظهر حملُها أمَرَ بها لترجم، فأرته العلامة فتركها)[٧].

قلت: هذا فيه من الشناعة ما لا يستجيز عاقلٌ أنْ ينسبه إلى حُثالة السَّوقة، فضلًا عن نبيٍّ من[٨] الأنبياء، والشناعة فيه من وجهين:

أحدهما: نسبةُ يهوذا إلى الزِّنا، وإلى نقصِ العقل، حتى بذَل خاتَمه، وعمامته،

---

(١) سفر التكوين: ٣٧: ١٣-١٤.

(٢) مرَّ معنا معنى قول الطوفي رحمه الله: وهو أشبه بالصواب، ومراده به.

(٣) له، ليست في(ب) والمثبت من: (أ).

(٤) في: (ب): اغتباطًا، والصواب ما في: (أ).

(٥) يَهوذا: اسم عبري معناه ((حمد)) وهو رابع أبناء يعقوب من ليئة، وولد في ما بين النهرين، وأعطي هذا الاسم لسبب شكر أمه عند ولادته. ولا يذكر العهد القديم كثيرًا عنه، ولكنه يذكر بعض حقائق هامة تتعلق به. فقد نال رضى والده وحبه. [قاموس الكتاب المقدس(١٨٥)].

(٦) في (أ) (بيده) والصواب من (ب).

(٧) سفر التكوين: ٣٨: ١٤ -٢٦،، وسماها: ثامار. زعم اليهود- لعنهم الله - أن يهوذا بن يعقوب زنى بكنّته ثامار ورهنها على ذلك خاتمه وعصاه. وأنها حملت منه واشتهرت قصته وقصتها في بني إسرائيل وصارا بذلك شهرة. هذا مع حظوته عند أبيه. وهذه هي الأخلاق اليهودية في التعامل مع أنبيائهم، وأبناء الأنبياء، ولا عجب فقد سبّوا الله تعالى أعظم السب وأشنعه. [انظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٥٦٧) وانظر: إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ (١٥٤) السموأل بن يحيى بن عباس المغربي. تحقيق د: محمد عبدالله الشرقاوي. دار الجيل. بيروت الطبعة الثالثة ١٩٩٠م.].

(٨) من، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

وعصاه في قضاء شهوة، عوضها جديٌ!.

وقد صحَّ وثبت أنَّ حاجب بن زرارة[١] سيد بني تميم[٢]، وهو من أجلاف الجاهلية إنما هو رهن قوسه من خشناد بن خشناد، نائب[٣] كسرى على سواد العراق[٤]، على أمرٍ عظيمٍ، حملته عزةُ نفسِه أنْ وفَى بما رهنها بها؛ حتى ضُرب المثلُ بقوس حاجبٍ، وافتخرت بها تميمٌ خصوصًا، والعربُ عمومًا، [حتى قال الشاعر:

تُزهى علينا بقوس حاجبها ... زهو تميم بقوس حاجبها][٥].

تنزيه أنبياء الله تعالى عن النقائص

الثاني: أنَّه حابى في حدٍ من حدود الله، وأبطلَه[٦] لهوى نفسِه، ولعلَّ اليهودَ اعتمدوا على هذا الفُشَار والهذيان!، حتى كانوا إذا زنا فيهم الشريف حمَّموه، أي: سوّدوا وجهه بالحمُم، وهو الفحم[٧]، وتركوه، وإذا زنا فيهم الوضيعُ رجموه[٨].

---

(١) حاجب بن زرارة بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم الدارمي التميمي سيد تميم في الجاهلية، والد عطارد الصحابي، الذي وفد على النبي ﷺ فبعثه على صدقات بني تميم. قال المرزباني: كان رئيس بني تميم في عدة مواطن (يعني: حاجبًا)، وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به، وأنشد له يفتخر:

ومنا ابن ماء المزن وابن محرق ... إلى أن بدت منهم بجير وحاجب

ثلاثة أملاك ربوا في حجورنا ... جميعا ومنا الفخر ما هو كاذب

[الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٥٦١)].

(٢) سيد بني تميم، ليست في(ب) والمثبت من: (أ).

(٣) خشناد بن خشناد نائب، ليست في(ب)والمثبت من: (أ).

(٤) سواد العراق ليست في(ب)، والمثبت من: (أ).

(٥) ما بين معقوفتين ليست في(ب) والمثبت من: (أ) والبيت في: [تاج العروس(٣٩٤)] (قال: وحاجبٌ هذا: هو أَبُو الوَفَاءِ صَاحِبُ القَوْسِ المُودَعَةِ عِنْدَ كِسْرَى في قِصَّةٍ مَشْهُورَةٍ سَاقَهَا الحَلَبِيُّ وغَيْرُه وإِلِيهِ يُشِيرُ القَائِلُ:

تَاهَتْ عَلَيْنَا بِقَوْسِ حَاجِبِهَا ... تِيهَ تَمِيمٍ بِقَوْسِ حَاجِبِهَا

وقد تغنى كثيرٌ من الشعراء بقوس حاجب هذا. وانظر قصته كاملة في: [قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان(١٧٣-١٧٥)احمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ نشر دار روضة الصغير. الرياض].

(٦) في: (ب): فأبطله، والمثبت من: (أ).

(٧) وهو الفحم، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

(٨) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ مُرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِيَهُودِيٍّ مُحَمَّمًا مَجْلُودًا فَدَعَاهُمْ ﷺ فَقَالَ « هَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِى فِى كِتَابِكُمْ ». قَالُوا نَعَمْ. فَدَعَا رَجُلًا مِنْ عُلَمَائِهِمْ فَقَالَ « أَنْشُدُكَ بِاللهِ الَّذِى أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ =

وذكر: (أنَّ امرأة الذي اشترى يوسف راودته عن نفسه، فلم يجبها فدخل ذات يـومٍ البيت لشغله، فدخلت عليه وأخذت بثوبه، وقالت له ضاجعني! فلم يفعل، وخرج هاربًا إلى السوق، وترك ثوبه في يدها، فلمَّا جاء سيده قالت له: إنَّ هذا العبراني دخل عليَّ ليفضحني، فلمَّا رفعتُ صوتي ترك ثيابه في يدي، وهرب إلى السوق، فلمَّا سمع سيدُه؛ اشتدَّ غضبُه، وسجن يوسف، في السجن الذي فيه أسرى الملك[١])[٢].

قلت: فهذا فيه نقصٌ عما حُكي في القرآن من شهادة[١١٩/ ب] الشاهد، وأَمْرِها بالاستغفار، ويوسفَ بالإعراضِ، واجتماعِ النسوة، وتقطيع أيديهن[٣]، وهو أشبهُ بالصواب؛ لأنَّ يوسف كان عند سيده بمنزلة عظيمة، ووجدَ على وجهه بركةً ويُمنًا، وعرف منه الصدق والأمانة، كما حكي في التوراة[٤]، فمن المحال عادةً أنه كان يحبسه لقول امرأةٍ تتهمه من غير دليل، ولا بحثٍ عن سرِّ القضية [١١٣/ أ]، وكذلك كان يوسف كريمًا على الله، والله معه، فبعيدٌ أنَّه[٥] كان يُسلِمُه لِما يَمصحُ عرضه من غير برهان يُبرئُه[٦].

= عَلَى مُوسَى أَهَكَذَا تَجِدُونَ حَدَّ الزَّانِى فِى كِتَابِكُمْ ». قَالَ لاَ وَلَوْلاَ أَنَّكَ نَشَدْتَنِى بِهَذَا لَمْ أُخْبِرْكَ نَجِدُهُ الرَّجْمَ وَلَكِنَّهُ كَثُرَ فِى أَشْرَافِنَا فَكُنَّا إِذَا أَخَذْنَا الشَّرِيفَ تَرَكْنَاهُ وَإِذَا أَخَذْنَا الضَّعِيفَ أَقَمْنَا عَلَيْهِ الْحَدَّ قُلْنَا تَعَالَوْا فَلْنَجْتَمِعْ عَلَى شَىْءٍ نُقِيمُهُ عَلَى الشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ فَجَعَلْنَا التَّحْمِيمَ وَالْجَلْدَ مَكَانَ الرَّجْمِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « اللَّهُمَّ إِنِّى أَوَّلُ مَنْ أَحْيَا أَمْرَكَ إِذْ أَمَاتُوهُ ». فَأَمَرَ بِهِ فَرُجِمَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ﴾ يَقُولُ ائْتُوا مُحَمَّدًا ﷺ فَإِنْ أَمَرَكُمْ بِالتَّحْمِيمِ وَالْجَلْدِ فَخُذُوهُ وَإِنْ أَفْتَاكُمْ بِالرَّجْمِ فَاحْذَرُوا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ فِى الْكُفَّارِ كُلُّهَا. [صحيح مسلم: كتاب الحدود. باب: رجم اليهود أهل الذمة في الزنا (٤٥٣٦)]

(١) في: (أ): ذلك، والمثبت من: (ب)، وهو موافق لما في سفر التكوين.

(٢) سفر التكوين: ٣٩: ٧ -٢٠.

(٣) القصة الواردة في سورة يوسف، الآيات: ٢٣-٣١.

(٤) نص التوراة: في سفر التكوين: ٣٩: ٥: (و كان من حين وكله على بيته، و على كل ما كان له، أن الرب بارك بيت المصري بسبب يوسف، و كانت بركة الرب على كل ما كان له في البيت و في الحقل).

(٥) في (أ): أن، والمثبت من (ب).

(٦) في (أ): تبرئة، والمثبت من (ب).

وذكر: رؤيا السّاقي والخباز والسبع بقرات[١] وسبع[٢] السنابل، كما في القرآن[٣]، غيرَ أنَّه ذكر: أنَّ السنابل اليابسات، ابتلعن السنابل الخضر، وهذا لم يُصرَّح به في القرآن، غير أنَّ لفظه يحتمله، وصرَّح به (وثيمة)، في القصص: أنَّ السنابل اليابسة أكلت السنابل الخضر.

وذكر: (أنَّ إخوة يوسف، لمَّا جاءوا ليمتاروا من مصر، عرفهم يوسف وهم له منكرون، وقال لهم: أنتم جواسيس قالوا: لا، ولكنا نمتارُ لأهلينا، ونحن اثنا عشر رجلًا بنو أبٍ واحدٍ، لكن أحدنا مفقودٌ، والآخر أصغرنا عند أبيه. فقال يوسف: بهذا امتحن صدقكم، احبسوا عندي أحدكم، وخذوا ميرتكم، وايتوني إذا رجعتم بأخيكم الذي عند أبيكم؛ لأعلم أنكم صدقتموني، ولستم بجواسيس، فاحتبس عنده شمعون، وأرسلهم بالميرة، وجعل بضاعتهم في رحالهم، فلمَّا رجعوا وقالوا لأبيهم: أرسلْ معنا بنيامين، قال لهم: إنَّ أخاه قد مات، ولم يبق لأُمِّه غيره، ولعله تصيبُه مصيبةٌ في الطريق، فأَنزلَ إلى غول الجحيم)[٤].

قلت: قوله: ولم يبق لأُمِّه غيره، دليلٌ على أنَّ أُمَّه حيَّةٌ بعدُ؛ إذ هذا ظاهرٌ في أنَّه منعهم من أخذه مراعاة لقلبها وخاطرها، وهو ينافي كونَها ماتت في النِّفاس به، ويحتمل أنَّه أراد أنَّه لم يبق من وَلَد أُمِّه غيرُه. فلا يكون مناقضًا لموتِها المقدم ذكرُه.

(١) في: (ب): البقرات، والمثبت من: (أ).

(٢) في (ب): والسبع، والمثبت من: (أ).

(٣) قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُءْيَٰيَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّيٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣-٤٩].

(٤) سفر التكوين: ٤٢: ١-٣٨.

وقوله: فأنزل إلى غول الجحيم، يحتمل أمرين:

أحدهما: أنه أراد: يُسَعَّر في قلبي نارُ الحزن عليه كنارِ الجحيم[١].

والثاني: أنْ يكون أرادَ: لِعظمِ مصيبتي أُغْلَبُ فأَتسخَّطُ بالقضاء، فاستحقُّ نارَ الجحيم، على أنَّه حكى بعد هذا: (أنَّ يوسف لما حبس بنيامين [١٢٠/ ب] على الصَّاع، قال له يهوذا: إني كفلت لأبي بردِّ ولده هذا، وإنَّ أبانا قال لنا: إني أخشى أنْ تصيب بنيامين مصيبةٌ في الطريق فتهبطون بسببي إلى الجحيم، وإني أخشى إن رجعنا ولم ير[٢] الغلام معنا؛ يموت، فنهبط بسبب عبدك أبينا بالوجع إلى الهاوية، فاجعلني أمكث عندك بدل الغلام)[٣].

ترجيح القول في راحيل وحياتها

قلت: وهذا ظاهره[٤] يخالف ظاهرَ قول يعقوب: فأنزل[١١٤/ أ] إلى غول الجحيم، إلا أن يُتأوَّل على معنى: أنَّ نزولكم بذلك إلى الجحيم كنزولي؛ لأنكم مني.

وذكر: (أنهم قالوا ليوسف: إنَّ لنا أبًا شيخًا[٥]، وله ابنٌ صغيرٌ، وهو ابنُ كبره، ومات أخوه، وهو واحدٌ لا غيره لأُمِّه وأبيه، وأبُوهُ يُحُبه)[٦].

قلت: فهذا يدلُّ على أنَّ أُمَّ بنيامين حيَّةٌ يومئذٍ[٧]، وهي: راحيلُ[٨]، أمُّ يوسف؛ لأنَّ التأويل الذي ذكرنا أنَّه محتملٌ في قول يعقوب: أن أخاه قد مات ولم يبق لأمه غيره، لا يصِحُّ هاهنا؛ إذ لا يصحُّ أنْ يقال: إنه واحدٌ لا غير ليعقوب؛ إذ بنو يعقوب

---

(١) وهذا ما صرح به في هذا السفر: ٤٢: ٣٨: (فقال لا ينزل ابني معكم؛ لأنَّ أخاه قد مات، و هو وحده باق، فإن أصابته أذية في الطريق التي تذهبون فيها، تنزلون شيبتي بحزن إلى الهاوية).

(٢) في: (ب): نرى، والصواب ما في: (أ).

(٣) سفر التكوين: ٤٤: ٢٢-٣٤.

(٤) ظاهره، ليست في: (ب) والمثبت من: (أ).

(٥) في: (ب): إنَّ أبانا شيخًا، والصواب من: (أ).

(٦) سفر التكوين: ٤٤: ٢٠.

(٧) في: (ب): إلى الآن، والمثبت من: (ا).

(٨) في: (ب): وهي أمُّ يوسف راحيل.

كثيرٌ ولا يصحُّ أنْ يكون الضمير في: لأمِّه وأبيه، عائدًا إلى يوسف؛ بتقدير[١]: وهو واحدٌ لا غير لأُمِّ يوسف وأبيه؛ لأنَّه خلافُ الظاهر؛ إذ مرادُهم ترقيقُ يوسف عليه، ولا يحصل ذلك بما ذُكر، فتعيَّن أنَّ معناه: هو واحدٌ لا غير لأَبويه، وذلك يقتضي أنَّ أبويه حيَّانِ.

وذكر: **(أنَّ يعقوب لما حضرت أيامُ موته حَلَّف يوسف ألاَّ يقبره بمصر، بل عند أبويه إبراهيم وإسحاق، فحلف له، وسجد إسرائيل على رأس عصاة[٢] يوسف)[٣]**.

وسبق: أنَّ إخوة يوسف سجدوا له، في اجتماعهم به في المرة الأولى، والثانية مرارًا. وهذا يَرُدُّ على الطاعن، في قوله تعالى: ﴿ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا ﴾ [يوسف: ١٠٠]؛ لأنَّ وقت مُلتقى يعقوب بيوسف أولى بالسجود له، هو وبنوه، حتى يظهر لأبيهم زوالُ الحسد لأخيهم.

وذكر: **(أن يعقوب لـمَّا مرض جاءه يوسف وابناه: منشي، وأفرام، فقال له يعقوب كلامًا منه: أنَّ الله استعلن عليه بأرض كنعان، ووعده أن يُعطي خلفه من بعده هذه الأرض؛ ميراثًا للدهر)[٤]**.

قلت: وهذا كذبٌ من اليهود على الله وعلى إسرائيل! ؛ لأنَّ ملك بني إسرائيل زال عن أرض كنعان وغيرها، منذ[١٢١/ ب] بُعث إليهم المسيحُ وكذبوه، وهمُّوا بقتله، فخرج عنهم إلى الأبد؛ فأين صدقُ هذا الوعد، إن كان من الله على لسان إسرائيل؟!، وإنَّما كان هذا الوعدُ لإبراهيم في خَلَفه، فكان ذلك في بني إسماعيل وهم[٥] العرب. فهو إلى الآن، وحتى الأبد، إن شاء الله تعالى[٦].

---

(١) في: (ب): بتقد، والصواب ما في: (أ).

(٢) هكذا في: (أ)، وفي: (ب): وسجد على رأس عصاه ليوسف، والمثبت الأول.

(٣) سفر التكوين: ٤٧: ٢٩-٣١.

(٤) سفر التكوين: ٤٨: ١ -٤.

(٥) وهم، ليست في(ب).

(٦) ولا يرد على هذا ماوقع من احتلال صهيوني اليوم لفلسطين؛ إذ الوعد الذي وعده الله تعالى لهذه الأمة هو قتال اليهود في فلسطين في آخر الزمان، وعودة المسلمين إلى بيت المقدس، فقد روى البخاري =

وذكر: أنَّه من جملة كلامه ليوسف، أنْ قال له: (وأنا حين أقبلت من مدن أرام، يعني قدومه من عند خاله لابان[1]، من حوران، ماتت راحيل أمُّك في أرض كنعان، في الطريق على مجرى فرسخ من الدخول[١١٥/ أ] إلى أفرث، فقبرتُها ثَمَّ في بيت لحم)[2].

قلـت: هذا كالنصِّ الأول على موت راحيل قديمًا، وقد بيَّنَّا في مواضع في التوراة ما يـدُلُّ على أنها حيةٌ إلى ما بعـد ذلك. وهو تهافتٌ في التوراة، فإنْ تأولوا المواضع الدالة على بقائها تأويلًا صحيحًا لم يضرنا؛ لأنَّ مقصودنا إجابةُ الطاعن من النصارى على قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف:١٠٠]، وهو حاصلٌ بما قرَّرناه، عند قول يعقوب ليوسف، حين رأى الرؤيا: أأسجد لك أنا وأمك وإخوتك؟.

وذكر: (أنَّ يعقوب قال ليوسـف قدِّم ابنيك أبارك عليهما، فأدناهما منه فسجدا له على الأرض، وجعل يوسف ابنه إفرايم[3] على[4] عينيه عن يسار إسرائيل، ومنشي على يساره عن يمين إسرائيل، فجعل إسرائيل يمينه على رأس إفرايم، وهو الأصغر، وشماله على رأس منشي، وخالف بين يديه؛ من أجل أنَّ منشي كان البكر)[5].

قلـت: هـذا تعليلٌ غيرُ مناسـبٍ؛ لأنَّ كونَ منشـي هـو البكر الأكـبر؛ يقتضي أنْ يَخُصَّـه بيده اليمنى التي هـي أيمن وأبرك؛ لأنَّ العادة جـرت بتفضيل بكورة الأولاد وكبارهم.

= عبـد الله بـن عمـر رضـي الله عنهمـا: أن رسـول الله ﷺ قـال (تقاتلـون اليهـود حتـى يختبـئ أحدهـم وراء الحجـر فيقـول يـا عبـد الله هـذا يهـودي ورائـي فاقتلـه). البخـاري: كتـاب الجهـاد والسـير. بـاب: قتـال اليهـود (٢٧٦٧) ومسـلم (٧٥١٩). وروى مسـلم في صحيحـه، عَـنْ أَبِـى هُرَيْـرَةَ أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَـالَ «لاَ تَقُومُ السَّـاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْـلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِىُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُـولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّـجَرُ يَا مُسْـلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُـودِىٌّ خَلْفِى فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَـجَرِ الْيَهُودِ». صحيح مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة. باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل.. (٧٥٢٣)].

(١) في: (ب): لابن، والمثبت من: (أ).

(٢) سفر التكوين: ٤٨: ٧.

(٣) في (ب): (افريم)، والمثبت من: (أ).

(٤) في: (ب): عن، والمثبت من: (أ).

(٥) سفر التكوين: ٤٨: ٨-١٤.

فإن قيل: إنَّما خَصَّ إفرايم بيمينه لصغره جبرًا له ورحمةً.

قلنا: فكان ينبغي أنْ يذكر إفرايم، ويعلل بذلك، وإلاَّ فمنشي لا مدخل له إذًا هاهنا يقتضي ذكره، فهذا كلامٌ فيه اعتلالٌ ينزَّه عنه آحادُ العقلاء، فضلًا عن الله ورسله.

ولهذا قال بعد ذلك: **(إنَّ يوسف غمَّه[1] وضعُ يده اليمنى على إفرايم الأصغر، والشِّمال على منشي الأكبر، وقال: يا أبتاه هذا هو الأكبر، فقال: قد علمت يا بني، وهو يكون لشعبٍ كبيرٍ، غير أنَّ أخاه الأصغر يعلو عليه، وذريتُه أوفر الشعوب)**[2].

قلت: فاستدراكُ يوسف على يعقوب، يدلُّ على فساد التعليل المتقدم، بأنَّ منشي هو الأكبر؛ إذ هو غيرُ مناسب.

وطعنُنا هاهنا إنَّما هو على [١٢٢/ ب] هذا التَّعليل لا على فعل يعقوب؛ لأنَّه بيَّن حكمةَ فعلِه، وتبيَّن ما قاله، بأنَّ يوشع بن نون كان من ولد إفرايم، ولم يُعلم من ولد منشي مثله، ومثل سبطه، والله أعلم.

وذكر: **(أنَّ إسرائيل لـمَّا جمعَ بنيه وأخبرهم ما[3] يكون لكل منهم في مستقبله، تغيظ على روبيل وقال له: نجست فراشي)**[4] [١١٦/ أ]، يعني كونه وطئ سُرِّيَةَ[5] أبيه، وقد بيَّنا فيما سبق أنَّ هذا صعبٌ من القول، وأنه باطلٌ. وقال: **(لا يُفقَد الملكُ والنبوةُ والكهنوت من سبط يهوذا، ومن بين فخذيه، حتى يأتي من هي له، وإياه تنتظر الشعوب، الرابط في الشجرة جحشه، وفي القضيب ابن أتانه، تحمرُّ من الخمر عيناه، وأشدُّ بياضًا من اللبن أسنانُه)**[6].

ضلال اليهود والنصارى وكفرهم بالله ورسله

قلت: هذا فيه بيانُ ضلالِ اليهود والنصارى جميعًا، وكفرهم وافترائهم على الله ورسله.

---

(١) في: (ب): عمَّه، والصواب ما في: (أ).

(٢) سفر التكوين: ٤٨: ١٧-١٩.

(٣) في: (ب): إنما، والمثبت من: (أ).

(٤) سفر التكوين: ٤٩: ١-٤.

(٥) السُّرِّيَّةُ الجارية المتخذة للملك والجماع [لسان العرب (٤/ ٣٥٦)]

(٦) سفر التكوين: ٤٩: ١٠-١٢.

أمَّا اليهود: فلأنَّهم كفروا بالمسيح، وآذوه وهَمُّوا بقتله، وهو الموعودُ به في كلام إسرائيل هذا، وهذه صفاتُه؛ لأنَّه من سبط يهوذا، وله كانت تنتظرُ الشعوب، و به كانت تبشر الرسل، وهو ركبَ الحمار، وشرب الخمر.

وأمَّا النصارى: فلأنَّ إسرائيل أخبرَ بأنَّ المسيحَ الذي هذه صفاته: ملكٌ نبيٌّ كاهنٌ، ولو كان إلهًا أو ابن إلهٍ لما سكت عن بيانه، في معرض هذا التعظيم، فلعنة الله على الطائفتين!، اليهود والنصارى، فإنَّ اليهود مغضوبٌ عليهم، والنصارى ضالُّون.

وقال: (إيساخرُ[١] رجلٌ جبارٌ، جالسٌ بين السُّبُل، وأرى محلَّته حسنةً، وأرضه خيِّرةٌ، يطأطئُ كتفه للطاعة، وأداء الجزية)[٢].

قلت: هذا إسرائيل صلوات الله عليه، قد أنصف بين المسلمين واليهود، قبل الإسلام بنحو ألفي سنة، فشهد عليهم بالجبروت، وهو من أعظم أنواع الشَّرِّ، وهو الذي منعهم من الإيمان بمحمد ﷺ[٣]، وأوعدهم على ذلك الذُّلَّ والصَّغارَ، وأداءَ الجزية، وشهد لأرضهم التي[٤] يؤدون فيها الجزية بالحُسْن والخَير، وتلك أرضُ الإسلام؛ إذ لا جزيةَ على اليهود إلاَّ فيها.

حديث: لم يقبر نبي إلاَّ حيث يموت

وذكر: (أنَّ يعقوب أوصى أنْ يدفن عند أبيه إبراهيم، فلمَّا مات أمرَ يوسف بتحنيطه، وبكى عليه أهلُ مصر سبعين يومًا، ثم توجَّه به يوسف؛ ليدفنه حيث أوصى). [٥]

قلت: هذا من جملةِ ما أورده بعض النصارى، على صدق محمدٍ ﷺ، فيما

---

(١) اسم عبري معناه ((يعمل باجرة)). وهو: تاسع أبناء يعقوب، وخامسهم من ليئة، وقد تمت نبوة يعقوب بخصوصه فإن شعب يساكر مكدود بأشغال الفلاحة. وكانت تغزوه القبائل الرحل. وكان عدد الرجال في سبط يساكر في الإحصاء الأول في البرية سبعة وخمسين ألفًا وأربع مئة، وفي الإحصاء الثاني أربعة ألفًا وثلاث. وفي الإحصاء في أيام داود سبعة وثمانين ألفًا. [قاموس الكتاب المقدس(١٠٦٤)]

(٢) سفر التكوين: ٤٩: ١٤ -١٥، ولفظه: (يساكر، حمارٌ جسيمٌ، رابضٌ بين الحظائر).

(٣) في (ب): عليه السلام والمثبت من: (أ).

(٤) في (أ): الذي، والصواب من: (ب).

(٥) سفر التكوين: ٥٠: ١ -١٥.

روي[١] عنه، أنه قال:

(لم يقبر[٢] نبي إلا حيث مات)[٣].

قلت[٤]: والجوابُ عن هذا من وجوه[١٢٣/ ب]:

أحدهـا: أنَّا قد بيَّنَّا تهافت التوراة، وتحريـف اليهود والنصارى كتب الأولين فلا وثوق بها[١١٧/ أ].

الثاني: أنَّه قد ذكر: (أنَّ يعقوب بقي بمصر يُبكى سـبعين يومًا)[٥]، ولو بقيَ ذلك القـدر غير مدفونٍ لأنتـنَ وأريحَ[٦]؛ إذ هو بشـرٌ على كُلِّ حالٍ، وذلـك إهانةٌ للميت، ولهـذا جاء في شـرعنا: أنَّ من إكرام الميـت، أنْ يُبادَر بدفنه[٧]، فـدلَّ على أنَّهم دفنوه حتى انقضت مناحتُهم عليه، ثم استخرجوه فنقلوه إلى آبائه.

ويقال: إنهم نقلوه في تابوت ساج[٨]، وحينئذٍ لا يكون نقله منافيًا لدفنه حيث مات.

(١) في (أ) (يروى)، والصواب من (ب).

(٢) في (أ) (لم يقبر يدفن)، والصواب من (ب).

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) قلت، ليست في: (أ)، والمثبت من: (ب).

(٥) سفر التكوين: ٥٠: ٣.

(٦) قلت: رحم الله الطوفي، فما كان له أن يتكلم بمثل هذا الوصف عن نبيٍ من أنبياء الله، ولعله غاب عنه حديث النبي ﷺ عن تحريم الله على الأرض أكل أجساد الأنبياء: (عن أوس بن أوس الثقفي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي قالوا يا رسول الله وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ يعني وقد بليت. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء). [رواه أبو داود (١٠٤٧) والنسائي (٣٩١) وبن ماجة (١٠٨٥) من حديث حسين بن علي الجعفي وقد صحح هذا الحديث بن خزيمة (١٧٣٣) وبن حبان (٩١٠) والدارقطني والنووي في الأذكار (٣٤٧). انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٥١٥) تفسير سورة السجدة. طبعة دار الفكر. ١٤٠٤هـ)]

(٧) لم أجده بهذا اللفظ، والسـنة تعجيل الصلاة على الجنازة ودفنها؛ لقول النبي ﷺ: « أسـرعوا بالجنازة فإن تك صالحة فخير تقدمونها إليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم » [أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب السـرعة بالجنازة برقم (١٢٣١)، ومسـلم في كتاب الجنائز، باب الإسراع بالجنازة برقم(١٥٦٩)]. انظر: [مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (٢٥/ ٢٠١) جمع: محمد بن سـعد الشـويعر. الرئاسـة العامة للبحوث العلمية والإفتاء].

(٨) السَّـاجُ ضـرب مـن الشـجر وهـو أيضا الطيلسـان الأخضـر وجمعه سـيجان بوزن تيجـان[مختـار الصحاح (٣٢٦)].

فإن قيل: لعلهم صبرّوه[١] حتى مكث تلك المدة، ولم يُحتج إلى دفن.

قلنا: هذا لم يُنقل في التوراة ولا غيرها، ومجردُ احتماله لا يكفي في التصديق بوقوعه. وما ذكر من تحنيطه لا يدلُّ على تصبيره؛ إذ كلُّ الموتى يُحنَّطون عند الإمكان.

الثالث: وهو المختار عندنا في الجواب عن هذا الإشكال: منعُ صحة الحديث، فإنا لا نعلم أحدًا رواه إلاَّ أحمدُ، قال: حدثنا[٢] عبد الرازق، قال: أخبرنا[٣] ابن جريج[٤]، قال: أخبرني أبي[٥]، أنَّ أصحاب النبي ﷺ، لم يدروا أين يقبرونه؟[٦]، حتى قال أبو بكر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لم يقبر نبيٌّ إلا حيث يموت، فأخَّروا فراشه وحفروا له تحت فراشه)[٧].

قلت: وفي هذا الحديث جهالة وإرسال؛ لأن أبا ابن جريج لا يعلم حاله في الرواية، وقد أرسله عن الصحابة فلا يعلم هل سمعه منهم أو من غيرهم عنهم، وهاتان علتان لا يبنى على ما كانتا فيه من الحديث فرع، فضلًا عن أن نلتزم تسليمه.

---

(١) قال في اللسان: تحَنَّطُوا بالصَّبِرِ لئلا يَجِيفُوا ويُنْتِنُوا [لسان العرب (٧/ ٢٧٨)].

(٢) في: (ب): ثنا، وهو اختصار المحدثين لألفظ التحمل والأداء للحديث، والمثبت من: (أ)

(٣) في: (ب): أنا، وهو كما سبق، والمثبت من: (أ).

(٤) عبدالملك بن عبد العزيز بن جريج الاموي مولاهم أبو الوليد وأبو خالد المكي أصله رومي مات ابن جريج في أول عشر ذي الحجة سنة (١٥٠) وهو ابن (٧٠) سنة وكان ثقة كثير الحديث. [تهذيب التهذيب (٦/ ٣٥٧-٣٥٩)]

(٥) عبد العزيز بن جريج المكي مولى قريش. روى عن عائشة وعن أم جميل عنها وعن ابن عباس وابن أبي مليكة وسعيد ابن جبير وعبد الله بن أبي خالد. وعنه ابنه عبدالملك وخصيف. قال البخاري لا يتابع في حديثه. وذكره ابن حبان في الثقات وقال لم يسمع من عائشة. قلت(ابن حجر): وكذا قال العجلي لكن في مسند أحمد وغيره التصريح بسماعه منها من رواية خصيف عنه وقال البرقاني عن الدارقطني مجهول قيل له هو والد عبدالملك قال إن كان هو فلم يسمع من عائشة يترك هذا الحديث وقال العقيلي لا يتابع علي حديثه. [تهذيب التهذيب (٦/ ٢٩٧)].

(٦) في (ب) (يقبروه) الصواب من (أ).

(٧) مسند أحمد بن (١/ ٧) حديث (٢٧) قال شعيب الأرنؤوط: قوي بطرقه وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. مصنف عبد الرزاق (٣/ ٥١٦) حديث (٦٥٣٤). كنز العمال (٧/ ٣٨٧) حديث (١٨٧٣٥) قال: (قال ابن كثير وابن حجر: هذا منقطع) وفي (٧/ ٣٩٥) حديث (١٨٧٥٩) هذا منقطع من هذا الوجه فإن والد ابن جريج فيه ضعف ولم يدرك أيام الصديق). الجامع الصغير وزيادته (١ / ٩٣٤) (٩٣٣٢) قال الشيخ الألباني: (صحيح).

والجواب عنه فيما يقدح في أصل الشريعة ورواه ابن هشام في السيرة(.......)[(١)]، فمنعُ صحتِه أسهلُ علينا، لكن[(٢)] قد ذكر السُهيليُّ[(٣)] في شرح السيرة، (......)[(٤)].

وروى الترمذيُّ[(٥)] بإسناده من حديث عائشة قالت: (لـمَّا قُبض رسول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر سمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما[١١٨/ أ] نسيته، قال:

(ما قبض الله نبيًا؛ إلاَّ في الموضع الذي يحبُّ أنْ يُدفنَ فيه، ادفنوه في موضعِ فراشه)[(٦)].

---

(١) للأسف الشديد هنا بياض قدر سطرين وأكثر في: (أ) من هنا، وفي: (ب) كذلك، وهناك شبه ختم تملُّك مكان السقط. وانظر [سيرة ابن هشام (٤/ ٤٥٢-٤٥٤)].

(٢) لكن، ليست في: (ب). والمثبت من: (أ).

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي: حافظ، عالم باللغة والسير، ضرير. (٥٠٨ - ٥٨١ هـ = ١١١٤ - ١١٨٥ م) ولد في مالقة، وعمي وعمره ١٧ سنة. ونبغ، فاتصل خبره بصاحب مراكش فطلبه إليها وأكرمه، فأقام يصنف كتبه إلى أن توفي بها. نسبته إلى سهيل (من قرى مالقة) وهو صاحب الأبيات التي مطلعها: (يامن يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعد لكل ما يتوقع) من كتبه (الروض الأنف - ط) في شرح السيرة النبوية لابن هشام، و (تفسير سورة يوسف - خ) في خزانة الرباط (د ١٤٢٧) و (التعريف والإعلام في ما أبهم في القرآن من الأسماء والأعلام - خ) و (الإيضاح والتبيين لما أبهم من تفسير الكتاب المبين). [الأعلام للزركلي (٣/ ٣١٣)]

(٤) وأيضًا هنا بياض قدر سطرين في: (أ) من هنا، وفي: (ب) كذلك، وهناك شبه ختم تملُّك مكان السقط.

(٥) محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوغي الترمذي، أبو عيسى: (٢٠٩ - ٢٧٩ هـ) من أئمة علماء الحديث وحفاظه، من أهل ترمذ (على نهر جيحون) تتلمذ للبخاري، وشاركه في بعض شيوخه. وقام برحلة إلى خراسان والعراق والحجاز وعمي في آخر عمره. وكان يضرب به المثل في الحفظ. مات بترمذ. من تصانيفه (الجامع الكبير - ط) باسم (صحيح الترمذي) في الحديث، مجلدان، و (الشمائل النبوية - ط) و (التاريخ) و (العلل) في الحديث. [الأعلام للزركلي (٦/ ٣٢٢)]

(٦) (صحيح). صححه جمع من أهل الحديث. وقد ساق ابن كثير الروايات في صفة دفنه ﷺ وأين دفن قال: (قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا ابن جريج أخبرني أبي وهو عبد العزيز بن جريج أن أصحاب النبي ﷺ لم يدروا أين يقبروا النبي ﷺ حتى قال أبو بكر سمعت النبي ﷺ يقول: (لم يقبر نبي إلا حيث يموت) فأخروا فراشه وحفروا تحت فراشه. وهذا فيه انقطاع بين عبد العزيز بن جريج وبين الصديق فإنه لم يدركه لكن رواه الحافظ أبو يعلى من حديث ابن عباس وعائشة عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، فقال حدثنا أبو موسى الهروي ثنا أبو معاوية ثنا عبد الرحمن بن أبي بكر عن ابن أبي مليكة عن عائشة رضي الله عنها، قالت: اختلفوا في دفن النبي ﷺ حين قبض فقال أبو بكر سمعت النبي ﷺ يقول لا يقبض النبي إلا في أحب الأمكنة إليه، فقال: =

وهـو حديثٌ غريـبٌ، وفي إسـناده عبد الرحمن بـن أبي بكر المليكـيُّ[1]، وهو

= ادفنـوه حيث قبـض. وهكذا رواه الترمذي عن أبي كريب عن أبي معاوية عن عبد الرحمن بن أبي بكر المليكي، عن ابن أبي مليكة عن عائشـة قالت: لما قبض رسـول الله ﷺ اختلفوا في دفنه، فقال أبو بكر سـمعت من رسول الله ﷺ شيئًا ما نسيته قال: (ما قبض الله نبيًا إلاَّ في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه)، ادفنوه في موضع فراشه ثم إن الترمـذي ضعَّـف المليكي، ثم قال: وقد روي هذا الحديث من غير هـذا الوجه. رواه ابن عباس عن أبي بكر الصديق عن النبي ﷺ وقال الأموي عن أبيه عن ابن إسحاق عن رجل حدثه عن عروة عن عائشة إن أبا بكر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنه لم يدفن نبي قط إلا حيث قبض) قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثني محمد بن سهل التميمي ثنا هشام بن عبد الملك الطيالسي عن حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: (كان بالمدينـة حفـاران فلما مات النبي ﷺ قالوا أين ندفنه؟ فقال أبو بكر ﷺ: في المكان الذي مات فيه. وكان أحدهما يلحد والآخر يشق فجاء الذي يلحد فلحد للنبي ﷺ وقد رواه مالك بن أنس عن هشام بن عروة عن أبيه منقطعًا. وقال أبو يعلى حدثنا جعفر بن مهران ثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسـحاق حدثني حسـين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس قال: (لما أرادوا أن يحفروا للنبي ﷺ وكان أبو عبيدة الجراح يضرح كحفر أهل مكة وكان أبو طلحة زيد بن سـهل هو الذي كان يحفر لأهل المدينة وكان يلحد فدعا العباس رجلين فقال لأحدهما اذهـب إلـى أبي عبيدة وقال للآخر اذهب إلى أبي طلحة اللهم خره لرسـولك قال فوجـد صاحب أبي طلحة أبا طلحة فجاء به فلحد لرسول الله ﷺ فلما فرغ من جهاز رسول الله ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه فقال قائل ندفنه في مسجده وقال قائل ندفنه مع أصحابه فقال أبو بكر إني سمعت رسول الله ﷺ يقول ما قبض نبيٌّ إلاَّ دفن حيث قبض. فرفع فراش رسول الله ﷺ الذي توفي فيه فحفروا له تحته، ثم ادخل الناس على رسـول الله ﷺ يصلون عليه إرسـالًا الرجال حتى إذا فرغ منهم أُدخل النسـاء حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ أحد فدفن رسول الله ﷺ من أوسط الليل ليلة الأربعاء). [البدايـة والنهاية لابن كثير (ج٥/ ص٢٦٦)]قال الألباني رحمة الله عليه: أخرجه الترمذي (٢ / ١٢٩) وقال: « حديث غريب، وعبد الرحمن بن أبي بكر المليكي يضعف من قبل حفظه ». قلت(الألباني): لكنه حديثٌ ثابتٌ بما له من الطرق والشواهد: أ - أخرجه ابن ماجه (١ / ٤٩٨، ٤٩٩) وابن سعد (٢ / ٧١) وابن عدي في الكامل » (ق ٩٤ / ٢) من طريق ابن عباس عن أبي بكر. ب - وابن سـعد وأحمد (رقم ٢٧) من طريقين منقطعين عن أبـي بكـر. ج - ورواه مالـك (١ / ٢٣٠) وعنه ابن سـعد بلاغا. د - ورواه ابن سعد بسـند صحيح عن أبي بكر مختصرًا موقوفًا، وهو في حكم المرفوع، وكذلك رواه الترمذي في « الشـمائل » (٢ / ٢٧٢) في قصة وفاته ﷺ، قـال الحافـظ ابن حجر (١ / ٤٢٠): « وإسـناده صحيح، لكنه موقـوف، والذي قبله أصـرح في المقصود، وإذا حمل دفنه في بيته على الاختصاص لم يبعد نهي غيره عن ذلك، بل هو متجه، لان استمرار الدفن في البيوت ربما صيرها مقابر، فتصير الصلاة فيها مكروهة »وقد اسـتنبط البخاري الكراهة من قوله ﷺ: « اجعلوا في بيوتكم من صلاتكـم، ولا تتخذوهـا قبورا ». وصححه رَحِمَهُ اللهُ في صحيـح الجامع حديث رقـم: (٥٦٠٥). [أحكام الجنائز للألباني (١٣٧-١٣٨) الطبعة الرابعة. ١٤٠٦هـ المكتب الإسلامي، بيروت. لبنان].

(١) عبـد الرحمـن بـن أبـي بكـر بـن عبيـد الله بـن أبـي مليكـة التيمـي المـدني (ضعيـف). مـن السـابعة [تقريـب التهذيـب (١/ ٥٦٢)]. وضعفـه الترمـذي في السـنن، قال: (وهـو ضعيف في الحديـث ضعفه بعض أهـل العلـم من قبـل حفظه) [ضعيـف سـنن الترمـذي للألبـاني (٨/ ٤٨) ح (٣٥٤٨).] وضعفـه الألباني في «السلسلة الضعيفة و الموضوعة »(٤ / ٣٩١) قال: (ضعيف جدًا). رواه ابن عساكر (٢ / ٢٢٩ / ١) عن عبد =

يضعَّف[1][١٢٤/ ب]وكلُّ هذه الروايات لا يَثبُت بها ما يلزم به هذا المحذور، مع أنَّ هذا الحديثَ لا يُبنى لنا عليه حكمٌ شرعيٌ أصليٌ ولا فرعيٌ، فإهدارُه لا يضرُّنا.

ولو كان مما يُبنى عليه حكمٌ فرعيٌ لم يضرُّنا أيضًا؛ لأنَّ الفروع تثبُت بما لا تثبت به الأصولُ، ويقدحُ في أدلةِ الأصول ما لا يقدحُ في أدلةِ الفروع، فإنَّ التوحيدَ لا يثبُت إلاَّ بالبرهان الساطع، والنبوة لا تستيقن إلاَّ بالدليلِ القاطع، وما عداهما من أحكام الملَّة يكفي فيه خبرٌ مستفيضٌ، أو مشهورٌ[2]، أو قياسُ علةٍ، أو دلالة[3]، أو

= الرحمن بن أبي بكر عن زيد بن أسلم عن أبيه عن ابن عمر مرفوعا. قلت: و هذا سند ضعيف جدا، عبد الرحمن هذا هو المليكي ضعيف جدا، قال البخاري: «ذاهب الحديث». وقال النسائي: «متروك».

(١) هنا تنتهي مخطوطة (ب)، وبعد هذه الكلمة كتب: (والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد)، ففيها سقط قدر صفحة كاملة في آخرها.

(٢) المشهور وهو المستفيض على رأي: ما رواه فوق الاثنين. قال في البيقونية: مشهور مروي فوق ما ثلاثة. [نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر (١/ ١٣)].

(٣) قال الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي رحمة الله عليه: (.. واعلم أن القياس المذكور ينقسم بالنظر إلى الجامع بين الفرع والأصل إلى ثلاثة أقسام: الأول: قياس العلة. والثاني: قياس الدلالة. والثالثة: قياس الشبه. أما قياس العلة فضابطه: أن يكون الجمع بين الفرع والأصل بنفس علة الحكم، فالجمع بين النَّبيذ والخمر بنفس العلة التي هي الإسكار. والقصد مطلق التمثيل، لأنا قد قدمنا أن قياس النَّبيذ على الخمر لا يصح، لوجود النص على أن «كل مسكر خمر، وأن ما أسكر كثيره فقليله حرام». والقياس لا يصح مع التنصيص على أن حكم الفرع المذكور كحكم الأصل، إلا أن المثال يصح بالتقدير والفرض ومطلق الاحتمال كما تقدم. وكالجمع بين البر والذرة بنفس العلة التي هي الكيل مثلًا عند من يقول بذلك، وإلى هذا أشار في المراقي بقوله:

وما بذات علة قد جمعا ... فيه فقيس علة قد سمعا

وأما قياس الدلالة فضابطه: أن يكون الجمع فيه بدليل العلة لا بنفس العلة، كأن يجمع بين الفرع والأصل بملزوم العلة أو أثرها أو حكمها. فمثال الجمع بملزوم العلة أن يقال: النَّبيذ حرام كالخمر بجامع الشدة المطربة، وهي ملزوم للإسكار، بمعنى أنها يلزم من وجود الإسكار). ووضَّح ابن القيم معنى: قياس العلة بدليل من القرءان الكريم، فقال: (فأما قياس العلة فقد جاء في كتاب الله ﷻ في مواضع، منها قوله تعالى: ﴿إنَّ مَثَلَ عيسى عند الله كمثل آدم خَلَقَهَ من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ فأخبر تعالى أن عيسى نظير آدم في التكوين بجامع ما يشتركان فيه من المعنى الذي تعلق به وجودُ سائر المخلوقات، وهو مجيئها طَوْعًا لمشيئته وتكوينه، فكيف يستنكر وجودَ عيسى من غير أبٍ مَنْ يُقِرُّ بوجود آدم من غير أب ولا أم؟ ووجود حَوَّاء من غير أم؟ فآدم وعيسى نَظِيرَان يجمعهما المعنى الذي يصحُّ تعليقُ الإيجاد والخلق به. [أضواء البيان (٤/ ١١٤). أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ١٠٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٩/ ٢٠). وانظر: المستصفى في أصول الفقه، للغزالي (٩٦). والإحكام في أصول الأحكام للآمدي (٣/ ١٦٩)].

سنةٌ. ونظيرُ ذلك من المحسوسات؛ أنَّ البنيانَ يُحكم أُسُّه بالآلات، التي يُؤمَنُ معها التهورُ، فإذا ارتفع الأساسُ وقع التسامحُ، وارتفع التشديدُ في ذلك.

وإنَّما اخترنا الجوابَ عن هذا منعَ صحة الحديث؛ لأنَّ:

الجوابَ الأول: تكذيبٌ للخصم، ولا يحصلُ به غرضٌ من حيث الجدلِ، وإن كان الخصمُ كاذبًا في نفس الأمر.

والجواب الثاني: إجابةٌ عن سؤالٍ كليٍّ بصورةٍ جزئيةٍ منه، فتبقى بقيةُ الجزئيات واردةً؛ إذ مقتضى الإنصافِ في البحث والجواب عن هذا السؤال؛ أنْ يُبيِّن المسلمون أنَّ كلَّ واحدٍ[1] من الأنبياء قُبِرَ حيثُ مات، والأنبياءُ كثيرون، والزمان متقادمٌ، والنُّقولُ قد تعذر تصحيحُها إلى الزمن القريب، فما ظنُّك بالبعيد الذي قد وقع الناس منه في حيص بيص[2]، إمَّا إذا منعنا صحةَ الحديث؛ كان السؤالُ من أصلِه غيرَ واردٍ، واسترحنا من التعب، والله أعلم.

هذا آخر ما وقع الاختيار عليه من التعليق على التوراة وغيرها.

وافق الفراغ من نسخه، بكرة يوم الأربعاء، الثاني والعشرين من شهر صفر، سنة ثمان وعشرين وسبعمائة. والحمد لله، أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا[١١٩/ أ]. وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، طيبًا مباركًا[3] [١٢٥/ ب].

* * *

---

(١) واحد، تكررت في (أ).

(٢) حيص: الحَيْصُ: الحَيْدُ عن الشيء، و حاصَ عنه يَحِيصُ حَيْصًا: رَجَعَ. ووقع القوم في حَيْصَ بَيْصَ، وحِيصَ بِيصَ، و حَيْصٍ بَيْصٍ، و حاصٍ باصٍ، أي: في ضيق وشدّة، والأصل فيه: بطنُ الضَّبِّ يُبْعَج فيُخْرج مَكْنُه وما كانَ فيه ثم يُحاصُ، وقيل: أي في اختلاط من أمر لا مخرج لهم منه. [لسان العرب: (٧/ ١٩-٢٠)].

(٣) هذا واضح أنه من كلام الناسخ، وقد أرخ له بتاريخ ٢٢/ ٢/ ٧٢٨هـ وهي السنة التي توفي فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمة الله عليه

فهارس المراجع

١. القرءان الكريم.

٢. الكتاب المقدس. بعهديه القديم والجديد. دار الكتاب المقدس،، الإصدار الرابع، الطبعة الأولى ٢٠٠٧م، القاهرة. مصر.

٣. أباطيل التوراة والعهد القديم (الله جل جلاله، والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم) (دراسة مقارنة)، د/ محمد علي البار، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية بيروت.

٤. أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، صديق بن حسن القنوجي تحقيق: عبد الجبار زكار، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٩٧٨م.

٥. ابن القيم، حياته، آثاره، موارده. تأليف العلامة، د: بكر بن عبد الله أبو زيد، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ. طبع دار العاصمة بالرياض.

٦. ابن حنبل حياته وعصره، آراؤه الفقهية، للإمام: محمد أبو زهرة، ١٤١٨هـ، دار الفكر العربي. القاهرة.

٧. أبو بكر الصديق، للشيخ علي الطنطاوي، الطبعة الرابعة. ١٤١٥هـ، دار المنارة، جدة.

٨. الإتقان في علوم القرآن، للإمام/ جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ٩١١هـ تحقيق: فواز أحمد زمرلي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ دار الكتاب العربي.

٩. الآثار المروية في صفة المعية، محمد بن خليفة بن علي التميمي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م، مكتبة أضواء السلف، الرياض.

١٠. الاجتهاد فيما لا نصّ فيه، الدكتور / الطيب خضري السيد، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ مكتبة الحرمين. الرياض.

١١. الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، الإمام: شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي القرافي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٢. الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحنبلي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ، مكتبة النهضة، مكة المكرمة.

١٣. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الأمير: علاء الدين علي بن بلبان الفارسي

٧٣٩ هـ ت: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ مؤسسة الرسالة. بيروت.

١٤. أحكام الجنائز للألباني، الطبعة الرابعة. ١٤٠٦هـ، المكتب الإسلامي، بيروت. لبنان.

١٥. الإحكام في أصول الأحكام، علي بن محمد الآمدي أبو الحسن، تحقيق: د. سيد الجميلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت.

١٦. إحياء علوم الدين للغزالي، دار االمعرفة - بيروت.

١٧. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، الإمام: محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ دار الكتاب العربي، بيروت.

١٨. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل في شرح الدليل، لإبراهيم بن محمد بن ضويان، تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني.

١٩. الاستصلاح والمصالح المرسلة في الشريعة الإسلامية وأصول فقهها، الشيخ: مصطفى الزرقا، طبعة دار القلم، دمشق، الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢٠. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي ت ٤٦٣هـ، تحقيق الشيخ: علي معوض، الشيخ: عادل عبدالموجود، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢١. الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د: محمد محمد أبو شهبة، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ مكتبة السنة بالقاهرة.

٢٢. الإسلام والأديان، أ. د: مصطفى حلمي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ، دار الدعوة، الإسكندرية.

٢٣. الأسماء والصفات نقلًا وعقلًا، العلامة: محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني الشنقيطي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الخامسة، العدد الرابع، ربيع ثاني ١٣٩٣هـ، مايو ١٩٧٣م.

٢٤. الإشارات الإلٰهية إلى المباحث الأصولية للطوفي - تحقيق: حسن قطب - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - الفاروق الحديث - القاهرة.

٢٥. الإشارات والنبيهات لابن سينا. مع شرح نصير الدين الطوسي (١/ ٤٥٧-٤٥٣) بتحقيق ذ: سليمان دنيا، الطبعة الثالثة. دار المعارف. القاهرة.

٢٦. أشراط الساعة في مسند الإمام أحمد وزوائد الصحيحين، د: خالد بن ناصر بن سعيد الغامدي، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار الأندلس الخضراء، ودار ابن حزم.

٢٧. الإصابة في تمييز الصحابة. الحافظ: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ

٢٨. أصول الفقه وابن تيمية د/ صالح بن عبد العزيز آل منصور، (رسالة دكتوراه)، الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٢٩. أصول مذهب الشيعة الاثني عشرية (٧٩٩) د: ناصر بن عبد الله بن علي القفاري، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٥هـ رسالة دكتوارة.

٣٠. أضواء البيان في تفسير القرءان بالقرءان، الشيخ محمد الأمين الجكني الشنقيطي، تحقيق، مكتب البحوث والدراسات ١٤١٥هـ. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت. لبنان.

٣١. إظهار الحق للشيخ: رحمت الله بن خليل الرحمن العثماني الهندي، الطبعة الرابعة، ١٤٢٤هـ طبع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

٣٢. اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، د: محمد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الأولى١٤١٩هـ نشر: وزارة الشئون الإسلامية - المملكة العربية السعودية.

٣٣. أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣ م.

٣٤. الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، الإمام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله. تحقيق: د. أحمد حجازي السقا. ١٣٩٨هـ دار التراث العربي - القاهرة.

٣٥. الأعلام خير الدين الزركلي - الطبعة الخامسة - ١٩٨٠م - دار العلم للملايين - بيروت.

٣٦. أعيان العصر وأعوان النصر لصلاح الصفدي، تحقيق: علي أبو زيد وآخرين - الطبعة الأولى ١٤١٨هـ -دار الفكر - بيروت.

٣٧. إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ. المكتب الإسلامي.

٣٨. الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، الطبعة الثانية، دار الفكر - بيروت.

٣٩. إفحام اليهود وقصة إسلام السموأل ورؤياه النبي ﷺ، السموأل بن يحيى بن عباس المغربي. تحقيق د: محمد عبدالله الشرقاوي. الطبعة الثالثة ١٩٩٠م. دار الجيل. بيروت.

٤٠. الإكسير في علم التفسير للطوفي - لعبد القادر حسين - مكتبة الآداب - القاهرة.

٤١. الإمام سليمان الطوفي الحنبلي، أصوليًا وفقيهًا، تأليف أ. د: محمد حمد الغرايبة، دار الحامد للنشر والتوزيع - عمّان - ١٤٢٥هـ.

٤٢. أمريكا من الداخل، بمنظار سيد قطب، للدكتور: صلاح عبد الفتاح الخالدي، الطبعة السابعة، ١٤١٥هـ دار القلم، دمشق.

٤٣. الانتصار في ذكر أحوال قامع المبتدعين وآخر المجتهدين، تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية. الإمام: محمد بن عبد الهادي المقدسي، ت: أ. د/ محمد السيد الجليند. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٤. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، نجم الدين، سليمان بن عبد القوي الطوفي. تحقيق أ، د: سالم بن محمد القرني الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.

٤٥. الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية للطوفي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، إصدار دار البيان، عام١٩٨٣م. القاهرة.

٤٦. إنجيل الديداكي، الطبعة الثانية، سنة ٢٠٠٥م، دار البروج، القاهرة.

٤٧. إنجيل برنابا، ترجمه من الإنجليزية إلى العربية، الدكتور: خليل سعادة، تحقيق: الشيخ الدكتور: أحمد حجازي السقا، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٥م، مكتة دار الأمل، إربد، الأردن.

٤٨. إيضاح البيان عن معنى أم القرآن للطوفي - تحقيق: علي بن حسين البواب - ١٤١٩هـ - مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.

٤٩. بدائع الفوائد لابن القيم، ت: هشان عطا، عادل العدوي، أشرف أحمد. الطبعة الأولى ١٤١٦هـ. مكتبة نزار الباز. مكة.

٥٠. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: عبد الرحمن اللادقي، محمد غازي بيضون، الطبعة السادسة، ١٤٢٢هـ دار المعرفة، بيروت - لبنان.

٥١. البداية والنهاية، لابن كثير، مكتبة المعارف - بيروت.
٥٢. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١هـ.
٥٣. البشارات العجاب، في صحف أهل الكتاب، ٩٩ دليلًا على وجود النبي المبشر بـه في التوراة والإنجيل، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ مكتبة المنار الإسلامية، بالكويت، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان.
٥٤. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة لجلال الدين السيوطي - تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم -١٣٨٤هـ - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة.
٥٥. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعة الأولى: ١٣٩٢هـ، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة.
٥٦. تاج العروس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي.
٥٧. تاريخ الأمم والملوك، الإمام: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٥٨. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، الإمام العالم الحافظ: أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر ٤٩٩هـ - ٥٧١، دراسة وتحقيق: علي شيري، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٥٩. التأسيس في أصول الفقه على ضوء الكتاب والسنة، أبو إسلام مصطفى محمد سلامة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ مكتبة الحرمين للعلوم النافعة، القاهرة.
٦٠. التبيان في تاريخ أنساب زهران، علي بن محمد بن معيض بن سدران الزهراني، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ مطابع الشاطئ الحديثة بالدمام.
٦١. التتار والمغول ت د/ محمود السيد.. مؤسسة شباب الجامعة. ٢٠٠٤م.
٦٢. تحريف رسالة المسيح عليه السلام عبر التاريخ، أسبابه ونتائجه، بسمة أحمد جستنيّه، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ. دار القلم، دمشق.
٦٣. التحريف والتناقض في الأناجيل الأربعة د/ سارة بنت حامد محمد العبّادي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ، دار طيبة الخضراء، مكة المكرمة.

٦٤. تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي، دراسة وتحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ. ١٩٩٨م مكتبة العبيكان، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٦٥. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة – الرياض.

٦٦. تسهيل السابلة لمريد معرفة علماء الحنابلة – رقم الترجمة لصالح بن عثيمين البردي – تحقيق: بكر بن عبد الله أبو زيد – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت.

٦٧. التصوف عرض ونقد لأستاذنا، أ. د/ عبد الفتاح أحمد الفاوي، دار الهاني للطباعة والنشر، القاهرة.

٦٨. التعاريف، محمد بن عبد الرؤوف المناوي ت (١٠٣١) هـ الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الفكر الحديث، بيروت. لبنان.

٦٩. التعريفات، علي بن محمد بن علي، المعروف بالشريف الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الريان للتراث، دون تراث الطبع.

٧٠. التعيين في شرح الأربعين للطوفي – تحقيق: أحمد حاج عثمان – الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ – المكتبة المكية – مكة المكرمة.

٧١. التعيين في شرح الأربعين للطوفي، حققه: أحمد حاج محمد عثمان، طبع مؤسسة الريّان – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩ هـ.

٧٢. تفسير القرءان العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٧٣. تفسير ابن جرير الطبري، طبعة أحمد شاكر. مؤسسة الرسالة ١٤٢٠هـ.

٧٤. تفسير السراج المنير، شمس الدين: محمد بن أحمد الشربيني، ٢٠٠٤م. دار الكتب العلمية.

٧٥. تفسير القرءان، الإمام: عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد. الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ مكتبة الرشد – الرياض.

٧٦. تفسير اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: ٧٧٥هـ). ١٩٩٨م. دارالكتب العلمية.

٧٧. تفسير سور ق – القيامة – النبأ – الانشقاق – الطارق، للطوفي – تحقيق: علي بن حسين البواب – الطبعة الأولى – ١٤٢١هـ – مكتبة التوبة – الرياض.

٧٨. التفكير المنطقي لأستاذنا الفاضل: أ. د: عبد اللطيف بن محمد العبد، الطبعة الرابعة، ١٤٢٣هـ دار الهاني للطباعة والنشر.

٧٩. تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي، محمد أحمد لوح، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار الهجرة.

٨٠. تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني، الطبعة الثالثة ١٤١١هـ دار الرشيد. حلب. سوريا.

٨١. التمثيل والمحاضرة، أبو منصور، عبد الملك بن محمد (٢٢٩) هـ ت: عبد الفتاح الحلو، الطبعة الثانية، ١٩٨٣م الدار العربية.

٨٢. تنبيه الهاجد إلى ما وقع في كتب الأماجد. الشيخ العلامة: أبو إسحاق الحويني الأثري، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ، دار المحجة، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.

٨٣. تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم حثالة الأغبياء، : أبو الحسن بن علي بن أحمد السبتي الأموي المعروف بابن حمير، تحقيق: د/ محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى ١٤١١ هـ، دار الفكر – لبنان.

٨٤. تهافت التهافت: للقاضي أبي الوليد محمد بن رشد ت (٥٩٥) هـ. ت: د: سليمان دنيا. الطبعة الرابعة، دار المعارف.

٨٥. تهافت الفلاسفة: للإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي ت (٥٠٥) هـ تحقيق: د: سليمان دنيا. الطبعة الثامنة، دار المعارف.

٨٦. تهذيب التهذيب، لابن حجر، ١٤٠٤هـ دار الفكر، بيروت.

٨٧. تهذيب الكمال في أسماء الرجال الكتاب، المؤلف: يوسف بن الزكي عبد الرحمن أبو الحجاج المزي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ هـ– ١٩٨٠ مؤسسة الرسالة – بيروت.

٨٨. تهذيب سير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ت ٧٤٨هـ الطبعة الأولى ١٤١٢هـ مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٨٩. التوراة والإنجيل بين التناقض والأساطير، السيد سلامة غنمي، طبعة ٢٠٠٢م، دار الأحمدي للنشر، القاهرة.

٩٠. التوراة والقرءان والإنجيل، محمد الصويـاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ مكتبة العبيكان.

٩١. توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار، محمد بن إسماعيل الأمير الحسني الصنعاني. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. المكتبة السلفية – المدينة المنورة.

٩٢. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم، لأحمد ابن إبراهيم بن عيسى، طبع المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ.

٩٣. التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار الفكر المعاصر، بيروت، دمشق.

٩٤. تيسير مصطلح الحديث، د: محمود الطحان، الطبعة الثامنة ١٤٠٧هـ مكتبة المعارف بالرياض.

٩٥. الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق د: مصطفى ديب البغا الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ– ١٩٨٧م، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت.

٩٦. الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٩٧. جامع المسانيد والمراسيل للسيوطي. ١٩٩٤م، دار الفكر.

٩٨. الجامع لأحكام القرءان الكريم، للإمام: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي. تحقيق: د: محمد ابراهيم الحفناوي، دار الحديث. القاهرة.

٩٩. الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، جمعه ووضع فهارسه: محمد عُزير شمس، وعلي بن محمد العمران، إشراف د: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ.

١٠٠. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للألوسي – دار الكتب العلمية – بيروت.

١٠١. الجمع بين الصحيحين، محمد بن فتوح الحميدي تحقيق: د. علي حسين البواب، الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م. دار ابن حزم، بيروت، لبنان.

١٠٢. جهود الإمامين ابن تيمية وابن قيم الجوزية في دحض مفتريات اليهود، سميرة عبدالله بكر، الطبعة ١٤١٨هـ (ماجستير) جامعة أم القرى. مكة المكرمة.

١٠٣ .الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، طبع دار العاصمة بالرياض-١٤١٤هـ- بتحقيق د. علي بن حسن بن ناصر، د. عبد العزيز بن إبراهيم العسكر، د. حمدان بن محمد الحمدان (رسالة دكتوراه للثلاثة).

١٠٤ .حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، أ. د: جميل عبد الله المصري، دار أم القرى، عمَّان، الأردن، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ

١٠٥ .الحضارة الإسلامية، د: طه عبد المقصود، طيبة للإنتاج والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.

١٠٦ .حق اليقين في معجزات خاتم الأنبياء والمرسلين، إبراهيم بن عايش الحمد، وقف البركة الخيري، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ المدينة المنورة.

١٠٧ . الحور العين، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري، دار آزال للطباعة والنشر. ببيروت.

١٠٨ . حياة الحيوان الكبرى، الشيخ كمال الدين الدميري، دار الفكر، بيروت.

١٠٩ . خلاصة المنطق، د: عبد الهادي الفضلي. الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ دار الصفوة. بيروت.

١١٠ . خلق أفعال العباد، الإمام: محمد بن إبراهيم بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م، دار المعارف السعودية - الرياض.

١١١ . الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي، ١٩٩٣ م، دار الفكر. بيروت.

١١٢ .الدر المنضد في ذكر أصحاب الإمام أحمد -للعليمي - تحقيق د: عبد الرحمن العثيمين - الطبعة الأولى - ١٤١٢هـ - مكتبة التوبة - الرياض

١١٣ .درء القول القبيح بالتحسين والتقبيح للطوفي، تحقيق د: أيمن محمود شحادة. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ.

١١٤ . درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية، تحقيق د: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية - الرياض، ١٣٩١هـ.

١١٥ .دراسات في الأديان، اليهودية والنصرانية، د: سعود بن عبد العزيز الخلف، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ مكتبة أضواء السلف، الرياض.

١١٦ .دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند د: محمد ضياء الرحمن الأعظمي،

الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، مكتبة الرشد، الرياض.

١١٧. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني – دار الجيل – بيروت.

١١٨. دقائق التفسير، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق أستاذنا أ. د: محمد السيد الجليند. الطبعة الثانية. ١٤٠٤هـ. مكتبة علوم القرءان. دمشق.

١١٩. دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية،. د: آسيا سليمان نقلي، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٣هـ

١٢٠. الدين والدولة، في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ، علي بن ربّن الطبري، تحقيق: عادل نويهض، الطبعة الرابعة ١٤٠٢هـ، دار الآفاق الجديدة،. بيروت. لبنان.

١٢١. ديوان حسان ﷺ، شرح الدكتور: يوسف عيد، الطبعة الأولى١٤١٢هـ، دار الجيل.

١٢٢. ذيل العبر، للحافظ الذهبي – تحقيق: محمد السعيد زغلول – الطبعة الأولى – ١٤٠٥هـ –دار الكتب العلمية – بيروت.

١٢٣. ذيل تاريخ الإسلام، للحافظ الذهبي – بعناية: مازن باوزير –الطبعة الأولى – ١٤١٩هـ – دار المغني – الرياض.

١٢٤. ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي، الحافظ أبو المحاسن الحسيني الدمشقي، دار الكتب العلمية –بيروت –لبنان.

١٢٥. ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي – تحقيق د: عبدالرحمن العثيمين –مكتبة العبيكان – الطبعة الأولى – ١٤٢٥هـ.

١٢٦. ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي – دار المعرفة – بيروت.

١٢٧. الرحيق المختوم، للشيخ: صفي الرحمن المباركفوري، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، دار الوفاء، المنصورة. مصر.

١٢٨. الرد على المنطقيين، لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة – بيروت.

١٢٩. الرد على النصارى، الإمام: القاسم بن إبراهيم الرسي، دون ذكر دار النشر، وتاريخه.

١٣٠. ردٌ للشيخ: محمد بن صالح العثيمين رحمة الله عليه، في مجلة الدعوة السعودية في عدد (٩١١) الصادر يوم الاثنين الموافق ٤/ ١/ ١٤٠٤هـ.

١٣١ .رسائل في الأديان والفرق والمذاهب. الشيخ: محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، دار ابن خزيمة، الرياض.

١٣٢ .الرسالة. الإمام: محمد ابن إدريس الشافعي، ت: أحمد شاكر.

١٣٣ .رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر العسقلاني، ت/ علي محمد عمر، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ الخانجي بالقاهرة.

١٣٤ .رفع النقاب عن تراجم الأصحاب، لابن ضويان النجدي - تحقيق: عمر العمروي - الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ - دار الفكر - بيروت.

١٣٥ .الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، د/ أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية، القاهرة.

١٣٦ . روح البيان في التفسير، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي. الدار السلفية، الهند.

١٣٧ . الروح لابن قيم الجوزية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣٨ . الروض المربع شرح زاد المستقنع، منصور بن يونس البهوتي، حاشية الشيخ العالم: محمد بن صالح العثيمين، تخريج: عبد القدوس محمد نذير، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ دار المؤيد الرياض، مؤسسة الرسالة، بيروت.

١٣٩ . زاد المسير في علم التفسير، للإمام: عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

١٤٠ . زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الرابعة عشر، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٦م، مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، بيروت، الكويت.

١٤١ . زوائد الهيثمي، الحارث بن أبن أسامة، الحافظ نور الدين الهيثمي، تحقيق د: حسين أحمد الباكري. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ مركز خدمة السنة والسيرة النبوية، المدينة المنورة.

١٤٢ . سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الإمام: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، طبعة سنة ١٤١٥هـ.

١٤٣ . سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة، الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤١٢هـ مكتبة المعارف، الرياض.

١٤٤. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، تعليقات كَمَال يوسُفْ الحوُت، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها، دار الفكر.

١٤٥. سيدنا عيسى بشرٌ رسولٌ وليس إلهًا في التوراة والإنجيل والقرآن أحمد السيد موسى الجندي، دار الإيمان، الإسكندرية، ٢٠٠٢م.

١٤٦. سير أعلام النبلاء للذهبي. مؤسسة الرسالة. الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ. ت: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت. لبنان.

١٤٧. السيرة النبوية في الصحيحين وعند ابن إسحاق د: سليمان بن حمد العودة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ دار طيبة.

١٤٨. السيرة النبوية لابن هشام، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الثالثة ١٤١٠هـ دار الكتاب العربي.

١٤٩. شجرة المعارف والأحوال وصالح الأقوال والأعمال، عز الدين بن عبد السلام ٦٦٠هـ، ت: أبي عبد الله حسين بن عكاشة، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ دار ماجد عسيري. جدة، المملكة العربية السعودية.

١٥٠. شذرات الذهب في أخبار من ذهب -لابن العماد الحنبلي - الطبعة الأولى -- دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٩هـ.

١٥١. شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح الشيخ: محمد خليل هرَّاس، الطبعة الثالثة، ١٤١٥هـ دار الهجرة، المملكة العربية السعودية.

١٥٢. شرح مختصر الروضة في أصول الفقه، للطوفي. تحقيق د/ إبراهيم بن عبد الله آل إبراهيم مطابع الشرق الأوسط بالرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٥٣. شرح مختصر الروضة للطوفي تحقيق: عبد الله التركي - الطبعة الثانية - ١٤١٩هـ - توزيع وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - الرياض.

١٥٤. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي: عياض، أبي الفضل، عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ٤٧٦-٥٤٤هـ ت: عامر الجزار، ١٤٢٥هـ دار الحديث بالقاهرة.

١٥٥. صحيح الجامع الصغير وزيادته، الألباني، تحقيق: زهير الشاويش، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ المكتب الإسلامي. بيروت. دمشق.

١٥٦ . صحيح السيرة النبوية، الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني الطبعة: الأولى، المكتبة الإسلامية – عمّان – الأردن.

١٥٧ . الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، الشيخ العلامة: مصطفى العدوي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ. دار الهجرة، الخبر.

١٥٨ . صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٥٩ . الصعقة الغضبية في الرد على منكري العربية للطوفي – تحقيق: محمد بن خالد الفاضل – الطبعة الأولى – ١٤١٧هـ –مكتبة العبيكان – الرياض.

١٦٠ . ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، أ. د: محمد سعيد رمضان البوطي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ بيروت.

١٦١ . طبقات الحفاظ، الإمام: عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦٢ . عقائد الشيعة الاثني عشرية سؤال وجواب، عبد الرحمن بن سعد الشثري، الطبعة الثالثة، ١٤٢٧هـ، مكتبة الرضوان، البحيرة.

١٦٣ . عقائد الشيعة في ضوء الكتاب والسنة وصحيح التاريخ. لاستأذنا الفاضل أ. د/ مصطفى حلمي، دار الإبداع، ط٢، ١٤٢٧هـ

١٦٤ . العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية، محمد بن أحمد عبدالهادي، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المؤيد، الرياض.

١٦٥ . العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد، تحقيق: وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م، لمكتب الإسلامي، دار الخاني – بيروت، الرياض.

١٦٦ . علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاّف، دار الحديث، ١٤٢٣هـ القاهرة.

١٦٧ . علم الجذل في علم الجدل للطوفي، بتحقيق المستشرق/ فولفهارت هاينريشس، من إصدار لجنة المستشرقين الألمانية.

١٦٨ . علماء الحنابلة، من الإمام أحمد المتوفى سنة (٢٤١هـ) إلى وفيات عام (١٤٢٠هـ)– لبكر بن عبد الله أبو زيد – الطبعة الأولى – ١٤٢٢هـ – دار ابن الجوزي – الدمام.

١٦٩ . عون المعبود في شرح سنن أبي داود، الطبعة الثانية ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧٠ . غاية الوصول في شرح لب الأصول، لشيخ الإسلام: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري.

١٧١ . فتاوى أركان الإسلام، الشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، جمع: فهد بن ناصر السليمان. الطبعة الثانية، ١٤٢٥هز الدار المصرية السعودية. القاهرة.

١٧٢ . فتاوى العقيدة، للشيخ: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ. مكتبة السنة. القاهرة.

١٧٣ . فتح الباري (شرح صحيح البخاري)، لابن حجر، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ

١٧٤ . الفرق بين الفرق، عبد القاهر بن طاهر البغدادي، ت: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة التراث، القاهرة.

١٧٥ . الفروع في الفقه الحنبلي، محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي.

١٧٦ . الفصل في الملل والأهواء والنحل، الإمام أبو محمد علي بن أحمد (ابن حزم) الأندلسي، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٧٧ .فضائح الكنائس والباباوات والقسس والرهبان والراهبات، مصطفى فوزي عبداللطيف، ١٩٩١م.

١٧٨ . فقه الخلاف بين المسلمين، ذ: ياسر برهامي، دار العقيدة، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، الإسكندرية.

١٧٩ . فقه السيرة للشيخ محمد الغزالي، تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني. الطبعة الثامنة ١٩٩٨م. دار القلم. دمشق.

١٨٠ . فقه اللغة، الإمام الثعالبي، الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي.

١٨١ . الفلسفة الخلقية لدى مفكري الإسلام أ. د: محمد السيد الجليند، الطبعة السابعة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م.

١٨٢ .في تاريخ الأيوبيين والمماليك، أ. د/ محمد أحمد محمد مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ الرياض.

١٨٣ . قامو س البدع، مستخرج من كتب الإمام العلامة: محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه (ت: ١٤٢٠هـ)، مشهور حسن سلمان، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، دار الإمام البخاري. الدوحة. قطر.

١٨٤. قامـوس الكتاب المقـدس، الطبعة الرابعة عشـرة، مكتبة دار العائلـة بالقاهرة، تأليف نخبة من كبار العلماء، واللاهوتيين، طبع بمطبعة الحرية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

١٨٥. القامـوس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، الطبعة الأولى١٩٩٥، دار الجيل للطبع والنشر.

١٨٦. قـراءة في الكتاب المقدس، تأملات في كتـب الأناجيل د/ صابر طعيمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.

١٨٧. قصة المسيح الدجال ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله إياه، على سياق روايـة أبـي أمامة رضي الله عنه مضافًا إليه مـا صح عن غيره من الصحابة رضـي الله عنهم، للعلامة: محمد ناصر الدين الألباني رحمة الله عليه، طبع المكتبة الإسلامية بالأردن.

١٨٨. قصـص الأنبياء، الحافظ: عماد الدين، أبو الفداء، إسـماعيل بن كثير القرشـي الدمشـقي ٧٧٤هـ، ت: علـي أبـو الخير، محمـد وهبي، معـروف زريق، الطبعة السـابعة ١٤١٧هـ، دار الخير، دمشق.

١٨٩. قطوف الريحان من زهر الأفنان شرح حديقة ابن الونان، أحمد بن محمد الأمين بن أحمد المختار الجكني. الطبعة الأولى ١٤١٣هـ، نشر دار روضة الصغير. الرياض.

١٩٠. الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة للذهبي، تحقيق: محمد عوامة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ- ١٩٩٢م، دار القبلة للثقافة الإسلامية، مؤسسة علو - جدة.

١٩١. الكافي في فقه ابن حنبل، عبد الله بن قدامة المقدسـي أبو محمد، تحقيق: محمد فارس، مسعد السعدني، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية. بيروت - لبنان.

١٩٢. الكامل في التاريخ، لابن الأثير.

١٩٣. الكامـل في ضعفـاء الرجال، عبـدالله بن عدي بـن عبدالله بن محمـد أبو أحمد الجرجـاني، تحقيـق: يحيى مختار غـزاوي، الطبعة الثالثـة، ١٤٠٩ - ١٩٨٨، دار الفكر - بيروت.

١٩٤. كتب: دلائل النبوة، وهي كثيرة.

١٩٥. الكتـب المقدسـة في ميزان التوثيـق، عبد الوهاب عبد السـلام طويلـة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ دار السلام، القاهرة.

١٩٦. كرامـات أولياء الله عز وجل، للإمام: هبة الله بن الحسـن الطبري اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد الحمدان، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ دار طيبة - الرياض.

١٩٧. الكليات تأليف: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م مؤسسة الرسالة - بيروت.

١٩٨. لسان العرب، للإمام العلامة ابن منظور، الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٩٩. لسان الميزان للإمام الحافظ: شهاب الدين، أبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد الكناني، المعروف بابن حجر العسقلاني، ٧٧٣هـ- ٨٥٢هـ ت: غنيم بن عباس غنيم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ مطبعة دار الفاروق الحديثة.

٢٠٠. لقاء الباب المفتوح، للشيخ: محمد بن صالح ابن عثيمين، رحمة الله عليه.

٢٠١. اللمع في أصول الفقه الكتاب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٠٢. مباحث في علوم القرآن، الشيخ أ. ذ: مناع القطان، الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

٢٠٣. المبين عن المستهزئين برسول رب العالمين، د/ عبدالعزيز بن محمد السعيد، طبع وقف السلام الخيري، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ، الرياض.

٢٠٤. متن القصيدة النونية، لابن قيم الجوزية، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٢٠٥. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الموصلي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٩٥م، المكتبة العصرية - بيروت.

٢٠٦. مجلة البحوث الإسلامية (عدد ١٤) عام: ١٤٠٥هـ الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، بالرياض.

٢٠٧. مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر. الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء.

٢٠٨. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد (رحمها الله).

٢٠٩. محاضرات في النصرانية، الإمام محمد أبو زهرة، الطبعة الثالثة ١٣٨١هـ، دار الفكر العربي، القاهرة.

٢١٠. محاضرات في مقارنة الأديـان، إبراهيم خليل أحمد، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار المنار، القاهرة.

٢١١. محبة الرسـول ﷺ بين الإتباع والابتداع، عبد الـرؤوف محمد عثمان، الطبعة الثانيـة، ١٤١٤هـ. (رسـالة ماجسـتير) طبع رئاسـة إدارات البحـوث العلمية والإرشـاد. الرياض.

٢١٢. محمـد بن عبد الوهـاب وموقفه من أهل البيت عليهم السـلام (٣١)، خالد بن أحمـد الزهراني، الطبعـة الثانية١٤٢٥هــ، دار الهجرة للنشـر والتوزيع- الخـبر، المملكة العربية السعودية.

٢١٣. مختـار الصحاح، محمد بـن أبي بكر بـن عبدالقادر الـرازي، تحقيق: محمود خاطر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت.

٢١٤. المختار المصون من أعلام القرون، لمحمد بن عقيل موسـى - الطبعة الأولى - ١٤١٥هـ - دار الأندلس الخضراء - جدة.

٢١٥. مختصـر الخرقـي، محمـد بن عبـد الرحمن بـن حسـين آل إسـماعيل. مكتبة المعارف. الرياض. الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

٢١٦. مختصر الشمائل المحمدية للترمذي ت: العلامة: محمد ناصر الدين الألباني.

٢١٧. مختصـر طبقات الحنابلة لابن شـطي - دراسـة: فواز زمرلـي - الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - دار الكتاب العربي - بيروت.

٢١٨. مخطوطـة: التعليـق علـى الأناجيـل الأربعـة، نسـخة مكتبة(كوبرلـي) بتركيا، برقم(٧٩٥).

٢١٩. مخطوطـة: التعليـق على الأناجيل الأربعة للطوفي، نسـخة مكتبة: شـهيد باشـا بأستانبول، في تركيا، في مجموع رقم(٢٣١٥).

٢٢٠. المدخل الفقهي العام، الشـيخ: مصطفـى الزرقا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار القلم، دمشق.

٢٢١. المدخـل المفصـل إلى فقـه الإمام أحمـد بن حنبـل وتخريجـات الأصحاب للدكتور: بكر أبو زيد - الطبعة الأولى - ١٤١٧هـ - دار العاصمة - الرياض.

٢٢٢. المدخـل إلـى مذهب الإمام أحمد لابـن بدران - تحقيق د: عبـد الله التركي - الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٢٣.مذكـرة في أصول الفقه: العلامة: محمد الأمين بن محمد المختار الشـنقيطي - مكتبة العلوم والحكم - الطبعة الرابعة - ١٤٢٥هـ المدينة المنورة.
٢٢٤.المذهب الحنبلي (دراسة في تاريخه وسماته وأشهر أعلامه ومؤلفاته) للدكتور: عبد الله التركي - الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.
٢٢٥. مذهـب أهل التفويض في نصوص الصفات، أحمد بـن عبد الرحمن بن عثمان القاضي، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار العاصمة، الرياض.
٢٢٦. مروج الذهب للمسعودي
٢٢٧.مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة (ماجستير) الشيخ ناصر القفاري.
٢٢٨.مسـألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، الشـيخ: أحمد ديدات، ترجمة: علي الجوهري١٩٨٩م.، دار الفضيلة، القاهرة.
٢٢٩. المسـتدرك على الصحيحين، محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري، تحقيـق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعـة الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٣٠. المسـتصفى في علـم الأصول لأبي حامـد، محمد بن محمـد الغزالي، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٣١. مسند الإمام: أحمد بن حنبل، تعليق الأرنؤوط، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
٢٣٢.المسيح والتثليث د: محمد وصفي، دار الفضيلة القاهرة، دون تاريخ الطبعة.
٢٣٣.المسـيحية (النصرانية) دراسـة وتحليل، الأستاذ/ سـاجد مير، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض.
٢٣٤.المسـيحية دين التوحيد والتثليث وموقف الإسـلام منها. د/ عبد المنعم فؤاد، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، مكتبة العبيكان، الرياض.
٢٣٥. مشـاهير علماء الأمصـار، الإمام: محمد بن حبان بن أحمـد أبو حاتم التميمي البستي، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية - بيروت، - ١٩٥٩م.
٢٣٦. مشكاة المصابيح، للإمام: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، تحقيق الشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.
٢٣٧. مشكلة الصراع بين الدين والفلسفة، د: رضا سعادة. الدار العالمية.
٢٣٨. المصبـاح المنير في غريب الشـرح الكبير للرافعي، الإمـام: أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت.

٢٣٩. المصلحة عند الحنابلة، د/ سعد بن ناصر الشثري، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ، دار المسلم للنشر والتوزيع، الرياض.

٢٤٠. المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي - د: مصطفى زيد - الطبعة الأولى - ١٣٧٤هـ - مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة.

٢٤١. مصنف عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، المكتب الإسلامي - بيروت.

٢٤٢. معارج القدس في مدراج معرفة النفس، لأبي حامد الغزالي، الطبعة الثانية، ١٩٧٥م، دار الآفاق الجديدة - بيروت.

٢٤٣. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، د: محمد حسين الجيزاني (رسالة دكتوراه) - الطبعة الأولى - ١٤١٦هـ دار ابن الجوزي. الدمام.

٢٤٤. معالم التنزيل، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى ٥١٦ هـ) حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، الطبعة الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، دار طيبة للنشر والتوزيع.

٢٤٥. معجم الأدباء، ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، دار الفكر - بيروت.

٢٤٦. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة - الطبعة الأولى - ١٤١٤هـ - مؤسسة الرسالة - بيروت.

٢٤٧. معجم المناهي اللفظية، د: بكر بن عبد الله أبو زيد(ت ١٤٢٩هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤١٧هـ دار العصمة. الرياض.

٢٤٨. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار.

٢٤٩. معجم بلدان العالم الإسلامي. د/ محمد الراجحي. الطبعة الأولى، مطبعة سفير.

٢٥٠. معجم مصنفات الحنابلة من عام ٢٤١هـ إلى عام ١٤٢٠هـ عبدالله الطريقي - الطبعة الأولى - ١٤٢٢هـ.

٢٥١. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م دار الفكر.

٢٥٢. المغني لابن قدامة، طبعة دار الفكر، الأولى، ١٤٠٥هـ لبنان.

٢٥٣. مفردات من الحضارة الإسلامية، محمد راجي حسن كناس، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ دار المعرفة، بيروت –لبنان.

٢٥٤. مقارنة الأديان: المسيحية د/ أحمد شلبي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٣م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

٢٥٥. المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، لإبراهيم بن محمد بن مفلح – تحقيق: عبد الرحمن العثيمين – الطبعة الأولى –١٤١٠هـ –مكتبة الرشد – الرياض.

٢٥٦. الملل والنحل محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني تحقيق: محمد سيد كيلاني، ١٤٠٤هـ دار المعرفة – بيروت.

٢٥٧. من قضايا التصوف في ضوء الكتاب والسنة. تحقيق: أستاذنا أ. د/ محمد السيد الجليند.

٢٥٨. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، للإمام: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، ابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ – ١٩٨٣، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب.

٢٥٩. مناهل العرفان في علوم القرآن، الشيخ: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، دار الفكر – بيروت.

٢٦٠. منحة القريب المجيب في الرد على عبُّاد الصليب، الشيخ عبد العزيز بن حميد بن ناصر بن معمَّر، تحقيق د/ محمد بن عبد الله السكاكر، طبع الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة ١٤١٩هـ –١٩٩٩م.

٢٦١. المنطق وفن التفكير، د: حسين على، طبعة ٢٠٠٥، الدار المصرية السعودية للنشر والتوزيع. القاهرة.

٢٦٢. المنظومة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية وشرحها للطوفي، (رسالة ماجستير)، (لم تطبع) إعداد الأخ/ محمد نور الإحسان بن علي يعقوب، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٣هـ.

٢٦٣. منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ مؤسسة قرطبة.

٢٦٤. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المسمى: شرح النووي على مسلم، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٦٥. منهج ابن القيم في دراسة عقائد النصارى بحث: مجدي بن عبد الله أبو عويمر، ضمن مجلة (الحكمة) العدد (٢٠)، طبع بريطانيا، ليدز، leeds. u. k.، ١٤٢٠هـ.

٢٦٦. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد للعليمي - تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط وآخرين - الطبعة الأولى -١٤١٧هـ -دار صادر - بيروت.

٢٦٧. المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، ت/ محي الدين أبي اليمن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي المقدسي الحنبلي ٩٢٨هـ. دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٤٢٠هـ

٢٦٨. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد، د: عثمان علي حسن، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ، دار إشبيليا، الرياض.

٢٦٩. منهج الطوفي في تقرير العقيدة، (رسالة ماجستير)، الشيخ: إبراهيم بن عبد الله بن صالح المعثم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، كلية أصول الدين، بالقصيم ١٤٢٦هـ (مخطوط).

٢٧٠. منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، د: إبراهيم البريكان، دار ابن القيم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

٢٧١. منهجية جمع السنة وجمع الأناجيل، دراسة مقارنة، د/ عزية علي طه، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م، دون ذكر الناشر ومكانه.

٢٧٢. الموافقات لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق / مشهور سلمان، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ، دار ابن عفان، مصر.

٢٧٣. موسوعة (١٠٠٠) مدينة إسلامية، عبد الحكيم العفيفي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، أوراق شرقية، بيروت.

٢٧٤. الموسوعة الفقهية الميسرة أ. د/ محمد رواس قلعه جي، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ دار النفائس.

٢٧٥. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، إشراف الشيخ د/ مانع بن حماد الجهني (رحمه الله)، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الرياض.

٢٧٦. موسوعة نضرة النعيم، في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، إعداد مجموعة من المختصين، بإشراف: صالح بن عبدالله بن حميد، إمام وخطيب الحرم المكي،

وعبدالرحمن بن محمد بن ملوح، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، نشر: دار الوسيلة، للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية.

٢٧٧. موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس أبو عبدالله الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – مصر.

٢٧٨. الموقظة في علم مصطلح الحديث، الإمام الحافظ شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ دار البشائر الإسلامية – مكتب المطبوعات الإسلامية.

٢٧٩. موقف ابن تيمية من الأشاعرة د: عبد الرحمن بن صالح المحمود، مكتبة الرشد، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٨٠. موقف اليهود والنصارى من المسيح ﷺ وإبطال شبهاتهم حوله، رسالة دكتوراه، د/ سارة بنت محمد العبادي، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ. مكتبة الرشد، الرياض.

٢٨١. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، تحقيق: علي معوض، عادل عبدالموجود، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ، دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان.

٢٨٢. الميزان في مقارنة الأديان، حقائق ووثائق، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، دار القلم، دمشق. الدار الشامية، بيروت.

٢٨٣. النبوة والأنبياء، الشيخ/ محمد بن علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، عالم الكتب، بيروت.

٢٨٤. نجم الدين الطوفي ومنهجه الكلامي، مع تحقيق كتابه حلآل العقد في أحكام المعتقد (رسالة ماجستير)، (مخطوط)، د: جمعان ظاهر ماضي الحربش، كلية دار العلوم ١٤١٨هـ.

٢٨٥. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين، ابو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

٢٨٦. نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، لابن حجر، دار إحياء التراث العرب – بيروت.

٢٨٧. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ) تحقيق: د: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الطبعة الأولى عام (١٤٢٢هـ) مطبعة سفير بالرياض.

٢٨٨. النصرانية، نشأتها التاريخية، و أصول عقائدها، د: عرفان عبد الحميد فتاح، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن.

٢٨٩. النصرانية في الميزان، المستشار: محمد عزت الطهطاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت.

٢٩٠. نقد الأناجيل المرفوضة و المعترف بها، د/ محمد ممتاز عبد القادر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م، كنوز للنشر والتوزيع، القاهرة.

٢٩١. النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، المكتبة العلمية، بيروت.

٢٩٢. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم، تحقيق: أحمد عبدالقادر الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ. دار قتيبة.

٢٩٣. الوجيز في عقيدة السلف الصالح (أهل السنة والجماعة)، عبد الله بن عبد الحميد الأثري، مراجعة وتقديم الشيخ: صالح بن عبد العزيز آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية، الطبعة: الأولى١٤٢٢هـ، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية.

٢٩٤. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر. بيروت.

٢٩٥. وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ عبد العزيز بن ناصر الجليّل، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، دار طيبة، الرياض.

٢٩٦. اليهودية، د: أحمد شلبي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.

فهارس موضوعات كتاب
(التعليق على الأناجيل الأربعة)

الموضوع